كتاب الأغاني
الجزء الحادي عشر

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر
حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو بالتصوير أو التسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

E. Mail alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN - 978 - 614 - 414 - 599 - 9

النابغة الذبياني

أخبار النابغة ونسبه

النابغة اسمه زِيادُ بن معاوية بن ضِباب بن جَناب بن يَربوع بن غَيظ بن مُرَّة بن عَوف بن سَعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان بن سَعد بن قَيس بن عَيلان بن مُضَر. ويُكنى أبا أُمامة. وذكر أَهل الرّواية أنه إنما لُقِّب النابغةَ لقوله:

فقد نَبَغتْ لهم منَّا شؤونُ

وهو أحد الأشراف الذين غَضّ الشعرُ منهم. وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وَحَبيب بن نَصر المُهَلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا أَبو نُعَيم قال حدثنا شَريكٌ عن مُجاهد عن الشَّعبيّ عن رِبعِيّ بن حِراش قال:

قال عمر: يا معشر غَطَفانَ مَنِ الذي يقول:

أتيتُك عارياً خَلَقاً ثِيابي على خوفٍ تُظَنُّ بيَ الظُّنونُ

[الوافر]

قلنا: النابغة. قال: ذاك أشعرُ شعرائكم.

أَخبرني أَحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا عُبَيد بن جَنَّاد قال حدثنا مَعن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السُّلَميّ عن جدّه عن الشَّعبيّ قال: قال عمر: مَن أشعرُ الناس؟ قالوا: أنت أعلمُ يا أَمير المؤمنين. قال: مَنِ الذي يقول:

إلَّا سليمانَ إذ قال الإلٰه له قُمْ في البريَّة فاحدُدها[1] عن الفَنَدِ[2]

(١) أُحدُدها: امنعها.

(٢) الفَنَد: الخطأ في القول والرأي.

وخـبِّـرِ الـجِـنَّ أنّـي قـد أذِنـتُ لـهـم يـبـنـون تَـدمُـرَ[١] بـالـصُّـفَّـاح[٢] والـعَـمَـد[٣]

[البسيط]

قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول:

أتـيـتُـك عـاريـاً خَـلَـقـاً ثـيـابـي عـلـى خـوفٍ تُـظَـنُّ بـيَ الـظـنـونُ

[الوافر]

قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول:

حـلـفـتُ فـلـم أتـرك لـنـفـسـك رِيـبـةً ولـيـس وراءَ الـلَّـهِ لـلـمـرء مَـذهـبُ

لـئـن كـنـتَ قـد بُـلِّـغـتَ عـنّـي خـيـانـةً لـمُـبـلِـغُـك الـواشـي[٤] أَغَـشُّ وأكـذَبُ

ولـسـتَ بـمـسـتَـبـقٍ أخـاً لا تَـلُـمُّـهُ[٥] عـلـى شَـعَـثٍ[٦] أيُّ الـرجـالِ الـمُـهَـذَّبُ

[الطويل]

قالوا: النابغة. قال: فهو أشعر العرب.

أَخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا عمر بن أبي زائدة عن الشَّعبيّ قال: ذُكِر الشِّعرُ عند عمر؛ ثم ذكر مثلَه.

أَخبرني أَحمد قال حدثنا عمر قال حدثني علي بن محمد عن المدائنيّ عن عبد اللَّه بن الحسن عن عمر بن الحُباب عن أَبي المؤمّل قال:

قام رجلٌ إلى ابن عبَّاس فقال: أيُّ الناس أشعر؟ فقال ابن عباس: أخبِره يا أبا الأسود الدُّؤَليّ؛ قال الذي يقول:

فـإنـكَ كـالـلَّـيـلِ الـذي هـو مُـدركـي وإن خِـلـتُ أنّ الـمُـنـتَـأَى[٧] عـنـك واسـعُ

[الطويل]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمَّاد قرأت على أبي عن جرير بن شَريك بن جَرير بن عبد اللَّه البَجَليّ قال: كنَّا عند الجُنَيد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مُرَّة وجلساؤه من الناس، فتذاكروا شعرَ النابغة حتى أنشدوا قوله:

فـإنـك كـالـلَّـيـل الـذي هـو مـدركـي وإن خـلـتُ أنّ الـمـنـتـأَى عـنـك واسـعُ

[الطويل]

---

(١) تَدْمُر: مدينة بسوريا.
(٢) الصُّفاح: مفردها صفاحة، وهي الحجارة العريضة الدقيقة.
(٣) العَمَد: مفردها عمود، وهو الأساس.
(٤) الواشي: الساعي بين النّاس بالكذب العَمْد.
(٥) تلمّه: تصلحه وتجمعه.
(٦) شَعَث: انتشار الأمر وفساده.
(٧) المنتأى: البُعد.

فقال شيخٌ من بني مرَّة: ما الذي رأى في النُّعمان حيث يقول له هذا! وهل كان النُّعمان إلا على مَنظرةٍ من مناظر الحيرة! وقالت ذلك القيسيَّةُ فأكثروا. فنظر إليّ الجُنَيد وقال: يا أَبا خالد! لا يهولنَّك قولُ هؤلاء الأَعاريض! فأُقسم باللَّه أن لو عاينوا من النُّعمان ما عاين صاحبُهم لقالوا أكثر مما قال، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون.

أَخبرني حبيب بن نَصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا أَبو بكر العُلَيميّ قال حدثني عبد الملك بن قُرَيب قال:

كان يُضرَب للنابغة قُبَّةٌ من أَدَم بسوق عُكاظَ، فتأتيه الشعراء فتَعرض عليه أشعارها. قال: وأوّل من أَنشده الأعشَى ثم حسَّانُ بن ثابت ثم أنشدتْه الشعراء، ثم أنشدته الخَنساء بنت عمرو بن الشَّريد:

وإن صخراً لَتَأْتَمُّ الهُداةُ به ... كأنه عَلَمٌ في رأسه نارُ

[البسيط]

فقال: واللَّه لولا أنّ أبا بَصير أنشدني آنِفاً لقلتُ إنك أشعر الجنّ والإِنس. فقام حسَّان فقال: واللَّه لأنا أشعرُ منك ومن أبيك! فقال له النابغة: يا ابنَ أَخي، أنت لا تحسن أَن تقول:

فإنك كاللَّيل الذي هو مدركي ... وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

خَطاطيف[1] حجنٍ[2] في حِبالٍ مَتينةٍ ... تَمُدُّ بها أَيدٍ إليك نَوازعُ

[الطويل]

قال: فخَنس[3] حسَّان لقوله:

أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نَصر المهلَّبيّ قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا الأصمعيّ قال حدثنا أَبو عمرو بن العلاء قال: قال فلان لرجل سمَّاه فأُنسِيتُه:

بينا نحن نسير بين أنقاءٍ[4] من الأرض تذاكرنا الشعر، فإذا راكبُ أُطَيلِس[5] يقول: أشعرُ الناس زياد بن مُعاوية؛ ثم تملَّس[6] فلم نَرَه.

(١) خطاطيف: مفردها خُطاف، وهي حديدة توضع فوق البئر تستخرج بها الدِّلاء وغيرها.
(٢) حُجُن: مفردها أحجن، وهي كل معطوف مُعْوجّ وواحدتها حجناء.
(٣) خَنَس: تنحَّى ورجع.
(٤) أنقاء: القطعة من الرمل تنقاد محدودبة، مفردها نقا.
(٥) أُطَيلِس: مصغَّر أطلس، وهو الذئب الأمعط في لونه غُبرة إلى السَّواد.
(٦) تملَّس: تفلَّتَ.

فضله أبو عمرو على زهير :

أَخبرني أَحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا الأصمعيّ قال سمعتُ أبا عمرو يقول ما كان ينبغي للنابغة إلا أَن يكون زُهَيرٌ أجيراً له :

أَخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال عمرو بن المُنتشِر المُراديّ :

وفَدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه، فقام رجلٌ فاعتذر من أمر وحلف عليه. فقال له عبد الملك : ما كنتَ حَرِيّاً أن تفعل ولا تعتذر. ثم أقبل على أهل الشأم فقال : أيُّكم يَروي من اعتذار النابغة إلى النعمان :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً ... وليس وراء اللَّه للمرء مذهبُ

[الطويل]

فلم يجد فيهم من يَرويه ؛ فأقبل عليّ فقال : أتَرويه؟ قلت نعم! فأنشدتُه القصيدة كلَّها ؛ فقال : هذا أشعر العرب.

أخبرنا حَبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال :

قال معاوية بن بكر الباهليّ قلت لحمَّاد الراوية : بِمَ تَقدَّم النابغةُ؟ قال : باكتفائك بالبيت الواحد من شعره، لا بل بنصف بيت، لا بل بربع بيت، مثل قوله :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء اللَّه للمرء مذهبُ

[الطويل]

كلُّ نصفٍ يُغنيك عن صاحبه، وقوله : «أيّ الرجال المهذَّبُ» ربع بيت يغنيك عن غيره.

وهذه القصيدة العينيَّة يقولها في النعمان بن المُنذِر يعتذر إليه بها وبعِدَّة قصائد قالها فيه تُذكرُ في مواضعها. ولقد اختلفت الرُّواة في السبب الذي دعاه إلى ذلك.

فأخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدثنا عمر بن شبَّة عن أبي عُبَيدة وغيره من علمائهم :

أنّ النابغة كان كبيراً عند النعمان خاصّاً به وكان من نُدَمائه وأهل أُنسه ؛ فرأى زوجته المتجرّدة يوماً وغَشِيها تشبيهاً بالفُجاءَة، فسقط نَصيفها واستترت بيدها وذراعها، فكادت ذراعُها تستر وجهها لعَبَالتها وغِلَظها ؛ فقال قصيدتَه التي أوّلها :

أمِنَ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغتدي ... عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ

زعَم البوارحُ أنّ رِحلَتَنا غداً ... وبذاك تَنعابُ الغرابِ الأسودِ

لا مـــرحـــبـــاً بـــغَـــدٍ ولا أهـــلاً بـــه إن كـــان تـــفـــريـــقُ الأحـــبَّـــةِ فـــي غـــدِ
أزفَ الـــتَّـــرَحُّـــلُ غـــيـــرَ أنّ رِكـــابَـــنـــا لـــمَّـــا تَـــزُلْ بـــرِحـــالـــنـــا وكـــأنْ قَـــدِ
فـــي إثـــرِ غـــانـــيـــةٍ رمـــتْـــك بـــســـهـــمـــهـــا فـــأصـــاب قـــلـــبَـــك غـــيـــر أن لـــم تُـــقـــصِـــدِ
بـــالـــدُّرّ والـــيـــاقـــوتِ زُيِّـــن نـــحـــرُهـــا ومُـــفَـــصَّـــلٍ مـــن لُـــؤلُـــؤ وزَبَـــرجَـــدِ

[الكامل]

عروضه من الكامل. وغنَّاه أبو كاملٍ من رواية حَبشٍ ثقيلاً أَوّل بالبنصر. وغنَّاه الغريض من روايته ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى. وغنَّاه ابن سُرَيج من رواية إسحاق ثقيلاً أوَّل بالسبابة في مجرى الوسطى.

قوله: أمن آل مَيَّةَ: يخاطب نفسه كالمُستَثبِت. وعجلان: من العجلة، نصبه على الحال. والزاد في هذا الموضع: ما كان من تسليم وردّ تحيَّة. والبوارح: ما جاء من مَيامِنِك إلى مَياسِرك فولَّاك مَياسره. والسانح ما جاء من مياسرك فولَّاك ميامنه؛ حكى ذلك أبو عُبَيدة عن رؤبة وقد سأله يونس عنه. وأهل نَجدٍ يتشاءمون بالبوارح، وغيرُهم من العرب تتشاءم بالسانح وتتيمَّن بالبارح؛ ومنهم من لا يرى ذلك شيئاً؛ قال بعضهم:

ولـــقـــد غـــدوتُ وكـــنـــتُ لا أَغـــدو عـــلـــى واقٍ وحـــاتِـــمْ
فـــإذا الأشـــائـــمُ كـــالأيـــا مِـــنِ والأيـــامِـــنُ كـــالأشـــائـــمْ

[مجزوء الكامل]

وتنعابُ الغراب: صياحه؛ يقال: نعب الغراب ينعب نَعباً ونَعَباناً، والتنعاب تفعالٌ من هذا. وكان النابغة قال في هذا البيت: «وبذاك خبَّرنا الغرابُ الأسودُ» ثم ورد يَثرِبَ فسمعه يُغنّى فيه، فبان له الإقواءُ، فغيَّره في مواضع من شعره.

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال: قال حمَّاد بن إسحاق قرأتُ على أَبي:

قال أَبو عُبَيدة: كان فَحلانِ من الشعراء يُقوِيان: النابغةُ وبِشرُ بن أَبي خازم. فأمَّا النابغةُ فدخل يَثرِبَ فهابوه أن يقولوا له لحنتَ وأكفأتَ، فدَعَوْا قَينةً وأمروها أن تغنّيَ في شعره ففعلت. فلما سمع الغناء و«غير مزوَّد» و«الغراب الأسود» وبان له ذلك في اللحن فَطِنَ لموضع الخطإ فلم يَعُدْ. وأمَّا بِشر بن أَبي خازم فقال له أخوه سَوادةُ: إنَّك تُقوي. قال: وما ذاك؟ قال: قولُك:

ويُـــنـــســـي مـــثـــلَ مـــا نُـــسِـــيـــتْ جُـــذامُ

ثم قلت بعده «إلى البلد الشآم». ففطن فلم يَعُد.

أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا خلَّاد الأرقط وغيرُه من علمائنا قالوا:

كان النابغة يقول: إنَّ في شعري لعاهةً ما أقِفُ عليها. فلمَّا قدِم المدينة غُنّي في شعره؛ فلمَّا سمع قوله: «واتَّقَتنا باليد» و«يكاد من اللَّطافةِ يُعقَّدُ» تبيّن له لمَّا مُدَّتْ «باليد» فصارت الكسرة ياء ومُدَّت «يُعقَدُ» فصارت الضمة كالواو؛ ففطن فغيّر وجعله:

عَـنَـمٌ عـلـى أغـصـانـه لـم يُـعـقَـدِ

وكان يقول: وردتُ يَثرِبَ وفي شعري بعضُ العاهة، فصدرتُ عنها وأنا أشعرُ الناس. وقوله لا مَرحَباً: لا سعةً؛ ونصبُه هاهنا شبيهٌ بالمصدر؛ كأنه قال لا رَحُبَ رُحباً ولا أهَلَ أهلاً. وأَزِفَ: قَرُبَ.

قال: وقال في قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجرّدة وسَترِها وجهها بذراعها:

صـوت

سقَـط الـنَّـصـيـفُ ولـم تُـرِد إسـقـاطَـه فـتـنـاولـتْـه واتَّـقَـتـنـا بـالـيَـدِ
بـمـخَـضَّـب رَخـصٍ كـأنّ بَـنـانَـه عَـنَـمٌ عـلـى أغـصـانـه لـم يُـعـقَـدِ
وبـفـاحـم رَجْـلٍ أَثـيـثٍ نـبـتُـه كـالـكَـرمِ مـالَ عـلـى الـدِّعـام الـمُـسـنَـدِ
نـظـرتْ إلـيـك بـحـاجـةٍ لـم تَـقـضِـهـا نَـظَـر الـسَّـقـيـم إلـى وُجـوه الـعُـوَّدِ

[الكامل]

غنَّاه ابن سُرَيج، ولحنُه مِن خَفيفِ الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو. والنَّصيف: الخِمار، والجمع أَنصِفة ونُصُفٌ. والعَنَم، فيما ذكر أَبو عُبَيدة، يَساريع[١] حُمرٌ تكون في البقل في الربيع. وقال الأصمعيّ: العنم: شجر يحمرّ ويَنعم[٢] نبتُه. والفاحم: الشديد السواد. والرَّجْل: الذي ليس بجعَد. والأثيثُ: المتكاثف؛ قال امرؤ القيس:

أثـيـثٍ كـقِـنْـوِ[٣] الـنـخـلـة الـمُـتَـعَـثـكِـلِ[٤]

(١) يساريع: مفردها يسروع، وهي دودة حمراء تكون في البقل.
(٢) ينعم: ينعم العود إذا اخضرّ ونضر.
(٣) القنو: العذق.
(٤) المتعثكل: ذو الشماريخ.

ويقال: شَعرٌ رَجلٌ ورَجِلٌ. ويُروى:

ورنــتْ إلــيَّ بــمــقــلــتَــيْ مــكــحــولــةٍ

والمكحولة: البقرة. وقوله: لم تَقضِها: يعني المرأة أي لم تقدِر على الكلام من مخافة أهلها، فهي كالسَّقيم الذي ينظر إلى من يعوده.

غنَّاه ابن سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوَّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

وأخبرنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثنا الخليل بن أَسَد قال حدثنا العُمَريّ قال:

قال الهَيثم بن عَديّ قال لي صالح بن حَسَّان: كان واللَّه النابغةُ مُخَنَّثاً. قلت: وما عِلمُك به؟ أرأيته قطّ؟ قال: لا واللَّه! قلت: أفَأُخبِرتَ عنه؟ قال لا. قلت: فما عِلمك به؟ قال: أما سمعتَ قولَه:

سـقـط الـنَّـصـيـفُ ولـم تُـرِد إسـقـاطَـه فـتـنـاولـتْـه واتْـقـتـنـا بـالـيـدِ

[الكامل]

لا واللَّه ما أحسنَ هذه الإشارة ولا هذا القولَ إلا مُخَنَّثٌ.

هروبه من النعمان إلى ملوك غسان:

قال: فأنشدها النابغةُ مُرَّةَ بنَ سعد القُرَيعيّ، فأنشدها مُرَّةُ النعمانَ، فامتلأ غضباً فأوعد النابغةَ وتهدده؛ فهرَب منه فأتى قومَه، ثم شخص إلى ملوك غسَّان بالشام فامتدحهم. وقيل: إنَّ عِصام بن شَهبَرٍ الجَرميّ حاجبَ النعمان أَنذره[1] وعرَّفه ما يُريده النعمان، وكان صديقه، فهرَب. وعِصامٌ الذي يقول فيه الراجز:

نَـفـسُ عِـصـامٍ سَـوَّدتْ عِـصـامَـا وعَـلَّـمـتـه الـكَـرَّ والإقـدامَـا

وجـعـلـتـه مَـلِـكـاً هُـمـامَـا

[الرجز]

وقال مَن رويتُ عنه خبر النابغة: إنَّ السببَ في هَرَبه من النعمان أنّ عبد القيس بن خُفاف التَّميميّ ومُرّة بن سَعد بن قُرَيع السَّعديّ عمِلا هجاءً في النعمان على لسانه، وأنشد النعمانَ منه أبياتاً يقال فيها:

مَـلِـكٌ يُـلاعِـبُ أُمَّـه وقَـطـيـنَـه[2] رِخـوُ الـمَـفـاصِـلِ أيـرُه كـالـمِـروَدِ

[الكامل]

(١) أنذره: أعلمه وحذَّره. (٢) قطينه: خَدَمه.

ومنه:

قَـبَّـح الـلَّـهُ ثـم ثَـنَّـى بـلَـعـنٍ وارثَ الـصـائـغ الـجَـبـانَ الـجَـهُـولا
مَـن يَـضُـرُّ الأدنـى ويـعـجـزُ عـن ضَـرِّ الأقـاصـي ومَـن يـخـون الـخـلـيـلا
يـجـمـع الـجـيـش ذا الألـوف ويـغـزو ثـم لا يَـرْزَأ الـعـدوَّ فَـتـيـلا

[الخفيف]

يعني بوارث الصائغ النعمان؛ وكان جدُّه لأمّه صائغاً بفَدَكَ[١] يقال له عطيَّة. وأُمّ النعمان سَلمى بنت عَطِيَّة.

فأخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثني عمي عُبَيد اللَّه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل: أنّ مُرّة بن سَعد القُرَيعيّ الذي وشى بالنابغة كان له سيفٌ قاطع يقال له ذو الرّيقة من كثرة فِرِنده[٢] وجوهره، فذكر النابغةُ للنعمان، فأخذه. فاضطغن ذلك القُرَيعيّ حتى وشى به إلى النعمان وحرّضه عليه.

وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أَبيه عن محمد بن سَلَّام عن يونس بن حبيب عن أَبي عمرو بن العلاء، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيبة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبَّة، قالوا جميعاً:

إنَّ الذي من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان والمُنَخَّلُ بن عُبَيد بن عامر اليَشكُريّ جالسين عنده، وكان النعمان دميماً أَبرَش[٣] قبيح المنظر، وكان المنخَّل بن عُبَيد من أجمل العرب، وكان يُرمى بالمتجرّدة زوجةِ النعمان، ويتحدّث العربُ أن ابني النعمان منها كانا من المنخَّل. فقال النعمان للنابغة: يا أبا أمامةَ، صِفِ المتجرّدةَ في شعرك؛ فقال قصيدتَه التي وَصفها فيها ووَصف بطنَها وروادفها وفَرْجَها. فلحِقتِ المنخَّل من ذلك غَيرةٌ، فقال للنعمان: ما يستطيع أن يقول هذا الشعرَ إلَّا مَن جرّبه. فوقَر ذلك في نفس النعمان. وبلغ النابغة فخافه فهرَب فصار في غَسَّان.

كان المنخل اليشكري يهوى هنداً بنت عمرو بن هند فتغزل فيها فقتله:

قالوا: وكان المنخَّل يهوى هنداً بنت عمرو بن هند، وفيها يقول:

صـوت

ولـقـد دخـلـتُ عـلـى الـفـتـا ةِ الـخِـدْرَ فـي الـيـومِ الـمـطِـيـرِ

(١) فَدَك: قرية بالحِجاز قرب خيبر. (٢) فِرنده: جوهر السيف ووشيه.
(٣) أبرش: البرش نكت صغار تخالف سائر لون الفرس، وهو أيضاً بياض يظهر على الأظفار.

ألكاعبِ الحسناءِ تَرْ فُلُ في الدِّمَقس[١] وفي الحريرِ
فدفعتُها فتدافعتْ مَشيَ القَطاةِ إلى الغديرِ
ولَثَمْتُها فتنفَّستْ كتنفُّس الظَّبيِ البَهيرِ[٢]

[مجزوء الكامل]

ـ غنَّاه إبراهيم المَوصِليّ من رواية عمرو بن بانة ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق ـ

وبَدَتْ وقالتْ يا مُنَخَّلُ[٣] ما بجسمك من فُتورِ؟
ما مَسَّ جسمي غيرُ حُبِّكِ فاهدَئي عنّي وسِيري
ولقد شَرِبتُ من المُدا مةِ بالكبير وبالصغيرِ
فإذا سكِرتُ فإنَّني رَبُّ الخَوَرنَقِ[٤] والسَّديرِ[٥]
وإذا صحوتُ فإنَّني رَبُّ الشُّوَيهةِ والبعيرِ
يا هِندُ هل من نائلٍ يا هندُ للعاني الأسيرِ
وأُحِبُّها وتحبُّني وتحبّ ناقتُها بعيري

[مجزوء الكامل]

ـ وقال حمَّاد بن إسحاق عن أَبيه في كتاب أغاني ابن مِسحَج: في هذا الصوت لمالك ومَعبَدٍ وابن سُرَيج وابن مُحرز والغريض وابن مِسحَج لكلهم فيه ألحانٌ ـ قال: فبلغ عمراً خبرُ المنخَّل فأخذه فقتله. وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يَحُضّ قومه على طلب الثأر به:

طُلَّ وَسطَ العِراقِ قَتلي بلا جُرْ مٍ وقَومي يُنَتِّجون السِّخالا[٦]

[الخفيف]

رجع الخبر إلى سِياقه. قالوا جميعاً: فلما صار النابغة إلى غسَّان نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شَمِر ـ وأُمّ الحارث الأعرج مارِيةُ بنت ظالم بن وَهب بن الحارث بن مُعاويةَ بن ثَور بن مُرتع الكِنْدِيَّة وهي ذات القُرطين اللَّذين يُضرَب بهما المثل فيقال لِما يُغلى به الثمن «خُذه ولو بقُرطَيْ

(١) الدِّمَقْس: الديباج أو الكتَّان.
(٢) البهير: الإبل أو غيره الذي تتابع نفسه من الإعياء والتعب/ اللَّاهث.
(٣) مُنخّل: اسم الشاعر المنخّل اليشكري. (٤) الخورنق: قصر للنعمان في العراق.
(٥) السَّدير: قصر في الحيرة بالعراق. (٦) السِّخال: مفردها سخلة، وهو ولد الشاة.

ماريَةَ». وأُختها هند الهنود امرأة حُجرٍ آكِلِ المُرَار. وإيَّاها عنَى حَسَّان بقوله في جَبَلة بن الأيهَم:

مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغساني وأخاه النعمان:

أولادُ جَـفـنَـةَ حـولَ قـبـرِ أبـيـهـمُ قـبـرِ ابـن مـاريَـةَ الـجَـوادِ الـمُـفـضِـلِ

[الكامل]

ولذلك خبر يأتي في موضعه ـ فمدحه النابغةُ ومدح أخاه النعمان. ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات، وملك أخوه النعمان؛ فصار معه إلى أن استطلعه[١] النعمان فعاد إليه. فممَّا مدَح به عمراً قولُه:

صـوت

كِـلِـيـنـي لِـهَـمٍّ يـا أمَـيـمَـةَ نـاصِـبِ ولَـيْـلٍ أُقـاسـيـه[٢] بَـطـيء الـكـواكـبِ

وصَـدرٍ أراحَ الـلـيـلُ عـازِبَ هَـمِّـه تـضـاعـفَ فـيـه الـحُـزنُ مـن كـل جـانـبِ

تَـقـاعَـس حـتـى قـلـتُ لـيـس بـمُـنـقَّـضٍ ولـيـس الـذي يَـهـدي الـنـجـومَ بِـآئـبِ[٣]

عـلـيّ لِـعَـمـرٍو نِـعـمـةٌ بـعـد نـعـمـةٍ لـوالـده لـيـسـت بـذاتِ عَـقـارِبِ

[الطويل]

عروضه من الطويل. غنّى في البيتين الأوَّلين ابن مُحرز خفيفَ ثقيلٍ أوَّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو. وغنَّى فيه الأبجر من رواية حَبَشٍ ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى. وغنّى مالكٌ في البيت الرابع ثانيَ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات. وغنى في الأَربعةِ الأَبياتِ عبد اللَّه بن العبَّاس الرَّبيعيّ ماخوريّاً عن حَبَشٍ، وغنّى فيها طُوَيس رمَلاً بالوسطى بحكايتين عن حَبَش.

هكذا رُوي قوله «يا أُمَيمة» مفتوحَ الهاء. قال الخليل: من عادة العرب أن تنادي المؤنّث بالترخيم فتقول يا أُمَيمَ ويا عَزَّ ويا سَلمَ؛ فلمَّا لم يُرَخِّم لحاجته إلى الترخيم أجراها على لفظها مُرَخَّمة وأتى بها بالفتح. وكِلِيني أي دَعيني. ووكّلتُه إلى كذا أَكِلُه وِكالة. وناصب: مُتعِب. وبطيء الكواكب أَي قد طال حتى إن كواكبه لا تجري ولا تغور. أراح: ردّ. يقال أراح الرجل إبلَه أَي ردَّها. فيقول: ردّ هذا الليل إليَّ ما عزَب

(١) استطلعه: طلب طلوعه أي حضوره إليه. (٢) أقاسيه: أعاني من طوله وشدته.
(٣) آئب: عائد.

من همّي بالنهار؛ لأنه يتعلل نهاراً بمحادثة الناس والتشاغل بغير الفكر، فإذا خلا بالليل راح إليه همُّه. وتقاعس تأخّر؛ وأصل التقاعس الرجوعُ إلى خَلفٍ القَهقَرى، فشبَّه الليلَ في طوله بالمتقاعس. والذي يَهدي النجومَ أوَّلها، شبهها بهوائيها، وقوله: «ليست بذات عقارب» أي لا يكدِرها ولا يَمُنُّها.

وممَّا يُغنّى فيه من هذه القصيدة:

حلفتُ يميناً غيرَ ذي مَثْنَوِيَّةٍ ... ولا عِلمَ إلَّا حسنَ ظَنّي بصاحبِ
لئن كان للقَبرَينِ قَبرٍ بِجِلَّقٍ ... وقَبرٍ بصَيْداءَ الذي عند حارِبِ
وللحارثِ الجَفنيِّ سَيِّدِ قومِه ... لَيَلْتَمِسَنْ بالجيش دارَ المحارِبِ

[الطويل]

ـ غنَّاه إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أَوَّل بالبنصر على مذهبه من رواية عمرو بن بانةَ عنه ومن رواية حَبَش. وغنَّاه ابن سُرَيج ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر. يقول: ليس لي علمٌ بما يكون من صاحبي إلَّا أنّي أحسن الظنَّ به. وقوله: «لئن كان للقرين» يعني لئن كان عمرٌو ابناً للمدفونَين في هذين القبرين، يعني قبر أبيه وجدّه وهما الحارث الأكبر والحارث الأعرج، لَيَلْتَمِسَنَّ جيشُه دارَ المحارب له؛ يحرّضه بذلك ويُروى «أرضَ المحارب» ـ

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم ... بهنَّ فُلول[1] من قِراع[2] الكتائبِ[3]
إذا استُنزِلوا عنهنَّ للطعن أَرقَلوا[4] ... إلى الموت إرقال الجِمال المَصاعِبِ

[الطويل]

صوت

لهم شِيمةٌ لم يُعْطِها اللَّهُ غيرَهم ... من الناس والأحلامُ غيرُ عَوازبِ
على عارفاتٍ للطِّعانِ عَوابسٍ ... بهنّ كلومٌ بين دامٍ وجالبِ
ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفهم ... بهن فلولٌ من قِراع الكتائبِ
إذا استُنزِلوا عنهنَّ للطعن أَرقَلوا ... إلى الموت إرقالَ الجمال المصاعبِ
حَبَوتُ بها غسَّان إذ كنتُ لاحقاً ... بقومي وإذ أعيتْ عليّ مَذاهبي

[الطويل]

---

(١) فلول: مفردها فلّ، وهو السيف المثلم. (٢) القِراع: المبارزة بالسيوف.
(٣) الكتائب: مفردها كتيبة وهو القطعة من الجيش.
(٤) أرقلوا: مشوا مشياً سريعاً.

وجدت في كتابٍ لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات في البيتين والثالث والرابع لحناً منسوباً إلى مَعبَد من خفيف الرمل بالوسطى. وأحسبه من لحن يحيى المَكيّ. الشِّيمة: الطبيعة، وجمعها شِيَمٌ. غير عوازب أي لا تعزُب أحلامهم فتنفُذ عنهم. وعارفات للطعان أي صابرات عليه قد عُوِّدت أن يُحارَب عليها. وعوابس كوالح. وجالب أي عليه جُلبة وهي قِشرة تكون على الجرح؛ يقال جَلَب الجرحُ يَجلُب جلوباً وأجلب إجلاباً. والإرقال: مشيٌ يُشبه الخَبَبَ سريعٌ. والمصاعب واحدها مُصعَبٌ وهو الفحل الذي لم يَمسَسه الحبل وإنما يُقتَنَى للفِحلة، ويقال له قَرمٌ ومُقرَمٌ. وقوله: «حبوت بها» يعني بالقصيدة. وروى أبو عُبيدة «إذ كنت لاحقاً بقومٍ» وقال: يعني إذ كنت لاحقاً بغيركم أي بقوم آخرين، فكنتم أحقَّ بالمدح منهم.

قالوا: فنظر إلى النعمان بن الحارث أخي عمرو وهو يومئذٍ غلامٌ فقال:

هـذا غـلامٌ حَسَنٌ وجهُهُ ... مُقتبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمامْ
للحارث الأكبرِ والحارثِ الـ ... أصغر والأعرج خيرِ الأنامْ
ثم لهندٍ ولهندٍ فقد ... أسرع في الخيراتِ منه إمامْ
خمسةُ آباءٍ وهُمْ ما هُمُ ... هُمُ خيرُ من يشرب صوبَ الغمامْ

[السريع]

غنَّاه حُنَينٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر عن حَبَش.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا هارون بن عبد اللَّه الزُّبَيريّ قال حدثنا شيخ يُكنى أبا داود عن الشعبيّ قال:

دخلت على عبد الملك بن مَروان وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه. فقلتُ حين دخلتُ: عامرُ بن شَراحيل الشَّعبيّ. فقال: على علم ما أذِنَّا لك. فقلت في نفسي: خذ واحدةً على وافد أهل العراق. فسأل عبد الملك الأخطلَ: مَن أشعرُ الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. فقلت لعبد الملك: مَن هذا يا أَمير المؤمنين؟ فتبسَّم وقال: هذا الأخطل. فقلت في نفسي: خُذها ثِنتين على وافد أهل العراق، فقلت: أشعرُ منك الذي يقول:

هـذا غـلامٌ حسن وجهه ... مُستَقبل الخيرِ سريع التّمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارث الـ ... أصغرِ والأعرج خير الأنامْ
خمسةُ آباءٍ وهُمْ ما هُمُ ... هم خير من يشرب ماء الغمامْ

[السريع]

ـ والشعر للنابغة ـ فقال الأخطل: إنّ أمير المؤمنين إنما سألني عن أشعر أَهل زمانه، ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حَرِيّاً أن أقول كما قلتَ أَو شبيهاً به. فقلت في نفسي: خذها ثلاثاً على وافد أهل العراق. (يعني أنه أخطأ ثلاث مرات). ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز ولم أسمعه من أَحد، ووجدته أتمَّ مما رأيتُ في كل موضع، فأتيتُ به في هذا الموضع وإن لم يكن من خاصِّ خبر النابغة لأنه أليقُ به. قال أَحمد بن الحارث الخرّاز حدثني المدائنيّ عن عبد الملك بن مسلم قال:

كتب عبدُ الملك إلى الحجَّاج: إنه ليس شيءٌ من لَذّة الدنيا إلَّا وقد أصبتُ منه، ولم يكن عندي شيء أَلَذُّه إلا مناقلة الإخوان للحديث. وقِبَلَك عامرٌ الشَّعبيّ، فابعَث به إليّ يحدّثني. فدعا الحجَّاجُ الشعبيَّ فجهزه وبعث به إليه وقرّظه وأطراه في كتابه. فخرج الشعبيّ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب: استأذِن لي. قال: مَن أنت؟ قال: أَنا عامر الشعبيّ. قال حيَّاك اللَّه! ثم نهض فأجلسني على كرسيه. فلم يلبث أن خرج إليّ فقال: ادخُل يرحمك اللَّه. فدخلت، فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ وبين يديه رجل أبيض الرأس واللِّحية على كرسيّ، فسلَّمتُ فردّ عليّ السلام، ثم أومأ إليّ بقضيبه فقعدتُ عن يساره، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال: وَيحك! مَن أشعرُ الناس؟ قال، أَنا يا أَمير المؤمنين. قال الشعبيّ: فأَظلم عليّ ما بيني وبين عبد الملك، فلم أصبر أن قلتُ: ومَن هذا يا أَمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس؟! ـ قال: فعجِب عبد الملك من عَجَلتي قبل أن يسألني عن حالي ـ قال: هذا الأخطل. فقلت: يا أخطل! أشعرُ واللَّهِ منك الذي يقول:

هـذا غـلامٌ حـسـنٌ وجـهُـه ... مـسـتـقـبِـلُ الـخـيـر سـريـع الـتَّـمـامْ
لـلـحـارث الأَكـبـر والـحـارث الْـ ... أصـغـر والأعـرج خـيـرِ الأنـامْ
ثـم لـهـنـدٍ ولـهـنـدٍ فـقـد ... أسـرع فـي الـخـيـرات مـنـه إمـامْ
خـمـسـة آبـاءٍ وهُـمْ مـا هـمُ ... هُـم خـيـر مـن يـشـرب صـوبَ الـغـمـامْ

[السريع]

فردّدتها حتى حفظها عبد الملك. فقال الأخطل: مَن هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبيّ. قال: فقال: صدق واللَّه يا أَمير المؤمنين، النابغةُ واللَّه أشعرُ منّي. فقال الشعبيّ: ثم أقبل عليّ فقال: كيف أَنت يا شعبيّ؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين فلا زلتَ به. ثم ذهبتُ لأضعَ مَعاذيري لِما كان من خِلافي على الحجاج مع

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث؛ فقال: مَهْ[١]! إنَّا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منَّا في قول ولا فعل حتى تُفارقَنا. ثم أقبل عليّ فقال: ما تقول في النابغة؟ قال قلت: يا أَمير المؤمنين، قد فضَّله عمرُ بن الخطَّاب في غير موطن على الشعراء أجمعين، وببابه وفدُ غَطَفان فقال: يا معشر غطفان، أيُّ شعرائكم الذي يقول:

حلَفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً ... وليس وراء اللَّه للمرء مَذهَبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّي خِيانةً ... لَمُبْلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وأكذَبُ
ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

[الطويل]

قالوا: النابغةُ يا أَمير المؤمنين. قال: فأيُّكم الذي يقول:

فإنكَ كالليل الذي هو مُدركي ... وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسعُ
خَطاطيف حُجنٌ في حبالٍ متينةٍ ... تَمُدّ بها أيدٍ إليك نوازعُ

[الطويل]

قالوا: النابغةُ. قال: فأيُّكم الذي يقول:

إلى ابن مُحَرِّقٍ أعملتُ نفسي ... وراحلتي وقد هَدَتِ العيونُ
أتيتك عارياً خَلَقاً ثِيابي ... على خوفٍ تُظَنُّ بيَ الظُّنونُ
فألقيتُ الأمانة لم تَخُنها ... كذلك كان نوحٌ لا يخونُ

[الوافر]

قالوا: النابغة يا أَمير المؤمنين. قال: هذا أشعر شعرائكم. قال: ثم أقبل على الأخطل فقال: أتُحِبّ أنّ لك قِياضاً بشعرك شعرَ أحدٍ من العرب أو تحبّ أنك قلتَه؟ قال: لا واللَّه يا أَمير المؤمنين، إلَّا أنّي وَدِدتُ أن كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رجل منَّا، كان واللَّه ما علمتُ مُغدَفَ[٢] القِناع قليل السَّماع قصيرَ الذّراع. قال: وما قال؟ فأنشد قصيدته:

إنَّا مُحَيُّوكَ فاسلَمْ أيُّها الطَّلَلُ[٣] ... وإن بَلِيتَ وإن طالت بكَ الطِّيَلُ[٤]
ليس الجديدُ به تبقى بَشاشته ... إلا قليلاً ولا ذو خُلَّةٍ يصلُ
والعيشُ لا عيشَ إلَّا ما تَقَرُّ به ... عينٌ ولا حالَ إلَّا سوف تنتقلُ

---

(١) مه: اسم فعل بمعنى اكفف، أي توقف عن.
(٢) مغدف: مرسل القناع على وجهه.
(٣) الطلَّل: ما بقي من آثار الدِّيار. (٤) الطِّيل: مفردها طيلة وهو الدَّهر.

إن تَرجِعي من أَبي عثمانَ مُنجِحة[١] فقد يَهون على المُستَنجِح[٢] العملُ
والناسُ مَن يَلقَ خيراً قائلون له ما يشتهي ولِأُمِّ المخطئ الهَبَلُ
قد يُدرِك المُتَأنّي بعض حاجتِه وقد يكون مع المستعجل الزللُ
[البسيط]

حتى أتى على آخرها. قال الشعبيّ: فقلت: قد قال القَطاميّ أفضلَ من هذا. قال: وما قال؟ قلت قال:

طرَقتْ جَنوبُ رِحالَنا من مُطرَقٍ ما كنت أحسَبها قريبَ المُعنَقِ
قطَعتْ إليك بمثل جِيدِ جَدايةٍ[٣] حَسَنٍ مُعَلَّقُ تُومَتَيه مُطَوَّقِ
ومُصَرَّعين من الكَلالِ[٤] كأنما شَرِبوا الغَبُوقَ[٥] من الرَّحيق المُعرَقِ
متوسِّدين ذراعَ كلّ نجيبةٍ ومُفَرَّجٍ عُرَقِ المَقَذِّ مُنَوَّقِ
وَجِئَتْ على رُكَبٍ تَهُدّ بها الصَّفا وعلى كَلاكل[٦] كالنَّقيل المُطرَقِ
وإذا سمِعنَ إلى هَماهِم[٧] رُفقةٍ ومن النجوم غوابِرٌ[٨] لم تخفِقِ
جعلتْ تُميلُ خدودَها آذانُها طَرَباً بهنّ إلى حُداء السُّوَّقِ
كالمُنصِتاتِ إلى الغناء سمعنَه من رائع لقلوبهن مُشَوِّقِ
وإذا نظرنَ إلى الطريق رأينه لَهِقاً[٩] كشاكلة[١٠] الحِصان الأبلقِ[١١]
وإذا تخلَّف بعدهنَّ لحاجةٍ حادٍ يُشَسِّع نَعلَه لم يَلحَقِ
وإذا يصيبك والحوادثُ جَمَّةٌ حَدَثٌ حَداك إلى أخيكَ الأوثقِ
لئن الهمومُ عن الفؤاد تفرَّقت وخَلا التَّكَلُّمُ للِّسان المُطلَقِ
[الكامل]

قال: فقال عبد الملك: هذا واللَّه أشعرُ، ثَكِلتِ القَطاميَّ أُمُّه! قال: فالتفت إليّ الأخطل فقال: يا شعبيّ، إن لك فنوناً في الأحاديث، وإنما لنا فنٌّ واحد؛ فإن رأيت

(١) منجِحة: منتصرة، ظافرة.
(٢) المستنجح: طالب النجاح والساعي له.
(٣) الجَداية: الغزالة.
(٤) الكلال: التعب الشديد.
(٥) الغَبوق: ما يشرب بوقت العشي.
(٦) كلاكل: مفردها كلكل وهو الصدر.
(٧) هماهم: مفردها همهمة وهي ترديد الصوت في الصدر.
(٨) غوابر: غبر: مكث وذهب ضد وهنا بمعنى مكث.
(٩) لهقاً: شديد البياض.
(١٠) الشاكلة: الخاصرة.
(١١) الأبلق: الحصان الذي ارتفع تحجيله إلى أعلى فخذيه.

ألَّا تحملني على أكتاف قومك فأدَعَهم حَرَضاً[١]، فقلت: لا أعرِض لك في شيء من الشعر أبداً، فأقِلني في هذه المرّة. قال: مَن يتكفَّل بك؟ قلت: أَمير المؤمنين. فقال عبد الملك: هو عليَّ ألَّا يعرِض لك أبداً، ثم قال: يا شعبيّ، أيُّ نساء الجاهلية أشعر؟ قلت: خَنساء. قال: ولِمَ فضَّلتَها على غيرها؟ قلت: لقولها:

وقائلةٍ والنَّعشُ قد فات خَطوَها ... لِتُدركه يا لهفَ نفسي على صَخرِ
ألَا ثَكِلتْ أمُّ الذين غَدَوْا به ... إلى القبر! ماذا يحملون إلى القبرِ

[الطويل]

فقال عبد الملك: أشعرُ منها واللَّه التي تقول:

مُهَفهَفُ الكَشحِ[٢] والسربالِ منخرقٌ ... عنه القميصُ لسير الليل محتقرُ
لا يأمَنُ الناسُ مُمساه ومُصبَحَه ... في كلّ فَجٍّ وإن لم يَغزُ يُنتَظَرُ

[البسيط]

ثم قال: يا شعبيّ، لعلَّك شَقَّ عليك ما سمعتَ. قلت: إي واللَّه يا أَمير المؤمنين أشدَّ المشقَّة. إني أُحدثك منذ شهرين لم أُفِدك إلا أبيات النابغة في الغلام. قال: يا شعبيّ، إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أنّ أهل العراق يتطاولون على أَهل الشام، يقولون: إن كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية؛ وأهلُ الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق؛ ثم ردّ عليّ الأبياتَ أبياتَ ليلى حتى حفظتها، ولم أزل عنده؛ فكنتُ أوّلَ داخل وآخرَ خارج. قال: فمكثتُ كذلك سنين، وجعلني في ألفين من العطاء وعشرين رجلاً من ولدي وأهل بيتي في ألفين ألفين؛ فبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مَروان بمصر وكتب إليه: يا أخي، إني قد بعثت إليك الشعبيّ، فانظر هل رأيتَ مثله قطُّ؟! ثم أذِن لي فانصرفت.

حديث حسان عنه حين وفد على النعمان:

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ، وأخبرني ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثني عمر بن شبَّة عن أبي بكر الهُذَليّ قال:

قال حسَّان بن ثابت: قَدِمت على النعمان بن المُنذِر وقد امتدحته، فأتيت حاجبه عِصامَ بن شَهبرٍ فجلستُ إليه؛ فقال: إني لأرى عربيّاً، أفمن الحجاز أنت؟

(١) الحرض: الرجل الفاسد المريض.
(٢) مهفهف الكشح: ضامر الخاصرة، هزيل.

قلت نعم. قال: فكُن قَحطانيّاً. فقلت: فأنا قَحطانيّ. قال: فكن يَثربيّاً. قلتُ: فأنا يثربيّ. قال: فكن خَزرَجيّاً. قلت: فأنا خزرجيّ. قال: فكن حَسَّان بن ثابت. قلت: فأنا هو. قال: أجئتَ بمدحة الملك؟ قلت نعم. قال: فإني أُرشدك: إذا دخلتَ إليه فإنه يسألك عن جَبَلة بن الأيهم ويسُبّه، فإيَّاك أن تساعده على ذلك، ولكن أَمِرَّ ذكره إمراراً لا تُوافق فيه ولا تُخالف، وقل: ما دخول مثلي أيُّها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه! وإن دعاك إلى الطعام فلا تُؤاكِلْه؛ فإن أقسم عليك فأَصِب منه اليسيرَ إصابةَ بارٍّ قسمه مُتشَرِّفٍ بمؤاكلته لا أكلَ جائعٍ سَغِب[1]، ولا تُطِل محادثته، ولا تبدأه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائلَ لك، ولا تُطِل الإقامة في مجلسه. فقلت: أحسنَ اللَّهُ رِفدَك[2]! قد أوصيتَ واعياً. ودخل ثم خرج إليَّ فقال لي: ادخُل. فدخلتُ فسلَّمت وحيَّيتُ تحيَّة الملوك. فجاراني من أمر جبلة ما قاله عِصامٌ كأنه كان حاضراً، وأجبتُ بما أمرني، ثم استأذنته في الإنشاد فأذِن لي فأنشدته. ثم دعا بالطعام، ففعلتُ مَا أَمرني عِصامٌ به، وبالشراب ففعلتُ مثل ذلك. فأمر لي بجائزة سنيَّة وخرجت. فقال لي عصام: بَقِيتْ عليّ واحدةٌ لم أُوصِك بها؛ قد بلغني أن النابغة الذُّبيانيّ قدِم عليه، وإذا قدم فليس لأحد منه حظٌّ سواه؛ فاستأذِن حينئذٍ وانصرف مُكَرَّماً خير من أَن تنصرف مجفُوّاً؛ فأقمتُ ببابه شهراً: ثم قدِم عليه الفَزاريَّان وكان بينهما وبين النعمان دُخْلُلٌ (أي خاصَّة) وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسألة النعمان أَن يرضى عنه. فضرب عليهما قُبَّة من أدَمٍ، ولم يشعر بأنّ النابغة معهما. ودسّ النابغةُ قَينةً تغنِّيه بشعره:

يا دار مَيَّةَ بالعَلياء فالسَّنَد

فلمَّا سمع الشعرَ قال: أُقسم باللَّه إنه لشعر النابغة! فسأل عنه فأُخبِر أَنه مع الفَزاريَّين؛ فكلماه فيه فأمّنه.

وقال أَبو زيد عمر بن شبَّة في خبره: لمَّا صار معهما إلى النعمان كان يُرسل إليهما بطيب وأَلطاف مع قَينة من إمائه، فكانا يأمُرانِها أَن تبدأ بالنابغة قبلهما. فذكرتْ ذلك للنعمان، فعلم أَنه النابغة. ثم ألقى عليها شعرَه هذا وسألها أَن تغنِّيه به إذا أخذت فيه الخمرُ؛ ففعلت فأطربته؛ فقال: هذا شعر عُلْوِيٌّ[3]، هذا شعر النابغة! قال: ثم خرج في غِبِّ سماء، فعارضه الفزاريّان والنابغةُ بينهما قد خُضِب بحنَّاء فقَنأ[4]

(١) سَغِب: جائع متعب، جمعها سِغاب. (٢) رِفدك: ضيافتك.
(٣) علويّ: منسوب إلى العالية، وهي ما فوق الحجاز إلى أرض تهامة إلى مكة.
(٤) قنا: اشتد احمرار الخضاب، صار أحمراً قانياً.

خِضابُه. فلما رآه النعمان قال: هي بدَم كانت أحرى أَن تُخضَب. فقال الفزاريَّان: أبيتَ اللَّعنَ! لا تثريبَ[١]، قد أجَرناه، والعفوُ أجمل. فأمّنه واستنشده أَشعارَه. فعند ذلك قال حسَّان بن ثابت: فحسَدته على ثلاث لا أَدري على أيَّتهن كنتُ له أَشَدَّ حسداً: على إدناء النعمان له بعد المباعدة ومسامرته له وإصغائه إليه، أم جَودة شعره، أم على مائة بعيرٍ من عَصافيره[٢] أمر له بها.

قال أبو عُبَيدة: قيل لأبي عمرو: أفمن مخافته امتدحه وأتاه بعد هَرَبه منه أم لغير ذلك؟ فقال: لا لعمرُ اللَّه ما لمخافته فعل، إن كان لآمناً من أَن يوجّه النعمانُ له جيشاً، وما كانت عشيرتُه لتُسلمه لأوّل وَهلة، ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره. وكان النابغةُ يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجدّه، لا يستعمل غير ذلك.

رجوعه إلى النعمان حين بلغه أنه عليل:

وقيل: إن السبب في رجوعه إلى النعمان بعد هرَبه منه أَنه بلغه أَنه عليلٌ لا يُرجى، فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علَّته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به، فصار إليه وألفاه محمولاً على سريره يُنقَل ما بين الغَمر وقصور الحيرة. فقال لعصام بن شَهبرٍ حاجبه ـ فيما أَخبرنا به اليزيديّ عن عمّه عُبَيد اللَّه وابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل ـ:

صـوت

ألـم أُقـسِـمْ عـلـيـك لَـتُـخْـبِـرَنّـي ... أمـحـمـولٌ عـلـى الـنَّـعـشِ الـهُـمـامُ
فـإنّـي لا أَلـومُـك فـي دخـولـي ... ولـكـن مـا وراءكَ يـا عِـصـامُ
فـإن يَـهـلِـكْ أَبـو قـابـوس[٣] يَـهـلِـكْ ... ربـيـعُ الـنـاس والـشـهـرُ الـحـرامُ
ونُـمـسِـك بـعـده بـذِنـابٍ عـيـشٍ ... أَجَـبِ[٤] الـظـهـر لـيـس لـه سَـنـامُ

[الوافر]

غنَّاه حُنَين ثقيلاً أَوّل بالبنصر عن حبَش.

قال أَبو عُبَيدة: كانت ملوك العرب إذا مرِض أَحدهم حملتْه الرجالُ على أَكتافها يتعاقبونه، فيكون كذلك على أَكتاف الرجال: لأنه عندهم أوطأ من الأرض.

(١) لا تثريب: لا لوم، لا ذنب عليك.
(٢) العصافير: إبل نجائب أصيلة كانت للملوك.
(٣) أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر.
(٤) أجبّ: مقطوع.

وقوله:

فـــإنـــي لا ألـــومُـــك فـــي دخـــولـــي

أي لا أَلومك في ترك الإذن لي في الدخول، ولكن أَخبِرني بكُنْه[1] أمره.
وقوله:

ربـيـع الـنـاس والـشـهـر الـحـرامُ

يريد أنه كالربيع في الخِصب لمجتَدِيه، وكالشهر الحرام لجاره، لا يُوصَل إلى من أَجاره كما لا يوصَل في الشهر الحرام إلى أَحد.

صـــوت

رأيـتُـك تَـرعـانـي بـعـيـنٍ بـصـيـرةٍ ... وتـبـعـث حُـرّاسـاً عـلـيّ ونـاظـرا
فـآلـيـتُ لا آتـيـك إن كـنـتُ مُـجـرمـاً ... ولا أَبـتـغـي جـاراً سـواك مـجـاورا
وأهـلـي فـداءٌ لامـرىء إن أتـيـتُـه ... تـقـبَّـل مـعـروفـي وسَـدَّ الـمَـفـاقِـرا
أَلَا أَبـلِـغِ الـنـعـمـان حـيـث لَـقِـيـتَـه ... وأهـدَى لـه الـلَّـهُ الـغـيـوثَ الـبـواكـرا

[الطويل]

غنَّاه خُلَيد الواديّ رملاً بالبنصر من رواية حَبَش.

وممَّا يُغَنى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر فيها إلى النعمان:

صـــوت

يـا دارَ مَـيَّـةَ بـالـعـلـيـاء فـالـسَّـنَـدِ ... أقـوَتْ وطـال عـلـيـهـا سـالـفُ الأمَـدِ
وقـفـتُ فـيـهـا أُصَـيـلانـاً أُسـائـلـهـا ... أعـيَـتْ جـواباً ومـا بـالـرَّبـع مـن أَحـدِ
إلَّا الأواريّ لَأيـاً مـا أُبَـيِّـنُـهـا ... والنُّؤْيُ كالحَوض بالمظلومة الجَلَدِ
ردّتْ عـلـيـه أقـاصـيـه ولـبّـده ... ضَـرْبُ الـوليـدةِ بـالـمِـسـحـاةِ فـي الـثَّـأدِ
خَـلَّـتْ سـبـيـلَ أَتِـيٍّ كـان يـحـبـسـه ... ورفَّـعـتـه إلـى الـسِّـجـفـيـن فـالـنَّـضَـدِ
أضـحـتْ خَـلاءً وأضـحـى أهـلُـهـا احـتـمـلـوا ... أخـنـى عـلـيـهـا الـذي أَخـنـى عـلـى لُـبَـدِ

[البسيط]

(١) كُنه: جوهر الشيء وغايته.

الغناء لمعبد ثقيلٌ أَوّل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لجميلة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو وحبش.

قال الأصمعيّ: قوله: «يا دار ميَّة» يريد يا أهلَ دار ميَّة، كما قال امرؤ القيس:

أَلَا عِـمْ صَـبـاحـاً أيُّـهـا الـطَّـلَـلُ الـبـالـي

يريد أهلَ الطلل. وقال الفرَّاء. إنما نادى الدار لا أهلها أسفاً عليها وتشوّقاً إلى أهلها وتمنِّيَه أن تكون أَهلاً. والعلياء: المكان المرتفع بناؤه؛ يقال من ذلك عَلَا يَعلُو وعليَ يَعلى، مثلُ حَلَا يَحلو وحَليَ يَحلى، وسَلَا يَسلو وسَليَ يَسلى. والسَّنَد: سَنَد الجبل وهو ارتفاعه حيث يُسنَد فيه أَي يُصعَد. أَقوَتْ: أَقفرت وخَلَتْ من أَهلها. وقال أَبو عُبَيدة في قوله يا دار ميَّة ثم قال أَقوَت ولم يقل أَقوَيتِ: إنَّ من شأن العرب أَن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكُفُّوا عنه. وروى الأصمعيّ «أُصَيلاناً» وهو تصغير أصلان. ويُروى «عَيَّتْ جواباً» أي عَيِيَت بالجواب. والأواريّ: جمع آري[1]. وَلَأْياً: بُطأً. والمظلومة: التي لم يكن فيها أَثرٌ فحفر أَهلُها فيها حوضاً؛ وظُلمُهم إيَّاها إحداثُهم فيها ما لم يكن فيها. شبّه النُّؤيَ بذلك الحوض لاستدارته. والجَلَد: الأرض الصُّلبة الغليظة من غير حجارة. وإنما جعلها جَلَداً لأنّ الحفر فيها لا يسهُل. وقوله: «ردّتْ عليه أقاصيه» يعني أَمَةً فعلتْ ذلك، أضمرها ولم يكن جرى لها ذكر. وأقاصيه: يعني أقاصي النُّؤْيِ على أَدناه ليرتفع. ولَبّده: طَامَنه[2]. والوليدة: الأَمَةُ الشابَّة. والثَّأد: النَّدى. والسبيل: الطريق. والأتيّ: النهر المحفور، والأتيّ: السيل من حيث كان. يقول: لمَّا أُفسدتْ طريقُ الأتيّ سهَّلت له طريقاً حتى جرى. ورفّعته أي قدّمت الحفر إلى موضع السَّجفين، وليس رَفّعَته هاهنا من ارتفاع العُلُوّ. والسَّجفان: سِتران رقيقان يكونان في مقدَّم البيت. والنَّضَد: ما نُضِد من المَتاع. وأخنى: أفسَد. ولُبَد: آخر نسور لُقمان التي اختار أَن يُعَمَّر مثلَ أَعمارها؛ وله حديث ليس هذا موضعه.

صـــوت

أسـرَتْ عـلـيـه مـن الـجَـوزاءِ[3] سـاريـةٌ تُـزجـي الـشَّـمـالُ عـلـيـه جـامـدَ الـبَـرَدِ[4]
فـارتـاعَ مـن صَـوتِ كَـلَّابٍ فـبـات لـه طَـوعُ الـشَّـوامِـتِ مـن خَـوفٍ ومـن صَـرَدِ

(١) الآري: ما تشدُّ به الدَّابة.
(٢) طامنه: سكَّنه.
(٣) الجوزاء: برجٌ في السَّماء.
(٤) البَرَد: هو حبُّ الغمام ويقال سحابٌ بَرِد أي محمَّل بالبَرَد.

فَبَثَّهُنَّ عليه واستمرّ به صُمعُ الكُعوبِ بَرِيَّاتٍ من الحَرَدِ[١]
وكان ضُمران منه حيثُ يُوزِعُهُ طَعنَ المُعارِكِ عند المُحجَرِ النَّجُدِ
شَكَّ الفَريصةَ بالمِدرَى[٢] فأَنفذَها طَعنَ المُبَيطِرِ إذ يَشفي من العَضَدِ
[البسيط]

غنّى فيه إبراهيم الموصليّ هَزَجاً بالبنصر من رواية عمرو بن بانةَ. وفيه لحن لمالك. يعني أَن سحابةً مرّت عليه ليلاً وأَن أَنواء الجَوزاء أسرَت عليه بها. وتُزجي: تسوق وتَدفَع. عليه أَي على الثور. والكلَّاب: صاحب الكلاب. وقوله: «بات له طَوعُ الشوامت» أَي بات له ما يَسُرّ الشوامتَ المَوات شَمِتنَ به. وصُمعُ الكعوب: يعني قوائمه أَنها لازقةٌ محدَّدة الأطراف ليست برَهِلاتٍ. وأصلُ الصَّمَع رقّة الشيء ولطافته. والحَرَدُ: داء يعيبه؛ يقال بعيرٌ أحرَدُ، وناقةٌ حَرداءُ. والمُجَرُ: المُلجَأ. والنَّجُدُ: الشجاع. والفريصةُ: مَرجِع الكَتف إلى الخاصرة. والمِدرَى: القَرن. والمُبَيطِر. البَيطار. والعَضَدُ: داء يأخذ في العَضُد.

وفي لحن إبراهيم الموصليِّ بعدَ «فارتاع من صوت كلَّابٍ»:

كأَنَّ رَحلي وقد زال النهارُ بنا يومَ الجليلِ على مُستَأنِسٍ[٣] وَحَدِ
مِن وَحشِ وَجرةَ مَوشيٍّ أكارعُه طاوي المَصير كسَيف الصَّيقَلِ[٤] الفَرَدِ
[البسيط]

قال الأصمعيّ: زال النهارُ بنا أَي انتصف. و«بنا» هاهنا في موضع «علينا». ومَن روى «مُستَوجِس» فإنه يعني أَنه قد أَوجَس شيئاً خافه فهو يَستَوجِس. والجليل: الثُّمام، واحدته جَليلةٌ. ووَجرة: طَرَف السِّيِّ وهي فلاة بين مَرَّان وذات عِرْق وهي ستون مِيلاً يجتمع فيها الوحش. ومَوشيّ أكارعُه أَي إنه أَبيض في قوائمه نُقَطٌ سُودٌ وفي وجهه سُفعةٌ. وطاوي المَصير: ضامر. والمَصير المِعى، وجمعه المُصران. والفَرَدُ: المنقطع القرينِ؛ يقال: فَرَدٌ وفَرِدٌ وفُرُدٌ.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال:

---

(١) الحَرَد: داء يصاب به البعير خِلقة، وهو عبارة عن استرخاء عصب يدي البعير وقد يكون من شدِّ العِقال.
(٢) المِدرى: القرن.
(٣) مستأنس: متوجسٌ كأنه خائفٌ من الإنس.
(٤) الصيقل: جمعها صياقل وصياقلة، والصيقل شحّاذ السيوف وجلَّاؤها.

غنَّى مُخارقٌ يوماً بين يدي الرشيد:

سـرت عـلـيـه مـن الـجـوزاء سـاريـةٌ

فلمَّا بلغ إلى قوله:

فـارتـاعَ مـن صـوت كَـلَّابٍ فـبـات لـه

قال: فارتاعُ (بضم العين)؛ فأردتُ أن أرُدّ عليه خطأه، ثم خِفتُ أَن يغضب الرشيد ويظنَّ أَنّي حسدته على منزلته منه وأردت إسقاطَه. فالتفت إليه بعضُ مَن حضر ـ أظنُّه قال محمد بن عمر الروميّ ـ فقال له: ويلك يا مُخارق! أَتغنّي بمثل هذا الخطإ القبيح لسُوقةٍ فضلاً عن الملوك! ويلك! لو قلتَ: «فارتاعَ» كان أَخفَّ على اللسان وأسهلَ من قولك «فارتاعُ». فخجِل مُخارق، وكُفِيتُ ما أَردته بغيري. قال: وكان مخارق لحَّاناً.

ومنها:

صـوت

قـالـت أَلَا لَـيـتـمـا هـذا الـحـمـامُ لـنـا ... إلـى حـمـامـتـنـا ونِـصـفُـه فـقَـدِ
يَـحُـفُّـه جـانِـبَـا نِـيـقٍ وتُـتـبِـعُـه ... مـثـلَ الـزُّجـاجـة لـم تُـكـحَـلْ مـن الـرَّمَـدِ
فـحـسَـبـوه فـألـفَـوْه كـمـا حَـسِـبـتْ ... تـسـعـاً وتـسـعـيـن لـم تـنـقُـص ولـم تَـزِد
فـكـمـلـتْ مـائـةً فـيـهـا حـمـامـتُـهـا ... وأسـرعـتْ حِـسـبـةً فـي ذلـك الـعـددِ

[البسيط]

غنَّاه ابن سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ عن الهشاميّ. هذا خبرٌ روي عن زَرقاء اليمامة، ويُروى عن بنت الخُسّ.

أخذ معنى لزرقاء اليمامة:

حدثني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال سمعت أَبا العباس محمد بن الحسن الأحول يقول: هذا أَخذه النابغة من زرقاء اليمامة، قالت:

لـيـت الـحـمـامَ لِـيَـهْ ... ونِـصـفَـه قَـدِيَـهْ
إلـى حَـمـامَـتِـيَـهْ ... تَـمّ الـحـمـامُ مِـيَـهْ

[مجزوء الرمل]

فسلَخه النابغة. وقال الأصمعيّ: سمعت أُناساً من أَهلِ البادية يتحدّثون أَن بنت

الخُسّ كانت قاعدةً في جَوارٍ، فمرّ بها قَطاً واردٌ في مَضيقٍ من الجبل، فقالت:

يـا لـيـتَ ذا الـقَـطـا لِـيَـهْ ومـثـلَ نِـصـفٍ مَـعِـيَـهْ
إلـى قَـطـاةِ أهـلِـيَـه إذاً لـنـا قَـطـاً مِـيَـهْ

[مجزوء الرمل]

وأُتبِعتْ فعُدَّتْ على الماء فإذا هي ستُّ وستون. وقوله: «فَقَدْ» أي فحسبُ. ويَحُفّه أَي يكون من ناحية هذا الثَّمْد؛ يقال: حَفّ القومُ بالرجل أَي اكتنفوه. والنِّيق: الجبل. ومثل الزجاجة: يريد عيناً صافية كصفاء الزجاجة. الحِسبة: الهيئة التي تُحسَب؛ يقال: ما أَحسَنَ حِسبَتَه، مثل الجِلسة واللِّبسة والرّكبة.

ومنها:

صـوت

نُـبِّـئْـتُ أَنَّ أَبـا قـابـوسَ أوعـدنـي ولا قَـرارَ عـلـى زَأْرٍ مـن الأسـدِ
مَـهـلاً فِـداءٌ لـك الأقـوامُ كـلُّـهـمُ ومـا أُثَـمِّـرُ مـن مـالٍ ومـن ولـدِ
إنْ كـنـتُ قـلـتُ الـذي بُـلِّـغـتَ مُـعـتَـمِـداً إذاً فـلا رفـعـتْ سَـوطـي إلـيَّ يـدي
هـذا الـثـنـاءُ فـإن تَـسـمَـع بـه حَـسَـنـاً فـلـم أُعَـرِّضْ أَبَـيـتَ الـلَّـعـن بـالـصَّـفَـدِ

[البسيط]

غنَّاه الهُذَليّ، ولحنه من الثقيل الأول عن الهشاميّ. أُثَمِّر: أُصلح وأجمع. والزَّأْرُ: صياح الأسد؛ يقال: زأر زئيراً وهو الزأْر. والصَّفَد: العطيَّة؛ يقال: أَصفده يُصفِده إصفاداً إذا أعطاه، وصَفَده يَصفِده صَفداً إذا أوثقه.

أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثني الصَّلت بن مسعود قال حدثنا أَحمد بن شَبَّوَيهِ عن سليمان بن صالح عن عبد اللَّه بن المبارَك عن فُلَيح بن سليمان عن رجل قد سمَّاه عن حسَّان بن ثابت، ونسخت من كتاب ابن أَبي خَيثمة عن أَبيه عن مُصعَب الزبيريّ قال: قال حسَّان بن ثابتٍ، وأَخبرنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثني عمي يوسف بن محمد عن عمه إسماعيل بن أَبي محمد قال: قال أَبو عمرو الشيبانيّ قال حسَّان بن ثابت ـ وقد جمعتُ رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها، وأكثرُ اللفظ للجوهريّ ـ قال: خرجتُ إلى النعمان بن المنذر، فلَقِيت رجلاً ـ وقال اليزيديّ في خبره: فلقيتُ صائغاً مِن أَهل فَدَك ـ فلمَّا رآني قال: كن يَثرِبيّاً؛ فقلت: الأمر كذلك. قال: كن خَزرجيّاً؛ قلت: أنا خزرجيّ.

قال: كن نَجَّاريّاً؛ قلت: أَنا نَجَّاريّ. قال: كن حسَّان بن ثابت؛ قلت: أَنا هو. فقال: أَين تريد؟ قلت: إلى هذا الملك. قال: تريد أن أُسَدِّدك إلى أَين تذهب ومَن تريد؟ قلت: نعم. قال: إن لي به علماً وخُبراً. قلت: فأعلمني ذلك. قال: فإنك إذا جئتَه متروكٌ شهراً قبل أَن يُرسل إليك ثم عسى أَن يسأل عنكَ رأسَ الشهر، ثم إنك متروكٌ آخَرَ بعد المسألة ثم عسى أَن يُؤذَن لك. فإن أَنت خلوتَ به وأَعجبتَه فأنت مصيبٌ منه خيراً؛ فأقِمْ ما أقمتَ، فإن رأيت أَبا أمامة فاظعَنْ، فلا شيء لك عنده. قال: فقدِمت ففعل بي ما قال الرجل ثم أَذِن لي وأصبتُ منه مالاً كثيراً ونادمتُه وأكلت معه. فبينا أَنا على ذلك وأَنا معه في قُبَّة له إذا رجلٌ يرتجز حولها:

أصَمُّ أم يسمع ربُّ القُبَّهْ ... يا أَوهبَ الناس لِعَنسٍ[1] صُلبَهْ
ضَرّابةٍ بالمِشفَرِ الأذِبّهْ[2] ... ذات هِبابٍ[3] في يديها جُلبَهْ

[الرجز]

في لاحِبٍ[4] كأنه الأطِبَّه

ـ وفي رواية اليزيديّ «في يديها خُذْبة» أي طول واضطراب. والأطبَّه: جمع طِباب وهو الشِّراك يجمع فيه بين الأديمين في الخَرْز. وقال: عمر بن شبَّة في خبره: قال فُلَيح بن سليمان: أخذت هذا الرجز عن ابن دَأْب ـ قال: فقال: أليس بأبي أُمامة؟ قالوا بلى. قال: فَأَذَنوا له. ودخل فحيَّاه وشرب معه. ثم وردت النَّعَم السُّودُ، ولم يكن لأحد من العرب بعيرٌ أسود يُعرَف مكانُه ولا يفتحل أحدٌ بعيراً أَسود غير النعمان. فاستأذنه في أن يُنشده كلمته على الباء؛ فأذِن له أَن يُنشده قصيدته التي يقول فيها:

فإنَّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

[الطويل]

ووردت عليه مائةٌ من الإبل السُّود الكلبيَّة فيها رِعاؤها وبيتها وكلبُها، فقال: شأنَك بها يا أَبا أُمامة، فهي لك بما فيها. قال حسَّان. فما أصابني حسدٌ في موضع ما أصابني يومئذٍ، وما أَدري أيّما كنتُ أحسَدَ له عليه: ألِمَا أسمع من فضل شعره، أم ما أَرى من جزيل عطائه؛ فجمعتُ جَراميزي[5] وركبت إلى بلادي. وقد روى الواقديّ

(١) العنس: الناقة القوية الصلبة.
(٢) الأذبة: جمع يستعمل للذباب، وهو جمع قِلَّة.
(٣) هِباب: النشاط والحركة السريعة شبِّهت بهبوب الريح.
(٤) اللّاحب: الطريق الجلي الواضح.
(٥) جراميزي: الجرموز هو الذكر من أولاد الذئب، وأخذ بجراميزه أي أجمع أمره.

عن محمد بن صالح الخبر فذكر أَن حسَّان قدِم على جبلة بن أَبي شَمِر؛ ولعله غلط. أَخبرنا به محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثني عمي يوسف قال حدثني عمي إسماعيل عن الواقديّ عن محمد بن صالح قال:

كان حسَّان بن ثابت يقدَم على جبَلة بن الأيهم سنةً ويُقيم سنةً في أَهله. فقال: لو وفدتُ على الحارث، فإن له قرابةً ورَحِماً بصاحبي، وهو أَبذل الناس لمعروف، وقد يئس منّي أَن أقدَم عليه لِما يعرف من انقطاعي إلى جبلة. فخرجتُ في السنة التي كنت أُقيم فيها بالمدينة حتى قدِمت على الحارث وقد هَيَّأت مديحاً. فقال لي حاجبه وكان لي ناصحاً: إن الملك قد سُرَّ بقدومك عليه، وهو لا يَدَعُك حتى تذكرَ جبلة. فإيَّاك أَن تقع فيه فإنه يختبرك؛ فإنّك إن وقعتَ فيه زهد فيك، وإن ذكرتَ مَحاسِنَه ثَقُل عليه، فلا تبتدئ بذكره؛ فإن سألك عنه فلا تُطنِب في الثناء عليه ولا تَعِبْه، امسَح ذكرَه مَسحاً وجاوِزه. وإنه سوف يدعوك إلى الطعام وهو يثقُل عليه أَن يُؤكَلَ طعامُه أَو يُشرَبَ شرابُه، فلا تَضَع يدك في شيء حتى يدعوَك إليه. قال: فشكرتُ له ذلك. ثم دعاني فسألني عن البلاد والناس وعن عيشنا في الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب، وكل ذلك أُخبره، حتى انتهى إلى ذكر جَبَلة فقال: كيف تجدُ جبلة، فقد انقطعتَ إليه وتركتنا؟ فقلت له: إنما جبلة منك وأنت منه؛ فلم أَجْرِ معه في مدح ولا ذَمٍّ، وفعلتُ في الطعام والشراب كما قال لي الحاجب. قال: ثم قال لي الحاجب: قد بلغني قدومُ النابغة وهو صديقُه وآنَسُ به، وهو قبيح أَن يجفوَك بعد البرِّ، فاستأذِنه من الآن فهو أَحسن. فاستأذنتُه فأذِن لي وأَمر لي بخمسمائة دينار وكساً وحُملان، فقبضتها وانصرفتُ إلى أَهلي.

صـــوت

مـــلـــوكٌ وإخـــوانٌ إذا مـــا لَـــقِـــيـــتُـــهـــمْ أُحَـــكِّـــمُ فـــي أَمـــوالـــهـــم وأقَـــرَّبُ
ولـــكـــنَّـــنـــي كـــنـــت امـــرأً لـــيَ جـــانـــبٌ مـــن الأرض فـــيـــه مُـــســـتـــرادٌ ومـــطـــلـــبُ

[الطويل]

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل. الجانب هنا: المتَّسَع من الأرض. والمُستراد: المختَلَف يذهب فيه ويجيء؛ ويقال: رادَ الرجلُ لأهله إذا خرج رائداً لهم في طلب الكلإ ونحوه. ثم ذكر مستراده فقال: «ملوكٌ وإخوان».

ومن القصيدة العينيَّة:

صـوت

عَـفـا ذو حُـسـاً مـن فَـرتَـنـا فـالـفـوارعُ[١] فـجـنـبَـا أَريـكٍ فـالـتِّـلاعُ[٢] الـدوافـعُ[٣]
فـمُـجـتَـمَـعُ الأشـراجِ[٤] غَـيّـرَ رسـمـهـا مَـصـايِـفُ مـرّت بـعـدنـا ومَـرابـعُ[٥]
تـوهّـمـتُ آيـاتٍ لـهـا فـعـرفـتُـهـا لـسـتَّـة أَعـوامٍ وذا الـعـامُ سـابـعُ
رَمـادٌ كـكُـحـل الـعـيـن مـا إِن أُبـيـنُـه ونُـؤيٌ كـجِـذْم الـحـوض أَثـلَـمُ خـاشـعُ

[الطويل]

غنَّاه مَعبَدٌ من رواية حَبَشٍ رملاً بالبنصر.

صـوت

آذنـتْـنـا بـيـنـهـا أَسـمـاءُ رُبَّ ثـاوٍ يُـمَـلُّ مـنـه الـثَّـواءُ
بـعـد عَـهـدٍ لـهـا بـبُـرْقـة شَـمَّـا ءَ فـأدنـى ديـارِهـا الـخَـلـصـاءُ

[الخفيف]

عروضه من الخفيف. آذنتنا: أعلمتنا. والبَينُ: الفرقة. والثاوي: المقيم؛ يقال ثَوى ثَواءً. والبُرقة: أرض ذات رمل وطين. وشَمَّاء والخَلصاء: موضعان. الشعر للحارث بن حِلِّزَةَ اليَشكُريّ. والغناء لمعبد، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو، ومن الناس من ينسبُه إلى حُنَين.

* * *

(١) الفوارع: مفردها فرَع وهي التلَّة المشرفة المسيل.
(٢) التِّلاع: جمع تلعة وهي مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض.
(٣) الدَّوافع: التي تقوم بجرّ الماء ودفعه إلى الوادي.
(٤) الأشراج: مفردها شرج وهو مجرى الماء إلى السهل.
(٥) المرابع: أراد بها مرور فصول الربيع.

أخبار الحارث بن حلزة ونسبه

هو الحارث بن حِلِّزة بن مَكروه بن يزيد بن عبد اللَّه بن مالك بن عبد بن سَعد بن جُشَمَ بن عاصم بن ذُباين بن كنانة بن يَشكُرَ بنَ بَكر بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أَفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أسَد بن رَبيعة بن نِزار.

السبب في قول قصيدته المعلقة:

قال أبو عمرو الشَّيبانيّ: كان من خبر هذه القصيدة والسببِ الذي دعا الحارث إلى قولها أنَّ عمرو بن هِند الملك، وكان جبَّاراً عظيمَ الشأن والمُلك، لَمَّا جمع بَكراً وتَغلِبَ ابني وائل وأصلح بينهم، أَخذ من الحَيَّين رُهُناً من كلّ حيٍّ مائةَ غلام ليكفَّ بعضهم عن بعض؛ فكان أولئك الرُّهُن يكونون معه في مسيره ويغزون معه؛ فأصابتهم سَموم في بعض مَسيرهم فهلَك عامَّة التَّغلبيِّين وسلِم البَكريّون. فقالت تَغلِب لبكر: أَعطونا دِياتِ أَبنائنا؛ فإن ذلك لكم لازم، فأبت بكر بن وائل. فاجتمعت تَغلِب إلى عمرو بن كُلثوم وأخبروه بالقصة. فقال عمرو بن كلثوم لتغلب: بمن ترون بكراً تَعصِب أَمرَها اليوم؟ قالوا: بمن عسى إلَّا برجل من أَولاد ثَعلبة. قال عمرو: أرى واللَّه الأمرَ سينجلي عن أحمر أصلَجَ[1] أَصَمّ من بني يَشكُر. فجاءت بكرٌ بالنعمان بن هَرِم أَحد بني ثَعلبة بن غَنَم به يَشكُر، وجاءت تَغلِب بعمرو بن كلثوم. فلما اجتمعوا عندَ الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم: يا أصَمّ! جاءت بك أَولاد ثَعلبة تُناضل عنهم وهم يفخرون عليك! فقال النعمان: وعلى مَن أظلَّت السماءُ كلُّها يفخرون ثم لا يُنكَر ذلك. فقال عمرو بن كلثوم له: أمَا واللَّه لو لَطَمتُك لطمةً ما أخذوا لك بها. فقال له النعمان: واللَّه لو فعلتَ ما أَفلَتَّ بها قَيسَ أَيرِ أبيك. فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تَغلِب على بكر، فقال: يا جارية أَعطيه لَحياً بلسان أُنثَى (أي سُبِّيه بلسانك). فقال أيُّها الملك أَعطِ ذلك أحبَّ أهلك إليك. فقال: يا نُعمان أيسرُّك أنّي أَبوك؟ قال: لا! ولكن وَدِدتُ أَنَّك أمّي. فغضِب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى همّ بالنعمان. وقام الحارث بن حِلِّزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً، توكَّأ

(١) أصلج: به صَمَمٌ.

على قوسه وأنشدها وانتظم كفَّه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرَغ منها. قال ابن الكلبيّ: أنشد الحارثُ عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وَضَحٌ، فقيل لعمرو بن هند: إنَّ به وضحاً؛ فأمر أَن يُجعَل بينه وبينه سِترٌ. فلمَّا تكلَّم أُعجِب بمنطقه؛ فلم يزل عمرو يقول: أدنُوه أدنوه حتى أَمر بطرح السِّتر وأقعده معه قريباً منه لإعجابه به. هذه رواية أَبي عمرو. وذكر الأصمعيُّ نحواً من ذلك وقال: أَخذ منهم ثمانين غلاماً من كل حيّ وأصلح بينهم بذي المَجاز، وذَكر أَنّ الغلمان من بني تغلب كانوا معه في حرب فأُصيبوا. وقال في خبره: إنّ الحارث بن حلِّزة لمَّا ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته:

قِفي قبل التفرُّق يا ظَعينَا

وغيرُ الأصمعيّ يُنكِر ذلك ويُنكر أَنه السبب في قول عمرو بن كلثوم.

وذكر ابن الكلبيّ عن أَبيه أَنّ الصلح كان بين بَكر وتَغلب عند المنذر بن ماء السماء، وكان قد شرَط: أَيُّ رجلٌ وُجد قتيلاً في دار قومٍ فهم ضامنون لدمه، وإن وُجد بين محلَّتين قِيسَ ما بينهما فيُنظَر أَقربُهما إليه فتضمنَ ذلك القتيل. وكان الذي ولي ذلك واحتمى لبني تغلب قَيس بن شَراحيل بن مُرَّة بن هَمَّام. ثم إنّ المنذر أَخذ من الحَيَّين أَشرافَهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكة؛ فشرَط بعضُهم على بعض وتواثقوا على أَلَّا يُبقي واحد منهم لصاحبه عائلةً ولا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدّماء. وبعث المنذرُ معهم رجلاً من بني تميم يقال له الغَلَّاق. وفي ذلك يقول الحارث بن حِلِّزة:

فهَلَّا سَعَيتَ لصُلح الصَّديقِ ... كصُلح ابن مارِيةَ الأقصمِ[1]
وقَيسٌ تدارَكَ بَكرَ العِراقِ ... وتَغلِبَ من شرِّها الأعظَمِ
وبيتُ شَراحيلَ في وائلٍ ... مكانَ الثُّرَيَّا من الأنجمِ
فأصلَح ما أفسدوا بينهم ... كذلك فِعلُ الفتى الأكرمِ

[المتقارب]

ـ ابن مارية هو قيس بن شَراحيل. ومارية أُمُّه بنت الصبَّاح بن شيبان من بني هند ـ. فلبثوا كذلك ما شاء اللَّه، وقد أَخذ المنذر من الفريقين رُهُناً بأحداثهم؛ فمتى التَوَى أحد منهم بحقٍّ صاحبه أقاد من الرُّهُن. فسرّح النعمان بن المنذر ركباً من بني تغلب إلى جبل طَيِّء في أَمر من أَمره، فنزلوا بالطرفة وهي لبني شَيبان وتَيم اللات.

(١) الأقصم: الذي كُسرت ثنّيته من النّصف.

فذكروا أَنهم أجلَوْهم عن الماء وحملوهم على المَفازة، فمات القومُ عطشاً. فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأَتوا عمرو بن هند فاستعدَوْه على بكر، وقالوا: غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحُرمة وسَفكتم الدّماء. وقالت بكر: أَنتم الذين فعلتم ذلك، قذفتمونا بالعضيهة[١] وسمَّعتم الناسَ بها، وهتكتم الحجاب والسِّتر بادّعائكم الباطل علينا. قد سقيناهم إذ وردوا، وحملناهم على الطريق إذ خرجوا، فهل علينا إذ حار القوم وضلُّوا! ويصدِّق ذلك قولُ الحارث بن حلِّزة:

لـم يَـغُـرُّكُـمُ غُـروراً ولـكـن يـرفَـع الآلُ[٢] جِـرمَـهـم والـضَّـحـاءُ

[الخفيف]

وقال يعقوب بن السِّكِّيت: كان أَبو عمرو الشيبانيّ يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول: لو قالها في حول لم يُلَمْ. قال: وقد جمع فيها ذكر عِدَّةٍ من أَيَّام العرب عيّر ببعضها بني تغلب تصريحاً، وعرّض ببعضها لعمرو بن هند؛ فمن ذلك قولُه:

أعـلـيـنـا جُـنـاحُ كِـنـدةَ أن يـغـ ـنَـمَ غـازيـهـمُ ومِـنَّـا الـجـزاءُ

[الخفيف]

قال: وكانت كندة قد كسرت الخراج على الملك، فبعث إليهم رجالاً من بني تغلب يطالبونهم بذلك، فقُتِلوا ولم يُدرَكوا بثأرهم؛ فعيّرهم بذلك. هكذا ذكر الأصمعيّ. وذكر غيره أَن كندةَ غزَتهم فقتلت وسَبَتْ واستاقت، فلم يكن في ذلك منهم شيءٌ ولا أدركوا ثأراً. قال: وهكذا البيت الذي يليه وهو:

أم عـلـيـنـا جَـرّى قُـضـاعـةَ أم لـيـ ـس عـلـيـنـا فـيـمـا جَـنَـوْا أنـداءُ

[الخفيف]

فإنه عيّره بأن قضاعة كانت غزت بني تغلب ففعلت بهم فعلَ كندة، ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأراً. قال: وقوله:

أم عـلـيـنـا جَـرّى حَـنـيـفـةَ أم مـا جَـمَّـعـتْ مـن مُـحـاربٍ غَـبـراءُ

[الخفيف]

قال: وكانت حَنيفة محالفةً لتغلبَ على بكر، فأذكر الحارثُ، عمرو بن هند بهذا البيت قَتلَ شمر بن عمرو الحنفيّ أحدِ بني سُحَيم المنذرَ بنَ ماء السماء غِيلةً لمَّا حارب الحارثَ بن جبلة الغسَّانيّ، وبعث الحارثُ إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء

(١) العضيهة: المقالة الكاذبة والبهتان وشهادة الزور.

(٢) الآل: السراب.

شمر هذا يسأله الأمان على أَن يخرج له عن مُلكه ويكونَ من قِبَله؛ فركَن المنذر إلى ذلك وأقام الغِلمانُ معه، فاغتاله شِمْر بن عمرو الحنفيّ فقتله غِيلةً، وتفرّق مَن كان مع المنذر، وانتهبوا عسكره. فحرّضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حَنيفة. قال وقوله:

وثمانون من تميمٍ بأيديـ ـهمْ رِماحٌ صدورُهنّ القَضاءُ

[الخفيف]

يعني عمراً أَحدَ بني سعد بن زيد مناة، خرج في ثمانين رجلاً من تميم فأغار على قوم من بني قَطَنٍ من تَغلب يقال لهم بنو رِزاح كانوا يسكنون أرضاً تعرف بنَطاح قريبةً من البحرَين، فقتل فيهم وأخذ أموالاً كثيرة، فلَم يُدرَك منه بثأر. قال: وقوله:

ثمْ خَيلٌ من بعد ذاك مع الغـ ـلَّاق لا رأفةٌ ولا إبقاءُ

قال: الغَلَّاق صاحب هجائن النُّعمان بن المنذر، وكان من بني حنظلة بن زيد مناة تميميّاً.

وكان عمرو بن هند دعا بني تغلب. بعد قتل المنذر إلى الطلب بثأره من غسَّان؛ فامتنعوا وقالوا: لا نُطيع أَحداً من بني المنذر أَبداً! أيظنُّ ابن هند أنّا له رِعاء! فغضب عمرو بن هند وجمع جموعاً كثيرة من العرب، فلما اجتمعتْ آلى ألَّا يغزوَ قبل تغلب أَحداً؛ فغزاهم فقتل منهم قوماً، ثم استعطفه مَن معه لهم واستوهبوه جريرتَهم، فأمسك عن بقيَّتهم، وطُلّت[1] دماء القتلى. فذلك قول الحارث:

مَن أصابوا من تَغلبيٍّ فمطلـ ـلٌ عليه إذا تولّى العَفاءُ

ثم اعتدّ على عمرو بحسن بلاء بَكرٍ عنده فقال:

مَن لنا عنده من الخير آيا تٌ ثلاثٌ في كلِّهن القضاءُ
آيةٌ شارقُ[2] الشَّقيقة إذ جا ؤوا جميعاً لكل حيٍّ لِواءُ
حول قَيسٍ مُستَلئمين[3] بكَبشٍ قَرَظِيٍّ كأنه عَبلاءُ[4]
فردَدناهُمُ بضرب كما يخـ ـرُج من خُربة المَزادِ الماءُ
ثم حُجراً أعني ابن أمِّ قَطامٍ وله فارسيَّةٌ خضراءُ

(١) طُلَّت الدِّماء: أي أهدرت دماء القتلى ولم يقم أحد بالأخذ بثأرهم.
(٢) شارق: جاء من جهة الشّرق.
(٣) مستلئمين: لابسين دروعهم.
(٤) عبلاء: الصخرة البيضاء.

أَسَـدٌ فـي الـلِّـقـاء ذو أَشـبـالٍ وربـيـعٌ إن شَـنَّـعـتْ غَـبـراءُ[١]
فـرددنـاهُـمُ بـطـعـن كـمـا تُـنـ ـهَـزُ[٢] فـي جُـمَّـة الـطـويّ الـدِّلاءُ
وفَـكَـكْـنـا غُـلَّ امـرىء الـقـيـس عـنـه بـعـد مـا طـال حَـبـسـه والـعـنـاءُ
وأَقَـدنـاه[٣] رَبَّ غـسَّـان بـالـمُـنـ ـذِرِ كَـرهـاً ومـا تُـكـال[٤] الـدّمـاءُ
وفـديـنـاهُـمُ بـتـسـعـةِ أمـلا كٍ كـرام أسـلابُـهـم[٥] أَغـلاءُ
ومـع الـجَـونِ[٦] جَـون آل بـنـي الأوْ سِ عَـنـودٌ[٧] كـأنـهـا دَفـواءُ[٨]

[الخفيف]

يعني بهذه الأيام أيَّاماً كانت كلها لبكر مع المنذر؛ فمنها يوم الشَّقيقة وهم قوم من شيبان جاؤوا مع قيس بن مَعدِ يَكرِب ومعه جمع عظيم من أَهل اليمن يُغيرون على إبل لعمرو بن هند، فردّتهم بنو يَشكر وقتلوا فيهم، ولم يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند. ومنها يومُ غزا حُجر الكِنديّ، وهو حُجر بن أُمِّ قَطام، امرأَ القيس وهو ماء السماء بن المنذر، لقِيه ومع حُجر جمعٌ كثير من كندة؛ وكانت بكر مع امرئ القيس، فخرجت إلى حُجر فردّته وقتلت جنودَه. وقوله:

فـفـكـكـنـا غُـلَّ امـرئ الـقـيـس عـنـه

وكانت غسَّان أسرته يوم قَتل المنذِر أَبيه، فأغارت بكر بن وائل على بعض بَوادي الشام قتلوا ملكاً من ملوك غسَّان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها مَيسون. وقوله: «وفديناهُم بتسعة...» يعني بن حُجر آكلِ المُرار. وكان المنذر وجّه خيَلاً من بكر في طلب بني حُجر، فظفِرت بهم بكر بن وائل فأتَوْا المنذرَ بهم وهم تسعة، فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة فذُبِحوا بمكان يقال له جَفر الأملاك. قال: والجون جون آل بني الأوْس: ملكٌ من

(١) غبراء: السنة الغبراء التي لا مطر فيها. أي هي السنة التي تقحل فيها الأرض.
(٢) تُنهزُ: تُحرك لتمتلئ بالماء.
(٣) أقدناه: قتلنا القاتل بقتيله، أي أخذنا بثأره.
(٤) تكال: توضع بالمكيال وتوزن.
(٥) أسلابهم: متاعهم من ثياب ودواب وسلاح.
(٦) الجَون: ملك من ملوك كندة وهو ابن عم قيس بن معديكرب.
(٧) عنود: الذي يخرج فائزاً على غير جهة سائر القِداح.
(٨) دفواء: مائلة.

ملوك كندة وهو ابن عم قيس بن مَعد يَكرِب. وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المُرار ومعه كتيبةٌ خَشناء، فحاربته بكرٌ فهزموه، وأخذوا بني الجون فجاؤوا بهم إلى المنذر فقتلهم.

قال: فلمَّا فرَغ الحارث من هذه القصيدة حكَم عمرو بن هند أنه لا يلزم بَكر بن وائل ما حدث على رهائن تَغلِبَ؛ فتفرّقوا على هذه الحال. ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتى همّ باستخدام أُمّ عمرو بن كلثوم تعرُّضاً لهم وإذلالاً؛ فقتله عمرو بن كلثوم. وخبره يُذكَر هناك.

قصيدة له دالية:

قال يعقوب بن السِّكِّيت أنشدني النَّضر بن شُمَيل للحارث بن حلِّزة ـ وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول: للَّه دَرُّه ما أشعره ـ:

صـوت

مَـن حـاكـمٌ بـيـنـي وبـيـ ـن الـدَّهـر مـالَ عـلـيّ عَـمْـدَا
أودَى بـسـادتـنـا وقـد تـركـوا لـنـا حَـلَـقـاً وجُـرْدا[1]
خـيـلـي وفـارسُـهـا ورَبِّ أبـيـك كـان أعـزَّ فَـقـدا
فَـلَـو انّ مـا يـأوي إلـيَّ أَصـ ـاب مـن ثَـهـلانَ هَـدّا
فَـضـعـي قِـنـاعَـكِ إنّ رَيـ ـب الـدَّهـر قـد أفـنـى مَـعَـدّا
فَـلَـكَـم رأيـتُ مَـعـاشـراً قـد جَـمَّـعـوا مـالاً ووُلـدا
وهُـمُ زبَـابٌ[2] حـائـرٌ لا تـسـمـعُ الآذان رَعـدا
فَـعِـشْ بـجـدٍّ لا يَـضِـرْ كَ الـنُّـوك[3] مـا لاقـيـت جَـدّا
والـعَـيـشُ خـيـرٌ فـي ظِـلا ل الـنُّـوك مـمـن عـاش كـدّا

[مجزوء الكامل]

في البيت الأول من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى لعبد اللَّه بن العبَّاس الرَّبيعيّ، ومن الناس من ينسبه إلى بابويه.

(١) الجُرد: مفردها أجرد وهو الخيل القصير شعره.
(٢) زبابٌ: نوع من الفِئران لا يسمع، مفردها زَبابة.
(٣) النّوك: الحمق والجهل.

صـــوت

أَلَا هُـبـي بـصَـحـنِـكِ فـاصـبَـحـيـنـا ولا تُـبـقـي خُـمـورَ الأنـدَرِيـنـا[١]
مُـشَـعـشَـعـةً كـأنَّ الـحُـصَّ[٢] فـيـهـا إذا مـا الـمـاءُ خـالـطـهـا سَـخـيـنَـا

[الوافر]

عروضه من الوافر. الشعر لعمرو بن كلثوم التَّغلبيّ والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى من روايته. وفيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

* * *

(١) الأندرين: قرية شهيرة بالخمر قرب حلب.
(٢) الحُصّ: نبات أصفر وقيل هو الزعفران.

نسب عمرو بن كلثوم وخبره

هو عمرو بن كُلثوم بن مالك بن عَتَّاب بن سَعد بن زُهَير بن جُشَم بن بَكر بن حُبَيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغلِب بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أَفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدنان. وأُمّ عمرو بن كلثوم ليلى بنت مُهَلهِل أخي كُلَيب، وأُمّها بنت بعج بن عتبة بن سعد بن زُهَير.

أَخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدثني العُكْليّ عن العبَّاس بن هِشام عن أَبيه عن خِراش بن إسماعيل عن رجل من بني تَغلِب ثم من بني عتَّاب قال: سمعت الأخذَر ـ وكان نَسَّابة ـ يقول:

لمَّا تزوّج مُهَلهِلٌ بنتَ بعج بن عُنبة أهدِيتْ[1] إليه، فولدت له ليلى بنت مُهَلهِل. فقال مهلهل لامرأته هند: اقتُليها. فأمرت خادماً لها أَن تُغَيِّبها عنها. فلمَّا نام هتف به هاتفٌ يقول:

كم من فتًى يُؤَمَّلْ وسَيِّدٍ شَمَرْدلْ[2]
وعُدَّةٍ لا تُجهَلْ في بطن بنت مهلهلْ

[مجزوء الرجز]

واستيقظ فقال: يا هند أَين بنتي؟ قالت: قتلتُها. قال: كلَّا وإلٰه رَبيعة! ـ فكان أول من حلف بها ـ فاصدُقيني، فأخبرته. فقال: أَحسِني غِذَاءها. فتزوّجها كلثوم بن مالك بن عَتَّاب. فلمَّا حملت بعمرو بن كلثوم قالت: إنه أتاني آتٍ في المنام فقال:

يا لك ليلى من وَلَدْ يُقدِمُ إقدام الأسدْ
من جُشَمٍ فيه العَدَدْ أقولُ قِيلاً لافَنَدْ[3]

[مجزوء الرجز]

فولدت غلاماً فسمَّته عمراً. فلما أتت عليه سنةٌ قالت أتاني ذلك الآتي في الليل أعرفه، فأشار إلى الصبيِّ وقال:

---

(١) أهديت إليه: زُفَّت إليه.
(٢) الشَّمردل: الفتيّ، القوي، السريع، الحسن الخُلْق.
(٣) الفَنَد: خطأ الرأي والكذب.

إنّـــي زعـــيـــمٌ لـــكِ أُمَّ عَـــمـــرِو بـمـاجـدِ الـجَـدِّ كـريـم الـنَّـجـرِ[١]
أَشـجـعَ مـن ذي لِـبَـدٍ[٢] هِـزَبـرِ[٣] وَقَّـاصِ أقـرانٍ شـديـدِ الأَسـرِ[٤]
يـسـودهـم فـي خـمـسـةٍ وعـشـر

[الرجز]

قال الأخذَر: فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر، ومات وله مائة وخمسون سنة.

قصة قتله لعمرو بن هند:

قال أَبو عمرو حدثني أَسَدُ بن عمر الحَنَفيّ وكُرد بن السِّمعيّ وغيرُهما، وقال ابن الكلبيّ حدثني أَبي وشَرقيُّ بن القَطاميّ، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيبة:

أَنّ عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون أحداً من العرب تأنَف أُمُّه من خِدمة أُمّي؟ فقالوا: نعم! أُمُّ عمرو بن كلثوم. قال: ولِمَ؟ قالوا: لأنَّ أَباها مهلهلُ بن ربيعة، وعمها كُلَيب وائل أعزُّ العرب، وبَعلها كلثوم بن مالك أفرسُ العرب، وابنها عمرو وهو سيِّد قومه. فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أَن يُزير أُمَّه أُمَّه. فأقبل عمرٌو من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة بني تَغلب، وأقبلت ليلى بنت مُهلهل في ظُعُن من بني تَغلب. وأمر عمرو بن هند بِرواقه فضُرِب فيما بين الحيرة والفُرات، وأرسل إلى وجوه أَهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلِب. فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رِواقه، ودخلت ليلى وهند في قُبَّة من جانب الرّواق. وكانت هند عمَّةَ امرئ القيس بن حُجر الشاعر، وكانت أُمُّ ليلى بنت مُهلهل بنتَ أَخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أُمّ امرئ القيس، وبينهما هذا النسب. وقد كان عمرو بن هند أَمر أُمّه أن تُنَحِّي الخدَم إذا دعا بالطُّرَف وتستخدم ليلى. فدعا عمرو بمائدةٍ ثم دعا بالطُّرَف. فقالت هند: ناوِليني يا ليلى ذلك الطَّبَق. فقالت ليلى: لِتَقُم صاحبة الحاجة إلى حاجتها. فأعادت عليها وألحتْ. فصاحت ليلى: واذُلّاه! يا لَتَغلِب! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدّم في وجهه، ونظر إليه عمرو بن هند فعرَف الشرَّ في وجهه؛ فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيفٍ لعمرو بن هند مُعَلَّقٍ بالرّواق ليس هناك سيفٌ غيره، فضرب به رأس عمرو بن هند، ونادى في بني

(١) النجر: الأصل والنسب.
(٢) لَبِدٍ: شعره مُسدَلٌ على كتفيه.
(٣) هزبر: اسم من أسماء الأسد جمعها هزابر.
(٤) شديد الأسر: متين الخلق غير ليّن.

تغلب، فانتهبوا ما في الرِّواق وساقوا نجائبه، وساروا نحوَ الجزيرة. ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم:

أَلا هُبّي بِصَحْنِك فاصبَحينا

تعظيم تغلب لقصيدته المعلقة:

وكان قام بها خطيباً بسوق عُكاظ وقام بها في موسم مكة. وبنو تَغلِب تعظِّمها جدّاً ويرويها صغارُهم وكبارُهم، حتى هُجُوا بذلك؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل:

ألْهى بني تَغلِبٍ عن كل مَكرُمةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يَروُونها أبداً مذ كان أوَّلُهم يا للرجالِ لِشِعرٍ غيرِ مسؤومِ

[البسيط]

فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند:

وقال الفرزدق يردّ على جرير في هجائه الأخطل:

ما ضَرَّ تَغلِبَ وائلٍ أهجوتَها أم بُلْتَ حيث تَناطَحَ البحرانِ
قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنوةً عمراً وهم قَسَطوا[1] على النعمانِ

[الكامل]

وقال أَفنونٌ صُرَيمٌ التَّغلبيّ يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدةٍ له:

لَعَمرُك ما عمرُو بن هندٍ وقد دعا لتخدُمَ ليلى أُمّه بموفَّقِ
فقام ابنُ كُلثومٍ إلى السيف مُصلِتاً فأمسك من نَدمانه[2] بالمُخَنَّقِ
وجلَّله عمرٌو على الرأس ضربةً بذي شَطَبٍ[3] صافي الحديدة رَوْنَقِ

[الطويل]

إخوته وعقبه:

قال: وكان لعمرو أخ يقال له مُرّة بن كلثوم، فقتل المُنذِرَ بن النعمان وأخاه. وإيَّاه عنَى الأخطلُ بقوله لجرير:

أبني كُلَيبٍ إنّ عَمَّيَّ اللَّذا قتلا الملوكَ وفكَّكا الأغلالا

[الكامل]

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عَبَّاد، وهو قاتل بِشر بن عمرو بن عُدَس.

---

(١) القسط: الجور، وقسطوا أي جاروا وظلموا.
(٢) ندمانه: جلساؤه، وهم الذين ينادمونه في الخمر.
(٣) ذي شطب: شديد البريق واللمعان.

ولعمرو بن كلثوم عَقِبٌ باق، ومنهم كلثوم بن عمرو العَتَّابيّ الشاعر صاحب الرسائل.

أغار على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأسره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن الأحوَل عن ابن الأعرابيّ قال:

أغار عمرو بن كلثوم التغلبيّ على بني تميم ثم مرّ من غَزْوِه ذلك على حيٍّ من بني قَيس بن ثعلبة، فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسَبايا؛ وكان فيمن أصاب أحمد بن جَندل السَّعديّ، ثم انتهى إلى بني حَنيفةَ باليمامة وفيهم أناس من عِجل، فسمع به أهلُ حَجر؛ فكان أوَّلَ من أتاه من بني حنيفة بنو سُحَيم عليهم يزيد بن عمرو بن شِمر. فلمَّا رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال:

مَن عاذَ منّي بعدها فلا اجتَبَرْ ... ولا سقى الماء ولا أرعى الشَّجرْ
بنو لُجَيمٍ وجَعاسيس مُضَرْ ... بجانب الدَّوِّ يُدَهدُون العَكَرْ

[الرجز]

فانتهى إليه يزيد بن عمرو فطعنه فصرعه عن فرسه وأسَره. وكان يزيد شديداً جسيماً، فشدّه في القِدّ وقال له: أَنت الذي تقول:

متى تُعقَدْ قَرينتنا بحبلٍ ... تَجذّ الحبل أو تَقِصِ القرينا

[الوافر]

أَمَا إنّي سأقرنك إلى ناقتي هذه فأطرُدكما جميعاً. فنادى عمرو بن كلثوم يا لَربيعة! أَمُثلة! قال: فاجتمعت بنو لُجَيم فَنَهوه ولم يكن يريد ذلك به. فسار به حتى أتى قصراً بحَجرٍ من قصورهم، وضرب عليه قُبَّة ونحرَ له وكساه وحمله على نجيبة وسقاه الخمر. فلما أخذتْ برأسه تغنَّى.

أأجمعَ صُحبتي السِّحَرَ ارتحالا ... ولم أشعُر بَبَينٍ منكِ هالَا
ولم أرَ مثل هالةَ في مَعَدٍّ ... أُشَبِّه حسنها إلَّا الهِلالا
أَلَا أَبلغْ بني جُشَمَ بنِ بكرٍ ... وتغلِبَ كلما أَتيَا حِلالا[1]
بأنّ الماجدَ القَرمَ ابنَ عمرٍو ... غداةَ نَطاعِ قد صدَق القِتالا
كَتيبتُهُ مُلَمْلَمَةٌ رَداحٌ[2] ... إذا يرمونها تُفني النِّبالا

(١) حِلال: مفردها حِلَّة، وهو المكان يجتمع فيه الناس، أو هي محل إقامتهم.
(٢) رَداح: ثقيلة عظيمة.

جـزى الـلّـه الأغـرَّ يـزيـد خـيـراً ولَـقّـاه الـمَـسـرَّةَ والـجـمـالا
بـمـأخـذِه ابـنَ كـلـثـوم بـنِ عـمـرٍو يـزيـدَ الـخـيـرِ نـازلـه نِـزالا
بـجـمـعٍ مـن بـنـي قُـرَّانَ صِـيـدٍ يُـجِـيـلـون الـطِّـعـان إذا أجـالا
يـزيـد يـقـدّم الـسـفـراء حـتـى يُـرَوِّي صَـدرَهـا الأسَـلَ الـنِّـهـالا
[الوافر]

حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مرّ ببني تغلب فلم يكرموه:

أَخبرني عليّ بن سليمان قال أَخبرنا الأحوَل عن ابن الأعرابيّ قال:

زعموا أَنّ بني تَغلِبَ حاربوا المُنذِرَ بن ماء السماء فلحقوا بالشام خوفاً منه فمرّ بهم عمرو بن أبي حُجر الغسَّاني، فتلقَّاه عمرو بن كلثوم. فقال له: يا عمرو، ما منَع قومَك أَن يتلقَّوني؟! فقال له: يا عمرو يا خيرَ الفِتيان، فإن قومي لم يستيقظوا لحربٍ قطُّ إلا علَا فيها أمرُهم واشتدّ شأنُهم ومَنعوا ما وراء ظهورهم. فقال له: أيقاظ نَومةٍ ليس فيها حُلم، أجتثّ فيها أصولهم، وأنفي فَلَّهم[1] إلى اليابس الجَرَدِ، والنازح التَّمَدِ[2]. فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول:

أَلَا فـاعـلَـمْ أبَـيـتَ الـلَّـعـنَ أَنّـا عـلـى عَـمْـدٍ سـنـأتـي مـا نُـريـدُ
تَـعَـلَّـمْ أَنّ مَـحـمَـلَـنـا ثـقـيـلٌ وأنَّ زنـادَ كـبـتـنـا[3] شـديـدُ
وأنَّـا لـيـس حَـيٌّ مـن مَـعَـدٍّ يُـوازيـنـا إذا لُـبِـس الـحـديـدُ
[الوافر]

هجاؤه للنعمان بن المنذر:

قال: وقال ابن الأعرابيّ: بلغ عمرو بن كلثومٍ أنَّ النعمان بن المُنذر يتوعّده، فدعا كاتباً من العرب فكتب إليه:

أَلَا أَبـلِـغ الـنـعـمـان عـنّـي رسـالـةً فـمَـدحُـك حَـولـيٌّ[4] وذَمُّـك قـارحُ[5]
مـتـى تَـلـقَـنـي فـي تـغـلِـبَ ابـنـةِ وائـلٍ وأشـيـاعـهـا تـرقـى إلـيـك الـمـسـالـحُ
[الطويل]

وهجا النعمان بنَ المنذر هجاءً كثيراً، منه قوله يعيّره بأُمّه سُلَيمى:

---

(١) الفلّ: القوم المهزومون. (٢) الثَّمَد: الماء القليل.
(٣) الكبة: الشدة والدّفعة من كل شيء.
(٤) حوليّ: الذي حال عليه الحول، أي بلغ سنة من عمره.
(٥) قارح: الذي شق نابه وبرزت أسنانه.

حَلَّتْ سُلَيمى بخَبتٍ بعد فِرتاجِ ... وقد تكون قديماً في بني ناجِ
إذ لا تُرَجّي سُلَيمى أَن يكون لها ... مَن بالخَورَنَق[1] من قَينٍ ونَسَّاجِ
ولا يكونُ على أَبوابها حَرَسٌ ... كما تلفَّف قِبطيٌّ بديباجِ
تمشي بعِدلَين من لُؤمٍ ومَنقَصةٍ ... مشيَ المقيَّدِ في اليَنبوت[2] والحاجِ[3]

[البسيط]

قال وقال في النعمان:

لحا اللَّه أدنانا إلى اللُّؤمِ زُلفةَ[4] ... وألْأَمَنا خالاً وأعجزنا أَبَا
وأجدَرَنا أن ينفُخَ الكِيرَ خاله ... يصوغُ القُروطَ والشُّنوفَ[5] بيَثرِبَا

[الطويل]

وفاته ونصيحته لبنيه:

أَخبرني الحسين بن عليّ قال حدثنا أَحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدثني عليّ بن المُغيرة عن ابن الكلبيّ عن رجل من النَّمِر بن قاسط قال:

لمَّا حضرت عمرو بنَ كلثوم الوفاةُ وقد أَتت عليه خمسون ومائةُ سنة، جمع بنيه فقال: يا بَنيَّ، قد بلغت من العمرِ ما لم يبلغه أَحد من آبائي، ولا بدّ أَن ينزل بي ما نزل بهم من الموت. وإني واللَّه ما عيَّرت أَحداً بشيء إلَّا عُيِّرتُ بمثله، إن كان حقّاً فحقّاً، وإن كان باطلاً فباطلاً. ومَن سَبَّ سُبَّ؛ فكُفُّوا عن الشتم فإنه أسلمُ لكم، وأَحسِنوا جِواركم يحسُن ثناؤكم، وامنعوا من ضَيم الغريب؛ فربَّ رجلٍ خيرٌ من ألف، ورَدٍّ خيرٌ من خُلْف. وإذا حُدِّثتم فَعُوا، وإذا حَدَّثتم فأوجزوا؛ فإن مع الإكثار تكون الأهذار[6]. وأشجعُ القوم العَطُوف بعد الكَرّ، كما أنَّ أكرم المنايا القتل. ولا خير فيمن لا رَوِيَّةَ له عند الغضب، ولا مَن إذا عُوتِب لم يُعتِب[7]. ومن الناس مَن لا يُرجى خيرُه، ولا يُخافُ شرُّه؛ فبَكْؤه[8] خيرٌ من دَرِّه، وعقوقُه خيرٌ من بِرِّه. ولا تتزوّجوا في حَيِّكم فإنه يؤدّي إلى قبيح البُغض.

---

(١) الخورنق: قصر للنعمان في العراق.
(٢) الينبوت: النبات الغض.
(٣) الحاج: الشوك.
(٤) زلفة: المنزلة والدَّرجة.
(٥) الشَّنوف: ما عُلِّق في فوق الأذن مفردها الشَّنف.
(٦) الأهذار: الكلام الساقط المنحط.
(٧) لم يعتب: لم يرضَ، لأن العُتبَى هي الرضى.
(٨) بكؤه: قطعه وبتَّه.

صـوت

لِـمَـنِ الـدّيـارُ بـبُـرْقـةِ الـرَّوحـان إذ لا نَـبـيـع زمـانَـنـا بِـزمـانِ
صـدَع الـغـوانـي إذ رَمَـيـنَ فـؤادَه صَـدْعَ الـزُّجـاجـة مـا لـذاك تَـدانـي
إن زرتُ أَهـلَـكِ لـم أُنـوَّلْ حـاجـةً وإذا هـجـرتُـكِ شـفَّـنـي هِـجـرانـي

[الكامل]

الشعر لجرير يهجو الأخطل ويردّ عليه حكومتَه التي حكم بها للفرزدق عليه. والغناء، فيما ذكره عليّ بن يحيى المنجِّم في كتابه الذي لقَّبه بالمحدَث، لمعبدٍ ثقيلٌ أَوّل بالوسطى، وذكر الهشاميّ أَنه لحنَين، قال ويقال: إنه لمبعد. وفيه ليزيد حَوراء لحنٌ ذكره عبد الملك بن موسى عنه، وقال: لا أَدري أَهو الثقيل الأوّل أم خفيف الرمل. وذكر حَبشٌ أنّ الثقيل الأوّل للغريض وأَنّ خفيف الرمل بالبنصر للدلّال.

* * *

ذكر الخبر عن السبب
في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل

سبب التهاجي بين جرير والأخطل:

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبَّاس اليزيديّ قالا حدثنا أَبو سعيد السكّريّ عن محمد بن حبيب عن أَبي عُبَيدة وعن أَبي غسَّان دَماذٍ عن أَبي عُبَيدة، وأَخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أَبو ذَكوان القاسم بن إسماعيل قال حدثنا أَبو غسَّان عن أَبي عُبيدة، وأَخبرنا الصُّوليّ عن إبراهيم بن المُعَلَّى الباهليّ عن الطوسي عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ، وقد جمعتُ رواياتهم. قال أَبو عُبيدة حدثني عامر بن مالك المِسمَعيّ قال:

كان الذي هاج التّهاجيَ بين جريرٍ والأخطل أنَّه لمَّا بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالكٍ ـ وهو أَكبر ولده وبه كان يُكنى ـ: انحدِر إلى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما. فانحدر مالكٌ حتى لقيهما وسمع منهما ثم أَتى أَباه. فقال له: كيف وجدتهما؟ قال: وجدتُ جريراً يغرِف من بَحر، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل: الذي يغرِف من بحرٍ أشعرهما؛ وقال يفضِّل جريراً على الفرزدق:

إنّي قضيتُ قضاءً غيرَ ذي جَنَفٍ ... لَمَّا سمعتُ ولمَّا جاءني الخبرُ

أنَّ الفرزدقَ قد شالت نَعامتُه ... وعضَّه حيَّةٌ من قومه ذَكَرُ

[البسيط]

وفي رواية ابن الأعرابيّ «قد سال الفُراتُ به». قال أَبو عبيدة: ثم إن بِشرَ بن مروان دخل الكوفة، فقدِم عليه الأخطل، فبعث إليه محمد بن عُمَير بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة بألف درهم وكُسوة وبَغلة وخَمر، وقال له: لا تُعِنْ على شاعرنا، واهجُ هذا الكلبَ الذي يهجو بني دارم؛ فإنك قد قضيتَ على صاحبنا، فقُلْ أَبياتاً واقضِ لصاحبنا عليه. فقال الأخطل:

أجـريـرُ إنَّـكَ والـذي تـسـمـو لـه ... كـأَسـيـفـةٍ[١] فـخـرَتْ بـحِـدْجِ حَـصـانِ[٢]
عَـمِـلـتْ لـربَّـتـهـا فـلـمَّـا عُـولِـيـتْ ... نَـسَـلَـتْ تـعـارضـهـا مـع الـرُّكـبـانِ
أَتَـعُـدُّ مـأثـرةً لـغـيـرك فـخـرُهـا ... وثـنـاؤهـا فـي سـالـف الأزمـانِ
تـاجُ الـمـلـوك وفـخـرهـم فـي دارمٍ ... أَيَّـام يَـربـوع مـع الـرُّعـيـانِ
[الكامل]

وهي طويلة يقول فيها:

فـاخـسَـأْ إلـيـك كُـلَـيـبُ إنَّ مُـجـاشـعـاً ... وأبـا الـفـوارس نَـهـشَـلاً أَخَـوانِ
سـبـقـوا أبـاك بـكـلّ أعـلـى تَـلـعـةٍ ... فـي الـمـجـد عـنـد مَـواقـف الـرُّكـبـانِ
قـومٌ إذا خَـطَـرت عـلـيـك قُـرومُـهـم ... ألـقـتـكَ بـيـن كَـلاكِـلٍ وجِـرانِ
وإذا وضـعـتَ أبـاك فـي مـيـزانـهـم ... رجَـحـوا وشـال[٣] أبـوك فـي الـمـيـزانِ

وقال جرير يردّ حكومة الأخطل:

لـمـنِ الـدّيـارُ بـبـرقـةِ الـرَّوحـان ... إذ لا نَـبـيـعُ زمـانَـنـا بـزمـانِ

وهي طويلة يقول فيها:

يـا ذا الـغـبـاوة إنَّ بِـشـراً قـد قـضـى ... ألَّا تـجـوزَ حـكـومـةُ الـنَّـشـوانِ
فـدَعـوا الـحـكـومـة لَـستُـمُ مـن أهـلـهـا ... إنَّ الـحـكـومـة فـي بـنـي شـيـبـانِ
قـتـلـوا كُـلَـيـبَـكُـمُ بـلِـقـحَـةِ جـارهـم ... يـا خُـزْرَ تَـغـلِـبَ لـسـتُـمُ بِـهِـجـانِ
[الكامل]

قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها:

وممَّا غُنّي فيه من نقائص جرير والأخطل:

صـوت

أَنـاخـوا فـجـرُّوا شـاصِـيـاتٍ كـأنَّـهـا ... رجـالٌ مـن الـسـودان لـم يَـتَـسـربَـلـوا
فـقـلـتُ اصـبَـحُـونـي لا أبـا لأبـيـكـمُ ... ومـا وضـعـوا الأثـقـالَ إلَّا لـيـفـعـلـوا

(١) الأسيفة: الأمة أو الوضيعة الأصل.
(٢) حَصان: المرأة العفيفة المحصنة.
(٣) شال: رجح.

تمرُّ بها الأيدي سنيحاً وبارحاً وتُرفَعُ باللهمَّ حيَّ وتُنزَلُ

[الطويل]

الشاصيات: الشائلات القوائم من امتلائها. وعنى بالشاصيات هاهنا الزِّقاق، لأنها إذا امتلأت شالت أكارعُها؛ يقال: شَصا برجلِه إذا رفعها، وشَصا ببصره إذا شخص؛ قال الراجز يصف الشاخصَ:

وبقرٍ خِمصاصِ يَنظُرنَ من خَصاصِ
بأعيُنٍ شواصي كفِلَقِ الرَّصاصِ

[الرجز]

والسانح والسنيح: ما جاء عن يمينك يريد شمالك. والبارح: ما جاء عن شِمالك يريد يمينك. والجابهُ: ما جاء من أَمامك مواجهاً لك. والقَعيدُ والخفيفُ: ما جاء من ورائك. شبَّه دَورَ الكأس واختلافها بينهم بالسوانح والبوارح. الشعر للأَخْطل. والغناء لمالك، فيه لحنان كلاهما له، أحدُهما رملٌ بالبنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الوِلاء من رواية إسحاق، والآخر خفيفُ رملٍ بالوسطى في الثالث ثم الأوّل والثاني عن عمرو. وذكر عمرو أنّ الرملَ أَيضاً لابن سُرَيج وأنه بالوسطى. وفيه لإبراهيم رملٌ بالبنصر في الأوّل والثاني عن الهشاميّ وعمرو وفيه لابن مُحرِز خفيفُ ثقيلٍ أوَّل بالبنصر عن عمرو والهشاميّ.

ومنها:

صوت

خَفَّ القَطينُ فراحوا منك أو بَكَروا وأزعجتْهم نَوًى في صرفها غِيَرُ
كأنّني شاربٌ يوم استُبِدَّ بهم من قَرقُفٍ ضُمِّنَتها حمصُ أو جَدَر
جادت بها من ذوات القارِ مُترَعةٌ كَلفاءُ يَنحَتُّ من خُرطومها المَدَر
يا قاتل اللَّهُ وَصلَ الغانيات إذا أيقنَّ أَنك ممن قد زها الكِبَرُ
أعرَضنَ لمَّا حنى قَوسي مُوَتِّرُها وابيضَّ بعد سواد اللِّمَّةِ الشَّعَرُ

[البسيط]

استُبِدَّ بهم أَي عُليَ عليهم. والقرقف: التي تأخذ شاربَها رعدة لشِدَّتها. والكَلفاء: الخابيةُ في لونها كَلَفٌ. وقوله: «زها الكِبَرُ» يعني استخفَّه وأضعفه؛ يقال: زهاه وازدهاه. وقال أَبو عُبَيدة: الأصل في زهاه رفعه؛ فكأنه أراد أَنه رفعه في علوّ سنِّه عمَّا يرِدن منه. واللِّمَّة: الشعر المجتمع.

الشعر للأخطل يمدَح عبد الملك بن مَروان ويهجو قَيساً وبني كُلَيب، ويقول فيها:

أَمَّا كُلَيبُ بنُ يَربوعٍ فليس لها ... عندَ التفاخر إيرادٌ ولا صَدَرُ
مُخَلَّفون ويقضي الناسُ أَمرهُمُ ... وهم بغيبٍ وفي عَمياءَ ما شعروا
مُلَطَّمون بأعقار[1] الحِياض فما ... ينفكُّ من دارِميّ فيهمُ أَثَرُ
بئس الصُّحاةُ وبئس الشَّربُ شربُهمُ ... إذا جرى فيهم المُزَّاء والسَّكَرُ
قومٌ تناهت إليهم كلُّ مُخزيةٍ ... وكلُّ فاحشةٍ سُبَّت بها مُضَرُ
الآكلون خبيثَ الزَّادِ وحدهُمُ ... والسائلون بظَهر الغَيب ما الخبرُ

[البسيط]

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدَّمه ومما غُلِّب فيه على جرير. وقد احتاج جريرٌ إلى سلخ بيته هذا الأخير فردَّه عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة، وضمنه بيتين من شعره فقال:

الآكلون خبيثَ الزَّاد وحدهمُ ... والنازلون إذا واراهمُ الخمَرُ
والظاعنون على العمياء إن رحلوا ... والسائلون بظهر الغيب ما الخبرُ

[البسيط]

وفي هذه القصيدة يقول الأخطل يمدح عبد الملك:

إلى امرئ لا تعرّينا نوافله ... أظفَره اللَّه فليَهنئْ له الظَّفَرُ
ألخائضُ الغَمر والميمون طائرُه ... خليفة اللَّه يُستَسقى به المطرُ
والهَمُّ بعد نجيّ النفس يبعثه ... بالحَزم والأصمعان القلبُ والحَذَرُ
وما الفُراتُ إذا جاشتْ غواربه ... في حافَتَيه وفي أَوساطه العُشَرُ
وزعزعته رياحُ الصيف واضطربت ... فوق الجَآجئ[2] من آذيّه غُدُرُ
مُسحَنفِر[3] من جبال الروم يستره ... منها أكافيفُ[4] فيها دونه زَوَرُ[5]
يوماً بأجوَدَ منه حين نسأله ... ولا بأجهرَ منه حين يُجتَهَرُ

(١) أعقار: مفردها عُقُر، وهو الحوض حيث تقف الإبل إذا وردته.
(٢) الجآجئ: مفردها جؤجؤ وهو الصدر.
(٣) مسحنفر: سريع الجري.
(٤) أكافيف: حروف الجبل الناتئة في جنبيه.
(٥) زور: قَيْل.

في نَبعةٍ[١] من قُرَيشٍ يعصِبون بها ما إن يُوازَى بأعلى نَبتها الشجرُ
حُشدٌ على الخير عَيَّافو[٢] الخَنا أُنُفٌ إذا ألمتْ بهم مكروهةٌ صبروا
لا يَستقِل ذوو الأضغان حربَهمُ ولا يُبَيِّنُ في عيدانهم خَوَرُ
شُمسُ[٣] العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قَدَروا
[البسيط]

مدح الرشيد بيتاً للأخطل:

أَخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال حدثنا عليّ بن الصبَّاح عن أَبيه:

أَنَّ الرشيد قال لجماعة من أهله وجلسائه: أيُّ بيت مُدِح به الخلفاءُ منَّا ومن بني أُمَيَّة أفخرُ؟ فقالوا وأكثروا. فقال الرشيد: أمدَحُ بيتٍ وأفخرُه قولُ ابن النَّصرانية في عبد الملك:

شُمسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناس أَحلاماً إذا قدروا
[البسيط]

أَخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال:

قال المهديّ يوماً وبين يديه مَروان بن أَبي حَفصة: أَين ما تقوله فينا من قولك في أَمير المؤمنين المنصور:

له لحظاتٌ عن حِفافَيْ سريره إذا كرّها فيها عِقابٌ ونائلُ
[الطويل]

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال: هيهاتَ واللَّه يا أَمير المؤمنين أَن يقول هذا ولا ابنُ هَرمة كما قال الأخطل:

شُمسُ العداوة حتى يُستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قَدَروا
[البسيط]

قال: فغضب المهديّ حتى استشاط وقال: كذب واللَّه ابنُ النَّصرانية العاضُّ بَظر

(١) نبعة: نوع من الشجر وهو من أحسنه وأجوده.
(٢) عيَّافو: كارهو.
(٣) شُمس: مفردها شَموس، وهو الرجل العسير في عداوته، والشديد المخاصمة على من عاداه.

أُمّه وكذبتَ يا عاضَّ بَظر أُمّك! واللَّه لولا أَن يقال: إني خَفَرتُ[١] بك لعرّفتك مَن أكثرُ شعراً! خذوا برجل ابن الفاعلة فأَخرجوه عنّي! فأخرجوه على تلك الحال، وجعل يشتُمه وهو يُجَرُّ ويقول: يا ابنَ الفاعلة! أراها في رؤوسكم وأنفسكم!.

صـوت

إنِّـي أَرِقـتُ ولـم يَـأْرَقْ مـعـي صـاح ... لِـمُـسـتَـكـفٍّ بُـعَـيـدَ الـنَّـوم لَـوَّاحِ
دانٍ مُـسِـفٌّ فُـوَيـقَ الأرض هَـيـدَبُـه[٢] ... يـكـاد يـدفـعـه مَـن قـام بـالـرَّاح
[البسيط]

عروضه من البسيط. الشعر لأوس بن حجر ـ وهكذا رواه الأصمعيّ، أخبرنا بذلك اليزيديّ عن الرَّياشيّ عنه، ووافقه بعض الكوفيين، وغير هؤلاء يرويه لعَبِيدِ بن الأبرص ـ والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ولحسين بن مُحرز لحنٌ في البيت الثاني وبعده:

إنْ أَشرَب الـخـمـرَ أو أُغـلـى بـهـا ثـمـنـاً ... فـلا مـحـالـةَ يـومـاً أنـنـي صـاح
[البسيطَ]

وطريقته خفيف رمل بالوسطى.

قوله: مُستَكفّ: يعني مستديراً؛ وكلُّ طُرّة كِفَّة. أَخبرنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثنا الرياشيّ قال حدثنا الأصمعيّ قال سمعت أَبا مهديّ يقول وهو يصف شجاعاً[٣] عرض له في طريقه: تبعني شجاعٌ من هذه الشجعان، فمرّ خلفي كأنه سهمٌ زالج، فحدتُ عنه، واستكفّ كأنه كُفَّةُ حابلٍ، فرميته فنظرت ثلاثة أثنائه. وكذلك يقال كُفَّة الحابل وكِفَّة الميزان بالكسر، والأولى مضمومة. ولوَّاح: من قولهم لاحَ يلوح إذا ظهر. ومسفّ: قد أَسَفّ على وجه الأرض إذا صار عليها أَو قرُب منها أَو دنا إليها؛ ومن هذا يقال: أَسَفّ الطائر إذا طار على وجه الأرض؛ ويقال ذلك للسهم أيضاً. وهَيدَبه: الذي تراه كالمتعلِّق بالسحاب. يقول: هذا السحاب يكاد من قام أَن يمسه ويدفعه براحته لقربه من الأرض؛ وهو أحسن ما وُصِف به السحاب.

* * *

(١) خفرت: خفرت بك أي أمَّنتُك أو أجَرتُك.
(٢) الهيدب: هو خمل الثوب، أو السحاب المتدلّي.
(٣) الشجاع: هو ضرب من الأفاعي.

ذكر أوس بن حجر وشيء من أخباره

نسبه ومنزلته في الشعر:

وقد اختُلِف في نسبه، فقال الأصمعيّ، فيما أَخبرنا به محمد بن العبَّاس اليزيديّ عن الرياشيّ عنه: هو أَوسُ بن حجرِ بن مالك بن حَزن بن عُقَيل بن خَلَف بن نُمَير وقال ابن حبيب، فيما ذكره السكَّريّ عنه: هو أوس بن حجر من شعراء الجاهلية وفحولها. وذكر أَبو عبيدة أَنه من الطبقة الثالثة، وقرَنه بالحُطَيئة ونابغة بني جَعدة.

فأخبرني أَحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبَّة قال: قال أَبو عبيدة حدثنا يونس عن أَبي عمرو قال:

كان أَوسٌ شاعرَ مضر حتى أسقطه النابغةُ وزُهَير، فهو شاعر تَميم في الجاهليَّة غير مُدافَع.

أَخبرنا أَحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا عمرو يقول: كان أَوس بن حَجَرٍ فحلَ الشعراء؛ فلمَّا نشأ النابغة طأطأ منه. وأمَّا الكلبيّ فإنه زعم أنَّ من هذه الطبقة لَبيدَ بن رَبيعة والشَّمَّاخ بن ضِرار. قال: وتميم إلى الآن مقيمةٌ على تقديم أَوس. قال: ومنهم من يقول بتقديم عديّ؛ وأَنشد لحارثةَ بن بَدرٍ الغُدانيَّ:

والشِّعرُ كان مَبيتُه ومَظَلُّه عند العِباديّ الذي لا يُجهَلُ

[الكامل]

وقال يعقوب بن سليمان قال حمَّاد: أدركتُ رجالاً من بني تميم لا يفضِّلون على عديّ في الشعر أَحداً.

أخبرني اليزيديّ عن الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: تميم تروي هذه القصيدَة الحائيَّة لعبيدٍ، وذلك غلطٌ: ومن الناس من يخلطها بقصيدته التي على وزنها ورويِها لتشابههما.

تمثلت فتاة أعرابية بشعر له في السحاب:

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أَخبرنا أَبو سعيدٍ السُّكَّريّ قال حدثنا

عليّ بن الصبَّاح قال حدثني عُبَيد اللَّه بن الحسين بن المسوّد بن وَردان مولى رسول اللَّه ﷺ قال:

خرج أعرابيٌّ مكفوف ومعه ابنة عمٍّ له لِرَعي غنم لهما. فقال الشيخ: أجد ريحَ النَّسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظري. فقالت: أراها كأنها رَبرَبُ مِعزَى هَزلى. قال: ارعيْ واحذري. ثم قال لها بعد ساعة: إني أجد ريح النسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظري. قالت: أراها كأنها بغالٌ دُهمٌ تجرّ جلالها. قال: ارعيْ واحذري. ثم مكث ساعةً ثم قال: إني لأجد ريح النسيم قد دنا، فانظري. قالت: أراها كأنها بطن حمارٍ أصحَر. فقال: ارعَيْ واحذري. ثم مكث ساعةً فقال: إني لأجد ريح النسيم، فما ترين؟ قالت: أراها كما قال الشاعر:

دانٍ مُسِفٍّ فويق الأرض هيدبُه ... يكاد يدفعه مَن قام بالراحِ
كأنما بين أعلاهُ وأسفله ... ريطٌ مُنَشَّرةٌ أو ضوءُ مصباح
فمنْ بمحفِله كمن بنَجوته ... والمُستكنّ كمَن يمشي بقِرواح

[البسيط]

فقال: انجي لا أبا لك! فما انقضى كلامُه حتى هطلت السماء عليهما.

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعيّ.

معنى قول الجارية «كأنها بطن حمار أصحر»: تعني أَنه أبيض فيه حمرة. والصحرة لونٌ كذلك. وقوله: «فمن بمحفله كمن بنجوته»: يعني مَن هو بحيث احتفل السيلُ ـ واحتفالُ كل شيء مُعظَمُه ـ كمن في نجوته. وقد روي «بمحفشه»، وهما واحد، ومعناهما مجرى معظم السيل. يقول: فمن هو في هذا الموضع منه كمن بنجوته (أَي ناحية عنه) سواءً لكثرة المطر. والقِرواح: الفضاء؛ يقال قِرواحٌ وقِرياحٌ. ويقال في معنى المحفِش: حفشت الأودية إذا سالت، وتحفَّشت المرأة على ولدها إذا قامت عليه.

كان يسير ليلاً فصرعته ناقته:

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني عليّ بن أبي عامر السَّهميّ المِصريُّ قال حدثني أَبو يوسف الأصبهانيّ قال حدثني أبو محمد الباهليّ عن الأصمعيّ، وذكر هذا الخبر أيضاً التَّوّزيّ عن أبي عُبَيدة، فجمعت روايتيهما، قالا:

كان أَوس بن حجر غزِلاً مغرماً بالنساء؛ فخرج في سفر، حتى إذا كان بأرض بني أَسدٍ بين شَرجٍ وناظرة، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقته فصرعته فاندقَّت

فخذاه فبات مكانه؛ حتى إذا أصبح غدا جَواري الحيّ يجتنين الكمأة وغيرَها من نبات الأرض والناسُ في ربيع. فبينا هنّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجول وقد علِق زمامها في شجرة وأبصرنه مُلقًى، ففزعن فهربن. فدعا بجارية منهن فقال لها: مَن أَنت؟ قالت: أَنا حليمة بنت فضالة بن كَلَدة، وكانت أصغرهن، فأعطاها حجراً وقال لها: اذهبي إلى أبيك فقولي له: ابنُ هذا يُقرِئك السلام. فأخبرته فقال: يا بنيَّة، لقد أتيت أباكِ بمدح طويل أو هجاء طويل. ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيته حيث صُرع وقال: واللَّه لا أتحوّل أبداً حتى تبرأ؛ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقلّ. فقال أَوس بن حجر في ذلك:

جُدِلت[1] على ليلةٍ ساهرهْ ... بصحراء شَرج إلى ناظرهْ
تُزادُ لياليّ في طولها ... فليست بطَلقٍ[2] ولا ساكرَهْ[3]
أنوءُ برجل بها ذِهنُها ... وأعيتْ بها أُختُها الغابرَهْ

[المتقارب]

وقال في حليمةَ:

لعمرُك ما ملَّت ثَواءَ ثَويّها[4] ... حليمةُ إذ أَلقى مَراسيَ مُقعَدِ
ولكن تلقَّت باليدين ضمانتي ... وحلَّ بشرجٍ مِ القبائلِ عُوَّدي
ولم تُلهِها تلك التكاليفُ إنَّها ... كما شئتَ من أُكرومةٍ وتخرُّدِ[5]
سأَجزيكِ أو يَجزيك عنّي مُثَوَّبٌ ... وقَصرُكِ أن يُثنى عليكِ وتُحمَدي

[الطويل]

رثى فضالة بن كلدة حين مات:

قالا: ثم مات فَضالةُ بن كَلَدةَ، وكان يُكنى أبا دُلَيجة، فقال فيه أَوس بن حَجَرٍ يرثيه:

يا عينُ لا بدّ من سَكبٍ وتَهمالِ ... على فضالةَ جَلّ الرُّزءُ والعالي

[البسيط]

---

(١) جُدِلت: صُرِعتُ.
(٢) طَلْق: ليلة طلق تكون معتدلة المناخ لا حرّ فيها ولا قرّ ولا مطر ولا برد.
(٣) ساكرة: ساكنة بعد الهبوب وهي للريح.
(٤) ثواء ثويها: إقامة ضيفها.
(٥) التخرُّد: الحياء.

ويروى «عَينَيّ». العالي: الأمر العظيم الغالب. وهي طويلة جدّاً. وفيها مما يغنَّى فيه:

صـوت

أبـا دُلَـيـجـة مَـن تُـودي بـأرمـلـةٍ أم مَن لأشعَثَ[١] ذي طِمرَينِ[٢] مِمْحالِ[٣]
أبـا دُلـيـجـة مَـن يـكـفـي الـعـشـيـرةَ إذ أمـسَـوْا مـن الأمـر فـي لَـبـسٍ وبَـلـبـالِ[٤]
لا زال مِـسـكٌ ورَيـحـانٌ لـه أَرَجٌ عـلـى صَـداكَ بـصـافـي الـلَّـون سَـلـسـالِ

[البسيط]

غنّى فيه دَحمان خفيفَ رمل بالوسطى عن عمرو. وذكر حبش أَنّ فيه لابن عائشة رملاً بالوسطى عن عمرو وذكر حبش أنَّ فيه لابن عائشة رملاً بالبنصر، ولداود بن العبَّاس ثاني ثقيل، ولابن جامع خفيف ثقيل.

ومن فاضل مراثيه إياه ونادرها قوله:

أَيَّـتـهـا الـنـفـسُ أَجـمـلـي جَـزَعَـا إنَّ الـذي تَـكـرَهـيـن قـد وقـعَـا
إنَّ الـذي جَـمَّـع الـسـمـاحـةَ والـ ـنَّـجـدةَ والـحـزمَ والـقُـوَى جُـمَـعَـا
ألـمـخـلِـفَ الـمُـتـلِـفَ الـمُـرَزَّأَ[٥] لـم يُـمـتَـعْ بـضَـعـفٍ ولـم يَـمُـتْ صَـبِـعَـا
أودَى وهـل تـنـفـع الإشـاحـةُ[٦] مِـن شـيء لـمـن قـد يُـحـاول الـبِـدَعَـا

[المنسرح]

وهي قصيدة أيضاً يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته. وله فيه قصائد غير هذه.

صـوت

رأيـتُ زُهـيـراً تـحـت كـلـكـلِ خـالـدٍ فـأقـبـلـتُ أسـعـى كـالـعَـجـولِ أُبـادِرُ

(١) أشعث: متلبد الشعر مغبَّر الرأس لقلَّة عهده بالتزين والاستحداد.
(٢) ذو طمرين: ذو ثوبين، لأن الطِمر هو الثوب.
(٣) مِمحال: مُجدِبٌ مُقفِر، يريد أنه فقير مُعَدم.
(٤) بَلبال: البلبال هو البُرحاء في الصَّدر.
(٥) المرزَّأ: الذي تناله الرزيّات في ماله لكثرة سؤاله وعطائه للناس.
(٦) الإشاحة: أخذ الحَذَر.

فـشَـلَّـتْ يـمـيـنـي يـوم أضـرِبُ خـالـداً ويـمـنـعـه مـنـي الـحـديـدُ الـمُـظـاهَـرُ

[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر لوَرقاء بن زُهَير. والغناء لكَردَم، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أنه لمبعدٍ، وذكر إسحاق أنه ينسبه إلى معبد من لا يعلم، وروى عن أَبيه عن سِياط عن يونس أنه أخذه من كردَمٍ وأعلمه أن الصنعة فيه له.

* * *

خبر ورقاء بن زهير
ونسبه وقصة شعره هذا

هو وَرقاء بن زُهَير بن جَذيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيعة بن عَبس بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان، يقوله لمَّا قتل خالد بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَةَ، أباه زهَير بن جَذيمة. وكان السبب في ذلك ـ فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نَصر قالا حدثنا عمر بن شبَّة، ونسخت بعضَ هذا الخبر عن الأثرم وروايةِ ابن الكلبيّ، وأضفتُ بعض الروايات إلى بعض إلَّا ما أفردته وجلبته عن راويه. قال أبو عُبَيدة حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد اللَّه بن رافع بن مالك بن عَبد بن جُلهُمة بن حَدّاق بن يَربوع بن سَعد بن تَغلِب بن سَعد بن عَوف بن جِلَّان بن غَنْم بن أَعصُر، قال حدثني أَبي عبد الواحد وعمي صَفوان ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد اللَّه عمن أدرك شَأْسَ بن زهَير. قال: كان مولد عاصم قبل مبعث النبيّ ﷺ، وكان عاصم جاهليّاً. قال: وقال عبد الحميد حدثني سيَّار بن عمرو أحد بني عُبَيد بن سَعد بن عَوف بن جِلَّان بن غَنْم ـ قال أبو عبيدة: وكان أعلَمَ غَنِيٍّ ـ عن شيوخهم ـ:

أن شأْسَ بن زهَير بن جذيمة أقبل من عند ملك ـ قال أبو عُبَيدة: أَراه النعمان ـ وكان بينه وبين زهَير صِهر ـ قال أبو عبيدة: ثم حدثني مرَّة أخرى قال: كانت ابنةُ زُهَير عنده ـ فأقبل شأس بن زهير من عنده وقد حَباه أفضل الحُبوة مِسكاً وكُساً وقُطْفاً وطنافسَ، فأناخ ناقته في يوم شَمالٍ وقُرٍّ على رَدهةٍ في جبلٍ ورِياحُ بن الأسَكِّ أحدُ بني رباع بن عبيد بن سَعد بن عَوف بن جِلَّان على الرَّدهة ليس غيرُ بيته بالجبل؛ فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت؛ فاستدبره رياحٌ فأَهوى له بسهم فبتر به صُلبَه. قال أبو عبيدة وحدثني رجل يُخيَّل إليَّ أنه أبو يحيى الغَنَويّ قال: ورد شأس وقد حباه[1] الملك بحبوةٍ فيها قطيفةٌ حمراء ذات هُدب وطِيبٌ، فورَد مَنعِجاً وعليه خِباءٌ

(١) حباه: أعطاه بلا جزاء.

مُلقًى لرياح بن الأسكّ فيه أهله في الظَّهيرة؛ فأَلقى ثيابَه بفنائه ثم قعد يُهريقُ عليه الماء، والمرأة قريبةٌ منه (يعني امرأة رياح) فإذا هو مثل الثور الأبيض. فقال رياح لامرأته: أَنطيني قوسي؛ فمدّت إليه قوسه وسهماً، وانتزعت المرأة نَصله لئلا يقتله؛ فأهوى عَجلان إليه فوضع السهمَ في مُستَدَقِّ الصُّلب بين فَقارتين ففصلهما، وخرّ ساقطاً؛ وحفر له حَفَراً فهدمه عليه، ونحر جمله وأكله. قال: وقال عبد الحميد: أكل رَكوبته وأولج متاعَه بيته. وقال عبد الحميد: وفُقِد شَأْسٌ وقُصَّ أثرهُ ونُشِد، وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله. فقال لهم الملك: حبوته وسرَّحته. فقالوا: وما متَّعته به؟ قال: مِسكٌ وكُساً ونُطوعٌ وقُطْفٌ. فأقبلوا يقصُّون أثره فلم تتَّضح لهم سبيله. فمكثوا كذلك ما شاء اللَّه، لا أدري كم، حتى رأوا امرأة رياح باعت بعُكاظَ قطيفةً حمراء أو بعض ما كان من حِباء الملك، فعُرِفت وتيقَّنوا أن رياحاً ثَأرُهم. قال أبو عُبيدة: وزعم الآخر قال: نَشَد[١] زهَير بن جذيمة الناسَ، فانقطع ذكره على مَنعج وسَطَ غنيّ، ثم أصابت الناسَ جانحة وجوعٌ، فنحر زهَير ناقةً، فأعطى امرأةً شَطَّيها[٢] فقال: اشتري لي الهُدبَ والطِّيبَ. فخرجت بذلك الشحم والسَّنام تبيعه حتى دفعت[٣] إلى امرأة رِياح، فقالت: إنّ معي شحماً أبيعه في الهُدبِ والطِّيب؛ فاشترت المرأة منها. فأتت المرأةُ زهيراً بذلك، فعرف الهُدبَ فأتى زهير غَنِيّاً، فقالوا: نعم! قتله رياح بن الأسكّ، ونحن بُرَآء منه. وقد لحق بخاله من بني الطمَّاح وبني أسد بن خُزَيمة، فكان يكون الليل عنده ويظهر في أبانَ إذا أحسَّ الصبحَ، يرمي الأروى[٤]؛ إلى أن أصبح ذات يوم وهو عنده وعَبسٌ تُريغُه[٥]. فركب خاله جملاً وجعله على كِفل[٦] وراءه. فبينا هو كذلك إذ دنَتْ، فقالوا: هذه خيل عَبسٍ تطلبك. فطمر في قاع شجر فحفر في أصل سُوقه. ولقيت الخيل خاله فقالوا: هل كان معك أحد؟ قال لا. فقالوا: ما هذا المَركبُ وراءك؟ لَتُخبرَنا أو لنقتلنَّك! قال: لا كذِبَ، هو رياح في ذلك القاع. فلما دنوْا منه قال الحُصَينان: يا بني عَبسٍ دعونا وثأْرَنا، فخنسوا[٧] عنهما. فأخذ رياح نَعلَين من سِبتٍ[٨] فصيّرهما على صدره حِيالَ كبده، ونادَى: هذا غزالكما الذي تبغيان. فحمل عليه أحدهما فطعنه، فأزالت النعلُ الرمحَ إلى حيث شاكلته، ورماه

(١) نشد: سأل النَّاس بإلحاح.
(٢) شطَّيها: جانبي سنامها.
(٣) دفعت: وصلت وانتهت.
(٤) الأروى: جمع للأروية وهي أنثى الوعول.
(٥) تريغه: تطلبه.
(٦) الكِفل: قطعة مستديرة من الخرق توضع على سنام البعير.
(٧) خنسوا: تراجعوا وتنحّوا.
(٨) السِّبت: الجلد المدبوغ.

رياحٌ مُوَلِّياً فجذَمَ[١] صُلبَه. قال: ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغنِ شيئاً، ورماه مُوَلِّياً فصرعه. فقالت عَبسٌ: أين تذهبون إلى هذا! واللَّه ليقتلنّ منكم عددَ مَراميه، وقد جرحاه فسيموت. قال: وأخذ رياح رُمَحيهما وسَلَبَيهما وخرج حتى سند إلى أبانَ. فأتته عجوزٌ وهو يَستَدمي[٢] على الحوض ليشرب منه وقالت: استأْسِر تحيَ؛ فقال: جنِّبيني[٣] حتى أشرب. قال: فأبت ولم تَنتهِ. فلما غلبته أخذ مِشقَصاً[٤] وكنَّع[٥] به كُرسوعَي[٦] يديها. قال: فقال عبد الحميد: فلما استبان لزهير بن جَذيمة أنَّ رياحاً ثَأْرُه قال يرثي شأساً:

رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس:

بكيتُ لشأسٍ حين خُبِّرتُ أنه ... بماء غَنِيٍّ آخرَ الليلِ يُسلبُ
لقد كان مَأْتاهُ الرّداهَ لحَتفه ... وما كان لولا غِرَّةُ الليلِ يُغلَبُ
قتيلُ غَنِيٍّ ليس شَكلٌ كشكله ... كذاك لعمري الحينُ للمرء يُجلَبُ
سأبكي عليه إن بكيتُ بعَبرةٍ ... وحُقَّ لشأسٍ عَبرةٌ حين تُسكَبُ
وحزنٌ عليه ما حييتُ وعولةٌ ... على مثل ضوء البدر أو هو أعجبُ
إذا سِيمَ ضَيماً كان للضيم منكراً ... وكان لدى الهيجاء يُخشى ويُرهَبُ
وإن صوّتَ الداعي إلى الخير مرّةً ... أجاب لِما يدعو له حين يُكرَبُ[٧]
ففَرّج عنه ثم كان وليَّه ... فقلبي عليه لو بدا القلبُ مُلهَبُ

[الطويل]

وقال زهير بن جَذيمة حين قُتل شأْس: شأس وما شأس! والبأس وما البأس! لولا مقتلُ شأس، لم يكن بيننا بأس. قال: ثم انصرف إلى قومه، فكان لا يقدر على غَنَويٍّ إلَّا قتله.

قال عبد الحميد: فغزت بنو عَبسٍ غَنِيّاً قبل أَن يطلبوا قَوَداً أو ديةً مع أخي شأس الحُصَين بن زهير بن جَذيمة والحُصَين بن أَسيدِ بن جَذيمة بن أخي زهير. فقيل ذلك لغنيّ؛ فقالت لرياح: انجُ، لعلنا نُصالح على شيء أو نُرضيهم بدية وفِداء. فخرج رياح رَديفاً لرجل مِن بني كلاب ـ وزعم أَبو حيَّة النُّمَيريّ أنه من بني جَعد ـ وكان

(١) جَذَم: قطع بسرعة.
(٢) يستدمي: يطأطئ رأسه يقطر منه الدم.
(٣) جنبيني: تنحّي جانباً.
(٤) مِشقصاً: نصلاً عريضاً.
(٥) كنّع: قطع.
(٦) الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر.
(٧) يكرب: يصيبه الحزن والكرب والغم.

معهما صُحَيفةٌ فيها آراب[١] لحم، لا يريَان إلا أنهما قد خالفا وجهةَ القوم، فأوجفا أيديَهما في الصُّحَيفةِ فأخذ كل واحد منهما وذَرة[٢] ليأكلها، مترادفين لا يقدران على النزول. قال: فمرّ فوق رؤوسهما صُرَد[٣] فصَرصَر، فألقيا اللحمَ وأمسكا بأيديهما وقالا: ما هذا! ثم عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظماً، ومرّ الصُّرَدُ فوق رؤوسهما فصرصر؛ فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا: ما هذا! ثم عادا الثالثة فأخذ كل واحد منهما قطعة، فمرّ الصُّرَدُ فوق رؤوسهما فصرصر، فألقيا القطعتين؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرَّات، فإذا هُما بالقوم أدنى ظَلَم (وأدنى ظَلَم أي أدنى شيء) وقد كانا يظنَّان أنهما قد خالفا وجهة القوم. فقال صاحبهُ لرياح: اذهبْ فإني آتي القوم أُشاغلهم عنك وأُحدّثهم حتى تُعجزهم ثم امضِ إن تركوني. فانحدر رياحٌ عن عَجُز الجمل فأخذ أدراجَه وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضِفَّةً فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه، ثم أخذ نَعلَيه فجعل إحداهما على سُرّته والأخرى على ضفَّتِه ثم شدّ عليهما العمامة، ومضى صاحبه حتى لقي القوم، فسألوه فحدّثهم وقال: هذه غَنِيٌّ كاملة وقد دنوت منهم، فصدّقوه وخَلَّوْا سِرْبَه[٤]. فلمَّا ولَّى رأوا مركب الرجل خلفه، فقالوا: مَن الذي كان خلفك؟ فقال: لا مكذُبة! ذلك رياح في الأوّلِ من السَّمُرات. فقال الحُصَينان لمن معهما: قِفوا علينا حتى نعلم عِلمه فقد أمكننا اللَّه من ثَأرنا، ولم يُريدا أَن يشركهما فيه أحد، فمضيا ووقف القوم عنهما. قالوا قال رياح: فإذا هما ينقلان فرسيهما، فما زالا يُريغاني، فابتدراني فرميتُ الأوّل فبترت صُلبه، وطعنني الآخر قبل أَن أرمي وأراد السُّرّة فأصاب الرّبلَة[٥]، ومرَّ الفرس يَهوي به، فاستدبرتُه بسهم فرشقت به صلبَه فانفقر مُنحنى الأوصال، وقد بترتُ صُلبَيهما. قال أَبو عبيدة قال أبو حيَّة: بل قال رياح: استدبرتُه بسهم وقد خرجت قدمه فقطعتُهما، فكأنما نُشرتْ بمنشار. قال عبد الحميد: وندّ فرساهما فلحقا بالقوم. قال رياح: فأخذت رمحيهما فخرجتُ بهما حتى أتيت رملةً فسندتُ فغرزتُ الرمحين فيها ثم انحدرتُ. قال: وطلبه القوم، حتى إذا رُفِع لهم الرمحان لم يَقرَبوهما عَلِم اللَّه حتى وجدوا أثر رياح خارجاً قد فات. وانطلق رياح خارجاً حتى ورد رَدهةً عليها بيت أنمار بن بَغيض وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها وجملٌ لها راتع في الجبل، وقد مات رياح عطشاً. فلمَّا رأته يستدمي

(١) آراب: قطع اللحم.
(٢) وَذرة: قطعة صغيرة من اللحم لا عظم فيها.
(٣) صُرَد: طائر نصفه أبيض ونصفه أسود، وقد كانت العرب تتشائم من صوته.
(٤) السِّرب: الطريق.
(٥) الرَّبلة: باطن الفخذ.

طَمِعتْ فيه ورجتْ أن يأتيها ابناها، فقالت له: استأسِر. فقال لها: دَعيني ويحكِ أشرب، فأبت. فأخذ حديدة إمَّا سِكِّيناً وإمَّا مِشقَصاً فجذم به رواهِشها[1] فماتت، وعبّ في الماء حتى نَهِل ثم توجّه إلى قومه. فقال رياح فيها وفي الحُصَينين:

قالت ليَ استأْسِرْ لِتَكتِفَني ... حيناً ويعلو قولُها قولي
ولَأنتَ أجرأُ من أُسامة[2] أو ... منّي غداةَ وقفتُ للخيلِ
إذِ الحُصَينُ لدى الحُصَين كما ... عَدَل الرّجازةُ جانبَ المَيلِ

[الكامل]

قال الأثرم: الرّجازة شيءٌ يكون مع المرأة في هودجها، فإذا مال أحدُ الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل. قال أبو عبيدة: يعني حُصَين بن زهير بن جذيمة، وحصين بن أَسيدِ بن جذيمة وهو ابن عمه. قال أبو عبيدة قال عبد الحميد: واللَّه لقد سمعتُ هذا الحديث على ما حدثتك به منذ ستين سنة. قال عبد الحميد: وما سمعتُ أنّ بني عبسٍ أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا، ولا أنذروا، ولا سمعتُ فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا في الجاهلية بأكثر مما أنشدتُك. وإلى هذا انتهى حديثنا وحديثه، ولا واللَّه ما قتل خالدُ بنُ جعفرٍ زُهَير بن جَذيمة في حربنا، غير أنَّ الكُمَيتَ بنَ زَيدٍ الأسديَّ، وكان له أُمّان من غَنِيٍّ، ذكر من مقتل أخواله من غَنِيٍّ في بني عبسٍ ومَن قتلوا من بني نُمَير بن عامر في كلمةٍ له واحدة؛ فلعلَّه لهذا الحديث قالها وذكر إدراكاتِهم وذكر قتل شَبيب بن سالم النُّمَيريّ، فقال في ذلك:

أنا ابنُ غنِيٍّ والدايَ كلاهما ... لِأُمَّينِ فيهم في الفروع وفي الأصلِ
هم استودعوا هوى شبيبَ بن سالم ... وهم عدَلوا بين الحُصَينَين بالنَّبلِ
وهم قتلوا شأسَ المُلوكِ ورَّغموا ... أباه زُهَيراً بالمذلَّةِ والثُّكلِ
فما أدركتْ فيهم جذيمةُ وَترَها ... بما قَوَدٍ يوماً لديها ولا عَقلِ

[الطويل]

قال أبو عبيدة: فذكر عبد الحميد أنه أتى عليهم هُنيهةٌ من الدهر لا أدري كم وقتُ ذلك بعد انصرام أمر شأس. قال: فما زادوا على هذا فهو باطل. قال الأثرم: هُنَيهةٌ من الدهر وهُنيهةٌ وبُرهةٌ وحِقبةٌ بمعنى الدهر.

* * *

(١) رواهشها: الرواهش هو العصب الذي في ظاهر الذراع.
(٢) أسامة: اسم للأسد.

مقتل زهير بن جذيمة العبسي

قتله خالد بن جعفر:

قتله خالد بن جعفر بن كلاب. قال أبو عبيدة قال أبو حيَّة النُّمَيريّ: كان بين انصراف حديثِ شأس وحديث قَتل خالد بن جعفرٍ زُهَير بن جذيمة ما بين العشرين سنةً إلى الثلاثين سنةً. قال أبو عبيدة: وهَوازِن بن منصور لا ترى زهير بن جذيمة إلَّا رَبّاً[١]. قال: وهَوازِن يومئذٍ لا خير فيها؛ ولم تَكثر عامر بن صَعصَعة بَعدُ، فهم أذَلُّ من يدٍ في رحِم، وإنما هم رِعاءُ الشَّاء في الجبال. قال: وكان زهَيرٌ يعشرُهم[٢]، وكان إذا كان أيَّام عُكاظ أتاها زهيرٌ ويأتيها الناسُ من كل وجه، فتأتيه هوازنُ بالإتاوة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسَّمنِ والأقِطِ والغنم؛ وذلك بعد ما خلع ذلك من أبي الجَنَاد أخي بني أُسَيّد بن عمرو بن تميم. ثم إذا تفرّق الناسُ عن عُكاظ نزل زهيرٌ بالنفرات.

قال أبو عبيدة عن عبد الحميد وأبي حَيَّة النُّميريّ قالا: فأتته عجوزٌ رَهِيش[٣] من بني نَصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ـ وقال أبو حيَّة: بل أتته عجوز من هوازن ـ بسمن في نِحيٍ، واعتذرت إليه وشكَت السنين التي تتابعن على الناس. فذاقه فلم يرضَ طَعمه، فدعّها[٤] بقوسٍ في يده عُطُلٍ[٥] في صدرها، فاستلقت لحلاوة القَفا فبدت عورتُها؛ فغضب من ذلك هَوازن وحقدت عليه إلى ما كان في صدرها من الغيظ والدّمَن وأوحَرَها[٦] من الحسك.

حلف خالد بن جعفر أن يقتله:

قال: وقد أَمِرت عامرُ بن صعصعة يومئذٍ؛ فآلى خالد بن جعفر فقال: واللَّه لأجعلنّ ذِراعي وراء عُنقه حتى أُقتَل أَو يُقتَلَ. قال: وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب:

أديـــرونـــي إدارتـــكـــم فـــإنّـــي وَحـذفـة كـالـشَّـجـا تـحـت الـوَريـدِ

---

(١) الرَّب: السيّد والملك والرئيس.
(٢) يعشرهم: يأخذ عُشر أموالهم.
(٣) رهيش: ضعيفة وهزيلة.
(٤) دعَّها: دفعها بشدّة وعنف.
(٥) عُطل: لا وتر عليها.
(٦) أوحرها: جعلها تغضب.

مُـقَـرَّبَـةٌ أُسَـوِّيـهـا بـجـزْءٍ ... وأَلـحـفُـهـا ردائـي فـي الـجَـلـيـدِ
وأُوصـي الـرَّاعِـيَـيـن لـيُـؤثِـراهـا ... لـهـا لـبَـنُ الـخـلِـيَّـةِ[١] والـصَّـعـودِ[٢]
تـراهـا فـي الـغـزاةِ وهـنّ شُـعـثٌ ... كـقُـلـبِ[٣] الـعـاج فـي الـرُّسـغ الـجـديـدِ
يَـبـيـتُ رِبـاطُـهـا بـالـلـيـل كـفِّـي ... عـلـى عُـود الـحـشـيـش وغـيـر عـودِ
لـعـل الـلَّـهَ يُـمـكِـنـنـي عـلـيـهـا ... جِـهـاراً مـن زُهَـيـرٍ أو أَسـيـدِ
فـإمَّـا تَـثـقَـفـونـي فـاقـتُـلـونـي ... فـمـن أَثْـقَـفْ فـلـيـس إلـى خُـلـودِ
وقـيـسٌ فـي الـمَـعـارك غـادرتُـه ... قَـنـاتـي فـي فـوارس كـالأسـودِ
ويَـربـوع بـن غَـيـظٍ يـومَ سـاقٍ ... تـركـنـاهـم كـجـاريـة وئـيـدِ[٤]
تـركـتُ بـهـا نـسـاء بـنـي عُـصَـيـمٍ ... أرامـلَ مـا تـحـنّ إلـى ولـيـدِ
يَـلُـذْنَ بـحـارثٍ جَـزَعـاً عـلـيـه ... يَـقُـلـنَ لـحـارثٍ لـولا تـسـودِ
ومـنّـي بـالـظُّـوَيـلـم[٥] قـارعـاتٌ ... تَـبـيـد الـمُـخـزيـاتُ ولا تَـبـيـدِ
وحَـكَّـتْ بَـركـهـا ببـنـي جِـحـاشٍ ... وقـد أجـرَوْا إلـيـهـا مـن بـعـيـدِ
تـركـت ابـنَـيْ جَـذيـمـةَ فـي مَـكَـرٍّ ... ونَـصـراً قـد تـركـتُ لـهـا شُـهـودي

[الوافر]

وصف مقتله:

قال أبو عُبَيدة وحدثني أبو سرار الغنويّ قال: كان زهيرٌ رجلاً عَدوساً[٦]، فانتقل من قومه ببنيه وبني أخويه زِنباعٍ وأَسيدٍ برَكبةٍ يُريغ الغيثَ في عُشَراواتٍ[٧] له وشَولٍ[٨]. قال: وبنو عامر قريبٌ منهم ولا يُشعَر بهم. قال عبد الحميد وأبو حيَّة: بل بنو عامر بدَمخٍ وزهيرٌ بالنفرات وبينهم ليلتان أو ثلاث. قال: فقال أبو سرَّار: فأتى الحارثُ بني عامر، واللَّه ما تغيّر طعمُ اللَّبن الذي زُوِّده الحارثُ بن عمرو بن الشريد السُّلَميّ حتى أتى بني عامر فأخبرهم. قال أبو عبيدة أَخبرني سليمان بن المزاحم المازنيّ عن أبيه قال: بل كانت بنو عامر بالجريئة وزهير بالنفرات، وكانت تُماضِرُ بنت

(١) الخليَّة: الناقة التي تدرّ اللبن وهي تخلّى للحلب.
(٢) الصَّعود: الناقة التي تسقط ولدها، فتعطف على ولد عام أول فتدرّ عليه.
(٣) القُلب: السِّوار.
(٤) وئيد: الفتاة التي تدفن حيَّة.
(٥) الظويلم: مصغر ظالم.
(٦) العدوس: القوي على سير الليل.
(٧) عشراوات: هي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر ولم تضع بعد.
(٨) الشَّول: مفردها شائلة، وهي الناقة التي خف لبنها وارتفع ضرعها.

عمرو بن الشَّريد بن رِياح بن يقظة بن عُصَيَّة بن خُفافٍ السُّلَميّ امرأة زهير بن جذيمة وهي أُمُّ ولده. فمرّ بها أخوها الحارث بن عمرو. فقال زهيرٌ لبنيه: إنَّ هذا الحمار لطليعةٌ عليكم فأَوثِقوه. فقالت أُخته لبنيها: أيزوركم خالكم فتُوثِقوه وتحرموه! فخَلَّوه. فقالت تُماضِرُ لأخيها الحارث: إنه لَيريبُني اكبئنانُك وقُروبُك، فلا يأخذنّ فيك ما قال زهير؛ فإنه رجل بَيذارةٌ[١] غَيذارةٌ[٢] شَنوءةٌ[٣]. قال: ثم حلَبوا له وطَباً وأخذوا منه يميناً ألَّا يُخبِرَ عنهم ولا يُنذِرَ بهم أحداً. قال أَبو عبيدة: وزعم أَبو حيَّة النُّميريّ أنه لمَّا أتوه بقِراهم أراهم أنه يشرَبه في الظُّلمة وجعل يَهوي به إلى جيبه فيَصُبُّه بين سِرباله وصَدره أسفاً وغيظاً. قال: وكان الذي حلب له الوَطب وقَراه الحارثَ بن زهير، وبه سُمّي. قال: فخرج يطير حتى أتى عامراً عند ناديهم، فأتى حاذة[٤] أو شجرةً غيرها فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون، ثم قال: أيّتها الشجرة الذليلة اشرَبي من هذا اللبن فانظري ما طَعمه. فقال أهل المجلس: هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه عهدٌ وهو يُخبركم خبراً. فأتوه فإذا هو الحارث بن عمرو، وذاقوا اللبن فإذا هو حُلوٌ لم يقرُص بعدُ، فقالوا: إنه ليخبرُنا أنَّ طلبنا قريبٌ. فركب معه ستَّة فوارسَ لينظروا ما الخبر، وهم خالدُ بن جعفر بن كلابٍ على حَذفةَ، وحُندُج بن البَكَّاء، ومُعاوية بن عُبادة بن عُقَيل فارس الهَرّار وهو الأخيل جَدَّ ليلى الأخيليَّة ـ قال: والأخيَلُ هو معاوية، قال: وهو يومئذٍ غلامٌ له ذؤابتان، وكان أصغر مَن ركِب ـ وثلاثةُ فوارسَ من سائر بني عامر: فاقتصُّوا أثَر السير، حتى إذا رأوا إبلَ بني جذيمة نزلوا عن الخيل. فقالت النساء: إنَّا لنرى حَرَجة[٥] من عِضاهٍ أو غابة رماح بمكان لم نكن نرى به شيئاً، ثم راحت الرّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء. قال: وأخبرت راعيةُ أَسيدِ بن جذيمة أَسيداً بمثل ذلك؛ فأتى أَسيدٌ أَخاه زهيراً فأخبره بما أخبرته به الرَّاعية وقال: إنما رأت خيلَ بني عامر ورماحها. فقال زهير: «كلُّ أزَبّ[٦] نَفَورٌ» ـ فذهبت مثلاً؛ وكان أَسيدٌ كثير الشَّعر خناسيّاً ـ وأينَ بنو عامر! أمَّا بنو كِلاب فكالحيَّة إن تركتها تركتك، وإن وَطِئتها عَضَّتك. وأمَّا بنو كعبٍ فإنهم يَصيدون اللأَى (يريد الثور الوحشيّ). وأمَّا بنو نُمَير فإنهم يَرعَون إبلَهم في رؤوس الجبال. وأمَّا بنو هِلالٍ فيبيعون العِطر. قال: فتحمَّل عامَّة بني رواحة، وآلى زهير لا يبرَح مكانه حتى يُصبح. وتحمَّل مَن كان معه غير ابنيه ورَقاء والحارث. قال: وكان لزهير ربَيئةٌ من الجِنَ فحدّثه ببعض أمرهم حتى أصبح،

(١) بيذارة: كثير الكلام.
(٢) غيذارة: سيِّئ الخلق أو عديمه.
(٣) شنوءة: مبغض.
(٤) حاذة: نوع من الشَّجر.
(٥) الحَرَجة: الشجر الكثير الملتفّ.
(٦) أزبّ: هو الذي يكثر شعر حاجبيه.

وكانت له مِظَلَّةُ دَوحٍ يربُط فيها أفراسَه لا تريمُه[١] حَذَراً من الحوادث. قال: فلمَّا أصبح صهَلت فرسٌ منها حين أحسَّت بالخيل وهي القعساء[٢]. فقال زهير: ما لها؟! فقال ربيئته: أحسَّت الخيل فصهلت إليهنّ. فلم تُؤذِنهم بهم إلَّا والخيلُ دَوائس[٣] مَحاضير بالقوم غديّةً. فقال زهير وظنّ أنهم أهلُ اليمن: يا أسيدُ ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين تُعَمِّي حديثهم منذ الليلة. قال: وركب أسيدٌ فمضى ناجياً. قال: ووثب زهير وكان شيخاً نبيلاً فتدَثَّر القعساء فرسه، وهو يومئذٍ شيخٌ قد بَدُنَ وهو يومئذٍ عَقوقٌ مُتَهَمٌ، واعرَورَى ورقاءُ والحارثُ ابناه فَرَسَيهما، ثم خالفوا جهةَ ما لهم ليُعَمُّوا على بني عامر مكان ما لهم فلا يأخذوه. فهتف هاتفٌ من بني عامر: يا لَيَحامِر ـ يريد يحامر وهو شِعارٌ لأهل اليمن ـ لأن يُعَمِّيَ على الجَذَمِيِّين من القوم. فقال زهير: هذه اليمن، قد علمتُ أنها أهلُ اليمن! وقال لابنه ورقاء: انظر يا ورقاء ما ترى؟ قال ورقاء: أرى فارساً على شقراء يَجهَدها ويَكُدُّها بالسَّوط قد ألحَّ عليها (يعني خالداً). فقال زهير: «شيئاً ما يريد السَّوط إلى الشَّقراء» فذهبتْ مثلاً، وقال في المرة الثانية: «شيئاً ما يطلب السَّوط إلى الشقراء» وهي حَذفة فرسُ خالد بن جعفر، والفارس خالد بن جعفر. قال: وكانت الشقراء من خيل غَنِيٍّ. قال: وتمرّدت[٤] القعساء بزهير؛ وجعل خالدٌ يقول: لا نجوتُ إن نجا مُجَدِّعٌ (يعني زهيراً). فلمَّا تمعَّطت[٥] القعساء بزهير ولم تتعلَّق بها حَذفة، قال خالد لمعاوية الأخيَل بن عُبادة وكان على الهَرّار (حصان أعوج): أدرِك مُعاوِيَة، فأدرك معاوية زهيراً، وجعل ابناه ورقاءُ والحارثُ يُوَطِّشان[٦] عنه (أي عن أبيهما). قال: فقال خالد: اطعن يا معاوية في نَساها، فطعن في إحدى رِجلَيها فانخذلت القعساءُ بعض الانخذال وهي في ذلك تَمعَّطُ. فقال زهير اطعن الأخرى، يَكيده بذلك لكي تستوي رجلاها فتحامل. فناداه خالد: يا معاوية أفِذَّ طَعنَتك (أي اطعن مكاناً واحداً)، فشعشع الرُّمح في رجلها فانخذلت.

قال: ولحقه خالدٌ على حَذفةَ فجعل يده وراءَ عُنق زهير، فاستخفّ به عن الفرس حتى قلَبه، وخرّ خالدٌ فوقع فوقه، ورفع المِغفَرَ عن رأس زهير وقال: يا لَعامرٍ اقتلونا معاً! فعرَفوا أنّهم بنو عامر. فقال ورقاء: وَانقطاعَ ظَهراه! إنها لبنو عامر! سائرَ

---

(١) تريمه: تبرحه.
(٢) القعساء: مائلة الرأس والعنق والظهر.
(٣) دوائس: أي يتبع بعضهم أثر بعض.
(٤) تمرَّدت: جاوزت الحد في العدو.
(٥) تمعطت: عدت بسرعة شديدة.
(٦) يوطشان: يدفعان ويذبّان.

اليوم. وقال غيره: فقال بعضُ بني جذيمة: وَانقطاع ظهري! قال: ولحق حُندُج بن البكَّاء وقد حسر خالدٌ المِغفَرَ عن رأس زهير فقال: نَحِّ رأسَك يا أَبا جَزْءٍ، لم يَحِنْ يومُك. قال: فنحَّى خالدٌ رأسَه وضرب حُندُجٌ رأس زهير، وضرب ورقاء بن زهير رأسَ خالدٍ بالسيف وعليه دِرعان، وكان أسجر[1] العينين، أزَبَّ أقمرَ، مثلَ الفالج، فلم يُغنِ شيئاً. قال: وأجهَض ابنا زهيرٍ القومَ عن زهير فانتزعاه مُرتَثّاً. فقال خالدٌ حين استنقذ زهيراً ابناه: والهفتاه! قد كنتُ أظنّ أن هذا المَخرَج سَيَسَعُكم! ولام حُندجاً. فقال حُندُج وكان لجلالته غصة إذا تكلم: السيفُ حديد، والساعدُ شديد، وقد ضربتُه ورجلاي متمكِّنتان في الركابين وسمِعتُ السيفَ قال قَبْ حين وقع برأسه، ورأيتُ على ظُبَته مثل ثمر المُرار، وذقتُه فكان حُلواً. فقال خالد: قتلته بأبي أنت! ونظر بنو زهير فإذا الضربة قد بلغت الدماغ. ونُهي بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء، فاستسقاهم فمنعوه حتى نُهِك عطشاً. قال: وذلك أن المأموم[2] يُخاف عليه الماء، حتى بلغ منه العطشُ، فجعل يَهتِف: أَمَيِّتٌ أَنا عطشاً، وينادي: يا ورقاء ـ قال أَبو حيَّة: فجعل ينادي يا شأس ـ فلمَّا رأوا ذلك سَقَوه فمات لثالثة. فقال ورقاء بن زهير:

شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده:

رأيتُ زهيراً تحت كَلكَلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعى كالعَجول أُبادرُ
إلى بطلين يَنهضان كلاهما ... يُريغان نَصل السيف والسيف نادرُ
فشلَّت يميني إذ ضربتُ ابنَ جعفرٍ ... وأَحرزه منّي الحديدُ المُظاهَرُ

[الطويل]

قال أبو عبيدة: وسمعتُ أَبا عمرو بن العَلاء يُنشد هذا البيت فيها:

وشلَّت يميني يوم أضربُ خالداً ... وشلَّ بَنانَاها وشلّ الخناصِرُ

[الطويل]

قال أَبو عبيدة: وأنشدني أَبو سرّار أيضاً فيها.

فيا ليتني من قبل أيَّامِ خالدٍ ... ويومِ زهيرٍ لم تَلِدني تُماضِرُ

[الطويل]

تماضر بنت عمرو بن الشَّريد بن رِياح بن يقظة بن عُصَيَّة بن خُفاف السُّلَميّ امرأة زهير بن جذيمة. قال أَبو عبيدة: أنشدني أبو سرّار فيها:

---

(١) أسجر العينين: الذي خالط بياض عينيه حمرة.
(٢) المأموم: المصاب في أمّ رأسه.

لـعَـمـري لـقـد بُـشِّـرتِ بـي إذ وَلَـدتـنـي فـمـاذا الـذي ردّتْ عـلـيـكِ الـبـشـائـرُ

[الطويل]

وقال خالد بن جعفر يَمُنّ على هوازنَ بقتله زهيراً ويصدُق الحديث ـ قال أَبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد اللَّه بن بِشر بن عامر مُلاعِب الأسِنَّة ـ:

بـل كـيـف تـكـفُـرنـي هـوازنُ بـعـدمـا أعـتـقـتُـهـم فَـتَـوالـدوا أَحـرارا

وقـتـلـتُ ربَّـهـمُ زهـيـراً بـعـد مـا جـدع الأنـوف وأكـثـر الأوتـارا

وجـعـلـتُ حَـزنَ بـلادهـم وجـبـالـهـم أرضـاً فـضـاءً سـهـلـةً وعَـشـارا

وجـعـلـتُ مَـهـرَ بـنـاتـهـم ودمـائـهـم عَـقـلَ الـمـلـوك هـجـائـنـاً أبـكـارا

[الكامل]

قال أَبو عبيدة: أَلَا ترى أنه ذكر في شعره أنَّ زهيراً كان ربَّهم وقد كانَ جدَعهم، وأنه قتله من أَجلهم لا من أَجل غَنِيٍّ، وأن غَنِيّاً ليسوا من ذلك في ذكرٍ ولا لهم فيه معنًى.

شعر لورقاء بن زهير:

قال: وقال ورقاء بن زهير:

أمَّـا كِـلابٌ فـإنَّـا لا نُـسـالِـمُـهـا حـتـى يُـسـالـمَ ذِئـبَ الـثَّـلَّـةِ[1] الـرَّاعـي

بـنـو جـذيـمـة حـامـوا حـول سَـيِّـدهـم إلَّا أَسـيـداً نـجـا إذ ثَـوَّب الـداعـي

[البسيط]

قال: ثم نعى الفرزدق على بني عَبس ضربةَ ورقاء خالداً، واعتذر بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال:

إن يـكُ سـيـفٌ خـانَ أو قَـدَرٌ أبـى لـتـأخـيـر نَـفـسٍ حَـتـفُـهـا غـيـرُ شـاهـدِ

فـسـيـفُ بـنـي عَـبـسٍ وقـد ضـربـوا بـه نَـبَـا بِـيَـدَيْ وَرقـاءَ عـن رأس خـالـدِ

كـذاك سـيـوفُ الـهِـنـدِ تـنـبـو ظُـبـاتُـهـا وتـقـطـع أحـيـانـاً مـنـاط الـقـلائـدِ

ولـو شـئـتُ قـدَّ الـسـيـفُ مـا بـيـن عُـنـقـه إلى عَـلَـقٍ[2] تـحـت الـشَّـراسـيـف[3] جـامـدِ

[الطويل]

قال: وكان ضِلَعُ بني عَبسٍ مع جرير، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات. هذه رواية أبي عُبيدة.

---

(١) الثَّلة: الجماعة من الغنم. (٢) العَلَق: الدّم الجامد الغليظ.

(٣) الشراسيف: مفردها شرسوف وهو طرف الضلع.

رواية الأصمعيّ لمقتل زهير وابنه شأس:

وأمَّا الأصمعيّ فإنه ذكر، فيما رواه الأثرَمُ عنه، قال حدثني غيرُ واحد من الأعراب أنَّ سبب مقتل زهيرٍ العبسيّ أنَّ ابنه شأس بن زهير وفَد إلى بعض الملوك فرجع ومعه حِباءٌ قد حُبي به، فمرّ بأبياتٍ من بني عامر بن صعصعةَ وأبياتٍ من بني غَنِيٍّ على ماء لبني عامرٍ أو غيرهم ـ الشكّ من الأصمعيّ ـ.

قال: فاغتسل، فناداه الغنَويّ: استَتِر، فلم يَحفِل بما قال. فقال: استترْ ويحك! البيوت بين يديك؛ فلم يحفِل. فرماه الغنويّ رِياحُ بن الأسكّ بسهم وضربه فقتله والحَيُّ خُلوفٌ، فاتّبعه أصحاب شأس وهم في عِدَّة، فركب الفلاةَ واتّبعوه فَرهِقوه[1]، فقتل حُصَيناً وأخاه حُصَيناً، ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطشُ، فلجأ إلى منزل عجوزٍ من بني إنسان (وبنو إنسان حيٌّ من بني جُشَم). فقالت له العجوز: لا تَبرَح حتى يأتي بَنيَّ فيأسِروك. قال الأصمعيّ: فأخبرني مُخبران اختلفا، فقال أحدهما: إنه أخذ سِكِّيناً فقطع عَصبتيْ يديها، وقال الآخر: أخذ حجراً فشدَخ به رأسَها، ثم أنشأ يقول:

ولأنـــتَ أشـــجـــعُ مـــن أســـامـــةَ أو ... مِـــنّـــي غـــداةَ وقـــفـــتُ لـــلـــخـــيـــلِ
إذِ الـحُـصَـيـنُ لـدى الـحُـصَـيـنِ كـمـا ... عَـــدَلَ الـــرّجـــازةُ جـــانـــبَ الـــمَـــيـــلِ
وإذا أُنَـــهـــنِـــهُـــهـــا[2] لِأفـــتِـــلَـــهـــا ... جـاشـتْ[3] لـيَـغـلِـبَ قـولُـهـا قـولـي

[الكامل]

قال: فضرب الزمان ضَرَبانه، فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب وزهير بن جَذيمة العبسيّ. فقال خالد لزهير: أمَا آن لك أَن تشتفي وتَكُفّ؟ ـ قال الأصمعيّ: يعني ممن قتل بشأس ـ قال: فأغلظ له زهيرٌ وحقَّره. قال الأصمعيّ: وأخبرني طَلحة بن محمد بن سعيد بن المُسَيِّب أنَّ ذلك الكلام بينهما كان بعكاظ عند قريش. فلمَّا حقَّره زهير وسبَّه قال خالد: عسى إن كان! يتهدّده. ثم قال: اللَّهمّ أمكِن يدي هذه الشقراء القصيرة من عُنق زهير بن جذيمة ثم أعِنّي عليه. فقال زهير: اللَّهم أمكِن يدي هذه البيضاء الطويلة من عُنق خالد ثم خلِّ بيننا. فقالت قريش: هلكتَ واللَّه يا زهير! فقال: إنكم واللَّه الذين لا عِلمَ لكم.

قال الأصمعيّ: ثم نرجع إلى حديث العبسيين والعامريين، وبعضه من حديث أبي عمرو بن العلاء. قال: فجاء أخو امرأة زهير ـ وكانت امرأته فاطمةَ بنتَ الشَّريد

(١) رهِقوه: تبعوه ولحقوه.
(٢) أنهنهها: أكفّها وأمنعها.
(٣) جاشت: غلت وهاجت.

السُّلَمية، وهي أُمّ قَيس بن زهير، وكان زهيرٌ قد أساء إليهم في شيء ـ فجاء أَخوها إلى بني عامرٍ فقال: هل لكم في زهير بن جذيمة يَنتِجُ إبلَه ليس معه أحدٌ غير أَخيه أَسيدِ بن جذيمة وعبدٍ راعٍ لإبله! وجئتُكم من عنده، وهذا لبنٌ حلبوه لي. فذاقوه فإذا هو ليس بحازر، فعلِموا أنَّه قريبٌ. فخرج حُندُج بن البَكَّاء وخالدُ بن جعفر ومعاوية بن عُبادة بن عُقَيل، ليس على أحدهم دِرعٌ غير خالد كانت عليه درعٌ أعاره إيَّاها عَمرو بن يَربوع الغنَويّ، وكانت دِرعَ ابن الأجلح المُراديّ كان قتله فأخذها منه، وكان يقال لها ذات الأزمّة. وإنما سميت بذلك لأنها كانت لها عُرًى تُعَلَّق فضولُها بها إذا أَراد أن يشمِّرها. قال: فطلعوا. فقال أَسيدُ بن جذيمة ـ قال الأصمعيّ: وكان أَسيدٌ شيخاً كبيراً، وكان كثيرَ شعر الوجه والجسد ـ: أُتيتَ وربِّ الكعبة. فقال زهير: «كلُّ أَزَبَّ نَفورٌ» فذهبتْ مثلاً. فلم يشعر بهم زهيرٌ إلَّا في سَوادِ الليل، فركب فرسه ثم وجّهها، فلحقه قومٌ أَحدُهم حُندُجٌ أو العُقَيليّ ـ واختلفوا فيهما ـ فطعن فخذَ الفرس طعنةً خفيفةً، ثم أراد أَن يَطعنَ الرّجل الصحيحةَ، فناداه خالدٌ: يا فلان لا تفعل فيستويا، أَقبِل على السقيمة. قال: فطعنها فانخذلتْ الفرسُ فأدركوه. فلمَّا أدركوه رمى بنفسه، وعانقه خالدٌ فقال: اقتلوني ومُجَدِّعا!

فجاء حُندُجٌ ـ وكان أعجم اللِّسان ـ فقال لخالد وهو فوق زهير: نَحِّ رأسك يا أَبا جَزْءٍ، فنحَّى رأسه، فضرب حندجٌ زهيراً ضربةً على دَهَشٍ، ثم ركبوا وتركوه. قال: فقال خالد: وَيحك يا حُندُج ما صنعتَ؟ فقال: ساعدي شديدٌ، وسيفي حديد، وضربته ضربةً فقال السيف قَبْ، وخرج عليه مثلُ ثمرةِ المُرار، فطعِمته فوجدته حُلواً (يعني دماغه). قال: إن كنتَ صَدَقتَ فقد قتلته. قال: فجاء قومُ زهيرٍ فاحتملوه ومنعوه الماءَ كراهة أن يبتلّ دماغُه فيموت. فقال: يا آل غطفان أأموت عَطَشاً! فسُقي فمات، وذلك بعد أيَّام. ففي ذلك يقول ورَقاء بن زهيرٍ وكان قد ضرب خالداً ضربةً فلم يصنع شيئاً، فقال:

رأيتُ زهيراً تحت كَلكَل خالدٍ ... فأقبلتُ أسعى كالعَجول[1] أُبادرُ
إلى بَطَلَين ينهضان كلاهما ... يُريدان نَصلَ السيف والسيف نادرُ[2]

[الطويل]

قال الأصمعيّ: فضرب الدهر من ضربانه إلى أَن التقى خالدُ بن جعفر والحارثُ بن ظالم.

(١) العجول: الوالدة العجول في ذهابها ومجيئها لشدة هولها من فقد ابنها.
(٢) نادر: ساقط.

ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب

قتله الحارثُ بن ظالم المرّيُّ. قال أَبو عبيدة: كان الذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بنِ جعفر أن خالد بن جعفر أغار على رهط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غَيظ بن مُرّة وهم في وادٍ يقال له حُراضٌ، فقتل الرجال حتى أسرع، والحارثُ يومئذٍ غلام، وبَقيت النساء.

وزعموا أَنَّ ظالماً هلك في تلك الوقعة من جِراحةٍ أصابته يومئذٍ. وكانت نساء بني ذبيان لا يحلْبن النَّعَمَ، فلمَّا بقين بغير رجال طَفِقن يدعون الحارث، فيشدّ عِصاب الناقة ثم يحلبنها، ويبكين رجالهن ويبكي الحارث معهن، فنشأ على بُغض خالد. وأَردف ذلك قتل زهير بن جذيمة؛ فاستحقّ العداوة في غطفان. فقال خالد بن جعفر في تلك الوَقعة:

تركتُ نساء يربوعِ بن غَيظٍ ... أرامِلَ يشتكين إلى وليدِ
يَقُلنَ لحارثٍ جَزَعاً عليه ... لك الخيراتُ ما لك لا تسودِ
تركتُ بَني جذيمة في مَكَرٍّ ... ونصراً قد تركت لدى الشهودِ
ومنّي سوف تأتي قارعاتٌ ... تَبيدُ المخزِياتُ ولا تَبيدِ
وقيس ابن المعارك غادرتْه ... قَناتي في فوارسَ كالأسودِ
وحَلَّت بركها ببني جِحاشٍ ... وقد مَدُّوا إليها من بَعيدِ
وحيّ بني سبيعٍ يومَ ساقٍ ... تركناهم كجارية وبيدِ

[الوافر]

قال أَبو عبيدة. فمكث خالد بن جعفر بُرهةً من دهره، حتى كان من أمره وأمر زهير بن جذيمة ما كان، وخالدٌ يومئذٍ رأسُ هَوازن. فلمَّا استحقّ عداوةَ عَبسٍ وذبيان أتى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لينظر ما قدره عنده، وأتاه بفرس؛ فألفى عنده الحارث بن ظالم قد أهدى له فرساً فقال: أَبَيت اللعن، نَعِمَ صباحك، وأَهلي فداؤك! هذا فرسٌ من خيل بني مُرَّة، فلن تُؤتى بفرسٍ يَشُقّ غُبارَه، إن لم تَنسُبْه انتسب، كنتُ ارتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة؛ فلمَّا أكرمتَ خالداً أهديتُه إليك.

وقام الربيع بن زياد العبسيّ فقال: أبَيتَ اللعن! نَعِمَ صباحُك، وأهلي فداؤك! هذا فرسٌ من خيل بني عامر ارتبطتُ أباه عشرين سنةً لم يُخفِق في غزوةٍ ولم يعتلك في سفرٍ، وفضله على هذين الفرسين كفضل بني عامرٍ على غيرهم.

قال: فغضب النعمان عند ذلك وقال: يا معشر قَيسٍ، أَرى خيلكم أشباهاً! أَين اللواتي كأنَّ أذنابها شِقاق أَعلام، وكأنَّ مَناخِرها وِجار[١] الضِّباع، وكأنَّ عيونَها بَغايا النساء، رِقاقُ المُستَطعَم، تُعالَك اللجم في أَشداقها، تدور على مَذاوِدِها[٢] كأنما يَقضَمنَ[٣] حَصًى. قال خالد: زعم الحارث ـ أبيت اللعن ـ أنَّ تلك الخيل خيله وخيل آبائه. فغضب النعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم. فلمَّا أَمسَوا اجتمعوا عند قَينةٍ من أَهل الحيرة يقال لها بنت عَفزَرٍ يشربون. فقال خالدٌ: تَغَنّيْ:

دارٌ لـهـنـدٍ والـرّبـاب وفَـرتَـنـى ولَـمِـيـسَ قَـبـلَ حـوادثِ الأيـام

[الكامل]

وهنّ خالات الحارث بن ظالم. فغضب الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً، وقال: ما تَزال تُتبعُ أُولى بآخرة! قال أَبو عبيدة: ثم إن النعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدّم لهم تمراً؛ فطفق خالد بن جعفر يأكل ويُلقي نَوَى ما يأكل من التمر بين يَدَي الحارث. فلمَّا فرغ القوم قال خالد بن جعفر: أَبَيت اللعن! انظر إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النَّوى! ما ترك لنا تمراً إلَّا أكله. فقال الحارث: أمَّا أنا فأكلت التمر وألقيتُ النَّوى، وأَمَّا أَنت فأكلتَه بنواه.

فغضب خالد وكان لا يُنازع، فقال: أتُنازعني يا حارثُ وقد قتلتُ حاضرتك وتركتك يتيماً في حُجور النساء! فقال الحارث: ذلك يومٌ لم أَشهَدْه، وأنا مُغنٍ اليوم بمكاني. قال خالد: فهَلَّا تشكر لي إذ قتلت زهير بن جذيمة وجعلتك سيِّد غطفان! قال: بلى أشكرك على ذلك. فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عَفزَرٍ، فشرب عندها وقال لها تَغَنَّيْ:

تَـعَـلَّـمْ أبَـيـتَ الـلـعـن أنَّـيَ فـاتـكٌ مـن الـيـوم أَو مـن بـعـده بـابـن جـعـفـرِ
أخـالـدُ قـد نَـبَّـهـتَـنـي غـيـرَ نـائـم فـلا تَـأمَـنَـنْ فـتـكـي يَـدَ الـدهـر واحـذَرِ
أعـيّـرتَـنـي أَن نِـلـتَ مـنّـا فـوارسـاً غـداةَ حُـراضٍ مـثـلَ جِـنّـانِ عَـبـقَـرِ
أصـابـهـمُ الـدهـرُ الـخَـتـورُ بـخـتـرِهِ[٤] ومَـن لا يَـقِ الـلّـهُ الـحـوادثَ يـعـثُـرِ

(١) الوِجار: الجُحر.
(٢) المذاود: جمع مذود وهو معتلف الدابة.
(٣) القضم: هو أكل الشيء اليابس.
(٤) الختر: أقبح الغدر وأسوأه، أو هو الخداع.

فـعـلَّـك يـومـاً أَن تـنـوء بـضـربـةٍ بـكـفٍّ فـتًى مـن قـومـه غـيـرِ جَـيـدَرِ[١]
يُـغِـصّ بـهـا عُـلـيـا هَـوازِنَ، والـمُـنـى لـقـاءُ أَبـي جَـزءٍ بـأبـيـض مِـبـتَـرِ
[الطويل]

قال: فبلغ خالد بن جعفرٍ قوله فلم يَحفل به. فقال عبد اللَّه بن جَعدة ـ وهو ابن أُخت خالد، وكان رجل قَيسٍ رأياً ـ لابنه: يا بُنَيّ ائتِ أبا جَزء فأَخبرْه أَنَّ الحارث بن ظالم سفيهٌ موتور، فأَخفِ مَبيتك الليلة؛ فإنه قد غلبه الشرابُ. فإن أبيتَ فاجعل بينك وبينه رجلاً ليحرُسك. فوضعوا رجلاً بإزائه، ونام ابن جَعدة دون الرجل، وخالدٌ من خَلفِ الرجل. وعرف أنَّ ابن عُتبة وابنَ جعدة يحرُسان خالداً. فأقبل الحارثُ فانتهى إلى ابن جعدة فتعدَّاه، ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالداً فعجنه بكَلكَله حتى كسره وجعل يَكدِمُه[٢] لا يعقِل، فخلى عنه والرجل تحته، ومضى إلى خالد وهو نائم، فضربه بالسيف حتى قتله. فقال لعُروة: أَخبِرِ الناسَ أنّي قتلتُ خالداً. وقال في ذلك:

أَلا سـائـلِ الـنـعـمـان إن كـنـتَ سـائـلاً وحَـيَّ كِـلابٍ هـل فـتـكـتَ بـخـالـدِ
عَـشَـوتُ عـلـيـه وابـنُ جَـعـدة دونَـه وعُـروةُ يَـكـلأُ[٣] عـمَّـه غـيـر راقـدِ
وقـد نـصـبـا رَجـلاً فـبـاشـرتُ جَـوزَه بـكَـلـكَـلِ مَـخـشـيٍّ الـعـداوة حـاردِ
فـأَضـربُـه بـالـسـيـف يـأفـوخَ[٤] رأسِـه فـصـمَّـم حـتـى نـال نُـوطَ[٥] الـقـلائـدِ
وأَفـلـتَ عـبـدُ الـلَّـه مـنّـي بـذُعـره وعُـروةُ مـن بـعـد ابـنِ جَـعـدة شـاهـدي
[الطويل]

فلمَّا أبتْ غَطَفانُ أَن تجيره غضبت لذلك بنو عبس. وبعث إليه قيس بن زهير بن جذيمة بهذه الأبيات:

جـزاك الـلَّـه خـيـراً مِـن خَـلـيـلٍ شـفـى مـن ذي تُـبُـولـتـه[٦] الـخـلـيـلا
أزحـتَ بـهـا جـوًى ودخـيـلَ حُـزنٍ تـمـخَّـخ[٧] أعـظُـمـي زمـنـاً طـويـلا

(١) الجيدَر: القصير القامَة.
(٢) يكدِمه: يعضّه ويؤثر عليه بحديدة أو خشبة ونحوها.
(٣) يَكْلأُ: يحرس ويحفظ ويقوم بالرعاية.
(٤) يأفوخ: هو ملتقى عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره.
(٥) نوط: جمعها نياط، ونوط كل شيء ما كان معلقاً منه.
(٦) التُّبولة: مفردها تَبْل وهو الثأر.
(٧) تمَخَّخ: أخرج مخّه.

كـسـوتَ الـجـعـفـريَّ أبـا جُـزَيْءٍ ولـم تَـحـفِـلْ بـه سـيـفـاً صَـقـيـلا
أبـأتَ[١] بـه زهـيـرَ بـنـي بَـغـيـضٍ وكـنـتَ لـمـثـلـهـا ولـهـا حَـمـولا
كـشـفـتَ لـه الـقـنـاع وكـنـت مـمـن يُـجـلّـي الـعـارَ والأمـرَ الـجـلـيـلا
[الوافر]

فأجابه الحارث بن ظالم:

أتـانـيَ عـن قُـيَـيـسٍ بـنـي زُهـيـرٍ مـقـالـةُ كـاذبٍ ذكـر الـتُّـبُـوَلا
فـلـو كـنـتـم كـمـا قـلـتـم لـكـنـتـم لـقـاتـل ثـأرِكـم حِـرزاً أَصـيـلا
ولـكـن قـلـتـم جـاوِرْ سِـوانـا فـقـد جَـلَّـلْـتَـنـا حَـدَثـاً جـلـيـلا
ولـو كـانـوا هـمُ قـتـلـوا أخـاكـم لَـمـا طـردوا الـذي قـتـل الـقـتـيـلا
[الوافر]

قال أَبو عبيدة: فلمَّا منعته غطفان لحق بحاجب بن زرارة، فأجاره ووعده أَن يمنعه من بني عامر. وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم، فساروا في عُليا هوازن. فلمَّا كانوا قريباً من القوم في أَوَّل وادٍ من أَوديتهم، خرج رجلٌ من بني غنِيٍّ ببعض الوادي، فإذا هو بامرأةٍ من بني تميم ثم من بني حنظلة تجتني الكَمأةَ، فأخذها فسألها عن الخبر، فأخبرْته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زُرارة وما وعده من نُصرته ومَنعه. فانطلق بها الغنويّ إلى رَحله، فانسلَّت في وسطٍ من الليل، فأتى الغنويُّ الأحوَصَ بن جعفر، فأخبره أَن المرأة قد ذهبت وقال: هي مُنذِرةٌ عليك. فقال له الأحوصُ: ومتى عَهدُك بها؟ قال: عَهدي بها والمَنِيُّ يقطر من فَرجها. قال: وأبيك إنَّ عهدك بها لقريب.

وتبع المرأةَ عامر بن مالك يَقُصّ أثرها حتى انتهى إلى بني زُرارة والمرأةُ عند حاجب وهو يقول لها: أَخبريني أَيُّ قوم أخذوك؟ قالت: أَخذني قومٌ يُقبِلون بوجوه الظِّباء، ويُدبرون بأعجاز النساء. قال: أولئك بنو عامر. قال: فحدّثيني مَن في القوم؟ قالت: رأيتهم يَغدون على شيخ كبير لا ينظر بمأْقَيه[٢] حتى يرفعوا له من حاجبيه. قال: ذلك الأحوصُ بن جعفر. قالت: ورأَيت شابّاً شديد الخَلق، كأن شعر ساعديه حَلَقُ الدّرع يَعذِم[٣] القوم بلسانه عَذمَ الفرس العَضوض[٤]. قال: ذلك عُتبةُ بن

(١) أبأتَ: قتلت القاتل بقتيله.
(٢) المآقي: العيون الناظرة بمؤخرها أو مقدمها.
(٣) يَعْذِم: يعضون بأسنانهم، وأراد هنا إطلاق اللسان باللوم والتعنيف.
(٤) العَضوض: ما يعضُّ عليه ويؤكل.

بَشير بن خالد. قالت: ورأيت كهلاً إذا أَقبل معه فَتَيان، يُشرف القوم إليه، فإذا نطق أَنصتوا. قال: ذلك عمرو بن خُوَيلدٍ، والفَتَيان ابناه زُرعةُ ويزيد. قالت: ورأيت شابّاً طويلاً حسناً، إذا تكلَّم بكلمةٍ أنصتوا لها ثم يَؤُلُّون[١] إليه كما تؤلُّ الشَّول[٢] إلى فحلها. قال: ذلك عامر بن مالك.

قال أَبو عبيدة: فدعا حاجبٌ الحارث بن ظالم فأخبره برأيه وخبرِ القوم وقال: يا ابن ظالم، هؤلاءِ بنو عامر قد أَتَوك، فما أَنتَ صانع؟ قال الحارث: ذلك إليك، إن شئتَ أقمتُ فقاتلتُ القوم، وإن شئتَ تنحَّيتُ. وقال حاجب: تَنَحَّ عنّي غير ملوم[٣]. فغضب الحارث من ذلك وقال:

لَعَمري لقد جاورتُ في حَيِّ وائلٍ ... ومِن وائلٍ جاورتُ في حَيِّ تَغلِبِ
فأصبحتُ في حيّ الأراقم لم يَقُل ... ليَ القومُ يا حارِ بن ظالمٍ اذهَبِ
وقد كان ظَنِّي إذ عقلتُ إليكم ... بني عُدُسٍ ظَنّي بأصحاب يَثرِبِ
غَداة أتاهم تُبَّعٌ في جُنوده ... فلم يُسلِموا المرين من حَيّ يَحصُبِ
فإن تَكُ في عُليا هَوازن شَوكةٌ ... تُخافُ ففيكم حَدُّ نابٍ ومِخلَبِ
وإن يَمنع المرءُ الزُّراريُّ جارَه ... فأَعجِب بها من حاجبٍ ثم أَعجِبِ

[الطويل]

فغضب حاجب فقال:

لَعَمرُ أَبيك الخَيرِ يا حارِ إنني ... لأمنعُ جاراً من كُلَيبِ بن وائلِ
وقد علِم الحيُّ المَعَدّيُّ أننا ... على ذاك كنَّا في الخُطوب الأوائلِ
وأَنّا إذا ما خاف جارٌ ظُلامةً ... لبِسنا له ثَوبَيْ وَفاءٍ ونائلِ
وأَنْ تميماً لم تُحارب قبيلةً ... من الناس إلا أُولعتْ بالكواهلِ
ولو حاربتْنا عامرٌ يا ابن ظالمٍ ... لعضّتْ علينا عامرٌ بالأناملِ
ولاستيقنت عُليا هَوازن أننا ... سنوطِئها في دارها بالقنابلِ
ولكننا لا أَبعث الحربَ ظالماً ... ولو هِجتُها لم أُلفَ شَحمةَ آكلِ

[الطويل]

---

(١) يؤلّون: يسرعون.

(٢) الشَّول: مفردها شائلة، وهي الناقة التي مضى على وضعها سبعة أشهر فخفَّ لبنها وارتفع ضرعها.

(٣) ملوم: مؤاخذ.

قال: فتنحَّى الحارث بن ظالم عن بني زُرارة فلحِق بعَروض اليمامة. ودعا معبداً ولقيطاً ابنَيْ زرارة فقال: سِيرا في الظُّعُن، فموعدُكما رَحرَحان؛ فإنَّا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتيَنا بنو عامر. وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر. فقالوا: ما ترى؟ قال: أن نَدَعَهم بمكانهم ونسبِقَهم إلى الظُّعُن. قال: فلقُوها برَحرحان، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأصابوها، وأُسر معبدٌ وجُرح لَقِيطٌ. فبعثوا بمعْبَد إلى رجلٍ بالطائف كان يعذِّب الأسرى، فقطَّعه إرباً إرباً حتى قتله. وقال عامر بن مالك يرُدّ على حاجب قوله:

أَلِكْني إلى امر الزُّراريِّ حاجبٍ ... رئيس تميم في الخطوب الأوائلِ
وفارسها في كلِّ يومٍ كريهةٍ ... وخير تميم بين حافٍ وناعلِ
لَعمري لقد دافعتُ عن حيّ مالكٍ ... شآبيب[1] من حَربٍ تلَقَّحُ حائلِ[2]
على كل جرداء[3] السَّراةِ طِمِرَّةٍ[4] ... وأجرَدَ خوَّارِ العِنان مُناقلِ[5]
نصحتُ له إذ قلتُ إن كنتَ لاحقاً ... بقومٍ فلا تعدِل بأبناء وائلِ
ولو ألجأته[6] عُصبةٌ تغلِبيَّةٌ ... لسرنا إليهم بالقنا[7] والقنابلِ[8]
ولو رُمتُمُ أن تمنعوه رأيتُمُ ... هناك أُموراً غَيُّها غيرُ طائلِ
لشابَ وليدُ الحيِّ قبل مشيبِه ... وعضَّت تميمٌ كلُّها بالأنامِلِ
وقامتْ رجالٌ منكم خِندِفيَّةٌ[9] ... يُنادون جهراً ليتَنا لم نُقاتِلِ

[الطويل]

قال: فخرج الحارث بن ظالم من فوره ذلك حتى أتى سلمى بنتَ ظالم وفي حجرها ابن النُّعمان، فقال لها: إنه لن يُجيرَني من النُّعمان إلا تَحرُّمي بابنه، فادفعيه إليّ. وقد كان النُّعمان بعث إلى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسباهنَّ؛ فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله. فوثب النُّعمان على عمّ الحارث بن ظالم فقال له: لأقتلنَّك أو لتأتيني بابن أخيك. فاعتذر إليه فخلَّى عنه. فأقبل ينطلق فقال:

---

(١) شآبيب: مفردها شؤبوب وهو الدفعة من كل شيء.
(٢) حائل: الناقة غير الحامل. (٣) جرداء: قصيرة الشعر.
(٤) طِمرة: هي أنثى الطمر، وهو الفرس المستفز للوثب والعدو.
(٥) مناقل: هو الخيل الذي يتقي في عدوه الحجارة.
(٦) ألجأته: عصمته وأمَّنته.
(٧) القنا: جمعها قِنَاء: الرّمح.
(٨) القنابل: الجماعات من الخيل ومن الناس، مفردها قَنبلة وقَنبَل.
(٩) خِنْدِفيَّة: متبخترة، الخندفة هي المشي مفاجّاً، ويقلّب قدميه كأنه يغرِف بهما.

يـا حـارِ إنِّـيَ أحـيـا مـن مُـخـبَّـأةٍ ... وأنـتَ أَجـرأُ مـن ذي لِـبـدةٍ ضـاري[١]
قـد كـان بـيـتـيَ فـيـكـم بـالـعـلاءِ فـقـد ... أحـلَـلْـتَ بـيـتـيَ بـيـن الـسَّـيـل والـنـارِ
مـهـمـا أَخـفـكَ عـلـى شـيءٍ تـجـيء بـه ... فـلـم أَخـفـكَ عـلـى أمـثـالـهـا حـارِ
ولـم أَخَـفـكَ عـلـى لـيـثٍ تُـخـاتِـلـه ... عـبْـلِ الـذِّراعـيـنِ لـلأقـران هَـصَّـارِ
وقـد عـلـمـتُ بـأنـي لـن يُـنـجِّـيـنـي ... مـمـا فـعـلـتَ سـوى الإقـرار بـالـعـارِ
فـقـد عَـدَوتَ عـلـى الـنُّـعـمـان ظـالِـمـه ... في قـتـل طـفـلٍ كـمـثـل الـبـدر مِـعـطـارِ[٢]
فـاعـلَـم بـأنـك مـنـه غـيـرُ مُـنـفـلِـتٍ ... وقـد عـدوتَ عـلـى ضِـرغـامةٍ[٣] شـاري[٤]

[البسيط]

وقال الحارث بن ظالم في ذلك:

شعر للحارث في قتله ابن النعمان:

قِـفـا فـاسـمـعـا أخـبـركـمـا إذ سـألـتـمـا ... مُـحـاربُ مـولاه، وثـكـلانُ نـادمُ
حَـسِـبـتَ أبـا قـابـوسَ أنَّـك سـابـقـي ... ولـمَّـا تَـذُق فَـتْـكـي وأنـفـك راغـمُ
أَخُـصْـيَـيْ حـمـارٍ بـات يَـكـدُم نـجـمـةً ... أتُـؤكـلُ جـاراتـي وجـارُك سـالـمُ
تـمـنَّـيـتَـهُ جـهـراً عـلـى غـيـر ريـبـةٍ ... أحـاديـثُ طـسـمٍ، إنـمـا أنـت حـالـمُ
فـإن تـك أذواداً[٥] أصـبـت ونـسـوةً ... فـهـذا ابـن سـلـمـى أمـرُه مـتـفـاقـمُ
عـلـوتُ بـذي الـحـيَّـاتِ مـفـرقَ رأسـه ... وكـان سِـلاحـي تـجـتـويـه الـجـمـاجـمُ
فـتـكـتُ بـه فـتـكـاً كـفـتـكـي بـخـالـدٍ ... وهـل يـركـب الـمـكـروه إلا الأكـارمُ
بـدأتُ بـهـذي ثـم أَثـنـي بـمـثـلـهـا ... وثـالـثـة تـبـيـضّ مـنـهـا الـمـقـادمُ
شـفـيـتُ غـلـيـلَ الـصـدرِ مـنـه بـضـربـةٍ ... كـذلـك يـأبـى الـمُـغـضَـبـون الـقـماقِـمُ[٦]

[الطويل]

فقال النعمان بن المنذر: ما يعني بالثالثة غيري. قال سِنان بن أَبي حارثة المُرِّيُّ وهو يومئذٍ رأس غَطفانَ ـ: أبيتَ اللَّعنَ! واللَّه ما ذِمَّةُ الحارث لنا بذمّة، ولا جاره لنا

(١) الضَّاري: الذي يضري بالصيد ويفتك بالفريسة.
(٢) مِعطار: كثير التعهد بالعطر والطيب.
(٣) الضرغامة: اسم للأسد.
(٤) الشاري: الغاضب واللجوج في الأمر.
(٥) الأذواد: مفردها ذود وهو القطيع من الإبل الثلاث إلى تسع، أو هي ما بين الثلاث إلى العشر.
(٦) القماقِم: مفردها قِمقام، والرجل السيّد الواسع الفضل الكثير الخير.

بجار، ولو أمّنته ما أمّناه. فبلغ ابنَ ظالم قولُ سِنان بن أَبي حارثةَ، فقال في ذلك:

شعر للحارث يخاطب به النعمان:

أَلا أَبْـلـغِ الـنُّـعـمـان عـنـي رسـالـةً ... فكيف بخطَّابِ الخُطُوب الأعاظمِ
وأنتَ طويلُ البغي أبلج[١] مُعورٌ[٢] ... فَزوعٌ إذا ما خِيف إحدى العظائمِ
فـمـا غـرَّه والـمـرءُ يُـدرك وتـرَه ... بأروع ماضي الهمِّ من آل ظالمِ
أخي ثقةٍ ماضي الجنان مُشيَّعٍ ... كَمِيش[٣] التَّوالي عند صدقِ العزائمِ
فأُقسمُ لولا مَن تعرّض دونه ... لَعُولي بهنديٍّ الحديدة صارمِ
فأقتُلُ أقواماً لِئاماً أذلَّةً ... يَعَضُّون من غيظٍ أصولَ الأباهمِ
تمنّى سِنانٌ ضَلَّةٌ أن يُخيفني ... ويأمَنَ، ما هذا بفعل المُسالمِ
تمنَّيتَ جهداً أن تَضيعَ ظُلامتي ... كذبتَ وربِّ الراقصاتِ الرّواسمِ[٤]
يمين امرئ لم يرضَع اللُّؤمَ ثديه ... ولم تتكنَّفْه عروقُ الألائمِ

[الطويل]

قال: فأمّنه النعمان، وأقام حيناً. ثم إن مصدِّقاً للنُّعمان أخذ إبلاً لامرأة من بني مُرَّة يقال لها دَيهثُ؛ فأتت الحارث فعلَّقت دلوها بدلوه ومعها بُنيٌّ لها، فقالت: أَبا ليلى! إني أتيتُك مُضافةً. فقال الحارث: إذا أورد القومُ النَّعمَ فنادي بأعلى صوتك:

دعوتِ باللَّه ولم تُراعي ... ذلك راعيكِ فنعمَ الراعي
وتلك ذود الحارث الكساعِ[٥] ... يمشي لها بصارمٍ قطَّاعِ
يشفي به مجامعَ الصُّداعِ

[الرجز]

وخرج الحارث في أثرها يقول:

أَنا أَبو ليلى وسيفي المعلوبْ[٦] ... كم قد أجرنا من حريبٍ محروبْ

(١) أبلج: المعنى هنا: المفترق الحاجبين الواسع الوجه.
(٢) معور: الذي به عور، وهو المُريب وقبيح السريرة.
(٣) كميش: الشاة قصيرة الخلف أو صغيرة الضّرع.
(٤) الرواسم: مفردها رسيم وهي الناقة التي أثَّرت في الأرض من جرّاء عدوِها.
(٥) الكسع: هو اتباع الأدبار والأثر.
(٦) المعلوب: اسم سيف الحارث بن ظالم.

وكم رددنا من سليبٍ مسلوبْ وطعنةٍ طعنتُها بالمنصوبْ
ذاك جهيزُ الموت عند المكروبْ

[الرجز]

ثم قال لها: لا تَردَنّ عليك ناقةٌ ولا بعيرٌ تعرفينه إلا أخذتيه ففعلتْ؛ فأتت على لَقوح لها يجلِبُها حبشيٌّ، فقالت: يا أبا ليلى! هذه لي. فقال الحبشيّ: كذبتِ. فقال الحارثُ: أرسلها لا أُمّ لك! فضرَط الحبشيّ. فقال الحارث: «إستُ الحالِبِ أعلم»، فسارت مثلاً. قال أبو عُبيدة: ففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدقُ:

كما كان أوفى إذ يُنادي ابن ديهثٍ وصرمَتُه كالمغنم المتنهَّبِ
فقام أبو ليلى إليه ابن ظالمٍ وكان متى يسلل السَّيفَ يضربِ
وما كان جاراً غير دلوٍ تعلَّقتْ بحبلين في مُستحصِد القِدِّ مُكرَبِ

[الطويل]

قال أَبو عُبيدة حدثني أبو محمد عِصامٌ العِجليّ قال: فلمَّا قتل الحارث بن ظالم خالدَ بن جعفر في حِوار الملك خرج هارباً حتى أتى صديقاً له من كِندةَ يحلّ شُعبى ـ قال: شُعبى غير ممدود ـ فلمَّا ألحّ الأسود في طلب الحارث قال له الكِنْديّ: ما أرى لك نجاةً إلا أن ألحقِك بحضرَموتَ ببلاد اليمن فلا يُوصلَ إليك. فسار معه يوماً وليلةً، فلمَّا غرَّبه[1] قال: إنني أنقطع ببلاد اليمن فأغتربُ بها، وقد برِئتْ منك خفارتي. فرجع حتى أتى أرضَ بكر بن وائل، فلجأ إلى بني عِجل بن لُجَيْم، فنزل على زبَّان فأجاره وضرب عليه قُبَّة. وفي ذلك يقول العِجليُّ:

ونحن منعنا بالرِّماح ابن ظالمٍ فظلّ يغني آمِناً في خِبائنا

[الطويل]

قال أبو عُبيدة: فجاءته بنو ذُهل بن ثعلبةَ وبنو عمرو بن شيبان فقالوا: أخرج هذا المشؤوم من بين أظهرنا، لا يَعُرُّنا[2] بشرٍّ؛ فإنَّا لا طاقةَ لنا بالملحاء (والملحاء كتِيبةُ الأسوَد) فأبت عِجلٌ أن تُخفِرَه[3]، فقاتلوه فامتنعت بنو عجلٍ. فقال الحارث بن ظالم في الكِندي وفيهم:

يُكلِّفُني الكِنديّ سير تنوفةٍ أكابدُ فيها كلّ ذِي صُبَّةٍ مُثرِي

[الطويل]

(١) غرَّبه: أبعده عن بلده ونحَّاه جانباً.
(٢) يَعرُّنا: يصيبنا بمعرَّة، أي يصيبنا بشرّ.
(٣) تُخفِره: تنقض عهده وتغدره.

ـ الصُّبَّة: قطعةٌ من الغنم أو بقية منها ـ

وأقبل دُوني جَمعُ ذُهلٍ كأنني خَلاة[١] لِذهلٍ والزّعانِف[٢] من عمرِو
ودونيَ ركبٌ من لُجيمٍ مُصمِّمٌ وزبّان جاري والخفيرُ على بكرِ
لعمريَ لا أخشى ظُلامة ظالمٍ وسعدُ بن عجلٍ مُجمعون على نصري

[الطويل]

لحوقه بطيء:

قال أبو عبيدة: ثم قال لهم الحارث: إنّي قد اشتهر أمري فيكم ومكاني، وأنا راحلٌ عنكم. فارتحل فلحِق بطَيء. فقال الحارثُ في ذلك:

لَعَمري لقد حلَّتْ بيَ اليومَ ناقتي إلى ناصرٍ من طَيِّىءٍ غير خاذلِ
فأصبحتُ جاراً للمجرَّةِ منهمُ على باذخٍ يعلو على المُتَطاولِ

[الطويل]

أخذ الأسود أموال جارات له فردها هو إليهن:

قال أبو عبيدة وحدثني أبو حيَّة أنَّ الأسود حين قتل الحارثُ خالداً سأل عن أمرٍ يبلغ منه. فقال له عروة بن عُتبة: إنَّ له جاراتٍ من بَلِيٍّ بن عمرٍو، ولا أراك تنال منه شيئاً أغيَظَ له من أخذهنَّ وأخذِ أموالهنّ، فبعث الأسودُ فأخذهن واستاق أموالهنّ.

فبلغ ذلك الحارث، فخرج من الحين فانساب في غُمار الناس حتى عرَف موضع جاراته ومَرعى إبلهنّ، فأتى الإبلَ فوجد حالبين يحلُبان ناقةً لهنّ يقال لها اللِّقاع، وكانت لبوناً كأغزَر الإبل، إذا حُلِبتْ اجترّت، ودمعت عيناها، وأصغت برأسها، وتَفاجَّت[٣] تَفاجَّ البائل، وهجمت في المِحلب هجماً حتى تُسَنِّمَه، وتجاوبت أحاليلُها بالشَّخب هثّاً[٤] وهثيماً حتى تَصُفَّ بين ثلاثة محالب. فصاح الحارث بهما ورجز فقال:

إذا سمعتِ حنَّةَ اللِّفاعِ فَادْعي أبا ليلى ولا تُراعي
ذلك راعيكِ فنِعمَ الرَّاعي يُجِبكِ رَحبَ الباعِ والذّراعِ
مُنَطَّقاً بصارمٍ قَطَّاعِ

[الرجز]

---

(١) الخلاة: مفردها الخلي، وهو الرطب من الحشيش.
(٢) الزَّعانف: مفردها زعنفة وهي القصيرة.
(٣) تفاجَّت: باعدت بين رجليها.
(٤) الهثّ: اختلاط الصوت في صخب أو حرب أو جلبة.

خَلِّيا عنها! فعرَفاه فضرط البائنُ. فقال الحارث: «استُ الضارط أعلمُ» فذهبتْ مثلاً ـ قال الأثرم: البائنُ الحالبُ الأيمنُ، والمستعلي الحالبُ الأيسر ـ ثم عمد إلى أَموال جاراته وإلى جاراته فجمعهنّ وردَ أموالهن وسار معهن حتى اشتلاهنّ (أي أنقذهنّ).

رواية أخرى في قتله ابن الملك:

قال أَبو عبيدة: ولحق الحارث ببلاد قومه مختفياً. وكانت أُخته سَلمى بنتُ ظالم عند سِنان بن أَبي حارثة المُرّيّ. قال أَبو عبيدة: وكان الأسودُ بن المُنذر قد تبنَّى سِنانُ بن أَبي حارثة المُرّيُّ ابنَه شُرَحبيلَ، فكانت سَلمى بنتُ كثير بن رَبيعة من بني غَنم بن دودان امرأةُ سِنان بن أَبي حارثة المُرّيِّ تُرضعه وهي أمّ هَرِم، وكان هَرِمٌ غنيّاً يقدِر على ما يُعطي سائليه. فجاء الحارث، وقد كان اندسَّ في بلادِ غَطَفان، فاستعار سَرْج سِنانٍ، ولا يعلم سِنانٌ، وهم نزولٌ بالشَّرَبَّةِ، فأتى به سَلمى ابنةَ ظالم فقال: يقول لك بَعلك: ابعَثي بابن الملك مع الحارث حتى أستأمِن له ويتخفَّر به، وهذا سرجه آية إليك. فزيّنته ثم دفعته إلى الحارث، فأتى بالغلام ناحيةً من الشَّرَبَّةِ فقتله، ثم أنشأ يقول:

قِفا فاسمعا أُخبِركما إذا سألتما ... مُحاربُ مولاه، وثَكلانُ نادمُ

[الطويل]

ـ ثكلان نادم: يعني الأسود لأنه قُتِل ابنه شُرَحبيل. مُحاربُ مولاه: يعني الحارث نفسه. ومولاه: سِنانٌ ـ.

أَخُصَيَيْ حِمارٍ باتَ يَكدِمُ نجمةً ... أَتُؤكَلُ جاراتي وجارُك سالمُ

حَسِبتَ أبيتَ اللَّعنَ أنك فائتٌ ... ولمَّا تَذُق ثُكلَا وأَنفُك راغمُ

فإن تك أَذواداً أصبتَ ونسوةً ... فهذا ابنُ سَلمى رأسُه مُتفاقمُ

علوتُ بذي الحيَّات مَفرِقَ رأسه ... وكان سِلاحي تجتويه الجماجمُ

فتكتُ به كما فتكتُ بخالدٍ ... ولا يركب المكروه إلَّا الأكارمُ

بدأتُ بتلك وانثنيتُ بهذه ... وثالثةٍ تبيضّ منها المَقادمُ

[الطويل]

قال: ففي ذلك يقول عَقيلُ بن عُلَّفة في الإسلام وهو من بني يَربوع بن غَيظ بن مُرَّة لمَّا هاجى شبيب بن البرصاء، وأَبوه يزيد، وهو من بني نُشبة بن غَيظ بن مُرَّة ابن عَمّ سِنان بن أَبي حارثة، فعيّره بقتل الحارث بن ظالمٍ شُرَحبيل لأنه ربيبُ بني

حارثةَ بن مُرَّة بن نُشبةَ بنَ غَيظ رَهطِ شَبيب، ففي ذلك يقول عُقَيلٌ:

قـتـلـنـا شُـرَحـبـيـلاً ربـيـبَ أبـيـكـم بـنـاصـيـةِ الـمَـعـلـوب ضـاحـيـة غـصـبَـا
فـلـم تُـنـكِـروا أن يَـغـمِـزَ الـقـومُ جـاركـم بـإِحـدى الـدَّواهـي ثـم لـم تَـطـلُـعـوا نَـقـبَـا

[الطويل]

قال أَبو عبيدة: وهرَب الحارث، فغزا الأسود بني ذُبيان إذ نقضوا العهد وبني أَسَدٍ بشَطِّ أَريكٍ. قال أَبو عبيدة: وسألته عنه فقال: هما أَريكان الأسود والأبيض، ولا أَدري بأيّهما كانت الوقعة. قال أَبو عُبيدة وقال آخرون: إنَّ سَلمى امرأة سِنان التي أَخذ الحارث شُرَحبيل من عندها من بني أَسَدٍ. قال: فإِنما غزا الأسود بني أَسَدٍ لدفع الأسَدِيَّة سَلمى ابنه إلى الحارث، فقتل فيهم قتلاً ذَريعاً وسبى واستاق أَموالهم. وفي ذلك يقول الأعشى ميمون:

وشـيـوخٍ صَـرعـى بـشَـطِّـيْ أَريـكٍ ونـسـاءٍ كـأَنَّـهـنّ الـسَّـعـالـي[1]
مـن نَـواصـي دُودانَ إذ نـقـضـوا الـعـهـ ـد وذُبـيـانَ والـهِـجـانِ الـغـوالـي
رُبَّ رَفـدٍ هَـرَقَـتـه ذلـك الـيـو م وأَسـرى مـن مـعـشَـرٍ أَقـتـالِ
هٰـؤلَا ثـم هٰـؤلَا كُـلّاً احـذَيـ ـتَ نِـعـالاً مَـحـذُوَّةً بـمـثـالِ
وأرى مَـن عـصـاكَ أصـبـح مـخـذو لاً وكـعـبُ الـذي يُـطـيـعـك عـالـي

[الخفيف]

قال: ووُجد نعلُ شُرَحبيل عند أضاخٍ، وهو من الشَّرَبّة في بني مُحاربِ بن خَصَفَةَ بن قَيس عَيلان. قال: فأحمى لهم الأسودُ الصَّفا التي بصحراء أضاخٍ وقال لهم: إني أَحذيكم نِعالاً، فأَمشاهم على الصَّفا المُحمى فتساقط لحمُ أقدامهم. فلمَّا كان الإسلام قتل جَوشَنٌ الكِنديُّ رجلاً من بني مُحاربٍ فأُقيد به جوشنٌ بالمدينة. وكان الكنديُّ من رهط عبَّاس بن يزيد الكنديّ، فهجا بني مُحارب فعيّرهم بتحريق الأسود أقدامهم فقال:

عـلـى عَـهـدِ كِـسـرى نَـعَّـلـتـكـم مـلـوكُـنـا صَـفـاً مـن أضـاخٍ حـامـيـاً يَـتَـلَـهَّـبُ

[الطويل]

قال أبو عُبيدة: وصار ذلك مثلاً يتوعّد به الشعراءُ مَن هَجَوه ويحذِّرونهم مثل ذلك. ومن ذلك أن ابن عَتَّابٍ الكلبي ورد على بني النوس من جَديلة طيِّء، فسرقوا سهاماً له؛ فقال يحذِّرهم:

(١) السعالي: واحدتها السعلاة، وهي الغول.

بـنـي الـنـوس رُدُّوا أَسـهُـمـي إنَّ أَسـهُـمـي كـنَـعـلِ شُـرَحـبـيـل الـتـي فـي مُـحـارِبِ
[الطويل]

وقال في الجاهلية ابنُ أُمِّ كَهف الطائيُّ في مدحه لمالك بن حِمارٍ الشَّمخيّ، فذكر نعل شُرَحبيل فقال:

ومـولاك الـذي قـتـل ابـنَ سَـلـمـى عَـلانـيـةً شُـرَحـبـيـل ابـن نَـعـلِ
[الوافر]

لأنه لولا النعل لم يُعرَف، وإنما عُرِف بما صنع أَبوه ببني مُحاربٍ من أَجل نعله التي وُجدت في بني مُحاربٍ.

قال أَبو عبيدة: وأَخذ الأسود سِنان بن أبي حارثة، فأَتاه الحارث بن سُفيان أحدُ بني الصارد، وهو الحارث بن سُفيان بن مُرَّة بن عَوف بن الحارث بن سفيان أَخو سَيَّار بن عمرو بن جابر الفزاريّ لأمّه، فاعتذر إلى الأسود أَن يكون سِنان بن أبي حارثة علِم أَو اطَّلع، ولقد كان أَطرد الحارث من بلاد غطفان، وقال: عليَّ دِيَةُ ابنك ألفُ بعيرٍ ديَةُ الملوك؛ فحمَّلها إيَّاه وخلَّى عن سنانٍ؛ فأدّى إلى الأسود منها ثمانمائة بعيرٍ ثم مات. فقال سيَّار بن عمرو أَخوه لأمّه: أَنا أَقوم فيما بقي مقام الحارث بن سُفيان. فلم يرضَ به الأسود. فرهنه سيَّارٌ قَوسه، فأدّى البقيَّة. فلمَّا مدح قُراد بن حَنَشٍ الصارديُّ بني فَزارة جعل الحمالة كلها لسيَّار بن عمرو فقال:

ونـحـن رَهـنَّـا الـقَـوس ثُـمَّـتَ فُـوديـت بـأَلـفٍ عـلـى ظَـهـرِ الـفـزاريِّ أَقـرَعَـا
بـعَـشـرِ مِـئـيـنٍ لـلـمـلـوك سـعـى بـهـا لِـيُـوفـيَ سـيَّـارُ بـنُ عـمـرٍو فـأَسـرعَـا
رَمـيـنـا صـفـاه بـالـمِـئـيـنَ فـأصـبـحـتْ ثَـنـاياه لـلـسـاعـيـن فـي الـمـجـد مَـهـيَـعَـا(١)
[الطويل]

قال ويقال: بل قالها ربيع بن قَعنَبٍ، فردّ عليه قُرادٌ فقال:

مـا كـان ثَـعـلَـبُ ذي عـاجٍ لـيـحـمـلـهـا ولا الـفـزاريّ جُـوفـانُ بـن جُـوفـانِ
لـكـن تـضـمَّـنـهـا ألـفـاً فـأخـرجـهـا عـلـى تَـكـالـيـفـهـا حـارُ بـن سُـفـيـانِ
[البسيط]

وقال عُوَيف القَوافي بن عُيَينة بن حِصن بن حُذَيفة بن بَدرٍ في الإسلام يفخر على أَبي منظور الوَبريّ حين هاجاه أَحد بني وَبرِ بن كلابٍ:

فـهـل وجـدتـم حـامـلاً كـحـامـلـي إذ رهـنَ الـقَـوس بـألـفٍ كـامـلِ

(١) المهْيَع: الطريق الواضح الرحب.

بـدِيَـة ابـن الـمـلـك الـحُـلاحِـلِ فـافـتـكَّـهـا مـن قـبـلِ عـامٍ قـابـلِ
سَـيَّـارٌ الـمُـوفـي بـهـا ذو الـسـائـل

[الرجز]

قال أبو عُبيدة: فلمَّا قتل الحارثُ شُرحبيل لحقَ ببني دارم فلجأ إلى بني ضمرةَ. قال: وبنو عبد اللَّه بن دارم يقولون: بل جاور معبد بن زُرارَة فأجاره، فجرّ جُواره يوم رحرحان، وجرّ يومُ رحرحان يوم جبلةَ. وطلبه الأسود بن المنذرِ بخفْرته. فلمَّا بلغه نزوله ببني دارم أرسل فيه إليهم أن يُسلِموه فأبَوْا. فقال يمُنّ على بني قَطَن بن نهشَل بن دارم بما كان من النُّعمان بن المُنذر في أَمر بني رشيَّة وهي رُميلة حين طلبهم من لقيط بن زرارة حتى استنقذهم. ورشيَّة أَمةٌ كانت لزرارة بن عُدُس بن زيدٍ المُجاشِعي، فوطِئها رجلٌ من بني نهشل فأولدها؛ وكان زُرارة يأتي بني نهشلٍ يطلبُ الغِلمةَ التي ولدتْ، وولدت الأشهبَ بن رُميلة والرّبابَ بن رميلة وغيرهما، وكانوا يسمعونه ما يكره، فيرجع إلى ولده فيقول: أَسَمعني بنو عمي خيراً وقالوا: سنبعث بهم إليك عاجلاً، حتى مات زُرارةُ. فقام لَقيطٌ ابنه بأمرهم؛ فلمَّا أتاهم أسمعوه ما كره، ووقع بينهم شرٌّ. فذهب النهشليّ إلى الملك فقال: أَبَيتَ اللَّعنَ! لا تَصلُني وتصل قومي بأفضل من طِلبتِكَ إلى لقيطٍ الغِلمةَ ليكُفَّ عني. فدعاه فشرب معه، ثم استوهبهم منه فوهبهم له. فقال الأسود بن المنذر في ذلك:

كـأيِـنْ لـنـا مـن نـعـمـةٍ فـي رقـابـكـم بـنـي قَـطـنٍ فـضـلاً عـلـيـكـم وأنـعُـمـا
وكـم مِـنَّـةٍ كـانـتْ لـنـا فـي بُـيـوتـكـم وقـتْـل كـريـم لـم تَـعُـدُّوه مـغـرَمَـا
فـإنـكـم لا تـمـنـعـون ابـن ظـالـمٍ ولـم يـمس بـالأيـدي الـوشـيـجَ[1] الـمُـقَـوّمَـا

[الطويل]

فأجابه ضَمْرةُ بن ضمرةَ قال:

سـنـمـنـع جـاراً عـائـداً فـي بـيـوتـكـم بـأسـيـافـنـا حـتـى يـؤوبَ مُـسَـلَّـمَـا
إذا مـا دَعـونـا دارمـاً حـالَ دونـه عـوابسُ يَعلُكْنَ الشَّكيمَ[2] الـمُعجَّمَا[3]
ولـو كـنـتَ حـربـاً مـا وردت طُـويـلِـعـاً ولا حَـوفـه إلا خـمـيـسـاً عـرَمـرمَـا[4]

(١) الوشيج: هو أصلب القنا.
(٢) الشكيم: الشَّكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس.
(٣) المعجَّم: المعضوض.
(٤) العرموم: الكثير.

تـركـتَ بـنـي مـاءِ الـسـمـاءِ وفِـعـلـهـم وأَشـبـهـتَ تـيـساً بـالـحـجـاز مُـزنّـمَـا[1]
ولـن أذكـر الـنُّـعـمـان إلا بـصـالـحٍ فـإنّ لـه فـضـلاً عـلـيـنـا وأنـعُـمَـا

[الطويل]

قال: وبلغ ذلك بني عامر، فخرج الأحوص غازياً لبني دارم طالباً بدم أخيه خالد بن جعفر حين انطوَوا على الحارث وقاموا دونه، فغزاهم فالتقَوا برحرَحانَ، فهُزمت بنو دارم، وأسر معبد بن زُرارة، فانطلقوا به حتى مات في أيديهم، وحديثه في يوم رحرحانَ يأتي بعدُ.

ثم أَسر بنو هِزَّان الحارثَ بن ظالم. وقال أبو عُبيدةَ: خرج الحارث من عندهم، فجعل يطوف في البلاد حتى سقط في ناحيةٍ من بلاد ربيعة، ووضع سلاحه وهو في فلاةٍ ليس فيها أثرٌ ونام، فمرّ به نفرٌ من بني قيس بن ثعلبةَ ومعهم قومٌ من بني هِزَّان من عنزةَ وهو نائمٌ، فأخذوا فرسه وسلاحه ثم أوثقوه، فانتبه وقد شدّوه فلا يملك من نفسه شيئاً. فسألوه من أنت؟ فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر، فضربوه ليقتلوه على أن يُخبرهم من هو فلم يفعل. فاشتراه القيسيُّون من الهزّانيّين بزقٍّ خمرٍ وشاة ـ ويقال: اشتراه رجلٌ من بني سعد بإغلاق بكرةٍ وعشرين من الشاء ـ ثم انطلقوا به إلى بلادهم. فقالوا له: من أنت؟ وما حالك؟ فلم يُخبرهم. فضربوه ليموت فأبى. قال وهو قريبٌ من اليمامة.

قال: فبينما هم على تلك الحال وهم يُريغونه ضرباً مرَّةً وتهدّداً أخرى ولیناً مرَّةً ليخبرهم بحاله وهو يأبى، حتى ملُّوه، فتركوه في قيده حتى انفلت ليلاً، فتوجه نحو اليمامة وهي قريبٌ منه، فلقي غِلمةً يلعبون، فنظر إلى غلام منهم أخلقُهم للخير عنده فقال: مَن أنت؟ قال: أنا بُجيْرُ بن أبجرَ العِجليّ، وله ذُؤابةٌ يومئذٍ وأمّه امرأة قَتادةَ بن مَسلمةَ الحنفي. فأتاه وأخذ بحقويه[2] والتزمه وقال: أنا لك جارٌ. فيقال: إن عِجلاً أجارته في هذا اليوم لا في اليوم الأول الذي ذكرناه في أوَّل الحديث. فأتى الغلام أباه فأخبره وأجاره وقال: ائتِ عمّك قَتادة بن مَسلمة الحنفيّ فأخبره؛ فأتى قتادة فأَخبره فأجاره.

قال أبو عُبيدة: وأمَّا فِراسٌ فزعم أنه أَفلت من بني قيسٍ فأقبل شدّاً حتى أتى اليمامة، واتَّبعوه حتى انتهى إلى نادي بني حَنيفَة وفيه قتادةُ بن مَسلمةَ. فلمَّا رأوه

(١) المُزنَّم: العنز الذي تقطع أذنه وتُترك له زنمة فقط.
(٢) الحَقْو: الكَشْح.

يَهوي نحوهم قال: إن هذا لخائفٌ، وبصر بالقوم خَلفه فصاح به: الحِصنَ الحِصن! فأقبل حتى ولج الحِصن. وجاءت بنو قيسٍ، فحال دونه وقال: لو أخذتموه قبل دخوله الحِصن لأسلمتُه إليكم، فأمَّا إذا تحرّم بي فلا سبيل إليه. قال: فقالوا: أسيرُنا اشتريناه بأموالنا، وما هو لك بجارٍ ولا تعرفه، وإنما أتاك هارباً من أيدينا، ونحن قومك وجيرتُك. قال أمَّا أن أسلمه أبداً فلا يكون ذلك، ولكن اختاروا مني: إن شئتم فانظروا ما اشتريتموه به فخذوه مني، وإن شئتم أعطيته سلاحاً كاملاً وحملتُه على فرس ودعوه حتى يقطع الوادي بيني وبينه ثم دُونَكُموه: فقالوا؛ رضينا. فقال ذلك للحارث فقال نعم. فألبسه سلاحاً كاملاً وحمله على فرسه وقال له: إن أفلتَّهم فرُدّ إليَّ الفرس والسلاحُ لك.

قال: فخرج، وتركوه حتى جاز الوادي، ثم اتّبعوه ليأخذوه، فلم يزل يُقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بني قُشَيرٍ، وهو قريبٌ من اليمامة أيضاً بينهما أقلُّ من يوم. فلمَّا صار إلى بلاد بني قُشير يئسوا منه فرجعوا عنه. وعرفه بنو قُشير فانطووا عليه واكرموه. وردّ إلى قَتادة بن مَسلمة فرسه وأرسل إليه بمائة من الإبل، لا أدري أأعطاه إياها بنو قُشير من أموالهم ليكافىءَ بها قتادة أم كانت له، لم يُفسِّر أبو عُبيدة أمرها ولا سألته عنها. فقال الحارث بن ظالم في ابنيْ حُلاكة وهما من الذين باعوه من القيسيِّين وفيما كان من أمره ـ قال أبو عُبيدة: ويقال أسره راعيان من بني هِزَّان يقال لهما ابنا حُلاكة ـ:

أَبلغ لديك بني قيسٍ مُغلغلةً ... أني أُقَسَّمُ في هِزَّان ارباعا
ابنا حُلاكة باعاني بلا ثمن ... وباع ذو آل هزَّانٍ بما باعا
يا ابنيْ حُلاكة لمَّا تأخذا ثمني ... حتى أُقَسمَ أفراساً وأدراعا
قَتادةُ الخيرُ نالتني حَذّيتُه[1] ... وكان قِدماً إلى الخيرات طلَّاعا

[البسيط]

وقال في ذلك أيضاً:

همّت عُكابةُ أن تَضيمَ لُجيّماً ... فأبتْ لُجيّمُ ما تقول عُكابَهْ
فاسقي بُجيراً من رحيقِ مُدامة ... واسقي الخفير وطهِّري أثوابه
جاءت حَنيفةُ قبل جيئة يشكُرٍ ... كلّاً وجدنا أوفياءَ ذؤابَهْ

[الكامل]

(١) حذيّته: عطيّته وهِبَته.

مروره برجل من بني أسد:

وزعم أَبو عُبيدة أنَّ الحارثَ لمَّا هُزمت بنو تميم يوم رحرحان مرّ برجلٍ من بني أَسدِ بن خُزَيمة؛ فقال: يا حار إنك مشؤوم وقد فعلتَ ما فعلت، فانظر إذا كنت بمكان كذا وكذا من بُرقة رحرحان فإنَّ لي به جملاً أحمر فلا تَعرض له. وإنما يعرِّض له ويكره أَن يصرِّح فيبلُغ الأسود فيأخذه. فلمَّا كان الحارثُ بذلك المكان أَخذ الجمل فنجا عليه، وإذا هو لا يُسايرُ مِن أَمامه ولا يُسبَقُ من ورائه. فبلغ ذلك الأسود، فأخذ الأسودُ الأَسديّ وناساً من قومه. وبلغ ذلك الحارث بن ظالمٍ فقال كأنه يهجوهم لئلا يتَّهمهم الأسودُ:

أراني اللَّه بالنَّعَمِ المُنَدَّى[1] بِبُرْقةِ رَحرَحان وقد أراني
لحيِّ الأنكدينَ وحيِّ عَبسٍ وحيّ نَعامةٍ وبني غُدانِ

[الوافر]

لحوقه بمكة وانتماؤه إلى قريش:

قال: فلمَّا بلغ قوله الأسود خلَّى عنهم ولحق الحارث بمكة وانتمى إلى قريش؛ وذلك قوله:

وما قَومي بثعلبة بن سَعدٍ ولا بفَزارة الشُّعرِ الرّقابا
وقَومي إن سألتِ بنو لُؤَيٍّ بمكة عَلَّموا مُضَرَ الضِّرابا

[الوافر]

قال: فزوّده وحمله رَواحة الجُمَحيُّ على ناقة؛ فذلك قوله:

وهشَّ رَواحةُ الجُمَحيُّ رَحلي بناجيةٍ[2] ولم يَطلُبْ ثَوابا
كأنَّ الرَّحل والأنساعَ[3] منها ومِيثَرتي[4] كُسِين أَقَبَّ جابا

[الوافر]

لحوقه بالشام عند ملك من غسَّان ومقتله:

ـ يروى «حَشّ» و«هَشّ» وهما لغتان. وحَشَّ سوَّى ـ قال: فلحق الحارث بالشام بملك من ملوك غسَّان ـ يقال هو النعمان، ويقال بل هو يزيد بن عمرو الغسَّانيّ ـ

(١) المندَّى: الخيل التي ترد على الماء لتشرب قليلاً ثم ترعى ساعة ثم تردّ إلى الماء وهكذا.
(٢) النَّاجية: النَّاقة التي تنجو بنفسها وبمن ركبها.
(٣) الأنساع: مفردها نِسع، وهو ما تُشَدّ به الرِّحال.
(٤) الميثرة: هو وطاء محشوّ يوضع على رحل البعير.

فأجاره. وكانت للملك ناقةٌ مُحماةٌ في عُنقها مُديةٌ وزِنادٌ وصُرَّةُ مِلح، وإنما يختبر بذلك رعيَّته هل يجترئ عليه أحدٌ منهم. ومع الحارث امرأتان، فوَحِمتْ إحدى امرأتيه ـ قال أَبو عبيدة: وأصابت الناس سنةٌ شديدةٌ ـ فطلبت الشَّحمَ إليه. قال: ويحكِ! وأنَّى لي بالشحم والوَدَكِ[١]! فألحت عليه، فعمد إلى الناقة فأدخلها بطنَ وادٍ فلَبَّ في سَبَلتها (أَي طعنَ). فأكلت امرأته ورفعت ما بقي من الشحم في عُكَّتها[٢].

قال: وفُقِدتِ الناقة فوُجدت نَحيراً لم يُؤخَذ منها إلا السَّنامُ، فأعلموا ذلك الملك، وخفي عليهم مَن فعله. فأرسل إلى الخِمس التَّغلبيّ ـ وكان كاهناً ـ فقال: مَن نحر الناقة؟ فذكر أنَّ الحارث نحرها. فتذمَّم[٣] الملك وكذَّب عنه. فقال: إن أردت أن تعلم عِلمَ ذلك فدُسَّ امرأةً تطلب إلى امرأته شحماً، ففعل. فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته إليها شحماً، فعرف الداء فقتلها ودفنها في بيته. فلمَّا فقدت المرأة قال الخِمسُ: غالها ما غال الناقة، فإن كرِه الملكُ أن يفتِّشه عن ذلك فيأمر بالرحيل، فإذا ارتحل بُحث بيته، ففعل. واستثار الخمسُ مكان بيته؛ فوثب عليه الحارث فقتله؛ فأخِذ الحارثُ فحبس. فاستسقى ماءً فأتاه رجلٌ بماء فقال: أتشرَب؟ فأنشأ الحارث يقول:

لقد قال لي عند المجاهد صاحبي ... وقد حيل دون الميش[٤] هل أنت شاربُ
وَدِدتُ بأطراف البَنان لَوَ انَّني ... بذي أَروَنى ترمي ورانِي الثَّعالبُ

[الطويل]

ـ الثعالب: من مُرَّة وهم رُماةٌ. أَروَنَى: مكانٌ. وقال مَرَّةً أخرى: الثعالب بنو ثعلبة. يقول: كانوا يرمون عنّي ويقومون بأمري ـ قال: فأمر الملك بقتله. فقال: إنك قد أجرتَني فلا تَغدِرني. فقال: لا ضيرَ! إن غدرتُ بك مرَّةً فقد غدرت بي مِراراً. فأمر مالِك بن الخِمس التغلبيَّ أن يقتله بأبيه. فقال: يا ابنَ شَرِّ الأظماء أَنت تقتلني! فقتله. وقال ابن الكلبيّ: لمَّا قام ابن الخِمس إلى الحارث ليقتله قال: مَن أَنت؟ قال: ابنُ الخِمس. قال: أنت ابن شَرِّ الأظماء. قال: وأنت ابن شرّ الأسماء؛ فقتله. فقال رجلٌ من ضريّ ـ وهم حَيٌّ من جُرهُم ـ يرثي الحارث بن ظالم.

يا حارِ جِنِّيّا ... حُرّاً قُطامِيَّا[٥]

(١) الوَدك: الدَّسم.
(٢) العُكَّة: آنية السَّمن وهي أصغر من القِربة.
(٣) تذمَّم: استنكف، يقال: لو لم أترك الكذب تأثماً، تركته تذمّماً.
(٤) الميش: الخلط والمزج.
(٥) القطامي: الصقر، أو هو اللحم منه.

مـــا كُـــنـــت تـــرعِـــيَّـــا فـــي الـــبـــيـــت ضِـــجـــعِـــيَّـــا[١]
أدعـــى لُـــبـــاخِـــيَّـــا[٢] مُـــمَـــلأَّ عِـــيَّـــا

[مجزوء الرجز]

وأخذ ابن الخِمس سيف الحارث بن ظالم المعلوبَ، فأتى به سوقَ عُكاظَ في الحرَم، فجعل يعرضه على البيع ويقول: هذا سيف الحارث بن ظالم. فاسترآه إيَّاه قيس بن زهير بن جذيمة فأراه إيَّاه، فعلاه به حتى قتله في الحرَم. فقال قيس بن زهيرٍ يرثي الحارث بن ظالم:

مـا قَـصَـرتُ مـن حـاضـنٍ سِـترَ بـيـتـهـا أَبَـرَّ وأوفـى مـنـك حـارِ بـن ظـالـمِ
أعَـزَّ وأحـمـى عـنـد جـارٍ وذِمَّـةٍ وأضـربَ فـي كـابٍ مـن الـنَّـقـع قـاتـمِ

[الطويل]

هذه رواية أبي عبيدة والبَصريّين. وأمَّا الكوفيون فإنهم يذكرون أنَّ النعمان بن المنذر هو الذي قتله. أَخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا أَبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل قال:

لمَّا هرب الحارث إلى مكة أسف النُّعمانُ بن المنذر على فَوْته إياه، فلَطُفَ له وراسله وأعطاه الأمان، وأشهد على نفسه وجوهَ العرب من ربيعة ومُضَر واليمن أنه لا يطلبه بذَحلٍ ولا يسوؤه في حال، وأرسل به مع جماعة ليسكُن الحارثُ إليهم، وأمرهم أن يتكفَّلوا له بالوفاء ويَضمنوا له عنه أنه لا يَهيجه، ففعلوا ذلك. وسكن إليه الحارث، فأتى النعمان وهو في قصر بني مُقاتل، فقال للحاجب: استأذن لي، والناسُ يومئذٍ عند النعمان متوافرون، فاستأذن له، فقال النعمان: ائذن له وخُذ سيفه. فقال له: ضع سيفك وادخل. فقال الحارث: ولمَ أضعه؟ قال: ضعه. فلا بأس عليك.

فلمَّا ألحَّ عليه وضعه ودخل ومعه الأمانُ. فلمَّا دخل قال: أنعمْ صباحاً أبَيتَ اللَّعن. قال: لا أنعمَ اللَّه صباحك!. فقال الحارث: هذا كتابك! قال النعمان: كتابي واللَّه ما أُنكره، أنا كتبتُه لك، وقد غَدرت وفتكتَ مِراراً، فلا ضَير أن غدَرتُ بك مرَّة. ثم نادى: من يقتل هذا؟ فقام ابن الخِمس التغلبي ـ وكان الحارثُ فتك بأبيه ـ فقال: أنا أقتله. وذكر باقي الخبر في قصته مع ابن الخِمس مثل ما ذكر أبو عُبيدة.

* * *

(١) الضِّجعيّ: الذي يضَّجع في بيته ولا يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة.
(٢) لُباخيّ: كثير اللحم والشحم، ضخم.

خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة

وإنما ذُكر هاهنا لاتّصاله بمقتل خالد بن جعفر، ولأن فيما تناقضاه من الأشعار أغاني صالحٌ ذكرُها في هذا الموضع.

قال أبو عُبيدة: كان عمرو بن الإطنابة الخزرجيُّ مَلك الحجاز، ولمَّا بلغه قتلُ الحارث بن ظالم، خالد بن جعفر، وكان خالدٌ مصافياً له، غَضب لذلك غضباً شديداً، وقال: واللَّه لو لقي الحارثُ خالداً وهو يقظان لمَا نظر إليه، ولكنه قتله نائماً، ولو أتاني لعرف قدره؛ ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقيانه، فتغنَّينَ له:

عَـلِّـلانـي وعـلِّـلَا صـاحـبـيَّـا ... واسـقـيـانـي مـن الـمُـروّق[1] رِيَّـا
إنَّ فـيـنـا الـقـيـان يَـعـزِفْـنَ بـالـدُّ ... فِّ لـفـتـيـانـنـا وعـيـشـاً رخـيَّـا[2]
يـتـبـارَيـن فـي الـنَّـعـيـم ويـصـبُـبـ ... ـنَ خِـلالَ الـقـرون مِـسـكـاً ذكـيَّـا
إنَّـمـا هـمُّـهـنّ أَن يـتـحـلَـيْـ ... ـنَ سُـمـوطـاً[3] وسُـنـبـلاً فـارسـيَّـا
مـن سـمـوط الـمـرجـان فُـصِّـل بـالـشَّـذ ... رِ فـأَحـسـن بـحـلـيـهـنّ حُـلِـيَّـا
وفـتًـى يـضـرب الـكـتـيـبـة بـالـسَّـيـ ... ـفِ إذا كـانـت الـسـيـوفُ عِـصِـيَّـا
إنـنـا لا نُـسَـرُّ فـي غـيـر نـجـدٍ ... إنَّ فـيـنـا بـهـا فـتًـى خـزرجـيَّـا
يـدفـع الـضَّـيـم والـظُّـلامـة عـنـهـا ... فَـتـجـافـي عـنـه لـنـا يـا مَـنـيَّـا
أَبـلِـغِ الـحـارثَ بـن ظـالـم الـرِّعـ ... ـديـدَ والـنـاذر الـنُّـذُور عـلَـيَّـا
إنـمـا يَـقـتُـل الـنِّـيـام ولا يـقـ ... ـتـلُ يـقـظـانَ ذا سـلاح كـمِـيَّـا[4]
ومـعـي شِـكَّـتـي[5] مـعـابـلُ كـالـجـمـ ... ـرِ وأعـددتُ صـارمـاً مَـشـرفـيَّـا

(١) المُرَوَّق: الشراب اللذيذ المصفَّى.
(٢) رَخِيًّا: العيش الرخيّ هو العيش الرغيد الناعم.
(٣) سُمُوط: مفردها سِمط، وهو خيط النظم.
(٤) الكمّي: الشجَّاع المدجَّج بسلاحه.
(٥) الشِّكة: السِّلاح.

لـو هـبـطـت الـبـلاد أَنـسـيـتُـك الـقـتـ ـلَ كـمـا يُـنـسِـئ الـنَّـسـيء الـنَّـسِـيَّـا

[الخفيف]

قال: فلمَّا بلغ الحارثَ شعره هذا ازداد حنقاً وغيظاً، فسار حتى أتى ديارَ بني الخزرج، ثم دنا من قُبَّة عمرو بن الإطنابة، ثم نادى: أيُّها الملك أَغِثني فإني جارٌ مكثورٌ وخذ سلاحك، فأجابه وخرج معه. حتى إذا برز له عطف عليه الحارثُ وقال: أنا أبو ليلى! فاعتركا مليّاً من الليل. وخشي عمرو أن يقتله الحارثُ فقال له: يا حارِ، إني شيخٌ كبيرٌ وإني تعتريني سِنةٌ، فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غدٍ؟ فقال: هيهاتَ! ومن لي به في غدٍ! فتجاولا ساعةً، ثم ألقى عمرٌو الرُّمح من يده وقال: يا حارِ ألم أُخبرك أن النُّعاسَ قد يغلبني! قد سقط رمحي فاكفُف، فكفَّ. قال: أنظرني إلى غدٍ. قال: لا أَفعل. قال: فدعني آخذ رمحي: قال: خذه. قال: أخشى أن تُعجِلني عنه أو تفتك بي إذا أَردتُ أخذَه. قال: وذِمَّة ظالم لا أعجلتُك ولا قاتلتك ولا فتكتُ بك حتى تأخذَه. قال: وذمَّة الإِطنابة لا آخذُه ولاً أقاتلك. فانصرف الحارثُ إلى قومه وقال مُجيباً له:

إعـزِفـا لـي بـلَـذّةٍ قَـيـنَـتَـيَّـا قـبـلَ أَن يُـبـكِـرَ الـمـنـونُ عَـلَـيَّـا

قـبـلَ أَن يُـبـكِـرَ الـعـواذلُ إنّـي كـنـتُ قِـدمـاً لِأمـرهـنّ عَـصِـيَّـا

مـا أُبـالـي أراشـداً فـاصـبَـحـانـي حَـسِـبـتـنـي عَـواذلـي أم غَـوِيَّـا

بـعـدَ ألَّا أُصِـرَّ لـلَّـه إثـمـاً فـي حـيـاتـي ولا أخـونَ صَـفِـيَّـا

مـن سُـلافٍ[1] كـأنـهـا دمُ ظـبـيٍ فـي زُجـاجٍ تـخـالـه رازِقِـيَّـا[2]

بـلـغـتْـنـا مـقـالـةُ الـمـرءِ عـمـرٍو فـأنِـفـنـا وكـان ذاك بَـدِيَّـا

قـد هـمـمـنـا بـقـتـلـه إذ بـرزنـا ولَـقـيـنـاهُ ذا سـلاحٍ كـمـيَّـا

غـيـرَ مـا نـائـمٍ تـعـلَّـلَ بـالـحُـلـ ـمِ مُـعِـدّاً بـكَـفِّـه مَـشـرَفِـيَّـا

فـمـنَـنَّـا عـلَـيـه بـعـد عُـلُـوٍّ بـوفـاءٍ وكـنـتُ قِـدمـاً وَفِـيَّـا

ورجـعـنـا بـالـصَّـفـح عـنـه وكـان الـمَـنُّ مـنـا عـلـيـه بـعـدُ تَـلِـيَّـا

[الخفيف]

---

(١) سُلاف: اسم للخمر.

(٢) رازقيّ: ضرب من الثياب بيض تصنع من الكتّان.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها في شعر عمرو بن الإطنابة:

الغناء في شعر عمرو والحارث:

صـوت

عِـلِّـلانـي وعَـلِّـلا صـاحِـبـيّـا واسـقِـيـانـي مِـنَ الـمُـرَوَّقِ رِيَّـا
إنَّ فـيـنـا الـقِـيـانَ يـعـزفـن بـالـدُّفّ لـفِـتـيـانـنـا وعـيـشـاً رَخِـيَّـا

[الخفيف]

غنَّته عَزّةُ المَيلاءُ من رواية حَمَّاد عن أَبيه خفيفَ رملٍ بالوسطى. قال حمَّاد أَخبرني أَبي قال بلغني أَنَّ معبداً قال: دخلتُ على جميلةَ وعندها عَزَّةُ الميلاءُ تغنِّيها لحنَها في شِعر عمرو بن الإِطنابة الخزرجيّ:

عـلِّـلانـي وعـلـلا صـاحـبـيَّـا

على مِعزَفةٍ[1] لها وقد أَسَنَّت[2]، فما سمعتُ قطُّ مثلَها وذهبتْ بعقلي وفتنتني، فقلت: هذا وهي كبيرة مُسِنَّةٌ! فكيف بها لو أدركتُها وهي شابَّة! وجعلتُ أعجب منها.

ومنها في شعر الحارث بن ظالم:

صـوت

مـا أُبـالـي إذا اصـطـبـحـتُ ثـلاثـاً أرشـيـداً حَـسـبـتـنـي أم غَـوِيَّـا
مـن سُـلافٍ كـأنـهـا دمُ ظـبـيٍ فـي زُجـاجٍ تـخـالـه رازِقـيَّـا

[الخفيف]

غنَّاه فُلَيح بن أَبي العَوراء رملاً بالبنصر عن عمرو بن بانة. وغنَّاه ابن مُحرزٍ خفيف ثقيلٍ أوّل بالخنصر من رواية حبشٍ.

ومنها:

صـوت

بـلـغـتـنـا مـقـالـة الـمـرءِ عـمـرٍو فـأنِـفـنـا وكـان ذاك بَـدِيَّـا

---

(١) مِعزَفَة: آلة العزف.
(٢) أسنّت: كبرت في السِّن.

قد هممنا بقتله إذ برزنا ولَقِيناه ذا سَلاحٍ كميَّا

[الخفيف]

غنَّاه مالكٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر من رواية حبش، وذكر إسحاق في مجرَّده أنَّ الغناء في هذين البيتين ليونس الكاتب، ولم يَنسُب الطريقة ولا جنَّسها.

* * *

خبر رحرحان الثاني

ونذكر هاهنا خبر رحرحان
ويوم قتله إذ كان مقتل الحارث وخبرُه خبرَهما

أخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن العبَّاس اليزيديّ في كتاب النقائض قالاً قال أَبو سعيدٍ الحسنُ بن الحسين السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب عن أَبي عبيدة قال:

كان من خبر رَحرحان الثاني أَنَّ الحارث بن ظالم المُرّيَّ لمَّا قتل خالد بن جعفر ابنِ كلابٍ غَدراً عند النعمان بن المُنذِر بالحيرة هرَبَ فأتى زُرارةَ بن عُدُسٍ فكان عنده، وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه، وكَرِه أَن يكون لقومه زَعمٌ عليه وـ الزعم المِنَّة ـ فلم يَزلْ في بني تميم عند زُرارةَ حتى لحق بقُرَيش. وكان يقال: إنَّ مُرّة بن عَوفٍ من لُؤَيِّ بن غالبٍ، وهو قول الحارث بن ظالمٍ ينتمي إلى قريش:

رفعتُ السيفَ إذ قالوا قُرَيشٌ ... وبيَّنتُ الشمائلَ والقِبابا
فما قَومي بثعلبة بنِ سَعدٍ ... ولا بفَزارةَ الشُّعرِ الرّقابا

[الوافر]

وأتاهم لذلك النسب، فكان عند عبد اللَّه بن جُدعان. فخرجت بنو عامر إلى الحارث بن ظالم حيث لجأ إلى زُرارة وعليهم الأحوصُ بنُ جعفر، فأصابوا امرأةً من بني تميم وجدوها تحتطِب، وكان في رأس الخيل التي خرجتْ في طلب الحارث بن ظالم شُرَيحُ بنُ الأحوَص، وأصابوا غِلماناً يجتنون الكمأةَ. وكان الذي أصاب تلك المرأةَ رجلاً من غنيٍّ، فأرادت بنو عامر أخذها منه، فقال الأحوصُ: لا تأخذوا أَخيذة خالي. وكانت أمُّ جعفر (يعني أَبا الأحوص) خَبِيَّةَ بنتَ رياح الغنويّ وهي إحدى المُنجبات. ويقال: أَتى شُرَيحُ بن الأحوص بتلك المرأة إليه، فسألها عن بني تميم، فأخبرتهم أنهم لحقوا بقومهم حين بلغهم مجيئكم. فدفعها الأحوصُ إلى الغنويّ فقال: اعفِجها[1] الليلة واحذَر أَن تنفلت. فوطئها الغنويُّ ثم نام، فذهبت على وجهها فلمَّا أصبح دَعوا بها فوجدوها قد ذهبت. فسألوه عنها فقال: هذا حِري رَطباً من زُبِّها.

(١) اعفجها: جامِعها.

وكانت المرأة يقال لها حنظلة، وهي بنت أَخي زرارة بن عُدُسٍ. فأتت قومها، فسألها عمها زرارة عمَّا رأتْ، فلم تستطع أَن تَنطِق. فقال بعضهم: اسقوها ماءً حارّاً فإن قلبها قد برَد من الفرَق، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنَّت. فقالت: يا عَمِّ! أخذني القوم أمس وهم فيما أرى يُريدونكم، فاحذَر أنت وقومك. فقال: لا بأس عليك يا بنتَ أَخي، فلا تَذعَري قومَكِ ولا تَرُوعِيهم، وأَخبريني ما هيئةُ القوم وما نَعتُهم. قالت: أَخذني قومٌ يُقبِلون بوجوه الظِّباء، ويُدبِرون بأعجاز النساء. قال زرارة: أولئك بنو عامرٍ، فمن رأيتِ فيهم؟ قالت: رأيتُ رجلاً قد سقط حاجباه على عينيه فهو يرفَع حاجبيه، صغير العينين، عن أمره يَصدُرون. قال: ذاك الأحوص بن جعفر. قالت: ورأيتُ رجلاً قليل المَنطق، إذا تكلَّم اجتمع القومُ لمنطِقِه كما تجمع الإِبل لفحلها، وهو من أَحسن الناس وجهاً، ومعه ابنان له لا يُدبِر أبداً إلَّا وهما يتبعانه، ولا يُقبِل إلَّا وهما بين يديه. قال: ذلك مالكُ بن جعفر، وابناه عامرٌ وطُفَيلٌ. قالت: ورأيتُ رجلاً أبيضَ هِلقامةً جسيماً ـ والهلقامة[1] الأفوه[2] ـ. قال: ذلك ربيعةُ بن عبد اللَّه بن أَبي بكر بن كلابٍ. قالت: ورأيتُ رجلاً أسود أخنس قصيراً، إذا تكلَّم عَذَم القوم عَذم المنخوس. قال: ذلك ربيعةُ بن قُرط بن عبد بن أَبي بكر بنِ كلاب. قالت: ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين، أقرنَ الحاجبين، كثير شَعَرِ السَّبلة، يسيل لُعابُه على لحيته إذا تكلَّم. قال: ذلك حُندُجُ بن البكَّاء. قالت: ورأيتُ رجلاً صغير العينين، ضيِّق الجبهة طويلاً، يقود فرساً له، معه جفيرٌ لا يُجاوز يدَه. قال: ذلك ربيعةُ بن عقيل. قالت: ورأيت رجلاً آدَمَ، معه ابنان له حسنَا الوجه أصهبان، إذا أقبلا نظر القومُ إليهما حتى ينتهيا، وإذا أدبرا نظروا إليهما. قال: ذلك عمرو بن خُوَيلد بن نُقَيل بن عمرو بن كلابٍ، وابناه يزيد وزُرعةُ. ويقال: قالت: ورأيتُ فيهم رَجُلَين أَحمرَين جسيمَين ذوي غدائر لا يفترقان في ممشّى ولا مجلس، فإذا أدبرا اتَّبعهما القوم بأَبصارهم، وإذا أقبلا لم يزالوا ينظرون إليهما حتى يجلسا. قال: ذانك خُوَيلدٌ وخالد ابنا نُفَيل. قالت: ورأيتُ رجلاً آدَم جسيماً كأنَّ رأسه مجزُّ غَضورَةٍ ـ والغضورةُ: حشيشٌ دُقاقٌ خَشِنٌ قائم يكون بمكة. تريد أَنّ شعرَه قائم خشنٌ كأنه حشيشٌ قد جُزّ ـ. قال: ذلك عَوف بن الأحوص. قالت: ورأيت رجلاً كأنَّ شعرَ فخذَيه حَلَقُ الدّروع. قال: ذلك شُرَيح بن الأحوص. قالت: ورأيت رجلاً أسمر طويلاً يجول في القوم كأنه غريبٌ. قال: ذلك عبد اللَّه بن جَعدة. ويقال: قالت: ورأيت رجلاً كثير شعر الرأس، صَخَّاباً لا يدَعُ

(١) الهلقامة: الضخم الطويل.
(٢) الأفوَه: العظيم الفم، أو المتكلم.

طائفةً من القوم إلَّا أصخبها. قال: ذلك عبد اللَّه بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

أسر معبد بن زرارة ومقتله:

فسارت بنو عامر نحوهم، والتقوا برَحرحان، وأسِر يومئذٍ معبدُ بن زُرارة، أسره عامر بن مالكٍ، واشترك في أَسره طُفَيل بن مالك ورجلٌ من غنيٍّ يقال له بو عُمَيلة وهو عِصمةُ بن وَهب وكان أخا طُفَيل بن مالك من الرّضاعة. وكان معبد بن زرارة رجلاً كثير المال. فوفد لقيطُ بن زرارة على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رَجبٌ، وكانت مُضَرُّ تدعوه الأصمَّ؛ لأنهم كانوا لا يتنادَون فيه يا لَفُلانٍ ويا لفلانٍ، ولا يتغازَون ولا يتنادَون فيه بالشِّعارات، وهو أَيضاً مُتصلُ الألِّ. والألُّ: الأسنَّةُ؛ كانوا إذا دخل رَجبٌ أَنصلوا[1] الأسنَّة من الرّماح حتى يخرجَ الشهر. وسأل لقيطٌ عامراً أَن يُطلِق أخاه. فقال: أمَّا حِصَّتي فقد وهبتها لك، ولكن أرضِ أخي وحليفي اللَّذَين اشتركا فيه. فجعل لقيطٌ لكلّ واحدٍ مائةً من الإبل، فرضيا وأتيا عامراً فأخبراه. فقال عامرٌ للقيطٍ: دونك أخاك، فأطلق عنه. فلمَّا أُطلق فكَّر لقيطٌ في نفسه فقال: أعطيهم مائتي بعيرٍ ثم تكون لهم النعمةُ عليّ بعد ذلك! لا واللَّه لا أفعل ذلك!

ورجع إلى عامر فقال: إنّ أبي زُرارة نهاني أَن أَزيد على مائةٍ دِيةِ مُضَرَ، فإن أَنتم رضيتم أعطيتكم مائةً من الإبل. فقالوا: لا حاجةَ لنا في ذلك؛ فانصرف لقيطٌ. فقال له مَعبدٌ: مالي يُخرجني من أيديهم. فأبى ذلك عليه فقال: إذاً يقتسم العرب بني زُرارة. فقال معبدٌ لعامر بن مالك: يا عامر! أنشدُك اللَّه لمَّا خلَّيت سبيلي، فإنما يريد ابنُ الحمراءِ أن يأكل كلَّ مالي ـ ولم تكن أُمُّه أمَّ لقيط ـ. فقال له عامر: أبعدك اللَّه! إن لم يُشفِق عليك أخوك فأَنا أَحَقُّ ألَّا أُشفِق عليك. فعمدوا إلى معبدٍ فشدُّوا عليه القِدَّ[2] وبعثوا به إلى الطائف، فلم يزل به حتى مات. فذلك قول شرَيح بن الأحوص:

لقيطُ وأنت امرؤٌ ماجدٌ ... ولكنّ حِلمك لا يَهتدي
ولمَّا أَمِنتَ وساغ الشَّرا ... ب واحتلَّ بيتُك في ثَهمَدِ
رفعتَ برجليك فوق الفِرا ... شِ تُهدي القصائد في مَعبدِ

(١) أنصلوا: أزالوا الرمح عن السهم.
(٢) القِّد: السوط.

وأسلمته عند جِدِّ القتالِ وتبخل بالمال أن تَفتدي
[المتقارب]

شعر لعوف بن عطية يعيِّر لقيطاً:

وقال في ذلك عَوف بن عَطيَّة بن الخَرع التَّيميُّ يعيِّر لقيطَ بن زُرارة:

هَلَّا فوارس رَحرحان هَجَوتَهم عُشَراً[1] تَناوَحُ في سَرارة وادِ
لا تأكلُ الإبلُ الغِراثُ[2] نَباتَه ما إن يقوم عِمادُه بعِمادِ
هَلَّا كَرَرتَ على أُخَيِّك مَعبَدٍ والعامريُّ يقودُه بصِفادِ[3]
وذكرتَ من لبن المحلَّق شَربةً والخيل تعدو بالصِّفاح بَدادِ
[الكامل]

ـ بَدادِ: متفرقة. والصِّفاح: موضع. والمحلَّق: موسومة بحلَقٍ على وجوهها. يقول ذكرتَ لبنها، يعني إبلَه ـ:

لو كنتَ إذ لا تستطيعُ فديتَه بهجان أُدم طارف وتِلادِ
لكنْ تركتَه في عميقٍ قَعرُها جَزَراً لخامعةٍ[4] وطيرِ عَوادِ
لو كنتَ مُستَحِياً لِعرضك مَرَّةً قاتلتَ أَو لفَدَيتَ بالأذوادِ
[الكامل]

وفيها يقول نابغةُ بني جَعدة:

هَلَّا سألتَ بيومَيْ رَحرحان وقد ظَنَّتْ هَوازِنُ أنَّ العزّ قد زالا
[البسيط]

مما قاله الشعراء في وقعة رحرحان:

وفيها يقول مِقدامٌ أخو بني عُدُس بن زَيدٍ في الإسلام، وقتلتْ بنو طُهَيَّة ابناً للقَعقاع بن مَعبدٍ، فتوادَوْا فأخذتْ بنو طُهَيَّة منهم الفضلَ:

وأنتم بنو ماءِ السماءِ زعمتمُ ومات أبوكم يا بني مَعبدٍ هُزْلا
[الطويل]

---

(١) العشر: من كبار الشجر وله صمغ حلو، وهو عريض الورق، ينبت للأعلى.
(٢) الغِراث: الجياع، غِرث جاع مفردها غرثان وغرثى.
(٣) الصِّفاد: ما يوثق به الأسير من قِدٍّ أو قيد.
(٤) الخامعة: الضبع، جمعها خوامع.

وقال المخبَّل السَّعديُّ يذكر مَعبداً:

فـإن تَـكْ نـالـتـنـا كُـلَـيـبٌ بـقِـرَّةٍ فـيـومُـك فـيـهـم بـالـمـصـيـفـةِ أَبـرَدُ
هـمُ قـتـلـوا يـوم الـمـصـيـفـة مـالـكـاً وشـاط[1] بـأيـديـهـم لـقـيـطٌ ومَـعـبـدُ

[الطويل]

وفيها يقول عِياضُ بن مَرثَد بن أُسَيد بن قُريط بن لبيدٍ في الإِسلام:

ونـحـن أَسَـرنـا مَـعـبـداً يـوم مـعـبـدٍ فـمـا افـتُـكَّ حـتـى مـات مِـن شِـدَّة الأسـرِ
ونـحـن قـتـلـنـا بـالـصَّـفـا بـعـد مـعـبـدٍ أخـاه بـأطـراف الـرُّدَيـنـيَّـة الـسُّـمـرِ

[الطويل]

* * *

(١) شاط: هلك ومات.

يوم شعب جبلة

وهذا يوم شِعَبِ جبلة:

قال أَبو عبيدة: وأَمَّا يوم جبلة، وكان من عِظام أَيام العرب؛ وكان عِظامُ أَيَّام العرب ثلاثةً: يومَ كُلابِ ربيعة، يوم جبلة، ويوم ذي قارٍ. وكان الذي هاج يوم جبلة أنَّ بني عَبسِ بن بَغيضٍ حين خرجوا هاربين من بني ذُبيان بن بغيضٍ وحاربوا قومهم خرجوا مُتلدِّدين[1]. فقال الربيع بن زيادٍ العبسيُّ: أَمَا واللَّه لأرمينّ العرب بحجرها، اقصدوا لبني عامر؛ فخرج حتى نزل مَضيقاً من وادي بني عامر ثم قال: امكثوا. فخرج ربيعٌ وعامر ابنا زيادٍ والحارثُ بن خُلَيفٍ حتى نزلوا على ربيعة بن شَكَلِ بن كعب بن الحَريش، وكان العَقد من بني عامر إلى بني كعب بن ربيعة وكانت الرياسة في بني كلاب بن ربيعة. فقال ربيعة بن شَكَلٍ: يا بني عَبسٍ، شأنُكم جليلٌ، وذَحلُكم الذي يُطلَبُ منكم عظيمٌ، وأَنا أَعلم واللَّه أَنَّ هذه الحربَ أعزُّ حربٍ حاربتها العربُ قطُّ. ولا واللَّه ما بُدٌّ من بني كِلابٍ، فأَمهلوني حتى أستطلع طِلعَ قومي.

فخرج في قومٍ من بني كعبٍ حتى جاؤوا بني كلابٍ، فلقيهم عَوف بن الأحوص فقال: يا قوم، أَطيعوني في هذا الطَرَف من غطفان، فاقتُلوهم واغنَموهم لا تُفلِح غَطَفانُ بعده أَبداً. ووالله إن تزيدون على أَن تُسَمِّنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أَعداء. فأَبَوْا عليه، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم. فقال لربيعة بن شَكَلٍ: أَظَلَّلْتهم ظِلَّك وأطعمتَهم طعامَك؟ قال: نعم. قال: قد واللَّه أجرتَ القومَ! فأنزلوا القوم وسطهم بحبوحة دارهم.

وذكر بِشرُ بن عبد اللَّه بن حَيَّان الكلابيُّ أَنَّ عَبساً لمَّا حاربت قومها أَتَوْا بني عامر وأَرادوا عبدَ اللَّه بن جَعدة وابن الحَريش ليصيروا حلفاءَهم دون كلابٍ؛ فأتى قيسُ بن زهيرٍ وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زِيادٍ حتى انتهيا إلى الأحوص جالساً قدّامَ بيته. فقال قيسٌ للربيع: إنه لا حِلفَ ولا ثِقَةَ دون أَن أَنتهيَ إلى هذا الشيخ. فتقدّم إليه قيسٌ فأخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال: هذا مقامُ العائذ بك!

(١) متلدّدين: متحيرين، ومتلفتين يميناً ويساراً.

قتلتم أَبي فما أَخذتُ له عَقلاً ولا قتلتُ به أَحداً، وقد أَتيتك لتُجيرنا. فقال الأحوص: نعم! أَنا لك جارٌ مما أُجير منه نفسي، وعَوف بن الأحوص عن ذلك غائبٌ. فلما سمع عوفٌ بذلك أتى الأحوص وعنده بنو جعفرٍ فقال: يا معشر بني جعفر، أَطيعوني اليوم واعصوني أَبداً، وإن كنتُ واللَّه فيكم مَعصِيّاً. إنهم واللَّه لو لَقُوا بني ذُبيان لَوَلَّوكم أَطراف الأسنَّة إذا نَكَهوا في أفواههم بكلام! فابدَؤوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثل البُرغوث دِماغُه في دمه. فأبَوْا عليه وحالَفوهم. فقال: واللَّه لا أدخل في هذا الحِلفِ!

قال: وسمعتْ بهم حيث قرَّ قرارهم بنو ذُبيان، فحشدوا واستعدُّوا وخرجوا وعليهم حصنُ بن حُذَيفة بن بَدرٍ ومعه الحَليفان أَسَدٌ وذبيان يطلبون بدم حُذَيفةَ، وأَقبل معهم شُرَحبيل بن أخضر بن الجَون ـ والجَون هو معاوية؛ سمّى بذلك لشدَّة سواده ـ ابن آكل المُرار الكِنديّ في جَمع من كِندةَ، وأقبلت بنو حَنظلة بن مالكٍ والرّبابُ عليهم لقيطُ بن زرارة يطلبون بدم مَعبد بن زُرارة ويَثربِيِّ بن عُدُسٍ، وأَقبل معهم حسَّان بن عمرو بن الجَون في جمع عظيم من كِندة وغيرهم، فأقبلوا إليهم وبضائع[1] كانت تكون بالحيرة مع الملوك وهم الرابطة. وكان في الرّباب رجلٌ من أشرافهم يقال له النعمان بن قَهوَسٍ التَّيميُّ، وكان معه لِواء مَن سار إلى جبلة، وكان من فُرسان العرب. وله تقول دَختَنوسُ بنت لقيط بن زُرارة يومئذٍ:

فَـرَّ ابـنُ قَـهـوَسٍ الـشُّـجـا ... عُ بـكَـفِّـه رُمـحٌ مِـتَـلُّ
يـعـدُو بـه خـاظـي الـبَـضـيـ ... ـع[2] كـأَنَّـه سِـمـعٌ أَزَلُّ[3]
إنـك مِـن تَـيـمٍ فَـدَعْ ... غَـطَـفـان إن ساروا وحـلُّـوا

[مجزوء الكامل]

ـ مِتَلٌّ: مستقيم، يُتَلُّ به كلُّ شيء. الخاظي: الشيءُ المُكتَنِز. والسِّمعُ: ولدُ الضَّبُعِ من الذَّئب. والعِسبار: ولدُ الذّئب من الكلبة ـ:

لا مِـنـك عِـدُّهـمُ ولا ... آبـاكَ إن هَـلَـكـوا وذَلُّـوا
فـخـرَ الـبـغِـيِّ بـحِـدج[4] ربَّـ ... ـتـهـا إذا الـنـاسُ اسـتـقَـلُّـوا
لا حِـدَجـهـا ركِـبـتْ ولا ... لِـرَغـالِ[5] فـيـه مُـسـتَـظَـلُّ

(١) الوضائع: أسماء أقوام من الجند تجعل أسماؤهم في كورة لا يغزون منها.
(٢) البضيع: اللّحم.
(٣) الأزلّ: الخفيف الوركين، أو السّريع.
(٤) حِدج: ضرب من مراكب النساء.
(٥) رَغال: أمَة.

ولـــقـــد رأيـــتُ أَبـــاك وَســـــ ـط الـقَـومِ يَـربُـق[١] أو يَـجـلُّ
مُـــتَـــقَـــلِّـــداً رِبْـــقَ الـــفُـــرا ر كـــأَنَّـــه فـــي الـــجِـــيـــدِ غُـــلُّ

[مجزوء الكامل]

ـ يَجُلُّ: يلقط البَعَرَ. والفُرار: أولاد الغنم، واحدُها فرارةَ ـ. قال: وكان معهم رؤساء بني تميم: حاجبُ بن زُرارة ولَقيط بن زرارة وعمرو بن عمرٍو وتُتَيبة بن الحارث بن شِهابٍ، وتبِعهم غُثاء من غثاء الناس يريدون الغنيمة، فجمعوا جمعاً لم يكن في الجاهلية قطُّ مثله أكثر كثرةً، فلم تَشُكّ العربُ في هلاك بني عامر. فجاؤوا حتى مرّوا ببني سَعدِ بن زيدِ مَناةَ، فقالوا لهم: سِيروا معنا إلى بني عامر. فقالت لهم بنو سَعدٍ: ما كنَّا لنسير معكم ونحن نزعم أَنَّ عامر بن صَعصعة بن سَعدِ بن زيدِ مَناةَ.

فقالوا: أمَّا إذا أبيتم أن تسيروا معنا فاكتُموا علينا. فقالوا: أمَّا هذا فنعَم. فلما سمعتْ عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفرٍ، وهو يومئذٍ شيخٌ كبيرٌ قد وقع حاجباه على عينيه وقد ترك الغزوَ غيرَ أَنه يُدَبِّر أَمر الناس، وكان مُجَرَّباً حازماً ميمون النَّقيبة[٢]، فأخبروه الخبر. فقال لهم الأحوص: قد كبِرتُ، فما أستطيع أن أَجيء بالخَرْم[٣] وقد ذهب الرأي منّي، ولكنّي إذا سمعتُ عرفتُ، فأجمعوا آراءكم ثم بيتوا ليلتكم هذه ثم اغدوا عليَّ فاعرِضوا عليّ آراءكم، ففعلوا.

فلمَّا أصبحوا غَدَوا عليه، فوُضِعت له عَباءةٌ بفنائه فجلس عليها، ورفع حاجبيه عن عينيه بعِصابةٍ ثم قال: هاتوا ما عندكم. فقال قيس بن زهيرٍ العبسيّ: بات في كنانتي الليلة مائةُ رأيٍ. فقال له الأحوص: يكفينا منها رأيٌ واحدٌ حازمٌ صَليبٌ مُصيبٌ، هات فانثر كنانتك. فجعل يعرِض كلَّ رأيٍ رآه حتى أنفَدَ. فقال له الأحوص: ما أرى باتَ في كنانتك الليلة رأيٌ واحدٌ! وعرض الناس آراءهم حتى أَنفدوا. فقال: ما أسمع شيئاً وقد صِرتم إليَّ، احملوا أثقالكم وضُعفاءكم ففعلوا، ثم قال: احملوا ظُعُنكم فحملوها، ثم قال: اركبوا فركبوا، وجعلوه في محمَّةٍ، وقال: انطلقوا حتى تُعلُوا في اليمين، فإن أدرككم أحدٌ كررتم عليه، وإن أعجزتموهم مضيتم.

فسار الناس حتى أَتَوْا وادي بحارٍ ضحوةً، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض. فقال الأحوص: ما هذا؟ قيل: هذا عمرو بن عبد اللَّه بن جَعدة في فِتيانٍ من بني عامرٍ يَعقِرون بمن أجاز بهم ويقطعون بالنساء حَواياهنّ[٤]. فقال الأحوص: قدِّموني،

(١) يربق: يربط البهيمة ويشدها بعروة في حبل. (٣) الخَرم: المفسدة.
(٢) النَّقيبة: نفاذ الرأي، والمشورة. (٤) حواياهنّ: مراكبهنّ.

فقدَّموه حتى وقف عليهم فقال: هذا الذي تصنعون؟! قال عمرٌو: أردت أن تفضحنا وتُخرَجنا هاربين من بلادنا ونحن أعزُّ العرب، وأكثرهم عدداً وجَلَداً وأَحَدُّهم شوكةً! تريد أَن تجعلنا مَواليَ في العرب إذ خرجتَ بنا هارباً! قال: فكيف أفعلُ وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به! فما الرأي؟ قال: نَرجع إلى شِعبِ جبلة فنُحرِز النساء والضَّعفةَ والذَّراريَّ والأموال في رأسه ونكون في وَسَطه ففيه ثملٌ (أي خِصبٌ وماء). فإن أقام مَن جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ولا مُقام لهم، وإن صَعدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة، فكنتَ في حِرزٍ وكانوا في غير حِرزٍ، وكنتَ على قتالهم أقوى منهم على قتالك. قال: هذا واللَّه الرأي، فأين كان هذا عنك حين استشرتُ الناس؟ قال: إنما جاءني الآن. قال الأحوص للناس: ارجعوا فرجعوا. ففي ذلك يقول نابغةُ بني جعدة:

ونحن حَبسنا الحيَّ عَبساً وعامراً ... لحسَّان وابن الجَون إذ قيل أقبِلا
وقد صَعِدتْ وادي بحارٍ نِساؤهم ... كإصعادِ نَسرٍ لا يرومون منزلا
عَطَفنا لهم عَطفَ الضَّروس فصادفوا ... من الهضبة الحمراء عِزّاً ومَعقِلا

[الطويل]

ثم دخولهم شعب جبلة:

ـ الضَّروس: الناقة العَضوض ـ فدخلوا شِعب جبلة. وجبلة: هضبةٌ حمراء بين الشُّرَيف والشَّرَف. والشّرَيفُ: ماءٌ لبني نُمَيرٍ. والشَّرَف: ماءٌ لبني كلابٍ. وجبلة: جبلٌ عظيم له شِعبٌ عظيمٌ واسعٌ، لا يُؤتى الجبل إلا من قبل الشِّعب، والشِّعب مُتقاربُ المدخل وداخله مُتَّسعٌ، وبه اليوم عرينة من بَجيلة. فدخلت بنو عامر شِعَباً منه يقال له مُسَلِّحٌ، فحصَّنوا النساء والذراريّ والأموال في رأس الجبل، وحلَّثوا الإبل عن الماء، واقتسموا الشِّعبَ بالقِداح فأقرعَ بين القبائل في شَظاياه، فخرجت بنو تميم ومعهم بارِقٌ (حيٌّ من الأزدِ حُلفاءُ يومئذٍ لبني نُمَيرٍ. وبارقٌ هو سعد بن عديّ بن حارثة بن عمرو مُزَيقِياء بن عامرِ ماء السماء. وسُمّي مُزَيقياء لأنه كان يمزِّق عليه كلَّ يوم حُلَّةً) فولجوا الخليفَ (والخليفُ: الطريق بين الشِّعبَين شِبه الزُّقاق) لأنَّ سَهمَهم تخلَّف. وفيه يقول مُعَقِّرُ بن أوسِ بن حِمارٍ البارقيُّ:

ونحن الأيمنون بنو نُميرٍ ... يَسيلُ بنا أَمامَهمُ الخليفُ

[الوافر]

قال: وكان مُعَقِّرٌ يومئذٍ شيخاً كبيراً أَعمى ومعه ابنةٌ له تقود به جمله. فجعل

يقول لها: من أَسهل من الناس؟ فتخبره وتقول هؤلاء بنو فلان، وهؤلاء بن فلان، حتى إذا تناهى الناسُ قال: اهبطي، لا يزال هذا الشِّعبُ مَنيعاً سائرَ هذا اليوم، وهبط.

وكانت كَبشةُ بنتُ عُروةَ الرَّحَّالِ بن عُتبة بن جعفر بن كلابٍ يومئذٍ حاملاً بعامر بن الطُّفَيل، فقالت: وَيلكم يا بني عامرٍ ارفَعوني! فواللَّه إنَّ في بطني لَعِزَّ بني عامر. فصفُّوا القِسِيَّ على عَواتقهم ثم حملوها حتى أَثوَوْها بالقُنَّة (يقال قُنَّةٌ وقِنانٌ). فزعموا أنها ولدتْ عامِراً يوم فرَغ الناس من القتال. فشهدت بنو عامر كلُّها جبلة إلَّا هِلال بن عامرٍ وعامر بن ربيعة بن عامرٍ، وشهدها مع بني عامرٍ من العرب بنو عبس بن رِفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سُلَيم وكان لهم بأسٌ وحَزمٌ وعليهم مِرداسُ بن أَبي عامرٍ، وهو أَبو العبَّاس بنِ مِرداسٍ. وكانت بنو عَبسِ بن رِفاعة حلفاء بني عمرو بن كلابٍ. وزعم بعض بني عامرٍ أنَّ مِرداساً كان مع أَخواله غنِيٍّ، وكانت أمُّه فاطمةَ بنت جَلهمة الغنويَّة. وشهدتها غنيٌّ وباهلةُ وناسٌ من بني سعد بن بكرٍ وقبائل بَجيلة كلُّها إلا قَسراً لحربٍ كانت بين قسرٍ وقومها، فارتحلت بجيلة فتفرّقت في بطون بني عامرٍ، فكانت عادِيةُ بن عامرٍ بن قُدادٍ من بجيلة في بني عامر بن ربيعة، وكانت سُحمةُ من بجيلة في بني جعفر بن كلابٍ ـ ويقال: عمرو بن كلاب ـ وكانت عُرَينة من بجيلة في عمرو بن كلابٍ، وكانت بنو قَيس كُبَّةَ (لفرسٍ يقال لها كبَّةُ) من بجيلة في بني عامر بن ربيعة، وكانت فِتيانُ في بني عامر بن ربيعة، وبنو قُطَيعة من بجيلة في بني أبي بكر بن كلابٍ، ونصيبُ بن عبد اللَّه من بجيلة في بني نُمَيرٍ، وكانت ثعلبةُ والخِطامُ من بجيلة في بني عامر بن ربيعة، وبنو عمرو بن مُعاوية بن زيد من بجيلة في بني أَبي بكر بن كلابٍ معهم يومئذٍ نُفَيرٌ من عُكلٍ، فبلغ جمعهم ثلاثين ألفاً.

ما فعله كرب بن صفوان لتميم وأسد:

وعميَ على بني عامر الخبرُ، فجعلوا لا يدرون ما قُرْبُ القوم من بُعدهم. وأقبلت تميمٌ وأَسدٌ وذُبيان ولِفُّهم نحو جبلة، فلَقُوا كربَ بن صَفوان بن شِجنة بن عُطارد بن عَوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة، فقالوا له: أَين تذهب؟ أتريد أَن تُنذِرَ بنا بني عامر؟ قال: لا. قالوا: فأعطنا عهداً ومَوثِقاً ألَّا تفعلَ؛ فأعطاهم فخَلَّوْا سبيله. فمضى مُسرعاً على فرسٍ له عُريٍ، حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر وفيهم الأحوص نزل تحت شجرةٍ حيث يرَوْنه؛ فأرسلوا إليه يدعونه، قال: لستُ فاعلاً، ولكن إذا رحلتُ فأْتوا منزلي فإنَّ الخبر فيه.

فلمَّا جاؤوا منزله إذا فيه تُرابٌ في صُرَّةٍ وشَوكٌ قد كسر رؤوسه وفرّق جهَته، وإذا حنظلةٌ موضوعةٌ، وإذا وَطبٌ[١] معلَّق فيه لبنٌ. فقال الأحوص: هذا رجلٌ قد أخذ عليه المواثيق ألَّا يتكلَّم، وهو يُخبركم أنَّ القومَ مثلُ التراب كثرةً، وأنَّ شوكتهم كليلةٌ وهم متفرّقون، وجاءتكم بنو حنظلة. أُنظروا ما في الوَطب، فاصطَبُّوه فإذا فيه لبنٌ حَزَرَ[٢] (قَرَصَ). فقال: القوم منكم على قَدرِ حِلابِ اللبن إلى أَن يَحزُرَ. فقال رجلٌ من بني يربوعٍ ـ ويقال: قالته دَختَنُوسُ بنتُ لقيط بن زرارة ـ:

كَربُ بن صَفوان بن شِجنةَ لم يَدَعْ مِن دارم أحداً ولا مِن نَهشَلِ
أجعلتَ يَربوعاً كقَورةِ دائر ولَتَحلِفَنْ باللَّه أَن لم تفعلِ

[الكامل]

وذلك قولُ عامر بن الطُّفَيل بعد جبلة بحينٍ:

أَلا أبلغ لديك جُموعَ سعدٍ فبيتوا لن نهيجكمُ نِيامَا
نَصَحتم بالمَغيبِ ولم تُعينوا علينا إنكم كنتم كرامَا
ولو كنتم مع ابن الجَون كنتم كمن أودى وأَصبح قد أَلامَا

[الوافر]

فلمَّا استيقنتْ بنو عامرٍ بإقبالهم صَعِدوا الشِّعبَ، وأمر الأحوص بالإبل التي ظُمِّئتْ قبل ذلك فقال: اعقِلوها كلَّ بعيرٍ بعِقالَينِ في يديه جميعاً. وأصبح لقيطٌ والنّاسُ نزولٌ به، وكانت مشورتُهم إلى لقيطٍ؛ فاستقبلهم جملٌ عَودٌ[٣] أَجربُ[٤] أَحذُّ[٥] أعصلُ[٦] كاشرٌ عن أنيابه؛ فقال الحُزاةُ من بني أَسد ـ والحازي العائف ـ اعقِروه. فقال لقيطٌ: واللَّه لا يُعقَرُ حتى يكون فحلَ إبلي غداً. ـ وكان البعير من عصافير المُنذِرِ التي أخذها قُرّةُ بنُ هُبَيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشَيرٍ. والعصافير: إبل كانت للملوك نجائب ـ ثم استقبلهم معاوية بن عُبادةَ بن عُقَيلٍ وكانَ أَعسرَ فقال:

أَنا الغُلامُ الأعسرْ ألخيرُ فيَّ والشرّْ
والشرُّ فيَّ أكثرْ

[مجزوء الرجز]

---

(١) وَطْبٌ: قربة أو إناء يجعل لحفظ اللبن.
(٢) حَزَر: حمض، الحازر هو الحامض من اللبن والنبيذ.
(٣) العَودُ: الإبل المسنَّة. (٤) الأجرب: المصاب بداء الجرب وواحدته جرباء.
(٥) الأحذّ: خفيف شعر الذنب أو قصير الذنب. (٦) الأعصل: الجمل الملتوي الذنب.

فتشاءمت بنو أَسَدٍ وقالوا: ارْجِعوا عنهم وأطيعونا. فرجعتْ بنو أسدٍ فلم تشهدْ جبَلة مع لَقيطٍ إلا نُفَيراً يسيراً، منهم شأسُ بنُ أبي بُلَيٍّ أبو عمرو بنِ شأسٍ الشاعر، ومَعقِلُ بن عامرِ بنِ مَوْءَلة المالكيُّ. وقال الناس لِلَقِيطٍ: ما ترى؟ فقال: أرى أن تصعدوا إليهم. فقال شأْس: لا تدخُلوا على بني عامر؛ فإني أَعلمُ الناسِ بهم، قد قاتلتُهم وقاتلوني وهزمتُهم وهزموني، فما رأيتُ قوماً قطُّ أقلقَ بمنزلٍ من بني عامر! واللَّه ما وجدتُ لهم مثلاً إلا الشجاعَ؛ فإنه لا يقِرّ في جُحره قلَقاً، وسيخرجون إليكم. واللَّه لئن بتُّم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم. فقال لَقيطٌ. واللَّه لَندخُلَنّ عليهم. فأتوهم وقد أخذوا حِذرهم. وجعل الأحوَصُ ابنَه شُرَيحاً على تعبئةِ الناس. فأقبل لقيطٌ وأصحابهُ مدِلِّين فأسندوا[١] إلى الجبل حتى ذرّت الشمس. فصعِدَ لقيطٌ في الناس وأخذ بحافتَي الشَّجْن[٢].

فقالت بنو عامر للأحوص: قد أَتوك. فقال: دعوهم. حتى إذا نصفوا الجبلَ وانتشروا فيه، قال الأَحوَصُ: حُلُّوا عُقُل الإبل ثم احدِروها واتبعوا آثارها، وليُتبع كلُّ رجلٍ منكم بعيره حجرين أو ثلاثةً، ففعلوا ثم صاحوا بها، فلم يفجأ الناس إلا الإبلُ تُريد الماءَ والمرعى، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنَّبل؛ وأقبلت الإبلُ تحطِمُ كلَّ شيء مرَّت به، وجعل البعيرُ يُدَهدي[٣] بيديه كذا وكذا حجراً. وقد كان لقيط وأصحابه سخروا منهم حين صنعوا بالإبل ما صنعوا. فقال رجلٌ من بني أَسدٍ:

زعمتَ أَنَّ العيرَ لا تقاتلُ بلى إذا تقعقع[٤] الرحائلُ[٥]
واختلف الهنديُّ والذوابلُ وقالت الأبطالُ من ينازِلُ
بلى وفيها حسبٌ ونائلُ

[الرجز]

فانحطَّ الناس منهزمين من الجبل حتى السهل. فلمَّا بلغ الناسُ السهلَ لم يكن لأحدٍ منهم هِمَّةٌ إلا أَن يذهب على وجهه، فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم، فانهزموا شرَّ الهزيمة. فجعل رجلٌ من بني عامرٍ يومئذٍ يرتجز ويقول:

لم أَرَ يوماً مثلَ يوم جبَلَهْ يوم أَتتنا أَسدٌ وحنظلَهْ

(١) أسند إلى: اعتمد.
(٢) الشَّجْن: أعلى الوادي.
(٣) يدهدي: يدحرج.
(٤) تقعقع: اضطرب وتخبط.
(٥) الرحائل: مفردها رحالة، وهي السرج المتخذ من الجلد لا خشب فيه، يتخذ للجري.

وغـطـفـانُ والـمـلـوكُ أَزفـلـهْ[١] نـضـربُـهُـم بـقُـضُـبٍ مُـنـتـخـلَـهْ[٢]
لـم تـعـدُ أَن أَفـرش عـنـهـا الـصَّـقَـلـهْ حـتـى حـدَوْنـاهـم حُـداءَ الـزَّومـلَـه[٣]

[الرجز]

وجعل معقِل بن عامر يرتجز ويقول:

نـحـن حُـمـاةُ الـشِّـعـبِ يـوم جـبـلَـهْ بـكـلِّ عـضْـبٍ صـارِمٍ ومِـعـبـلَـهْ[٤]
وهـيـكـلٍ نـهـدٍ[٥] مـعـاً وهـيـكـلَـهْ

[الرجز]

المِعبلةُ: السهمُ إذا كان نصلُه عريضاً فهو معبلةٌ، والرقيقُ: القُطْبةُ.

صد بني تميم لبني عامر:

وخرجت بنو تميم من الخليف على الخيل فكَركروا الناسَ (يعني ردّوهم) وانقطع شُريح بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجُرْف فقاتل الناس قتالاً شديداً هناك، وجعل لقيطٌ يومئذٍ وهو على برذَونٍ له مجفَّفٍ بديباج أَعطاه إياه كِسرى ـ وكان أَوَّل عربيٍّ جفَّف ـ يقول:

عـرفـتـكـم والـدمـعُ مِ الـعـيـن يـكِـفْ[٦] لـفـارسٍ أتـلـفـتـمـوه مـا خُـلِـفْ
إنَّ الـنَّـشـيـلَ[٧] والـشِّـواء والـرُّغُـفْ والـقَـيْـنَـةَ الـحـسـنـاءَ والـكـأْسَ الأُنـفْ
وصَـفـوةَ الـقِـدرِ وتـعـجـيـلَ الـلَّـقَـف[٨] لـلـطـاعـنـيـن الـخـيـلَ والـخـيـلُ قُـطُـفْ[٩]

[الرجز]

وجعل لا يمرّ به أحدٌ من الجيش إلا قال له: أنت واللَّه قتلتَنا وشتَمْتَنا. فجعل يقول:

يـا قـومِ قـد أحـرقـتـمـونـي بـالـلَّـومْ ولـم أُقـاتِـلْ عـامـراً قـبـل الـيَـومْ
فـالـيـومَ إذ قـاتـلـتُـهـم فـلا لـومْ تـقـدَّمـوا وقـدِّمـونـي لـلـقَـومْ
شـتَّـانَ هـذا والـعـنـاقُ والـنـومْ والـمـضـجـعُ الـبـاردُ فـي ظِـلِّ الـدَّومْ

[الرجز]

---

(١) أزفلة: الأزفل الغضب والحدَّة. (٢) منتخلة: منخولة، مختارة، منتجبة.
(٣) الزّوملة: العير التي عليها أحمالها، وسوق الإبل.
(٤) مِعبله: معه معبله من السهام. (٥) النّهد: الخيل كثيرة اللحم.
(٦) يكف: ينهمر ويسيل.
(٧) النَّشيل: اللحم الذي ينشل ويرفع من القدر قبل نضجه، واللبن حين حلبه.
(٨) اللَّقَف: ما يلقف ويتناول من الطعام. (٩) القُطُف: مفردها قطوف وهو البطيء من الدواب.

وقال شأس بن أبي بُلَيٍّ يجيبه:

لـكـن أَنـا قـاتـلـتـهـا قـبـلَ الـيـومْ إذ كـنـتُ لا تُـعـصـى أُمـوري فـي الـقـومْ

[الرجز]

وجعل لقيطٌ يقول: من كرَّ فله خمسون ناقةً، وجعل يقول:

أكُـلُّـكـمْ يـزجـركـم أَرحِـب هَـلا ولـن تَـرَوْهُ الـدَّهـرَ إلا مُـقـبِـلَا

يـحـمـل زَغـفـاً ورئـيـسـاً حـجـفـلا وسـائـلاً فـي أهـلـه مـا فـعـلَا

[الرجز]

وجعل يقول أيضاً:

أَشـقـرُ إن لـم تـتـقـدم تُـنـحَـرِ وإن تـأخَّـر عـن هِـيـاجٍ تُـعـقَـرِ

[الرجز]

ثم عاد يقول:

إن الـشـواء والـنَّـشـيـلَ والـرُّغُـفْ

[الرجز]

فأجابه شُريحُ بن الأحوص:

إن كـنـتَ ذا صـدْقٍ فـأقـحِـمـهُ الـجُـرُفْ وقـرِّب الأشـقـرَ حـتـى تـعـتـرفْ

وجـوهـنـا إنَّـا بـنـو الـبـيـضِ الـعُـطُـفْ

[الرجز]

سقوط لقيط في الموقعة:

وبينه وبينه جُرفٌ مُنكَرٌ، فضرب لَقيطٌ فرسه وأقحمه عليه الجُرْفَ؛ فطعنه شُرَيح فسقط. وقد اختلفوا في ذلك، فذكروا أن الذي طعنه جَزْءُ بن خالدِ بن جعفرٍ، وبنو عُقَيلٍ تزعم أنَّ عَوْفَ بنَ المنتفِق العُقَيْليّ قتله يومئذٍ وأنشأ يقول:

ظـلَّـت تـلـومُ لـمـا بـهـا عـرسـي[1] جـهـلاً وأَنـتِ حـلـيـمـةٌ أمـسِ

إن تـقـتـلـوا بَـكْـري وصـاحِـبَـه فـلـقـد شَـفَـيـتُ بـسـيـفـه نـفـسـي

فـقـتـلـتُـه فـي الـشِّـعـبِ أَوَّلَ فـارسٍ فـي الـشـرقِ قـبـل تـرحُّـلِ الـشـمـسِ

[الكامل]

فزعموا أن عوفاً هذا قتل يومئذٍ ستة نفرٍ، وقُتل ابنٌ له وابنُ أخ له. وأَمَّا العلماء فلا يشكُّون أَن شُريحاً قتله، وارتُثَّ به طعناتٌ ـ والارتثاث أن يُحمَل وهو مجروح،

(١) عرسي: زوجتي.

فإن حُمل ميِّتاً فليس بمرتثّ ـ فبقي يوماً ثم مات. فجعل لقيطٌ يقول عند موته:

يا ليتَ شَعري عنكِ دَختنوسُ إذا أتاكِ الخبرُ المرسوسُ[١]
أَتحلقُ القرونَ أَم تميسُ[٢] لا بل تميسُ إنها عروسُ

[الرجز]

دختنوسُ بنت لَقيطِ بن زُرارة، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عُدُس. وجعلت بنو عبسٍ يضربونه وهو ميِّت، فقالت دخْتنوسُ:

شعر لدختنوس في أبيها:

أَلا يا لها الويلاتُ ويلاتُ من بكى لضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابةٌ وما تحفِلُ الصُّمُّ الجنادلُ من ردى
فلو أنكم كنتم غداة لَقيتمُ لقيطاً صبرتم للأسنَّةِ والقَنا
غدرتم ولكن كنتمُ مثل خُضَّبٍ أَصابَ لها القنَّاصُ من جانب الشرى
فما ثأْره فيكم ولكنَّ ثأره شُرَيحٌ وأردته الأسنَّةُ إذ هَوى
فإن تُعقِب الأيَّامُ من عامرٍ يكُن عليهم حريقاً لا يُرامُ إذا سما
ليجزيهم بالقتل قتلاً مضعَّفاً وما في دماء الحُمسِ[٣] يا مالُ من بوا[٤]
ولو قتلتنا غالبٌ كان قتلُها علينا من العار المجدِّع للعُلا
لقد صبرَتْ للموت كعبٌ وحافظتْ كِلابٌ وما أَنتم هناك لمن رأى

[الطويل]

وقالت دختَنوس أيضاً:

لعمري لئن لاقت من الشرّ دارمٌ عناءً لقد آبت حميداً ضِرابُها
فما جبنوا بالشعب إذ صبرَتْ لهم ربيعةُ يُدعى كعبُها وكِلابُها
عصَوا بسيوفِ الهندِ واعتكَرتْ لهم براكاءُ موتٍ لا يطيرُ غُرابُها

[الطويل]

براكاءُ: مباركة القتال وهو الجِدُّ في القتال. يقال للرجل إذا وقع في خطب لا يطير غرابه. وقالت دختنوس:

---

(١) المرسوس: المذكور.
(٢) تميس: تتهادى في مشيها وتتمايل.
(٣) الحُمس: مفردها أحمس وحَمِس وهو الصلب في القتال.
(٤) بوا: سواء ومتكافئين.

بكَر النَّعيُّ بخير خِنْـ ـدِفَ[١] كهْلها وشبابها
وبخيرها نسَباً إذا عُدّت إلى أَنسابها
فرَّت بنو أَسدٍ حُرُو دَ[٢] الطيرِ عن أَربابها
لم يحفلوا نسباً ولم يلوُوا لفيء عُقابها

[مجزوء الكامل]

وقُتل يومئذٍ قُرَيظ بن معبَد بن زُرارةَ، وزيد بن عمرو بن عُدُس قتله الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عُقيل، وقُتل الفَلَتانُ بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشلٍ، وقُتل أَبو إِياس بن حرملة بن جعدة بن العجلان بن حشْوَرة بن عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذُبيان وهو يقول:

أقدم قطينُ إنهم بنو عبسْ ألمعشر الحِلَّةُ في القوم الحُمسْ

[الرجز]

الحلَّة: لم يكونوا يتشدّدون في دينهم. قال: واستُلحم[٣] عمرو بن حسحاس بن وهب بن أعياء بن طريفٍ الأَسديُّ، فاستنقذه معقِلُ بن عامر بن موءَلة فداواه وكساه. فقال معقل في ذلك:

يدَيتُ على ابن حسحاسِ بنِ وَهْبٍ بأسفِل ذي الجِذاةِ يدَ الكريمِ
قصرْتُ له من الدهماءِ لمَّا شهدتُ وغاب من له من حميمِ
ولو أَنِّي أشاء لكنتُ منه مكانَ الفرقدين من النُّجومِ
أُخبِّره بأن الجُرحَ يُشوي وأَنك فوق عجلِزةٍ[٤] جمومِ[٥]

ـ يقول: إِن الجرح الذي بك شوى لم يُصب مقتلاً ـ

ذكرتُ تعلَّةَ الفتيان يوماً وإلحاقَ الملامةِ بالمُليمِ

[الوافر]

قال: وحمل معاوية بن يزيد الفزاريّ فأخذ كبشةَ بنت الحجَّاج بن معاوية بن قُشَير، وكانت عند مالك بن خفاجة بن عمرو بن عُقيل، فحمل معاوية بن خفاجة أخو مالكٍ على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة، وقال: يا بني عامر، إنهم يموتون وقد كان قيل

(١) خِندِف: هي ليلى بنت حلوان بنت عمران.
(٢) حرود: شاردة.
(٣) استلحم: أرهق في القتال.
(٤) عجلزة: الخيل أو النوق الشديدة الخلق القويَّة.
(٥) الجموم: الخيل ترك فلم يركب فعفا من تعبه.

لهم إنهم لا يموتون. ونزل حسَّان بن عامر بن الجَوْن وصاح: يا آل كِنْدة! فحمل عليه شُريح بن الأحوص؛ فاعترض دون ابن الجَون رجلٌ من كنْدة يقال له حوْشبٌ، فضربه شُريح بن الأَحوص في رأسه فانكسر السيف فيه، فخرج يعدو بنِصف السيف وكان مما رعّب الناس مكانه. وشدَّ طُفَيل بن مالك بن جعفر فأسر حسَّان بن الجون، وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسره وجزَّ ناصيته وأعتقه على الثواب. فلقيتْه بنو عبْس، فأخذه قيس بن زُهير فقتله. فأتاهم عوف فقال: قتلتم طليقي فأحيوه أَوِ ائتوني بملكٍ مثله. فتخوّفت بنو عبس شرَّه وكان مهيباً، فقالوا: أَمهلنا. فانطلقوا حتى أَتوا أَبا براء عامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف، فقال: دونكم سلمى بنَ مالك فإنه نديمه وصديقُه وكانا مشتبهين أَحمرين أَشقرين ضخمةً أنوفهما، وكان في سلمى حياء ـ فأَتَوْه فقال: سأُكلِّم لكم طُفَيلاً حتى يأخذَ أخاه فإنه لا يُنجيكم من عوف إلا ذلك، وايم اللَّه ليأتينَّ شحيحاً. فانطلقوا إليه، فقال طفيلٌ: قد أَتَوْني بك، ما أَعرَفني بما جئتُم له! أَتيتموني تريدون منِّي ابن الجَوْن تقيدون به من عَوْف، خُذوه، فأعطاهم إياه؛ فأَتوا به عوفاً فجزّ ناصيته وأعتقه؛ فسُمِّي الجزَّازَ. فذلك قول نافع بن الخنجر بن الحكَم بن عُقيل بن طُفَيل بن مالك في الإسلام:

قضينا الجوْنَ عن عبْسٍ وكانت منيَّةُ معبدٍ فينا هُزالا

[الوافر]

قال: وشهِدها لَبيدُ بن ربيعةَ بن مالك بن جعفر وهو ابنُ تسع سنين، ويقال: كان ابنَ بِضعَ عشرة سنة، وعامرُ بنِ مالك يقول له: اليومَ يتِمْتَ من أَبيك إن قُتِلَ أعمامك. وقُتل يومئذٍ زُهير بن عمرو بن معاوية، وُجد مقتولاً بين ظهرانَيْ صفوف بني عامر حيث لم يبلُغ القتال؛ وهو معاوية الضِّباب بنُ كِلابٍ. فقال أَخوه حُصَينٌ للذي قتله:

يا ضبُعاً عثواءَ[1] لا تستأنسي تلتقم الهبرَ[2] من السَّقْبِ[3] الرَّذي[4]
أقسم باللَّه وما حجَّتْ بلي وما على العُزّى تُعزُّه غَنِي
وقد حلفتُ عند منحَر الهَدِي أُعطيكُم غيرَ صدورِ المُشرفي
فليس مثلي عن زُهَيرٍ بغَني هو الشجاعُ والخطيبُ اللَّوذعي[5]

(١) عثواء: سوداء اللون كثيرة الشعر.
(٢) الهبر: قطع اللحم الكبيرة.
(٣) السِّقب: ولد الناقة حين ولادته.
(٤) الرَّذي: الهالك الضعيف المهزول.
(٥) اللَّوذعي: اللَّسِن الفصيح.

والـفـارسُ الـحـازمُ والـشـهـمُ الأبـي والـحـامـلُ الـثَّـقْـلَ إذا يـنـزلُ بـي

[الرجز]

وذكروا أنَّ طُفَيل بن مالك لمَّا رأى القتال يوم جبَلةَ قال: وَيلَكم! وأَين نعَمُ هؤلاء! فأغار على نعَم عمرٍو وإخوته وهم من بني عبد اللَّه بن غطَفان ثم من بني الثّرْماء، فاستاق ألفَ بعَير. فلقيه عُبَيْدةُ بن مالك فاستجداه، فأعطاه مائة بعير، وقال: كأني بك قد لَقِيتَ ظَبيانَ بن مُرَّةَ بن خالد فقال لك: أعطاك من ألْفِه مائةً! فجئتَ مُغضباً. فلقي عُبَيْدةُ ظَبْيانَ؛ فقال له: كم أعطاك؟ قال: مائة. فقال: أَمائةً من ألفٍ! فغضِب عُبَيدةُ. قال: وذُكر أن عُبَيدةَ تسرَّع يومئذٍ إلى القتال، فنهاه أخواه عامر وطُفَيل أَن يفعل حتى يرى مقاتَلاً، فعصاهما وتقدَّم، فطعنه رجلٌ في كتفه حتى خرج السِّنانُ من فوق ثديه فاستمسك فيه السنان، فأتى طُفَيلاً فقال له: دونك السِّنانَ فانْزِعه، فأبى أن يفعل ذلك غضباً، فأتى عامراً فلم ينزعه منه غضباً، فأتى سلمى بنَ مالك فانتزعه منه؛ وألقي جريحاً مع النساء حتى فرغ القومُ من القتال. وقتلت بنو عامرٍ يومئذٍ من تميم ثلاثين غلاماً أغرل[1]. وخرج حاجبُ بن زُرارة منهزماً، وتبِعه الزَّهدمان زهدمٌ وقيسٌ ابنا حَزْن بن وَهْب بن عُوَيمر بن رَواحة العبسيَّان، فجعلا يطرُدان حاجباً ويقولان له: استأْسِرْ وقد قدَرا عليه، فيقول: من أنتما؟ فيقولان: الزَّهدَمان، فيقول: لا أَستأسرُ اليوم لمولَيَين. فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالكٌ ذو الرُّقيبة بن سلَمة بن قُشَير، فقال لحاجب: استأسِر. قال: ومن أَنت؟ قال: أَنا مالكٌ ذو الرُّقيبة. فقال: أفعلُ، فلعمري ما أدركتَني حتى كدتُ أن أكون عبداً. فألقى إليه رمحه؛ واعتنقه زهدمٌ فألقاه عن فرسه. فصاح حاجبٌ: يا غَوثاه. وندر السيف، وجعل زهدمٌ يُريغ قائم السيف. فنزل مالكٌ فاقتلع زهدماً عن حاجب. فمضى زهدمٌ وأخوه حتى أتيا قيسَ بن زُهيرِ بن جَذيمةَ فقالا: أَخذ مالكٌ أَسيرنا من أيدينا. قال: ومن أسيركما؟ قالا: حاجبُ بن زُرارة. فخرج قيس يتمثَّل قولَ حنظلة بن الشَّرقيّ القينيّ أَبي الطَّمَحانِ رافعاً صوته يقول:

أجـدُّ بـنـي الـشـرقـيّ أُولـع أنـنـي مـتـى أسـتـجِـر جـاراً وإن عـزَّ يـغـدُرِ

إذا قـلـتُ أوفـى أدركـتْـه دَرُوكَـةٌ فـيـا مـوزعَ الـجـيـرانِ بـالـغـيِّ أَقـصِـر

[الطويل]

حتى وقف على بني عامر فقال: إنّ صاحبكم أخذ أسيرنا. قالوا: مَن صاحبُنا؟ قال: مالك ذو الرُّقيبة أخذ حاجباً من الزّهدمَين. فجاءهم مالك فقال: لم آخذه منهما،

(١) أغرل: أقلف.

ولكنه استأسر لي وتركهما. فلم يبرحوا حتى حكَّموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرُّقيبة، فقالوا: من أسرك يا حاجب؟ فقال: أَمَّا من ردَّني عن قصدي ومنعني أن أنجو ورأى منِّي عورةً فتركها فالزهدمان. وأَمَّا الذي استأسرتُ له فمالكٌ؛ فحكِّموني في نفسي. قال له القوم: قد جعلنا إليك الحُكْمَ في نفسك. فقال: أَمَّا مالكٌ فله أَلفُ ناقةٍ، وللزهدمين مائةٌ. فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدمين مغاضبةٌ بعد ذلك؛ فقال قيسٌ:

جـزانـي الـزهـدمـانِ جـزاءَ سَـوْءٍ ... وكـنـتُ الـمـرء يُـجـزى بـالـكـرامـهْ
وقـد دافـعـتُ قـد عـلِـمـتْ مـعَـدٌّ ... بـنـي قُـرْطٍ وعَـمَّـهـمُ قُـدامـهْ
ركِـبـتُ بـهـم طـريـقَ الـحـقِّ حـتَّـى ... أَثـبـتـهـم بـهـا مـائـةً ظُـلامـهْ

[الوافر]

وقال جرير في ذلك:

ويـومَ الـشِّـعـبِ قـد تـركـوا لـقـيـطـاً ... كـأنَّ عـلـيـه حُـلَّـةَ أُرجُـوانِ[1]
وكُـبِّـل حـاجـبٌ بـشـمـامِ حَـوْلاً ... فـحـكِّـم ذا الـرُّقـيـبـة وهـو عـانـي

[الوافر]

وأمَّا عمرو بن عمرو بن عُدُسٍ فأفلتَ يومئذٍ. فزعمتْ بنو سُلَيم أَنَّ الخيل عرضت على مرداس بن أَبي عامرٍ يوم جبَلَةَ، وكان أَبصر الناسِ بالخيل، فعُرِضتْ عليه فرسٌ لغلامٍ من بني كِلابٍ، فقال: واللَّه لا أعجزها ولا أدركها ذكرٌ ولا أُنثى؛ فهذا رِدائي بها وخمسٌ وعشرون ناقةً. فلمَّا انهزم الناس يوم جبَلَةَ خرج الكِلابيّ على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو. قال الكِلابيّ: فراكضتُه نهاراً على السَّواء، واللَّهِ ما علمتُ أنه سبَقَني بمقدارٍ أَعرفه، ثم زاد مكانه ونقَصتُ، فقلت: قُمِر واللَّه مِرْداسُ. وهَوى عمرو إلى فرسه فضربها بالسَّوط فانكشفتْ فإذا هي خُنثى، لا ذكَرٌ ولا أُنثى، فأخبرتُهم أَني سُبِقتُ. فقالوا: قُمِر السُّلَمِيُّ. فقلت لا، ثم أَخبرتُهم الخبرَ. فقال مِرداسُ:

تـمـطَّـت كُـمَـيـتٌ كـالـهِـراوةِ ضـامـرٌ ... لـعَـمْـرِو بـن عـمـرٍو بـعـد مـا مُـسَّ بـالـيَـدِ
فـلـولا مـدى الـخُـنـثـى وبُـعـدُ جِـرائـهـا ... لَـقـاظَ ضـعـيـفَ الـنَّـهـض حـقَّ مُـقـيَّـدِ
تـذكَّـر ربُـطـاً بـالـعـراقِ وراحـةً ... وقـد خـفـق الأسـيـافُ فـوق الـمـقـلَّـدِ[2]

[الطويل]

(١) الأرجوان: صباغ أحمر شديد الحمرة.
(٢) المقلَّد: موضع نجاد السيف على المنكبين.

وزعم علماء بني عامر أنه لمَّا انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقتلون ويأسِرون ويسلُبون، فلحِق قيْسُ بن المُنتفِق بن عامر بن طُفَيل بن عُقَيل، عمرَو بن عمرو فأسره. فأَقبل الحارثُ بن الأبرص بن رَبيعةَ بن عُقَيْلٍ في سرَعان الخيلِ[١]، فرآه عمرو مقبلاً فقال لقيس: إن أدركني الحارثُ قتلني وفاتك ما تلتمس عندي، فهل أنت محسن إليَّ وإلى نفسك! تجزّ ناصيتي فتجعلها في كِنانتك، ولك العهدُ لأفِيَنَّ لك، ففعل. وأدركهما الحارثُ وهو ينادي قيساً ويقول: أقتُل أقتل. فلحِق عمرو بقومه. فلمَّا كان الشهر الحرام خرج قَيْسٌ إلى عمرو يستثيبه، وتبِعه الحارث بن الأبرص حتى قدِما على عمرو بن عمرو؛ فأمر عمرو بن عمرو ابنة أخيه آمنة بنت زيد بن عمرو فقال: اضربي على قيس الذي أنعم على عمِّك هذه القُبَّة. وقد كان الحارث قتَل أباها زيداً يوم جبلة. فجاءت بالقُبَّة فرأتِ الحارثَ أَهيأهما وأجملَهما، فظنَّته قيْساً فضربت القُبَّة على رأسه وهي تقول: هذا واللَّه رجلٌ لم يُطَّلَع الدَّهرَ عليه بما اطَّلع به عليَّ. فلمَّا رجعت إلى عمّها عمرو قال: يا ابنةَ أَخي، على من ضربتِ القُبَّة؟ فنعتتْ له نعْتَ الحارِث. فقال: ضربتِها واللَّه على رجلٍ قتل أَباك وأَمر بقتل عمّك. فجزِعتْ مما قال لها عمُّها. فقال الحارث بن الأبرص:

أَما تدرين يا ابنةَ آلِ زَيدٍ ... أُمَيْنُ[٢] بما أَجنَّ اليومَ صدري
فكم من فارسٍ لم تُرزَئيه ... فتى الفتيانِ في عِيصٍ وقصرِ
رأيتُ مكانه فصددتُ عنه ... فأعييا أمره وشددتُ أزري
لقد آمرته فعَصَى إماري ... بأُمٍّ عزيمةٍ في جَنْبِ عمرِو
أمرتُ به لتَخْمُشَ[٣] حنَّتاه[٤] ... فضيَّع أَمره قيسٌ وأَمري

[الوافر]

ـ الحنَّة: الزوجة. يقال حَنَّتُه، وطلَّتُه ـ. ثم إن عمراً قال: يا حار، ما الذي جاء بك! فواللَّه ما لك عندي نعمةٌ، ولقد كنت سيّئ الرأي فيّ، قتلتَ أَخي وأمرت بقتلي. فقال: بل كففتُ عنك، ولو شئت إذ أَدركتُك لقتلتك. قال: ما لك عندي من يد، ثم تذمَّم منه فأعطاه مائةً من الإبل، ثم انطلق فذهب الحارث. فلما جاء عمراً قيسٌ أعطاه إبلاً كثيرةً، فخرج قيسٌ بها، حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارثُ بنُ الأبرص فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس فأخذ ما كان معه. فلمَّا أتى قيسٌ بني أبيه

(١) سَرعان: أوائل.
(٢) أُمَيْن: تصغير الترخيم لآمنة مثل عائشة تصغيرها عائش.
(٣) الخمش: الخدش في الوجه. (٤) حنَّتاه: الحنَّة هي الجِنَّة أو الزّوجة.

بني المنتفق اجتمعوا إليه وأرادوا الخروج. فقال: مهلاً! لا تقاتلوا إخوتكم؛ فإنه يوشك أن يرجع وأن يؤول إلى الحق فإنه رجل حسودٌ. فلمَّا رأى الحارثُ أن قيساً قد كفّ عنه ردّ إليه ما أخذ منه.

وأمَّا عُتَيْبةُ بن الحارث بن شِهابٍ فإنه أُسر يومئذٍ فقُيِّد في القِدّ، وكان يبول على قِدّه حتى عفِن. فلمَّا دخل الشهر الحرام هرب فأفلتَ منهم بِغَيْرِ فِداء.

وغَنِم مرداس بن أبي عامر غنائمَ وأخذ رجلاً فأخذ منه مائةَ ناقة، فانتزعها منه بنو أَبي بكر بن كِلاب؛ فخرج مرداسٌ إلى يزيد بن الصَّعِقِ، وكان له خليلاً، فانتهى إليه مرداس وهو يقول:

لعمرُك ما ترجو مَعدٌّ ربيعَها ... رجائي يزيداً بل رجائي أَكثرُ
يزيد بن عمرو خير مَن شدّ ناقةً ... بأقتادها[1] إذا الرياحُ تُصَرْصرُ[2]
تداعت بنو بكر عليَّ كأنما ... تداعت عليّ بالأحِزَّة[3] بربرُ
تداعَوْا عليَّ أن رأوني بخلْوةٍ ... وأنتم بأُحْدان[4] الفوارس أبصرُ

[الطويل]

ويروى «بوُحدان». فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردَّها إليه. فطرقه البكريون فسقَوْه الخمر حتى سكِر، ثم سألوه الإبل فأعطاهم إيَّاها. فلمَّا أصبح ندِم، فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه. فقال له يزيد: أصاح أنت أم سكْران؟! فانصرف فاطَّرد إبلاً من إبل بني جعفر فذهب بها وأنشأ يقول:

أجُنَّ بلَيْلى قلب أم تذَكَّرا ... منازلَ منها حولَ قُرّي ومحضرا
تخِرُّ الهِدال[5] فوق خَيماتِ أَهلِها ... ويُرْسون حِسّاً بالعِقال مؤطَّرا

[الطويل]

ـ الحِسُّ: الفرس الخفيفة. والمؤطَّر: المعطوف ـ

سآبى وأستغني كما قد أمرتني ... وأصرِفُ عنك العُسْر لستُ بأفقرا

---

(١) الأقتاد: مفردها قَتَد، وهو الخشب الذي يصنع منه الرّحل.
(٢) تُصرصر: تصدر صوتاً يسمى صرصرة.
(٣) الأحِزَّة: مفردها حزيز، وهي الأرض الغليظة المنقادة.
(٤) أحدان: بمعنى الواحد فيقال آحاد وأحدان.
(٥) الهِدال: مفردها هدلة وهو ما تدلى من أغصان الأشجار.

وإنَّ سُـلَـيْـمـاً والـحـجـازُ مـكـانُـهـا مـتـى آتـهـم أجـد لـبـيـتـي مـهـجـرا
[الطويل]

ـ المهجرُ: الموضع الصالح؛ يقال هذا أهجر من هذا إذا كان أَجوَد منه وأصلح ـ

يـفـرّج عـنِّـي حـدُّهـم وعـديـدُهـم وأُسـرِج لِـبـدي خـارجـيّـاً مـصَـدَّرا[1]
قـصَـرتُ عـلـيـه الـحـالَـبـيـنِ فـجَـودُه إِذا مـا عـدا بـلّ الـخِـرامَ وأمـطـرا
[الطويل]

ـ الحالبين: الراعيين. يقول احتبستهما ـ

فـخُـذ إبـلاً إنَّ الـعِـتـاب كـمـا تـرى عـلـى خـذَمٍ ثـم ارمِ لـلـنـصـر جـعـفـرا
فـإِنّ بـأكـنـاف الـبـحـار إلـى الـمـلا وذي النخل مصحيً إن صحوْت ومَسكَرا
وأرعـى مـن الأظـلاف[2] أثـلاً وحـمـضـةً وتـرعـى مـن الأطـواء أثـلاً وعـرعـرا
[الطويل]

وانصرف يومئذٍ سِنانُ بن أَبي حارثة المرّي في بني ذُبيان على حاميته، فلحِق بهم معاويةُ بن الصَّموت بن الكامل الكلابي، وكان يسمَّى الأسدَ المجدِّع، ومعه حرملةُ العُكْليّ ونفرٌ من الناس، فلحِق بسِنانِ بن أبي حارثة ومالكِ بن حمار الفَزاري في سبعين فارساً من بني ذُبيان. فقال سنانٌ: يا مالكُ كُرَّ واحمنا ولك خولَةُ بنت سنانٍ ابنتي أُزوِّجكها. فكرَّ مالكٌ فقتل معاوية، ثم اتَّبعه حرملة العُكْليّ وهو يقول:

لأيِّ يـوم يـخـبَـأ الـمـرءُ الـسَّـعَـهْ مـوَدَّعٌ[3] ولا تـرى فـيـه الـدَّعـهْ
[الرجز]

فكرّ عليه مالكٌ فقتله، ثم اتّبعه رجلٌ من بني كِلاب، فكرّ عليه مالك فقتله، ثم اتَّبعه رجلان من قيسِ كُبَّةَ من بجيلةَ، فكرّ عليهما فقتلهما، ومضى مالكٌ وأصحابهُ. فقال مالك في ذلك:

ولـقـد صـددتُ عـن الـغـنـيـمـةِ حـرمـلاً ولَـقِـيـتـه لـدداً[4] وخـيـلـي تـطـردُ
أقـبـلـتُـه صـدر الأغـرِّ وصـارمـاً ذكَـراً فـخـرّ عـلـى الـيـدَيـنِ الأبـعـدُ
وابـنَ الـصـمـوتَ تـركـتُ حـيـن لَـقـيـتُـه فـي صـدر مـارنـةٍ يـقـوم ويـقـعـدُ

(١) المصدّر: الذي يبقى دوماً في الطليعة أي السابق دائماً.
(٢) الأظلاف: مفردها ظلف وهي الأرض الصلبة الغليظة.
(٣) مودَّع: المنعَّم في العيش والمترَف.
(٤) اللُّدد: الخصم المعاند والمجادل.

وابـنـا ربـيـعـةَ فـي الـغـبـار كـلاهـمـا وابـنـا غـنِـيٍّ عـامـرٌ والأسْـوَدُ
حـتـى تـنـفَّـس بـعـد نـكْـظٍ[١] مُـجـحـراً[٢] أذهـبـتُ عـنـه والـفـرائـصُ تُـرعَـدُ

ـ النكظ الجهد. قال: ـ

يـعـدو بـبَـزِّي سـابـحٌ ذو مَـيـعـةٍ نَـهـدُ الـمـراكـلِ[٣] ذو تـلـيـل[٤] أقـودُ[٥]

[الكامل]

فخطب إليه مالك خَوْلةَ فأبى أن يزوّجه.

وأَمَّا بنو جعفر فيزعمون أن عُروة الرّحَّال بن عُتبةَ بن جعفر وجد سِنَانَ بنَ أبي حارثةَ وابنَيه هرِماً ويزيدَ على غديرٍ قد كاد العطش أن يُهلِكَهم، فجزّ نواصيَهم وأعتقهم. ثم إن عُروةَ أتى سناناً بعد ذلك يستثيبه ثواباً يرضاه فلم يثبه شيئاً. فقال عروة في ذلك:

ألا مَـن مـبـلـغ عـنِّـي سِـنـانـاً أَلـوكـاً لا أُريـد بـهـا عِـتـابـا
أفـي الـخـضـراءِ تـقـسِـمُ هـجـمَـتَـيـكـم[٦] وعُـروةُ لـم يُـثَـبْ إلا الـتُّـرابـا
فـلـو كـان الـجـعـافـرُ[٧] طـاوعـونـي غـداةَ الـشِّـعـبِ لـم تـذُقِ الـشَّـرابـا
أَتـجـزي الـقَـيْـنَ نـعـمـتـهـا عـلـيـكـم ولا تَـجـزي بـنـعـمـتـهـا كِـلابـا

[الوافر]

وأَمَّا بنو عامر فيزعمون أن سِناناً انصرف ذات يوم هو وناسٌ من طيِّء وغيرهم قبل الوقعة، فبلغه أَنَّ بني عامر يقولون: منَّنَّا عليه؛ فأنشأ يقول:

واللَّـه مـا مـنُّـوا ولـكـن شِـكَّـتـي[٨] منَّت وحادرةُ[٩] المناكب[١٠] صِلدِمُ[١١]

---

(١) النكظ: الجهد والعجلة.
(٢) المجحر: الملجأ.
(٣) المراكل: مفردها مركل وهو موضع رِجل الراكب من الدابة حيث يركله ليحثّه على المسير.
(٤) التليل: الجِيد أو الرقبة.
(٥) الأقود: المنقاد الذليل.
(٦) الهجمة: العدد الضخم من الإبل، وقيل بين الثلاثين والسبعين وقد اختلف في عددها.
(٧) الجعافر: جمع لاسم جعفر.
(٨) الشَّكة: السِّلاح.
(٩) الحادرة: الغليظة.
(١٠) المناكب: مفردها منكب وهو مجتمع ما بين عظم الكتف والعضد.
(١١) صِلدِم: شديد الصلابة.

بخرير شول[١] يومَ يُدعى عامرٌ لا عاجزٌ وَرَعٌ[٢] ولا مستسلمُ

[الكامل]

وأمَّا بارقٌ فتدّعي أسرَ سِنانٍ يومئذٍ على الثَّواب، ثم أتَوْه فلم يصنع بهم خيراً. فقال معقِّر بن أَوْس بن حِمار البارقيُّ:

متى تكُ في ذُبيانَ منك صنيعةٌ فلا تحمَدَنها الدّهرَ بعد سِنانِ
يظَلّ يُمنِّينا بحسن ثوابه لكم مائةٌ يحدو بها فرَسانِ
مخاضٌ أُؤدِّيها وجلّ لقائح وأُكرمُ مثوى منكم مَنْ أتاني
فجئناه للنُّعمى فكان ثوابه رَغوثٌ ووطبا[٣] حازرٍ[٤] مذِقانِ[٥]
وظلّ ثلاثاً يسأل الحيّ ما يرى يؤامرهم[٦] فينا له أملانِ
فإن كنتَ هذا الدهرَ لا بدّ شاكراً فلا تثقن بالشكر في غطَفانِ

[الطويل]

تاريخ يوم جبلة:

قال: وكان جبَلةُ قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مولد النبيّ ﷺ بتسع عشرة سنة. ووُلد النبيّ ﷺ عام الفيل، ثم أوحى اللَّه إليه بعد أربعين سنة، وقُبض وهو ابن ثلاث وستِّين سنة، وقدِم عليه عامرُ بن الطُّفيل في السنة التي قُبض فيها ﷺ، قال: وهو ابن ثمانين سنة. وقال المعقِّر بن أوس بن حِمارٍ البارقيّ حليفُ بني نُميْرِ بن عامر:

أمن آل شعثاءَ الحمولُ البواكرُ مع الليل أم زالت قُبَيلُ الأباعرُ[٧]
وحلَّت سُلَيمى في هضابٍ وأيكةٍ فليس عليها يوم ذلك قادرُ
وألقتْ عصاها واستقرّت بها النَّوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ
وصبَّحها أملاكُها بكتيبةٍ عليها إذا أمستْ من اللَّه ناظرُ
معاويةُ بنُ الجون ذُبيانُ حوله وحسَّانُ في جمع الرِّباب مُكاثرُ

---

(١) الشول: مفردها شائلة، وهي الناقة التي قضى على وضعها سبعة أشهر فخفّ لبنها وارتفع ضرعها.
(٢) الورع: الذي يتورع عن الإقدام، أي الجبان.
(٣) الوطب: الوعاء يجعل لسقاء اللبن.
(٤) حازر: حامض.
(٥) المذِق: اللبن المخلوط بالماء.
(٦) يؤامر: يشاور في الأمر.
(٧) الأباعر: مفردها البعير وهو الحمار وكل ما يحمل.

فـمـرُّوا بـأطـنـاب[١] الـبـيـوت فـردّهـم رجـالٌ بـأطـراف الـرمـاح مـسـاعـرُ[٢]
وقـد جـمـعـوا جـمـعـاً كـأن زُهـاءَه جـرادٌ هـوى فـي هـبـوةٍ مـتـطـايـرُ
فـبـاتـوا لـنـا ضـيـفـاً وبـتـنـا بـنَـعـمـةٍ لـنـا مُـسـمِـعـاتٌ بـالـدُّفـوف وسـامـرُ
ولـم نـقـرِهـم[٣] شـيـئـاً ولـكـنّ قـصْـدهـم صَـبـوحٌ لـديـنـا مـطـلـعَ الـشَّـمـس حـازرُ
صـبـحـنـاهـم عـنـد الـشُّـروق كـتـائـبـاً[٤] كـأركـان سـلـمـى شَـبـرُهـا مـتـواتـرُ
كـأنّ نـعـامَ الـدَّوّ بـاض عـلـيـهـم وأعـيُـنُـهـم تـحـت الـحـبـيـكِ جـواحـرُ

[الطويل]

ـ الحبيكُ في البَيض إحكام عملها وطرائقها ـ

من الضاربين الكَبش[٥] يمشون مقْدماً إذا غـصّ بـالـريـق الـقـلـيـلِ الـحـنـاجـرُ
وظـنّ سـراةُ الـقـومِ أَلّا يُـقَـتَّـلـوا إذا دُعِـيَـت بـالـسَّـفـحِ عـبـس وعـامـرُ
ضـربـنـا حَـبـيـكَ الـبَـيـضِ فـي غـمـر لُـجَّـةٍ فـلـم يـبـقَ فـي الـنـاجـيـن مـنـهـم مـفـاخـرُ
ولـم يـنـجُ إلا مـن يـكـون طِـمِـرَّه[٦] يـوائـل أو نـهـدٌ مُـلِـحٌّ مُـثـابـرُ
هـوى زَهـدمٌ تـحـت الـغُـبـار لـحـاجـبٍ كـمـا انـقـضّ أقـنـى[٧] ذو جـنـاحـيـن مـاهـرُ
هـمـا بـطـلان يـعـثـران كـلاهـمـا أراد رئـاس الـسـيـف والـسـيـف نـادرُ
ولا فـضـلَ إلا أن يـكـون جـراءةٌ وذبـيـانُ تـسـمـو والـرؤوس حـواسـرُ
يـنـوءُ وكـفًّـا زهـدم[٨] مـن ورائـه وقـد عـلـقـت مـا بـيـنـهـن الأظـافـرُ
يـفـرّج عـنًّـا كـلّ ثـغـرٍ نـخـافـه مِـسَـحٌّ[٩] كـسِـرْحـان الـقـصـيـمـةِ ضـامـرُ

[الطويل]

ـ القصيمة من الرمل: ما أنبتت الغضى والرِّمثَ ـ

وكـلُّ طـمـوحٍ فـي الـعِـنـان كـأنـهـا إذا اغـتـمـست فـي الـمـاء فـتـخـاءُ[١٠] كـاسـرُ

---

(١) الأطناب: مفردها طَنب وهو الحبل الذي تشد به البيوت.
(٢) المساعِر: جمع مسعر، وهو الذي يسعّر الحرب فتحمى به.
(٣) نقرِيهم: نضيفهم.
(٤) الكتائب: مفردها كتيبة وهي الفرقة من الجيش.
(٥) الكبش: الرئيس، وسيد القوم.
(٦) الطِّمر: الفرس المستفز للوثب.
(٧) الأقنى: المعوج أنفه.
(٨) زهدم: الأسد، الصقر، فرخ البازي.
(٩) المِسحّ: الفرس السريع في عدوه.
(١٠) الفتخاء: المصابة بلين في مفاصلها.

لـهـا نـاهـضٌ[١] فـي الـمـهـد قـد مـهَـدت لـه كـمـا مـهَـدت لـلـبـعـلِ حـسـنـاءُ عـاقـرُ
[الطويل]

ـ وبهذا البيت سمِّي معقِّراً واسمه سُفيان بن أَوس: وإنما خصّ العاقرَ لأنها أَقلُّ دَلّاً على الزوج من الولودِ فهي تصنَع له وتداريه ـ

تـخـاف نـسـاءً يـبـتـدرنَ حـلـيـلَـهـا مُـحـرَّدة[٢] قـد حـرّدتـهـا الـضـرائـرُ
[الطويل]

وقال عامر بن الطُّفَيل بعد ذلك بدهرٍ:

ويـوم الـجـمـع لاقَـيـنـا لَـقـيـطـاً كـسَـونـا رأسـه عـضْـبـاً حُـسـامـا[٣]
أسـرْنـا حـاجـبـاً فـشَـوى بـقِـدٍّ[٤] ولـم نـتـرك لـنـسـوتـه سَـوامـا[٥]
وجـمـعُ الـجَـون إذ دلـفـوا إِلـيـنـا صـبـحـنـا جـمـعَـهـم جـيـشـاً لُـهـامـا[٦]
[الوافر]

وقال لَبِيدُ بن ربيعة في ذلك:

وهُـمُ حـمـاةُ الـشِّـعـب يـوم تـواكـلـتْ أسـدٌ وذُبـيـانُ الـصَّـفـا وتـمـيـمُ
فـارتـثّ كَـلْـمـاهـم[٧] عـشـيَّـةَ هَـزمـهـم حـيٌّ بـمـنـعـرَجِ الـمـسـيـلِ مُـقـيـمُ
[الكامل]

تم اليومُ والحمد للَّه.

* * *

صـوت

أَيـجـمُـل مـا يُـؤتـى إلـى فـتـيـاتـكـم وأنـتـم رجـالٌ فـيـكـم عـددُ الـنـمـلِ
فـلـو أَنـنـا كـنـا رجـالاً وكـنـتـم نـسـاءَ حِـجـالٍ لـم نُـقِـرّ بـذا الـفـعـلِ
[الطويل]

الشعر لعَفيرة بنت عِفارٍ ـ وقيل بنت عبَّاد ـ الجديسيَّة التي يقال لها الشَّموس. والغناء لعريب خفيفُ ثقيلٍ أَوَّل مطلق في مجرى البنصر. وفيه لحنٌ من الثقيل الأوَّل قديم.

(١) النَّاهض: الفرخ الذي هيّأ جناحيه للنهوض.
(٢) محرَّدة: مغتاظة وغضبى.
(٣) الحُسام: الحاسم أو القاطع.
(٤) القِّد: السير يقد من جلد غير مدبوغ.
(٥) السَّوام: الإبل السائمة أي الراعية.
(٦) اللُّهام: الكثير.
(٧) كلماهم: جرحاهم.

مقتل عمليق وسببه

عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله:

أخبرني بهذا الشعر والسبب الذي من أجله قيل، عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضَّل أن عِمليقاً ملكَ طَسمِ بن لاوَذ بن إرَمَ بن سام بن نوح عليه السلامُ، وجديسِ بن لاوَذ بنِ إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت منازلهم في موضع اليمامة، كان في أول مملكته قد تمادى في الظلم والغشم والسيرة بغير الحق، وأن امرأةً من جديس كان يقال لها هُزيلَةُ، وكان لها زوج يقال له قرقس، فطلَّقها وأراد أخذ ولدها منها، فخاصمته إلى عِمليقٍ، فقالت: «يأيها الملك إني حملته تسعاً، ووضعته دفعاً، وأرضعته شفْعاً، حتى إذا تمَّت أَوصاله، ودنا فِصالُهُ، أَراد أَن يأخذه منّي كرهاً، ويتركني من بعده وَرْهاً[1]. فقال لزوجها: ما حجَّتك؟ قال: «حجَّتي أَيها الملك أني قد أعطيتها المَهْر كاملاً ولم أصب منها طائلاً، إلا وليداً خاملاً، فافعل ما كنت فاعلاً». فأمر بالغلام أن يُنزع منهما جميعاً ويُجعل في غِلمانه، وقال لهزيلة: «ابغيه ولداً، ولا تنكِحي أحداً، واجزيه صفَداً». فقالت هزيلة: «أمَّا النكاح فإنما يكون بالمَهر، وأمَّا السِّفاح فإنما يكون بالقَهر، وما لي فيهما من أمر». فلما سمع ذلك عِمليقٌ أمر بأن تباع هي وزوجها، فيُعطى زوجُها خُمس ثمنها، وتُعطى هُزيلةُ عُشر ثمن زوجها. فأنشأت تقول:

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا ... فأنفذ حكماً في هزيلة ظالما
لَعَمْري لقد حُكّمتَ لا متورِّعاً ... ولا كنت فيما تُبرم الحكم عالما
ندِمتُ ولم أندَم وأنَّى بعثْرتي ... وأصبح بعلي في الحكومة نادما

[الطويل]

فلمَّا سمع عمليقٌ قولها أمر ألَّا تزوّج بكرٌ من جَديس وتُهدى إلى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها، فلقُوا من ذلك بلاءً وجهداً وذُلّاً. فلم يزل يفعل هذا حتى

(١) ورهاء: حمقاء.

زُوّجت الشَّموس وهي عفيرةُ بنت عبَّاد أخت الأسوَد الذي وقع إلى جبل طيِّء فقتلته طيء وسكنوا الجبل من بعده. فلمَّا أرادوا حمْلَها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عِمليقٍ لينالها قبله، ومعها القِيانُ يتغنَّين:

إبدي بعمليقٍ وقومي فاركبي وبادري الصُّبح لأمرٍ مُعجِبِ
فسوف تلقَين الذي لم تطلُبي وما لِبِكْرٍ عنده من مهرَبِ

[الرجز]

تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه:

فلمَّا أن دخلت عليه افترعها وخلَّى سبيلَها. فخرجتْ إلى قومها في دمائها شاقَّة درعها من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ والدم يسيل وهي في أقبح منظرٍ، وهي تقول:

لا أحدٌ أذلّ من جَديس أهكذا يُفعَلُ بالعروسِ
يرضى بهذا يا لقومي حُرُّ أَهدى وقد أعطى وسيق المهْرُ
لأخذةُ الموتِ كذا لنفسه خيرٌ مِنَ ٱن يُفعلَ ذا برسه

[الرجز]

وقالت تحرِّض قومها فيما أُتي إليها:

أيجمُلُ ما يُؤتى إلى فتياتكم وأنتم رجالٌ فيكم عددُ النَّمْلِ
وتُصبح تمشي في الدِّماء عفيرةٌ جهاراً وزُفَّت في النساء إلى بعلِ
ولو أننا كنا رجالاً وكنتم نساءً لَكُنَّا لا نُقِرّ بذا الفعلِ
فموتوا كراماً أو أميتوا عدُوّكم ودِبّوا لنار الحرب بالحطَب الجزلِ
وإلا فخلُّوا بطنَها وتحمَّلوا إلى بلدٍ قفرٍ وموتوا من الهزلِ
فلَلْبينُ خيرٌ من مُقام على أذًى ولَلْموتُ خير من مُقامٍ على الذُّلِّ
وإن أنتمُ لم تغضَبوا بعد هذه فكُونوا نساءً لاتعاب من الكُحلِ
ودونكم طِيبَ العروس فإنما خُلقتم لأثواب العروس وللغِسلِ
فبُعداً وسُحقاً للذي ليس دافعاً ويختال يمشي بيننا مِشية الفَحْلِ

[الطويل]

ائتمار جديس للغدر به وبقومه:

فلمَّا سمع الأسود أخوها ذلك وكان سيِّداً مطاعاً قال لقومه: يا معشر جديس! إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزّ منكم في داركم إلا بما كان من مُلك صاحبهم علينا

وعليهم، ولولا عجزنا وادّهاننا[١] ما كان له فضلٌ علينا. ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَف. فأطيعوني فيما آمرُكم به، فإنه عِزُّ الدهر، وذهابُ ذلّ العمر، واقبَلوا رأيي. قال: وقد أحمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا: نُطيعك، ولكنّ القومَ أكثر وأحمى وأقوى. قال فإني أصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً. فإذا جاؤوا يرفُلون[٢] في الحُلَلِ ثُرنا إلى سيوفنا وهم غارّون[٣] فأهمدناهم بها. قالوا: نفعل. فصنع طعاماً كثيراً وخرج به إلى ظهر بلدهم، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدّى عنده هو وأهل بيته، فأجابه إلى ذلك وخرج إليه مع أهله يرفُلون في الحلى والحُلل، حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديهم إلى الطعام، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم، فشدَّ الأسود على عمليق فقتله، وكلُّ رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم. فلمَّا فرغوا من الأشراف شدّوا على السِّفلةِ فلم يدَعوا منهم أحداً. فقال الأسود في ذلك:

ذوقي ببغيك يا طسمٌ مجلِّلةَ ... فقد أتيتِ لَعَمْري أعجب العجبِ
إنَّا أبينا فلم ننفكّ نقتُلهم ... والبَغي هيَّج منَّا سَورة الغضبِ
ولن يعود علينا بغيُهم أبداً ... ولن يكُونوا كذي أنفٍ ولا ذنبِ
وإن رَعيتم لنا قُربى مُؤكَّدةً ... كُنَّا الأقاربَ في الأرحام والنسبِ

[البسيط]

ثم إن بقيَّة طسم لجؤوا إلى حسَّان بن تُبّع، فغزا جديساً فقتلها وأخرب بلادها. فهرب الأسود قاتل عمليق، فأقام بجبلي طيء قبل نزول طيء إيَّاهما. وكانت طيء تسكن الجُرْف من أرض اليمن، وهو اليوم محلّة مُراد وهمدان، وكان سيِّدهم يومئذٍ أسامة بن لؤيّ بن الغَوث بن طيِّء، وكان الوادي مسبعةً، وهم قليلٌ عددهم، وقد كان ينتابهم بعيرٌ في أزمان الخريف ولم يُدرَ أين يذهب ولم يَرَوْه إلى قابلٍ، وكانت الأزْدُ قد خرجت من اليمن أيام العَرِم، فاستوحشت طيِّء لذلك وقالت: قد ظعَن إخواننا فصاروا إلى الأرياف. فلما همُّوا بالظَّعن قالوا لأُسامة: إنَّ هذا البعير يأتينا من بلدٍ ريفٍ وخِصبٍ، وإنَّا لنرى في بَعَره النَّوى. فلو أننا نتعهَّده عند انصرافه فشخَّصنا معه لكنَّا نُصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا. فأجمعوا أمرهم على ذلك. فلمَّا كان الخريف جاءَ البعيرُ فضرب في إبلهم، فلمَّا انصرف احتملوا واتَّبعوه يسيرون بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبَط على الجبلين. فقال أُسامة بن لؤيّ:

---

(١) الإدّهان: اللين والمصانعة أو المجاملة.
(٢) يرفلون: يتبخترون ويجرون ثيابهم. (٣) الغارُّ: الغافل.

إجعَل طريباً كحبيبٍ يُنسى لكل قَومٍ مُصبحٌ ومُمْسى
[الرجز]

قال: وطريبٌ اسم الموضع الذي كانوا ينزلون به. فهجمت طيء على النخل في الشِّعاب وعلى مواشٍ كثيرة، وإذا هم برجلٍ في شعْبٍ من تلك الشِّعاب وهو الأسود بن عبَّاد، فهالهم ما رأوْا من عِظَم خلقه وتخوّفوه، وقد نزلوا ناحيةً من الأرض واستبروها هل يرون بها أحداً غيره فلم يروا. فقال أُسامة بن لؤيّ لابن له يقال له الغَوْث: أَي بُنيّ! إنَّ قومك قد عرفوا فضلك عليهم في الجلَد والبأس والرمي، فإن كفيتَنا هذا الرجل سُدتَ قومك آخر الدهر، وكنت الذي أنزلتنا هذا البلد. فانطلق الغوث حتى أتى الرجل فكلَّمه وساءله. فعجِب الأسود من صِغَر خلْق الغوث فقال له: من أَين أقبلتم؟ قال: من اليمن، وأخبره خبر البعير ومجيئهم معه، وأنهم رهِبوا ما رأوا من عِظَم خلقه وصِغَرهم عنه، وشغلوه بالكلام، فرماه الغَوثُ بسهمٍ فقتله، وأقامت طيء بالجبلين بعده، فهم هنالك إلى اليوم.

* * *

صوت

إذا قبَّل الإنسانُ آخر يشتهي ثنایاه لم يحرج وكان له أَجرَا
فإن زاد زاد اللَّهُ في حسناته مثاقيل يمحو اللَّه عنه بها وِزرَا
[الطويل]

الشعر لرجل من عُذرة. والغناء لعريب ثقيلٌ أَوَّل بالوسطى.

حديث عمر بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري:

نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حمَّاد قال ذكر الرياشيّ قال: قال حمَّاد الراوية. أتيتُ مكةَ فجلستُ في حلقةٍ فيها عمرُ بن أَبي ربيعة، فتذاكروا من العُذريّين، فقال عمر بن أَبي ربيعة: كان لي صديقٌ من عُذرةَ قال له الجَعد بن مِهجع، وكان أَحد بني سَلامان، وكان يَلقى مثل الذي ألقى من الصبابة بالنساء والوجد بهنّ، على أنه كان لا عاهر الخَلوة ولا سريع السَّلوة، وكان يُوافي الموسم في كلّ سنة؛ فإذا راث[1] عن وقته ترجَّمتُ[2] عنه الأخبار، وتوكَّفتُ له الأسفار حتى يقدَم. فغمَّني ذات

(١) راث: تريث أي أبطأ.
(٢) ترجَّم: تظنَّن، من الرجم بالغيب بمعنى تكهَّن وظنَّ.

سنةٍ إبطاؤه حتى قدِم حُجَّاج عُذرة، فأتيتُ القوم أَنشُد صاحبي، وإذا غلامٌ قد تنفَّس الصعداء ثم قال: أَعَنْ أَبي المُسهر تسأل؟ قلت: عنه أسأل وإيَّاه أردتُ. قال: هيهاتَ هيهات! أصبح واللَّه أَبو المُسهر لا مُؤيِساً فيُهمَل ولا مرجوّاً فيعلَّل، أصبح واللَّه كما قال القائل:

لعمرك ما حُبّي لأسماء تاركي أعيشُ ولا أقضي به فأموت

[الطويل]

قال قلت: وما الذي به؟ قال: مثل الذي بك من تهوُّركما في الضَّلال، وجَرّكما أذيال الخَسار، فكأنكما لم تسمعا بجنَّة ولا نار. قلت: مَن أنت منه يا ابنَ أَخي؟ قال: أَخوه. قلت: أَمَّا واللَّه يا ابن أَخي ما يمنعك أن تسلُك مَسلَك أَخيك من الأدب وأَن تركب منه مركبه إلا أنَّك وأخاك كالبُرد والبِجادِ لا تَرقَعُه ولا يرقعك، ثم صرفتُ وجهَ ناقتي وأَنا أَقول:

أرائحةٌ حُجَّاجُ عُذرةَ وِجهةً ولَمَّا يَرُح في القوم جَعدُ بن مِهجَعِ
خليلانِ نشكو ما نُلاقي من الهوى متى ما يَقُل أسمع وإن قلتُ يَسمعِ
ألا ليت شعري أيُّ شيءٍ أصابه فلي زَفراتٌ هِجنَ ما بين أضلُعي
فلا يُبْعِدَنْكَ اللَّه خِلّاً فإنني سألقى كما لاقيتَ في كُلِّ مَصرَعِ

[الطويل]

ثم انطلقتُ حتى وقفت موقفي من عَرَفات. فبينا أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تغيَّر لونُه وساءت هيئته، فأدنى ناقته من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما، ثم عانقني وبكى حتى اشتدّ بكاؤه. فقلت: ما وراءك؟ فقال: بَرْحُ العَذلِ وطولُ المَطل، ثم أنشأ يقول:

لئن كانت عُدَيَّةُ ذاتَ لُبٍّ لقد علمتْ بأنّ الحبّ داءُ
ألم تنظر إلى تغيير جسمي وأنّي لا يفارقني البكاءُ
ولو أنّي تكلَّفتُ الذي بي لقَفَّ الكَلْمُ وانكشف الغطاءُ
فإنَّ معاشري ورجال قومي حُتوفُهم الصبابة واللِّقاءُ
إذا العُذرِيُّ مات خَلِيَّ ذَرعٍ فذاك العبد يبكيه الرّشاءُ

[الوافر]

فقلت: يا أبا المُسهر إنها ساعةٌ تُضرَب إليها أكباد الإبل من شَرْقِ الأرض وغَربها، فلو دعوتَ اللَّه كنتَ قمِناً أن تظفَر بحاجتك وأن تُنصَر على عدوِّك. قال: فتركني وأقبل على الدعاء. فلمَّا نزلتِ الشمسُ للغروب وهمّ الناسُ أَن يُفيضوا سمعته يتكلَّم بشيء، فأصغيتُ إليه، فإذا هو يقول:

يـــا رَبَّ كـــلِّ غَـــدوةٍ ورَوحـــةْ مـن مُـحـرِمٍ يـشـكـو الـضُّـحـى ولَـوحَـةْ
أَنـت حـسـيـبُ الـخَـلـق يـومَ الـدَّوحـةْ

الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه ومسعى عمر في زواجه ممن عشقها:

فقلت له: وما يوم الدوحة؟ قال: واللَّه لأخبرنَّك ولو لم تسألني. فيمَّمنا نحو مُزدَلِفة، فأقبل عليّ وقال: إني رجلٌ ذو مال كثيرٍ من نَعَم وشاءٍ، وذو المال لا يُصدِره ولا يُرويه الثِّماد[١]. وقطَر الغيثُ أرض كلبٍ، فانتجعتُ[٢] أخوالي منهم، فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسَقَوني جُمَّةَ[٣] الماء، وكنتُ فيهم في خير أخوال: ثم إنِّي عزمتُ على موافقة إبلي بماء لهم يقال له الحَوذانُ، فركبتُ فرسي وسمطت[٤] خلفي شراباً كان أهداه إليَّ بعضهم ثم مضيت، حتى إذا كنت بين الحيّ ومَرعى النَّعَم رُفِعتْ لي دَوحةٌ عظيمةٌ، فنزلت عن فرسي وشددته بغصن من أغصانها وجلستُ في ظلِّها. فبينا أنا كذلك إذ سطع غبار من ناحية الحيّ ورُفِعت لي شخوصٌ ثلاثة، ثم تبيَّنتُ فإذا فارس يطرد مِسحَلاً[٥] وأتاناً، فتأمّلته فإذا عليه درعٌ أصفرُ وعمامةُ خَزٍّ سوداءُ، وإذا فُروع شعره تضرب خَصرَيه، فقلت: غلامٌ حديثُ عهدٍ بعُرسٍ أعجلته لذَّة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته. فما جاز عليّ إلا يسيراً حتى طعن المِسحَل وثنَّى طعنةً للأتان فصرعهما، وأقبل راجعاً نحوي وهو يقول:

نَـطـعُـنُـهـم سُـلـكـى[٦] ومـخـلـوجـةً[٧] كَـرَّكَ لَأمَـيـنِ[٨] عـلـى نـابـلِ[٩]

[السريع]

فقلت: إنك قد تعبتَ وأتعبتَ، فلو نزلتَ! فثنى رجله فنزل فشدّ فرسه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس، فجعل يحدِّثني حديثاً ذكرتُ به قولَ أَبي ذُؤَيب:

وإنّ حـديـثـاً مـنـكِ لـو تَـبـذُلـيـنَـه جَنى النَّحلِ في ألبان عُوذٍ[١٠] مَطافلِ

[الطويل]

فقمتُ إلى فرسي فأصلحتُ من أمره ثم رجعتُ، وقد حسر العمامة عن رأسه،

---

(١) الثِّماد: مفردها ثَمَد، وهو الماء القليل.
(٢) إنتجعت: استمرأت.
(٣) جُمَّة: معظم، سائر.
(٤) سمطت: علقتُ.
(٥) المِسْحَل: الحمار الوحشي.
(٦) سُلكى: الطعنة المصوَّبة نحو الوجه مباشرة.
(٧) مخلوجة: الطعنة المعوجة يمنة ويسرة.
(٨) اللأّم: السهم المغطى بالريش.
(٩) النابل: صاحب النبل.
(١٠) عوذ: مفردها عائذ، وهي الحديثة النتاج.

فإذا غلامٌ كأنَّ وجهه الدينار المنقوش. فقلت: سبحانك اللَّهمَّ! ما أعظم قُدرتك وأحسن صَنعتك! فقال: مِمَّ ذاك؟ قلت: مما راعني من جمالك وبهرني من نورك. قال وما الذي يروعك من حبيس التراب، وأكيل الدوابّ، ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أم ييأس. قلت: لا يصنع اللَّه بك إلَّا خيراً. ثم تحدّثنا ساعة، فأقبل عليّ وقال: ما هذا الذي أرى قد سمطتَ[1] في سَرجك؟ قلتُ: شرابٌ أهداه إليَّ بعضُ أهلك، فهل لك فيه من أرَبٍ؟ قال: أنت وذاك. فأتيتُه به، فشرب منه وجعل ينكت أحياناً بالسَّوط في ثناياه، فجعل واللَّه يتبيّن لي ظِلُّ السوط فيهن. فقلت: مهلاً فإني خائفٌ أن تكسرهنّ. فقال: ولِمَ؟ قلت: لأنهن رِقاقٌ وهنّ عِذابٌ. قال: ثم رفع عقيرته يتغنَّى:

إذا قـبَّـل الإنـسـان آخـر يـشـتـهـي ثـنـايـاه لـم يـأثـمْ وكـان لـه أجـرَا
فـإن زاد زاد الـلَّـه فـي حَـسـنـاتـه مـثـاقـيـل يـمـحـو الـلَّـه عـنـه الـوِزرَا

[الطويل]

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع. قال: فبرقت لي بارقةٌ تحت الدّرع، فإذا ثَديٌ كأنه حُقُّ عاج. فقلت: نشدتُك اللَّه أَمرأةٌ؟ إي واللَّه إلَّا أنّي أكره العشير وأُحبّ الغزَل. ثم جلستْ فجعلتْ تشرَب معي ما أفقد من أنسها شيئاً حتى نظرتُ إلى عينيها كأنّهما عينا مَهاةٍ مذعورة. فواللَّه ما راعني إلا مَيلها على الدوحة سَكرى فزُيِّن لي واللَّه الغَدرُ وحَسُنَ في عيني، ثم إنَّ اللَّه عصمني منه، فجلستُ حَجرةً منها. فما لبثت إلَّا يسيراً حتى انتبهت فَزِعةً، فلاثت عِمامَتها برأسها، وجالت في متن فرسها، وقالت جزاك اللَّه عن الصُّحبة خيراً. قلت: أَوَ ما تزوِّدينني منك زاداً؟ فناولتني يدَها، فقبَّلتها فشمِمْتُ واللَّه منها ريح المسك المفتوت، فذكرتُ قول الشاعر:

كـأنـهـا إذ تـقـضَّـى الـنـوم وانـتـبـهـت سَـحـابـةٌ مـا لـهـا عـيـنٌ ولا أثـرُ

[البسيط]

قلت: وأين الموعدُ؟ قالت: إنَّ لي أخوةً شُرساً[2] وأباً غيوراً. وواللَّه لأن أَسُرّك أحبّ إليّ من أن أضُرَّك، ثم انصرفت. فجعلت أُتبعها بصري حتى غابت، فهي واللَّه يا ابنَ أَبي ربيعة أحلَّتني هذا المحلَّ وأبلغتني. فقلت له: يا أَبا المُسهر إنَّ الغدر بك مع ما تذكر لمليح. فبكى واشتدّ بكاؤه. فقلت: لا تَبكِ؛ فما قلت لك ما قلت إلا مازحاً، ولو لم أبلغ في حاجتك بمالي لسعيت في ذلك حتى أقدرَ عليه، فقال لي: خيراً. فلمَّا انقضى الموسمُ شددتُ على ناقتي وشدّ على ناقته، ودعوت غلامي فشدّ

(١) سمطتُ: علَّقتُ.
(٢) شُرس: مفردها شَرِس، وهو السيِّئ الخُلُق.

على بعير له، وحملتُ عليه قبَّة حمراء من أَدَم كانت لأبي ربيعة المخزوميّ، وحملتُ معي ألفَ دينار ومِطْرَفَ خزٍّ، وانطلقنا حتى أتينا بلادَ كلبٍ، فنشدنا عن أَبي الجارية فوجدناه في نادي قومه، وإذا هو سيِّد الحيّ وإذا الناس حوله، فوقفتُ على القوم فسلمت، فردّ الشيخ السلام، ثم قال مَن الرجل؟ قلت: عمر بن أبي ربيعة بن المُغيرة. فقال: المعروف غير المنكر، فما الذي جاء بك؟ قلت: خاطباً. قال: الكُفء. والرَّغبة. قلت: إني لم آتِ ذلك لنفسي عن غير زَهادةٍ فيك ولا جهالةٍ بشرفك، ولكني أتيت في حاجة ابن أختكم العذريّ، وها هو ذاك. فقال: واللَّه إنه لكفيءُ الحَسَب رفيع البيت، غيرَ أنَّ بناتي لم يَقَعنَ إلَّا في هذا الحيّ من قُرَيش.

فوجمتُ[1] لذلك، وعرف التغيُّرَ في وجهي فقال: أما إني صانعٌ بك ما لم أصنعه بغيرك. قلت: وما ذاك فمثلي مَن شكر؟ قال: أخيّرها فهي وما اختارت. قلت: ما أنصفتني إذ تختار لغيري وتُولي الخِيار غيرك. فأشار إليّ العذريّ أن ادَعه يخيّرها. فأرسل إليها: إنّ من الأمر كذا وكذا. فأرسلتْ إليه: ما كنت لأستبدّ برأي دون القرشيّ، فالخيار في قوله، حكِّمه. فقال لي: إنها قد ولَّتك أمرَها فاقضِ ما أَنت قاض. فحمِدتُ اللَّه عزّ وجلّ وأثنيت عليه وقلت: اشهَدوا أنّي قد زوّجتها من الجَعد بن مِهجَع وأصدقتها هذا الألفَ الدّينار، وجعلت تَكرمَتها العبدَ والبعيرَ والقبَّة، وكسوتُ الشيخ المَطرَفَ، وسألته أن يبنيَ بها عليه في ليلته. فأرسل إلى أُمّهما، فقالت: أتخرج ابنتي كما تخرج الأمَةُ! فقال الشيخ: هَجِّري[2] في جهازها، فما برحت حتى ضربت القبَّة في وسط الحريم، ثم أهديتْ إليه ليلاً، وبِتُّ أَنا عند الشيخ. فلمَّا أصبحتُ أَتيتُ القبَّة فصِحتُ بصاحبي، فخرج إليَّ وقد أثّر السرور فيه، فقلت: كيف كنتَ بعدي وكيف هي بعدك؟ فقال لي: أَبدتْ لي واللَّه كثيراً مما كانت أخفته عنّي يوم لقيتها. فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول:

كتمتُ الهوى لمَّا رأيتك جازعاً ... وقلتُ فتًى بعضَ الصديق يريدُ
وأَن تَطرَحَنّي أَو تقول فُتَيَّةٌ ... يَضُرّ بها بَرْحُ الهوى فتعودُ
فورّيتُ عمَّا بي وفي داخل الحَشى ... من الوجد بَرْحٌ فاعلمنَّ شديدُ

[الطويل]

فقلت: أقِمْ على أهلك، بارك اللَّه لك فيهم، وانطلقت وأَنا أقول:

(١) وَجمتُ: وجم أي عبسَ وأطرق وجهه لشِدّة الحزن.
(٢) هجّري: أسرعي.

كـفـيـتُ أخـي الـعـذريَّ مـا كـان نـابـه وإنـي لأعـبـاء الـنـوائـب حَـمَّـالُ
أَمَـا استُـحْـسِـنـتْ منّي الـمـكـارمُ والـعُـلا إذا طُـرِحـتْ! إنـي لـمـالـيَ بَـذَّالُ
[الطويل]

وقال العذريّ:

إذا مـا أَبـو الـخـطَّـاب خـلّـى مـكـانَـهُ فَـأُفٍّ لـدُنـيـا لـيـس مـن أهـلـهـا عُـمَـرْ
فـلا حَـيَّ فِـتـيـانُ الـحـجـازيـن بـعـدَه ولا سُـقـيـتْ أَرض الـحـجـازيـن بـالـمـطـرْ
[الطويل]

صـوت

إنَّ الـخـلـيـط قـد ازمـعـوا تَـركـي فـوقـفـتُ فـي عَـرَصـاتـهـم أَبـكـي
جِـنِّـيَّـةٌ بـرَزتْ لـتـقـتُـلَـنـي مَـطـلِـيَّـة الأصـداغ بـالـمـسـكِ
عـجـبـاً لـمـثـلـكِ لا يـكـونُ لـه خَـرْجُ الـعِـراقِ ومِـنـبَـرُ الـمـلـكِ
[الكامل]

الشعر لابن قَيس الرُّقيَّات يقوله في عائشة بنت طلحة. والغناء لمعبد، ثقيلٌ أَوَّل بالسبَّابة في مجرى البنصر. والسبب في قول ابن قيس هذا الشعر فيها يُذكر في أَخبارها إن شاء اللّه تعالى.

* * *

أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

عائشةُ بنت طَلحةَ بن عُبَيد اللَّه بن عُثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم. وأُمّها أُمّ كلثوم بنت أَبي بكر الصِّدّيق. أَخبرني الحسن بن يحيى قال: قال حمَّاد قال أَبي قال مُصعبٌ:

كانت لا تستر وجهها وعتاب مصعب لها في ذلك:

كانت عائشة بنت طلحةَ لا تستر وجهها من أَحد. فعاتبها مُصعبٌ في ذلك، فقالت: إنَّ اللَّه تبارك وتعالى وسمني بميسم جمالٍ أحببتُ أَن يراه الناسُ ويعرفوا فضلي عليهم، فما كنتُ لأستره، ووالله ما فيّ وَصَمةٌ يقدر أَن يذكرني بها أَحدٌ. وطالت مُرادَّةُ مصعبٍ إيَّاها في ذلك، وكانت شرسة الخُلق. قال: وكذلك نساء بني تيم هنّ أشرَسُ خَلق اللَّه وأحظاه عند أزواجهن. وكانت عند الحسين بن عليٍّ صلواتُ اللَّه عليهما أُمّ إسحاق بنتُ طلحة، فكان يقول: واللَّه لربّما حملتْ ووضعتْ وهي مُصارمةٌ لي لا تكلِّمني.

غضبت على مصعب فبعث إليها ابن قيس الرقيات:

قال: نالت عائشةُ من مُصعبٍ وقالت: عَليَّ كظهر أُمّي، وقعدتْ في غرفة وهيَّأت فيها ما يصلحها. فجهد مصعبٌ أَن تكلِّمه فأبتْ. فبعث إليها ابن قَيس الرقيَّات، فسألها كلامه، فقالت: كيف بيميني؟ فقال: هاهنا الشَّعبيُّ فقيه أهل العراق فاستفتيه. فدخل عليها فأخبرته، فقال: ليس هذا بشيء. فقالت: أتحلُّني وتخرج خائباً! فأمرتْ له بأربعة آلاف درهم. وقال ابن قَيس الرُّقيَّات لمَّا رآها:

جِنِّيَّةٌ برزتْ لتقتلنا ... مَطليَّةُ الأقراب[1] بالمِسكِ

[الكامل]

وذكر باقيَ الأبيات.

أَخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثنا محمد بن إسحاق اليعقوبيّ قال حدثنا سليمان بن أَبي شيخ عن محمد بن الحَكم قال:

(١) الأقراب: الخواصر.

غضبت على مصعب فاسترضاها أشعب فرضيت:

كان أشعبُ يأْلف مصعباً، فغضبت عليه عائشة بنت طلحة يوماً، وكانت من أحبّ الناس إليه، فشكا ذلك إلى أشعب. فقال: ما لي إن رضيتْ؟ قال: حُكمُك. قال: عشرة آلاف درهم. قال: هي لك.

فانطلق حتى أتى عائشة فقال: جُعِلتُ فداءكِ! قد علمتِ حُبّي لك ومَيلي قديماً وحديثاً إليك من غير منالةٍ ولا فائدة. وهذه حاجةٌ قد عَرضت تقضين بها حقي وترتهنين بها شُكري. قالت: وما عناك؟ قال: قد جعل لي الأمير عشرةَ آلاف درهم إن رضيت عنه. قالت: ويحك! لا يمكنني ذلك. قال: بأبي أنتِ فارضَيْ عنه حتى يُعطيَني ثم عودي إلى ما عوّدك اللَّه من سوء الخُلق. فضحكتْ منه ورضيت عن مصعب. وقد ذكر المدائنيُّ أَن هذه القصة كانت لها مع عمر بن عبيد اللَّه بن معمر، وأَن الرسول إليها والمخاطب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عتيق.

وأَخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد قال أبي حُدِّثت عن صالح بن حسَّان قال:

كان بالمدينة امرأة حسناء تُسمَّى عَزّةَ المَيلاء يألفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء. فأتاه مصعب بن الزبير وعبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أَبي بكر وسعيد بن العاص، فقالوا: إنَّا خطبنا فانظري لنا. فقالت لمصعب: يا ابن أَبي عبد اللَّه ومَن خطبتَ؟ فقال: عائشة بنت طلحة. فقالت: فأنت يا ابن أَبي أُحَيحة؟ قال: عائشة بنت عثمان. قالت: فأنت يا ابن الصدّيق؟ قال: أُمّ القاسم بنت زكرّيا بن طلحة. قالت: يا جارية هاتي مَنقليّ (تعني خُفَّيها) فلبستهما وخرجت ومعها خادمٌ لها، فإذا هي بجماعة يزحم بعضهم بعضاً، فقالت: يا جارية انظري ما هذا. فنظرت ثم رجعت فقالت: امرأةٌ أُخِذت مع رجل. فقالت: داءٌ قديم، امضِ ويلكِ. فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت: فديتُك! كنَّا في مأدبة أَو مأتم لقريش، فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك، فلم أَدرِ كيف أَصِفك فديتُك. فألقي ثيابكِ، ففعلتْ فأقبلتْ وأدبرتْ فارتجّ كلُّ شيء منها. فقالت لها عَزَّة: خُذي ثوبَك فديتك. فقالت عائشة: قد قضيتُ حاجتكِ وبقيتْ حاجتي. قالت عزّة: وما هي بنفسي أَنتِ؟ قالت: تُغَنِّيني صوتاً. فاندفعت تغنّي لحنها:

صـــوت

خَـلـيـلـيّ عـوجَـا بـالـمـحـلَّـة مـن جُـمـلِ وأتـرابِـهـا بـيـن الأصَـيـفـر والـخـبْـلِ

نَقِفْ بمغانٍ قد محا رسمها البِلى تَعاقبها الأيام بالريح والوَبْلِ
فلو درج النملُ الصِّغار بجلدها لأندَب[١] أعلى جِلدِها مدرَجُ النَّملِ
وأحسن خلق اللَّه جيداً ومقلةً تُشبَّه في النسوان بالشادن[٢] الطَّفلِ

[الطويل]

ـ الشعر لجميل بن عبد اللَّه بن مَعمرٍ العُذريّ. والغناء لعزّة الميلاء ثقيلُ أوّل بالوسطى ـ فقامت عائشة فقبَّلت ما بين عينيها ودعتْ لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضة وغير ذلك، فدفعته إلى مولاتها فحملته. وأتتِ النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن، حتى أتتِ القوم في السقيفةِ. فقالوا: ما صنعتِ؟ فقالت: يا ابن أبي عبد اللَّه، أمَّا عائشة فلا واللَّه إن رأيتُ مثلها مقبلةً ومدبرةً، محطوطةُ المتنين، عظيمة العجيزة[٣]، ممتلئة الترائب[٤]، نقيَّة الثغر وصَفحةِ الوجه، فرعاءُ الشعر، لفَّاء الفخذين، ممتلئة الصدر، خميصة[٥] البطن، ذات عُكَنٍ، ضخمة السُّرَّة، مُسَرولة الساق، يرتجّ ما بين أعلاها إلى قدميها. وفيها عيبان، أمَّا أحدهما فيواريه الخِمار، وأمَّا الآخر فيواريه الخُفّ: عِظَمُ القَدَمِ والأذُن. وكانت عائشة كذلك.

ثم قالت عزَّة: وأمَّا أنت يا ابن أبي أُحَيحة فإني واللَّه ما رأيتُ مثل خَلْقِ عائشة بنت عثمان لامرأة قطّ، ليس فيها عيب. واللَّه لكأنما أُفرِغتْ إفراغاً، ولكن في الوجه ردّة[٦]، وإن استشرتني أشرتُ عليك بوجه تستأنس به. وأمَّا أنت يا ابن الصدِّيق فواللَّه ما رأيت مثل أُمّ القاسم، كأنها خُوط[٧] بانة تنثني، وكأنها جَدلُ عِنان، أو كأنها جانٌّ يتثنّى على رمل. لو شئتَ أن تعقِد أطرافها لفعلتَ. ولكنها شَختَةُ الصدر وأنت عريض الصدر؛ فإذا كان ذلك كان قبيحاً، لا واللَّه حتى يملا كلُّ شيء مثله. قال: فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن.

أخبرني الطُّوسيّ وحرميٌّ عن الزبير عن عمه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن الزبيريّ والمدائنيّ، ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائنيّ وجمعت ذلك، قالوا جميعاً:

---

(١) أنَدَبَ: ترك فيه آثاراً واضحة.
(٢) الشَّادن: الظّبي الذي قوي قرناه واعتمد على نفسه واستغنى عن أمه.
(٣) العجيزة: العُجز، المؤخِرة.
(٤) الترائب: عظام الصدر.
(٥) خميصة: ضامرة.
(٦) ردَّة: القبح مع شيء يسير من الجمال.
(٧) خوط: الغصن الليّن الناعم.

إنَّ أُمَّ عائشةَ بنتِ طلحة أُمُّ كلثوم بنتُ أبي بكرٍ الصدّيق، وأمّها حبيبة بنت خارجةَ بن زيد بن أَبي زهير من بني الخَزرج بن الحارث. قالوا: وكانت عائشة بنتُ طلحة تُشَبّه بعائشة أمّ المؤمنين خالتها. فزوّجتها عائشة عبد اللَّه بنَ عبد الرحمن بن أَبي بكر وهو ابن أَخيها وابنُ خال عائشة بنت طلحة، وهو أبو عُذرها[١]، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه؛ ولدتْ له عِمران وبه كانت تُكنى، وعبدَ الرحمن، وأَبا بكر، وطلحةَ، ونفيسةَ وتزوّجها الوليد بن عبد الملك، ولكلّ هؤلاء عَقِبٌ. وكان ابنها طلحة من أَجواد قريش، وله يقول الحزين الدِّيليُّ:

فإن تك يا طَلحُ أعطيتَني ... عُذافرةً[٢] تَستخفّ الضَّفارا[٣]
فما كان نَفعُك لي مَرَّةً ... ولا مرّتين ولكن مِرارا
أبوك الذي صدّق المصطفى ... وسار مع المصطفى حيث سارا
وأُمُّك بيضاء تَيميَّةٌ ... إذا نُسِب الناسُ كانوا نُضارا

[المتقارب]

مصارمتها لزوجها وإيلاؤه منها:

قال: فصارمت[٤] عائشة بنتُ طلحة زوجها، وخرجت من دارها غَضبى، فمرّت في المسجد وعليها مِلحفةٌ تريد عائشةَ أمَّ المؤمنين، فرآها أبو هُرَيرةَ فقال: سبحان اللَّه! كأنها من الحُور العِين. فمكثت عند عائشة أربعة أشهر. وكان زوجُها قد آلى منها، فأرسلتْ عائشة: إني أَخاف عليك الإيلاء[٥]، فضمَّها إليه. وكان مُولياً منها فقيل له: طلِّقها، فقال:

يقولون طلِّقها لأصبح ثاوياً[٦] ... مُقيماً عليّ الهمُّ، أحلامُ نائمِ
وإن فراقي أهل بيتٍ أُحِبُّهم ... لهم زُلفةٌ عندي لإِحدى العظائمِ

[الطويل]

---

(١) أبو عُذرها: الذي افتضَّ بكارتها.
(٢) العُذافِرة: الناقة العظيمة.
(٣) الضَّفار: ما يشدّ به البعير من الشَّعر المضفور.
(٤) صارمت: قاطعت.
(٥) الإيلاء: هو قَسَمٌ يقسمه الزوج بأن لا يقرب زوجته، ويجب أن يتربص بعده أربعة أشهر، ومن ثمّ يطلّق أو يرجع.
(٦) ثاوياً: مقيماً.

زواجها من مصعب بن الزبير:

فتوفي عبدُ اللَّه بعد ذلك وهي عنده، فما فتحت فاها عليه، وكانت عائشة أمّ المؤمنين تعدّد عليها هذا في ذُنوبها التي تعدّدها. ثم تزوجها بعده مُصعبُ بن الزبير، فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثلَ ذلك. وبلغ ذلك أخاه فقال: إن مصعباً قدّم أيرَه، وأخّر خيره. فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مَروان فقال: لكنَّه أخَّر أيرَه وخيرَه.

وكتب ابن الزبير إلى مصعب يؤنِّبه على ذلك ويُقسِم عليه أن يلحق به بمكة ولا ينزل المدينة ولا ينزلَ إلا بالبيداء، وقال له: إني لأرجو أن تكون الذي يُخسف به بالبيداء، فما أمرتُك بنزولها إلا لهذا. وصار إليه وأرضاه من نفسه. فأمسك عنه.

قال وحدّثني المدائني عن سُحَيم بن حفص قال:

كان مصعب بن الزبير لا يقدر عليها إلا بتلَاحٍ ينالُها منه وبضربها. فشكا ذلك إلى ابن أبي فروة كاتبه. فقال له: أنا أكفيك هذا إن أذِنت لي. قال: نعم! إفعل ما شئت فإنها أفضلُ شيءٍ نِلته من الدنيا. فأتاها ليلاً ومعه أسوَدان فاستأذن عليها. فقالت له: أفي مثل هذه الساعة! قال: نعم. فأدخلتْه. فقال للأسودين: احفرا هاهنا بئراً. فقالت له جاريتها: وما تصنع بالبئر؟ قال: شُؤم مولاتك، أمرني هذا الفاجر أن أدفنها حيَّةً وهو أسفكُ خلقِ اللَّه لدم حرام. فقالت عائشة: فأنظرني أذهبْ إليه. قال هيهات! لا سبيل إلى ذلك، وقال للأسودين: احفرا.

فلمَّا رأت الجدّ منه بكتْ ثم قالت: يا ابن أبي فروة إنك لقاتلي ما منه بُدٌّ؟ قال: نعم، وإني لأعلم أن اللَّه سيجزيه بعدك، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب. قالت: وفي أيّ شيء غَضبهُ. قال: في امتناعك عنه، وقد ظنّ أنك تُبغضينه وتتطلعين إلى غيره فقد جُنّ. فقالت: أَنشدُك اللَّه إلا عاودته. قال: إني أخاف أن يقتلني. فبكت وبكى جواريها. فقال: قد رقَقت لك، وحلف أنه يغرّر بنفسه، ثم قال لها: فما أقول؟ قالت: تضمنُ عني ألَّا أعودَ أبداً. قال: فما لي عندك؟ قالت: قيامٌ بحقِّك ما عشتُ. قال: فأعطيني المواثيق، فأعطته. فقال للأسودين: مكانَكما، وأتى مصعباً فأخبره. فقال له: استوثق منها بالإيمان، فَفَعلَتْ وصلحتْ بعد ذلك لمصعب.

أخبار لها مع مصعب

قال: ودخل عليها مصعبٌ يوماً وهي نائمة متصبِّحة[١] ومعه ثمانِ لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها. فقالت له: نومتي كانت أحب إليّ من هذا اللؤلؤ.

قال: وصارمت مصعباً مرة، فطالت مصارمتها له وشقّ ذلك عليها وعليه، وكانت لمصعب حرب فخرج إليها ثم عاد وقد ظفِر، فشكت عائشة مصارمته إلى مولاة لها. فقالت: الآن يصلح أن تخرجي إليه. فخرجت فهنَّأته بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه. فقال لها مصعب: إني أُشفق عليك من رائحة الحديد. فقالت: لهو واللَّه عندي أطيب من ريح المسك الأذفر.

أخبرني ابن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن المِسعَر قال:

كان مصعب من أشد الناس إعجاباً بعائشة بنت طلحة، ولم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودماثةً وجمالاً وهيئة ومتانةً وعِفّةً، وإنها دعت يوماً نسوةً من قريش فلمَّا جئنها أجلستهن في مجلس قد نُضِّد فيه الريحان والفواكه والطِّيب [و]المجمر[٢]، وخلعت على كل امرأةٍ منهن، خِلعة تامة من الوشي والخَزّ ونحوهما، ودعت عَزّة الميلاء ففعلت بها مثلَ ذلك وأضعفت، ثم قالت لعزّة: هاتي يا عزّةُ فغنِّينا، فغنَّتهن في شعر امرئ القيس:

وثـغـرٍ أغـرّ شَـتِـيْـتِ الـنّـبـاتْ لـذيـذ الـمُـقـبَّـل والـمُـبـتَـسـمْ
ومـا ذقـتُـه غـيـر ظـنٍ بـه وبـالـظّـن يـقـضـي عـلـيـك الـحـكَـمْ
[المتقارب]

وكان مصعبٌ قريباً منهن ومعه إخوانٌ له، فقام فانتقل حتى دنا منهن والستور مُسبلةٌ، فصاح: يا هذه إنَّا قد ذُقناه فوجدناه على ما وصفتِ، فبارك اللَّه فيك يا عزّة! ثم أرسل إلى عائشة: أما أنت فلا سبيل لنا إليك مع من عندك، وأما عزّة فتأذنين لها أن تغنِّينا هذا الصوت ثم تعود إليك، ففعلت. وخرجت عزّة إليه فغنَّته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب أن يذهب عقلُه فرحاً. ثم قال لها: يا عزة إنك لتُحسنين القولَ والوصف، وأمرها بالعَود إلى مجلسها، وتحدّث ساعةً مع القوم ثم تفرّقوا.

---

(١) التَّصبُّح: نوم الصبح.

(٢) المِجمَر: العود الذي يُتبخر به لطيب ريحه.

خطبها بشر بن مروان فتزوجت عمر بن عبيد اللَّه:

وقال المدائني، وذكره القحذميّ أيضاً في خبره: فلمَّا قُتِل مصعب عن عائشة خطبها بِشرُ بن مروان، وقدِم عُمرُ بن عُبيد اللَّه بن معمرٍ التيميُّ من الشام فنزل الكوفة، فبلغه أن بِشرَ بن مروان خطبها، فأرسل إليها جاريةً لها وقال: قُولي لابنة عمي يقرئك السلام ابن عمك ويقول لك أنا خيرٌ من هذا المبسور المطحول، وأنا ابن عمك وأحقُّ بك، وأن تزوجت بك ملأتُ بيتك خيراً، وحرك أيراً. فتزوجته فبنى بها بالحيرة ومهدت له سبعةَ أفرشةٍ عرضها أربعُ أذرع، فأصبح ليلة بنى بها عن تسع. قال: فلقيته مولاة لها فقالت: أبا حفص فديتُك! قد كملتَ في كل شيء حتى فِي هذا.

وقال مصعب في خبره أن بشراً بعث إليها عُمر بن عُبيد اللَّه بن معمر يخطبها عليه، فقالت له: يا مصارع قلة! أَما وجد بشرٌ رسولاً إلى ابنة عمِّك غيرك! فأين بك عن نفسك؟! قال: أو تفعلين؟ قالت نعم، فتزوجها. وقال مصعب الزبيري في خبره: لمَّا بنى بها عمرُ قال لها: لأقتلنك الليلة، فلم يصنع إلا واحدةً. فقالت له لمَّا أصبح: قُم يا قَتَّال. قال: وقالت له حينئذٍ:

قد رأيناك فلم تَحلُ لنا وبلوناك فلم نرض الخبَرْ

[الرمل]

وهذه الحكاية تحاملٌ من مصعب الزبيري وعصبيَّة. والخبر في رضاها عنه والحكاية في هذا غيرُ ما حكاه وهو ما سبق.

ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبيد اللَّه:

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن القحذمي أن عمر بن عبيد اللَّه لمَّا قدم الكوفة تزوج عائشة بنتَ طلحة، فحمل إليها ألفَ ألف درهم: خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف هدية، وقال لمولاتها: لك عليَّ ألفُ دينارٍ إن دخلتُ بها الليلة. وأمر بالمال فحُمل فأُلقي في الدار وغُطِّي بالثياب. وخرجتْ عائشة فقالت لمولاتها: أَهذا فرشٌ أَم ثياب؟ قالت: انظري إليه، فنظرت فإذا مالٌ، فَتَبَسَّمَتْ. فقالت: أجزاءُ من حمل هذا أَن يبيت عزباً قالت: لا واللَّه، ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن أتزين له وأستعد. قالت: فيم ذا! فوجهك واللَّه أحسن من كل زينة، وما تَمُدِّين يدك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك. وقد عزمتُ عليك أن تأذني له. قالت: افعلي.

فذهبت إليه فقالت له: بتْ بنا الليلة. فجاءهم عند العشاء الآخرة، فأُدني إليه طعامٌ فأكل الطعام كله حتى أَعرى الخِوان، وغسل يده، وسأل عن المتوضأ فأخبرته فتوضّأ، وقام يصلي حتى ضاق صدري ونِمتُ، ثم قال: أعليكم إذنٌ؟ قلت: نعم، فادخلْ، فأدخلتُه وأسبلتُ السِّتر عليهما. فعددتُ له في بقيَّة الليل على قِلَّتها سبْع عشرة مرة دخل المتوضّأ فيها.

فلمَّا أصبحنا وقفتُ على رأسه فقال: أتقولين شيئاً؟ قلت: نعم! واللَّه ما رأيتُ مثلك، أكلتَ أكل سبعةٍ، وصلَّيت صلاة سبعةٍ، ونكتَ نيك سبعة. فضحك وضرب بيده على منكِب عائشة، فضحكتْ وغطت وجهها وقالت:

قد رأَيناك فلم تحلُ لنا وبلوناك فلم نَرْضَ الخَبَرْ

[الرمل]

ويدلّ أيضاً على بطلان خبره أَنه لمَّا مات ندبته قائمةً، ولم تندب أحداً من أزواجها إلا جالسةً. فقيل لها في ذلك، فقالت: إنه كان أَكرمهم عليّ وأمسهم رحماً بي، وأردت أَلَّا أتزوج بعده. وكانت نُدبةُ المرأة زوجها قائمةً مما تفعله من لا تريد أن تتزوج بعد زوجها. أخبرني بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن زُهير بن حرب عن محمد بن سلَّام. وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب.

ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها:

حديث امرأة عنها وقد اختلى بها عمر:

قال المدائنيّ في خبره: قالت امرأَة: كنت عند عائشة بنت طلحةَ، فقيل لها: قد جاء الأمير، فتنحيت، ودخل عمر بن عُبيد اللَّه، وكنتُ بحيث أسمع كلامهما، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج، فقلتُ لها: أَنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا! فقالت: إنا نتشهَّى لهذه الفحول بكل ما حرّكها وكل ما قدَرنا عليه.

قال المدائني: وحدّثني مسلمةُ بن محاربٍ قال:

قالت رَملةُ بنت عبد اللَّه بن خَلفٍ ـ وكانت تحت عمر بن عبيد اللَّه بن معمر، وقد ولدت منه ابنه طلحةَ الجود ـ لمولاة لعائشة بنت طلحة: أَريني عائشة متجرّدة ولك ألفَا درهم. فأخبرت عائشة بذلك. قالت: فإني أتجرّد، فأعلميها ولا تعرّفيها أَني أعلم. فقامت عائشة كأنها تغتسل، وأعلمتها فأشرفت عليها مقبلةً ومدبرةً. فأعطتْ رملةُ مولاتها ألفي درهم، وقالت لوددت أَني أعطيتك أربعة ألاف درهم ولم أَرها.

قال: وكانت رملة قد أَسنَّت، وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف. وفيها وفي عائشة يقول الشاعر:

أَنـعِـمْ بـعـائـشَ عـيـشـاً غـيـر ذي رنَـقٍ وانـبِـذ بـرمـلـة نـبـذ الـجـورب الـخـلَـقِ

[البسيط]

ويقال: إن رملة قد أَسنَّت عند عمر بن عُبيد اللَّه، فكانت تجتنبه في أيام إقرائها ثم تغتسل، تُريه أَنها تحيض، وذلك بعد انقطاع حيضها. فقال في ذلك بعضُ الشعراء:

جـعـل الـلَّـه كـل قـطـرة حَـيـضٍ قـطـرتْ مـنـك فـي حـمـالـيـق[1] عـيـنـي

[الخفيف]

أخبار لها مع عمر بن عبيد اللَّه

أخبرنا بذلك الجوهري عن عمر بن شبَّة.

وذكر هارون بن الزيَّات عن أَبي مُحلِّم عن أَبي بكر بن عيَّاش قال:

قال عمر بن عبيد اللَّه لعائشة بنت طلحة وقد أصاب منك طيبَ نفس: ما مرّ بي مثلُ يوم أَبي فُدَيكٍ. فقالت له: اعدُد أيامك واذكر أفضلها، فعدّ يوم سِجستان ويوم قطريٍّ بفارس ونحو ذلك. فقالت عائشة. قد تركتَ يوماً لم تكن في أيامك أَشجع منك فيه. قال: وأيّ يوم؟ قالت: يوم أَرختْ عليها وعليك رملة السِّترَ. تريد قُبح وجهها.

قال: فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد اللَّه بن معمر ثمانيَ سنين، ثم مات عنها في سنة اثنين وثمانين، فتأيَّمت بعده، فخطبها جماعةٌ فردتهم، ولم تتزوج بعده أحداً.

قال المدائنيّ: كان عمر بن عُبيد اللَّه من أَشدّ الناس غَيرةً، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حرٌّ شديد وغبارٌ، فقال لها: انفُضي التّرابَ عنّي. فأخذت منديلاً تنفض به عنه التراب، ثم قالت له: ما رأيتُ الغبارَ على وجه أحدٍ قطُّ كان أحسن منه على وجه مُصعبٍ، قال: فكاد عمر يموت غيظاً.

وقال أَحمد بن حمَّاد بن جميل حدثني القحذميّ قال:

كانت عائشة بنت طلحة من أشدّ الناس مغايظةً لأزواجها، وكانت تكون لمن يجيء يحدّثها في رقيق الثياب، فإذا قالوا: قد جاء الأمير ضَمَّتْ عليها مِطرَفها

(١) حماليق: مفردها حُملاق، وهو باطن أجفان العين الذي يسوّد بالكحلة.

وقطَّبتْ. وكانت كثيراً ما تصف لعمر بن عُبيد اللَّه مصعباً وجماله، تَغيظه بذلك فيكاد يموت.

طلبت من الوليد بن عبد الملك أعواناً حين حجت:

وقال المدائنيّ حدثني مَسلمةُ بن مُحارب وعُبيد اللَّه بن فائد، وأخبرنا به حرميّ عن الزبير عن عمه ومحمد بن الضحَّاك، قالوا:

دخلتْ عائشة بنت طلحة على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة، فقالت: يا أَمير المؤمنين، مُرْ لي بأعوانٍ. فضمّ إليها قوماً يكونون معها، فحجَّت ومعها ستُّون بغلاً عليها الهوادج والرحائل. فعرض لها عُروة بن الزبير فقال:

عـائـشُ يـا ذاتَ الـبـغـالِ الـسـتِّـيـنْ أكُـلُّ عـامٍ هـكـذا تـحـجِّـيـنْ

[الرجز]

فأرسلت إليه: نعم يا عُرَيَّةَ، فتقدَّمْ إن شئتَ؛ فكفّ عنها. ولم تتزوج حتى ماتت.

وقال غير المدائنيّ: إن عائشة بنت طلحة حجَّت وسُكَينة بنت الحسين عليهما السلام معاً، وكانت عائشة أحسن آلةً وثَقَلاً[1]. فقال حاديها[2]:

عـائـش يـا ذات الـبـغـال الـسـتِّـيـن لا زِلـت مـا عِـشـتِ كـذا تـحـجِّـيـن

[الرجز]

فشقّ ذلك على سُكَينة، ونزل حاديها فقال:

عـائـش هـذي ضـرَّةٌ تـشـكـوك لـولا أبـوهـا مـا اهـتـدى أبـوك

[الرجز]

فأمرتْ عائشةُ حاديَها أَن يكفَّ فكفَّ.

وقال: إسحاق بن إبراهيم في خبره حدثني محمد بن سلَّام عن يزيد بن عِياض قال:

استأذنتْ عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية عبدَ الملك في الحجّ، فأذِن لها وقال: ارفعي حوائجك واستظهري، فإنَّ عائشة بنت طلحة تحجُّ، ففعلتْ فجاءت بهيئة جهدتْ فيها. فلمَّا كانت بين مكة والمدينة إذا مَوكبٌ قد جاء فضغطها وفرّق جماعتها. فقالت: أرى هذه عائشة بنت طلحة، فسألتْ عنها فقالوا: هذه خازنتها. ثم جاء

(١) الثَّقل: المتاع. (٢) الحادي: هو الذي يحدو الإبل ويسوقها.

موكبٌ آخر أَعظم من ذلك فقالوا: عائشةُ عائشةُ، فضغطهم، فسألتْ عنه، فقالوا: هذه ماشطتها. ثم جاءت مواكب على هذا إلى سننها. ثم أقبلت كوكبةٌ فيها ثلاثمائة راحلةٍ عليها القِباب والهوادج. فقالت عاتكة: ما عند اللَّه خيرٌ وأبقى.

وقال هارون بن الزيّات حدثني قَبيصة عن ابن عائشة عن أُمّه عن سلَّامة مولاة جدَّته أَثيلة بنت المُغيرة بن عبد اللَّه بن مَعمرٍ قالت:

«زرتُ مع مولاتي خالتها عائشة بنت طلحة وأَنا يومئذٍ وصيفة[1]، فرأيتُ عجيزتَها من خلفها وهي جالسةٌ كأنها غيرُها، فوضعتُ أصبعي عليها لأعلم ما هي، فلمَّا وجدتْ مسَّ أصبعي قالت: ما هذا؟ قلت: جُعِلتُ فداءك! لم أدرِ ما هو، فجئت لأنظر. فضحكت وقالت: ما أكثر مَن يَعجبُ مما عَجِبتِ منه.

إعجاب أبي هريرة بجمالها:

وزعم بكر بن عبد اللَّه بن عاصِم مولى عُرَينة عن أَبيه عن جدّه: أَنَّ عائشة نازعتْ زوجها إلى أَبي هُرَيرة، فوقع خِمارُها عن وجهها، فقال أَبو هريرة: سُبحان اللَّه! ما أَحسن ما غَذَّاك أهلك! لكأنما خرجتِ من الجنَّة.

قال ابن عائشة وحدثني أبي أَنَّ عائشة بنت طلحة وفَدَت على الشام، فقال لها: ما أوفدك؟ قالت: حَبَستِ السماءُ المطرَ، ومَنع السلطانُ الحقَّ. قال: فإني أَبُلُّ رَحِمَكِ وأَعرِف حقَّك، ثم بعث إلى مشايخ بني أُمَيَّةَ فقال: إنَّ عائشة عندي، فاسمروا عندي الليلة فحضروا، فما تذاكروا شيئاً من أَخبار العرب وأشعارها وأيَّامها إلَّا أفاضتْ معهم فيه، وما طلع نجمٌ ولا غارَ إلا سَمَّته. فقال لها هشام: أمَّا الأوّل فلا أُنكره، وأمَّا النجوم فمن أَينَ لك؟ قالت: أخذتُها عن خالتي عائشة. فأمر لها بمائة ألف درهم وردَّها إلى المدينة.

مر بها النميري الشاعر فاستنشدته وخبره معها:

أَخبرني عمي عن الكرانيّ عن المُغيرة بن محمد المهلَّبيّ عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه قال حدثني ابن عمران البزَّازيّ قال:

لمَّا تأَيّمتْ عائشةُ بنت طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً، وبالمدينة سنةً، تخرج إلى مالٍ لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزّه وتجلس فيه بالعشيَّات، فتُناضل بين الرُّماة. فمرّ بها النميريّ الشاعرُ، فسألتْ عنه فنُسِب لها، فقالت: ائتوني به. فقالت له لمَّا

(١) الوصيفة: الجارية الحديثة السِّن وهي في مقتبل الشباب.

أتَوها به: أَنشدني ممَّا قلتَ في زينب. فامتنع وقال: ابنةُ عمي وقد صارتْ عِظاماً بالية. قالت: أقسمتُ لمَّا فعلتَ. فأنشدها قوله:

نـزلـنَ بـفَـخٍّ ثـم رُحـنَ عـشـيَّـةً ... يُـلَـبـيّـن لـلـرحـمـن مُـعـتَـمِـراتِ[1]
يُـخَـبِّـئْـنَ أطـرافَ الأكُـفِّ مـن الـتُّـقَـى ... ويـخـرجـن شَـطـرَ الـلـيـل مُـعـتـجـراتِ[2]
ولـمَّـا رأتْ رَكـبَ الـنـمـيـريّ أعـرضـتْ ... وكـنَّ مِـنَ أنْ يَـلـقَـيـنـه حَـذِراتِ
تـضـوّع مِسكـاً بـطـنُ نَـعـمـان أن مَشَتْ ... بـه زيـنـبٌ فـي نِـسـوة خَـفِـراتِ

[الطويل]

فقالت: واللَّه ما قلتَ إلَّا جميلاً، ولا وصفتَ إلا كرماً وطيباً وتُقًى ودِيناً، أعطوه ألفَ درهم. فلمَّا كانت الجمعةُ الأخرى تعرّض لها فقالت: عليّ به فجاء. فقالت: أنشِدني من شعرك في زينب. فقال: أَوَ أُنشِدُكِ من قول الحارث فيك؟ فوثب مَواليها، فقالت: دَعوه؛ فإنه أراد أن يَستقيد لابنة عمه، هاتِ. فأنشدها:

ظـعـن الأمـيـرُ بـأحـسـنِ الـخَـلـقِ ... وغَـدَوْا بـلُـبّـك مَـطـلـع الـشَّـرقِ
وتَـنـوءُ تُـثـقِـلـهـا عـجـيـزتُـهـا ... نَـهـضَ الـضـعـيـف يـنـوء بـالـوَسـقِ
مـا صـبَّـحـتْ زوجـاً بـطـلـعـتـهـا ... إلَّا غـدا بـكـواكـب الـطَّـلـقِ
قُـرَشـيَّـةٌ عَـبِـقَ الـعـبـيـرُ بـهـا ... عَـبَـقَ الـدِّهـانِ بـجـانـب الـحُـقِّ
بـيـضـاءُ مـن تـيـم كَـلِـفْـتُ بـهـا، ... هـذا الـجـنـون ولـيـس بـالـعـشـقِ

[الكامل]

قالت: واللَّه ما ذكر إلا جميلاً، ذكر أنّني إذا صبَّحت زوجاً بوجهي غَدا بكواكب الطَّلق، وأنّي غدوت مع أَمير تزوّجني إلى الشرق. أَعطوه ألفَ درهم واكسوه حُلَّتين، ولا تَعُد لإتياننا يا نميريُّ.

أخّر الحارث بن خالد الصلاة لتتم طوافها:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن أبي خَيثمة عن محمد بن سلَّام:

أن عبد الملك ولّى الحارث بن خالد على مكة. فأذَّن المؤذِّن، وخرج للصلاة، فأرسلت إليه عائشة بنت طلحة: قد بقي من طوافي شيءٌ لم آتِه، وكان يتعشّقها، فأمرَ المؤذِّن فكفَّ عن الإقامة، ففرغت من طوافها. وبلغ ذلك عبدَ الملك فعزَله. فقال:

---

(١) مُعتمرات: مؤدّيات للعمرة، وهي زيارة مكة في غير وقت الحج والقيام بمناسك معيّنة.
(٢) الاعتجار: لفّ العمائم دون التَّلحي أو ليِّ الثوب على الرأس من غير أن يُلَفّ تحت الحنك.

ما أهوَن واللَّه غَضَبه وعَزْله إيّايَ عليّ عند رِضاها عنّي.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبَّة قال:

قال سَلمُ بن قُتَيبة: رأيتُ عائشة بنت طلحة بمنًى أَو مسجد الخَيفِ، فسألتني مَن أَنت؟ قلت: سَلمُ بن قُتَيبة. فقالت: رَحِم اللَّه مصعباً! ثم ذهبت تقوم ومعها مرأتان تُنهضانها، فأعجزتها أليتاها من عظمهما، فقالت: إنّي بكما لمعَنَّاةٌ، فذكرتُ قول الحارث:

وتنوء تُثقِلُها عجيزَتُها نَهضَ الضعيف ينوء بالوَسقِ[1]

[الكامل]

وروى هذا الخبر هارون بن الزيَّات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثني أبو عمرو بن خَلَّاد عن المدائنيّ قال:

قال أَبو هُرَيرة لعائشة بنت طلحة: ما رأيت شيئاً أحسنَ منك إلَّا معاوية أوَّل يوم خطب على مِنبرِ رسول اللَّه ﷺ. فقالت: واللَّه لَأنا أحسنُ من النار في الليلة القَرّةِ في عين المقرور.

خطبها أبان بن سعيد على يد أخيه فأبت:

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمَّار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة قال:

كتب أبانُ بن سعيدٍ إلى أخيه يحيى يخطب عليه عائشةَ بنت طلحة، ففعل. فقالت ليحيى: ما أنزل أخاك أَيلة؟ قال: أراد العُزلة. قالت: اكتب إلى أخيك:

حلَلتَ محلَّ الضَّبِّ لا أَنتَ ضائرٌ عدوّاً ولا مستنفَعٌ بك نافعُ

[الطويل]

صوت

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه صنيعةُ تَقوى أو صديقٌ تُوامِقُهْ

مَنَعْتَ وبعضُ المَنعِ حَزمٌ وقوَّةٌ فلم يَفتَلِتك المالَ إلَّا حقائقُهْ

[الطويل]

عَروضه من الطويل. توامقه: تفاعله من الموامقة، أي تَوَدّه ويودّك؛ يقال ومَقتُه أمِقُه أَي أحببته. ويفتلتك أي يُخرجه من يدك وقَبضتك. الشعر لكُثَيِّرٍ. والغناء

(١) الوسق: ستون صاعاً، أو هو حِمل البعير.

لمالك بن أبي السَّمحِ، ويقال إنه للهُذَليّ، خفيفُ ثقيلٍ أوَّل بالبنصر.

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا طلحة بن عبد اللَّه قال حدثني أبو مَعمرٍ عافيةُ بن شَيبة قال حدثني العُتبيُّ قال:

أفلس صَيرَفيٌّ بالمدينة، فخرج قومٌ يسألون له، فمرُّوا بابن عِمران الطَّلحيّ وقد فتح بابَه واجتمع له أصحابُه، فسألوه، فقرَع بمخصرته[١] ثم رفع رأسه إليهم فقال:

إذا المـالُ لـم يـوجِـبْ عـلـيـك عـطـاءَه صـنـيـعـةُ تَـقـوى أو صـديـقٌ تُـوامِـقُـهْ[٢]
بـخـلـتَ وبـعـضُ الـبـخـل حَـزمٌ وقـوَّةٌ فـلـم يـفـتـلـتـك الـمـال إلا حـقـائـقُـهْ

[الطويل]

إنَّا واللَّه ما نحيد عن الحق، ولا نتدفّق في الباطلِ، وإنَّ لنا لحقوقاً تشغل فضول أَموالنا، وما كلُّ مَن أفلس من صيارفة المدينة قَدَرنا أَن نجبره، قوموا. قال: فقمنا نستبق الباب.

أَخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا أبو مَسلمة المدينيّ قال أَخبرني أبي قال:

كان رجلٌ من الأنصار من بني حارثة مملِقاً ليس في ديوانٍ ولا عطاء، وكان صديقاً لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل. فقال له يوماً: إنَّ أمير المؤمنين مسابقٌ غداً بين الخيل، وقد أَمرتُ الحرس ألَّا يَعرضوا لك حتى تكلِّمه. قال: فسبق هشاماً يومئذٍ ابنٌ له، وكان السبق يشتدّ عليه. فعرض له الأنصاريّ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا امرؤ من الأنصار، وقد بلغتُ هذه السنّ ولستُ في ديوانٍ. فإن رأى أمير المؤمنين أَن يفرِض لي فَعَلَ.

قال: فأقبل عليه هشامٌ فقال: واللَّه لا أفرِض لك حتى مثل هذه الليلة من السنة المُقبلة، ثم أقبل على الأبرش فقال: يا أبرش أخطأ أَخو الأنصار المسألة. فقال: يا أَمير المؤمنين، ابن أبي جُمعة يقول:

إذا المـالُ لـم يـوجِـبْ عـلـيـك عـطـاءَه صـنـيـعـةُ تـقـوى أو خـلـيـلٌ تـوامِـقُـهْ
مـنـعـتَ وبـعـض الـمـنـع حـزمٌ وقـوّة فـلـم يـفـتـلـتـك الـمـالَ إلَّا حـقـائـقُـهْ

[الطويل]

* * *

(١) المِخضرة: ما يمسكه المرء ليتوكأ عليه كالعصا وغيرها.
(٢) يوامِقه: يُحبه بِشِدَّة.

صـــوت

من شعر عمرو بن شأس:

فَـوانَـدمـي عـلـى الـشـبـاب ووانَـدَمْ ... نَـدِمـتُ وبـان الـيـومَ مـنّـي بـغـيـر ذَمْ
وإذ إخـوتـي حـولـي وإذ أنـا شـامـخٌ ... وإذ لا أجـيـب الـعـاذلاتِ[1] مـن الـصَّـمَـمْ
أرادتْ عِـرارا بـالـهَـوان ومـن يُـرِد ... عـرارًا[2] لـعـمـري بـالـهـوان فـقـد ظَـلَـمْ
فـإن كـنـتِ مـنّـي أو تـريـديـن صُـحـبـتـي ... فـكـونـي لـه كـالـسّـمـن رُبَّـت لـه الأدَمْ
وإلّا فـبِـيـنـي مـثـلَ مـا بـان راكـبٌ ... تـيـمَّـم خِـمـسـاً لـيـس فـي وِرده يَـتَـمْ
فـإنَّ عِـرارا إن يـكـن ذا شـكـيـمـةٍ ... تَـعـافـيـنَـهـا مـنـه فـمـا أمـلِـك الـشِّـيَـمْ
وإنَّ عِـرارا إن يـكـن غـيـرَ واضـح ... فـإنّـي أُحِـبّ الـجَـون ذا الـمَـنـكِـبِ الـعَـمَـمْ
وإنّـي لأُعـطـي غَـثَّـهـا وسـمـيـنـهـا ... وأَسـري إذا مـا الـلـيـل ذو الـظُّـلَـم ٱدلَـهـمّْ
حِـذاراً عـلـى مـا كـان قـدَّم والـدي ... إذا روّحـتـهـم حـرْجـفٌ[3] تـطـرُد الـصِّـرَمْ

[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو بن شأس الأسديّ. والغناء في الأَوَّل والثاني من الأَبيات لمبعد، ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى، عن إسحاق. وذكر عمرو أن فيهما لمالك خفيفَ رملٍ بالبنصر. وفي الثامن والتاسع لابن جامع هَزَجٌ بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى، وفيهما لإبراهيم ماخوريٌّ بالبنصر من نسخة عمرو الثانية، ولابن سُرَيج ثاني ثقيل بالبنصر عن حبشٍ، وفيهما رملٌ مجهولٌ وقيل: إنه لسُلَيم. الشامخ: الذي يشمخ بأنفه زَهواً وكِبراً. وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه. والشيمةُ: الطبيعة. رُبَّت له: يعني للسَّمن فلا تُفسده. والأَدَمُ جمعٌ واحدُها أديمٌ وجمعها أدَمٌ، كما يقال أفيقٌ وأفَقٌ. واليَتَمُ: الغفلة والضَّيعة؛ واليتيم مأخوذ من هذا. واليتيم من البهائم: ما اختُلج عن أُمّه. والعرب تقول: «لا تخلِج الفصيلَ عن أُمّه، فإنَّ الذئب عالمٌ بمكان الفصيل [اليتيم]». ويقال: فلان شديد الشكيمة أي شديد اللسان كثير البيان؛ ومنه شكيمة اللِّجام، وجمعها شكائمُ: قال عُوَيفُ القوافي:

أقـولُ لِـفـتـيـانٍ كـرامٍ تَـرَوّحـوا ... عـلـى الـجُـردِ فـي أفـواهـهـن الـشـكـائـمُ

---

(١) العاذلات: اللَّائمات.
(٢) عِرار: هو عرار بن عمرو بن شأس الأسدي.
(٣) حرجف: الريح الباردة الشديدة الهبوب.

والـواضـح: الأبـيـض. والـجَـون: الأسـود والأبـيـض أَيـضـاً، وهـو مـن الأَضـداد. والعَمَمُ: الطويل؛ يقال رجلٌ عَمَمٌ، وامرأةٌ عممٌ، ورجلٌ عميمٌ. وامرأةٌ عميمةٌ، ونخلٌ عميمٌ، ونبتٌ عميمٌ. والسُّرَى: السيرُ ليلاً. وادّلهم: اشتدّ سواده: والحَرجَفُ: الريح الشديدة الباردة. والصِّرمُ: جمع صِرمة وهي القطعة من الإبل. يعني أن هذه الريح إذا هبَّت طَرَد الرعاءُ الإِبلَ إلى مُراحِها وأَعطانِها فتسكن فيها.

* * *

نسب عمرو بن شأس وأخباره

هو عمرو بن شأس بن عبيدة بن ثعلبة بن ذُؤيبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أَسد بن خُزيمة: وهذا الشعر يقوله في امرأته أم حسَّان وابنه عِرار بن عمرو، وكانت تؤذيه وتعيّره بسواده.

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن الحسن الأحول قال: قال ابن الأعرابي:

كانت امرأَة عمرو بن شأْس من رهطِه، ويقال لها أُم حسَّان، واسمها حيَّة بنت الحارث بن سعد، وكان له ابن يقال له عِرارٌ من أَمَةٍ له سوداء، وكانت تعيّره وتُؤذي عِراراً وتشتُمه ويشتمها. فلمَّا أعيتْ عمراً قال فيها:

ديار ابنة السَّعدي هيهِ تكلَّمي ... بدافقة الحَوْمان فالسَّفح من رمْ
لَعمرُ ابنة السَّعدي إني لأتَّقي ... خلائق تُؤبى في الثراء وفي العدمْ
وقفتُ بها ولم أكن قبلُ ارتجي ... إذا الحَبلُ من إحدى حبائبيَ انصرمْ
وإني لمُزرٍ بالمطيِّ تنقُّلي ... عليه وإيقاعي المهَنَّدَ بالعِصَمْ
وإني لأعطي غَثَّها وسمِينها ... وأَسري إذا ما الليلُ ذو الظلم ٱدلهمّ
إذا الثلجُ أضحى في الديار كأنه ... مناثر ملحٍ في السهول وفي الأكمْ
حذاراً على ما كان قدّم والدي ... إذا روّحتهم حَرجفٌ تطرد الصِّرمْ
وأترك ندماني[1] يجرّ ثيابه ... وأوصاله من غير جُرحٍ ولا سقَمْ
ولكنَّها من ريَّةٍ بعد ريَّةٍ ... مُعتَّقةٍ صهباء[2] راووقُها[3] رذَمْ[4]
من العانيات[5] من مُدامٍ كأنها ... مذابحُ غزلانٍ يطيب بها الشّممْ

(١) الندمان: الموافق في شرب الخمر.
(٢) صهباء: الخمر المعصورة من عنب أبيض.
(٣) الراووق: الإناء الذي تحفظ فيه الخمر.
(٤) رذم: امتلأ.
(٥) العانيات: الأسيرات، وهنا المحتبسات أو المحتجزات في دنانها.

وإذ إخـوتـي حـولـي وإذ أنـا شـامـخٌ وإذ لا أجـيـب الـعـاذلات مـن الـصـمـمْ
ألـم يـأتـهـا أنـي صـحـوتُ وأَنـنـي تـحـلـلـتُ حـتـى مـا أُعـارم مـن عـرمْ[١]
وأطـرقـت[٢] إطـراق الـشُّـجـاع ولـو يـرى مـسـاغـاً لـنـابـيـه الـشـجـاعُ لـقـد أزمْ
وقـد عـلـمـتْ سـعـدٌ بـأنـي عـمـيـدُهـا قـديـمـاً وأنـي لـسـتُ أهـضـمُ مـن هـضَـمْ
[الطويل]

ـ يقول: لا أظلم أحداً من قومي وأتهضَّمه فيطلبني بمثل ذلك، أي أرفع نفسي عن هذا ـ

خُـزيـمـةُ ردَّانـي[٣] الـفَـعَـالَ ومـعـشـرٌ قـديـمـاً بـنـوا لـي سُـورة الـمـجـد والـكَـرمْ
إذا مـا وردنـا الـمـاءَ كـانـت حُـمـاتـه بـنـو أسـدٍ يـومـاً عـلـى رغـم مـن رَغَـمْ[٤]
أرادت عـراراً بـالـهـوان ومـن يُـرد عـراراً لـعَـمـري بـالـهـوان فـقـد ظَـلَـم
[الطويل]

وذكر باقي الأبيات. قال ابن الأعرابي وأبو بكر الشَّيباني: فجهِد عمرو بن شأْسٍ أَن يُصلح بين ابنه وامرأته أم حسَّان فلم يمكنه ذلك، وجعل الشرُّ يزيد بينهما. فلمَّا رأى ذلك طلّقها، ثم ندم ولام نفسه؛ فقال في ذلك:

تـذكَّـر ذِكـرى أم حـسَّـان فـاقـشـعـرّ عـلـى دبُـرٍ لـمَّـا تـبـيّـنَ مـا ائـتـمـرْ
فـكـدتُ أذوق الـمـوت لـو أن عـاشـقـاً أَمَـرَّ بـمُـوسـاهُ الـشـوارب[٥] فـانـتـحـرْ
تـذكَّـرتُـهـا وهـنـاً وقـد حـال دونـهـا رعـانٌ[٦] وقـيـعـانٌ[٧] بـهـا الـزّهـرُ والـشـجَـرْ
فـكـنـتُ كـذاتِ الـبَـوِّ[٨] لـمـا تـذكـرتْ لـهـا رُبَـعـاً حَـنَّـت لـمِـعـهَـده سَـحَـرْ
حِـفـاظـاً ولـم تَـنـزع هـواي أَثـيـمـةٌ كـذلـك شـأوُ الـمـرء يـخـلـجـه الـقـدرْ
[الطويل]

قال ابن الأعرابي: الأثيمة الفعيلة من الإثم، وهي مرفوعة بفعلها، كأنه قال: [لم] تنزع الأثيمةُ هواي. تَخْلِجه: تَصرفه. شأوُه: هَمُّه ونِيَّتُه. قال وقال فيها أيضاً:

ألـم تـعـلـمـي يـا أُمّ حـسَّـان أَنـنـي إذا عَـبـرةٌ[٩] نَـهْـنـهـتُـهـا[١٠] فَـتـخـلّـتِ

(١) عَرَم: مُشتدّ.
(٢) أطرقتُ: سكتُّ مفكِّراً.
(٣) ردَّاني: ألبسني رداء.
(٤) الرَّغَم: الإكراه والقسر.
(٥) الشوارب: هي عروق في الحلق.
(٦) رعان: مفردها رعن وهو الجبل الشاهق.
(٧) قيعان: مفردها قاع، وهي الأرض السهلة التي تنفرج عنها الآكام.
(٨) البو: جلد ولد الناقة يحشى تبناً ثم يقرَّب إلى الناقة فتدر اللبن.
(٩) عَبرة: الدمعة قبل عبورها خارج العين.
(١٠) نَهْنَهتُها: كَفْكَفْتُها.

رجعتُ إلى صدرٍ كجرَّةِ حَنتَمٍ(١) إذا قُرِعتْ صِفراً من الماء صلَّت(٢)

[الطويل]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبَّة عن إسحاق بن محمد بن سلَّام، وأَخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتيبةَ قال: قال ابن سلَّام:

لمَّا قتل الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بعث برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس الأسديّ، فلمَّا ورد بن وأَوصل كتاب الحجاج، جعل عبدُ الملك يعجب من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال متمثلاً:

وإن عراراً إن يكن غير واضح فإني أُحبُّ الجَونَ ذا المَنكِب العمَمْ

[الطويل]

فضحك عرارٌ من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك؛ فقال له: مِمَّ ضحكتْ ويحك؟! قال: أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟ قال لا. قال: إنا واللَّه هو. فضحك عبد الملك ثم قال: حظٌّ وافق كلمةً، وأحسنَ جائزتَه وسرّحه.

وقال الطوسيّ: أغار ملكٌ من ملوك غسَّان يقال له عديٌّ وهو ابن أخت الحارث بن أبي شمرٍ الغسَّاني على بني أسدٍ، فلقيتْه بنو سعدٍ بن ثعلبة بن دُودان بالفرات ورئيسهم. ربيعةُ بن حُذار، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتلت بَنو سعدٍ عدِيّاً، اشترك في قتله عمرو عمير ابنا حُذار أخوا ربيعة، وأُمُّهما امرأة من كنانةٌ يقال لها تُماضرُ إحدى بني فرَّاس بن غنم وهي التي يقال لها مقيِّدة الحمار. فقالت فاختة بنت عديٍّ:

لَعَمرُك ما خشيتُ على عديٍّ رماح بني مُقيِّدة الحمارِ
ولكني خشيتُ على عديٍّ رماحَ الجن أو إيَّاك حارِ

[الوافر]

ـ تعني الحارث بن أَبي شمر خالَه ـ

قتيلٌ ما قتيلُ ابنيْ حُذار بعيدُ الهمّ طلَّاعُ النِّجارِ

[الوافر]

ويروي: «جواب الصحاري»، فقال عمرو بن شأس في ذلك:

(١) حنتم: جرار لونها يضرب إلى الحُمْرة.
(٢) صلَّت: أصدرت صوتاً.

صـوت

متى تعرف العينان إطلال دمنةٍ ... لليلى بأعلى ذي معارك تدمعا
على النحر والسّربال حتى تبُلَّه ... سَجومٌ[١] ولم تجزع على الدار مجزعا
خليليّ عُوجا اليوم نَقْضِ لُبانةً ... وإلا تعُوجا اليوم لا ننطلق معا
وإن تنظراني اليومَ اتبعكما غداً ... قيادَ الجنيب أو أذلّ وأطوعا

[الطويل]

وهي قصيدة. عنى في هذه الأبيات إبراهيم ثقيلاً أوَّل بالوسطى عن الهشاميّ. والدمنة في هذا الموضع: آثار الناس وما سوّدوا، وهي في غير هذا الموضع الحقدُ؛ يقال: في صدره علي إحنةٌ، وترةٌ، وضبٌّ، وحسكةٌ، ودمنةٌ. وعُوجا: احبسا وتلبَّثا، عاج يعوج عياجاً. وما أعيجُ بكلامك أي ما ألتفت إليه. واللُّبانةٌ: الحاجةُ يقال: لي في كذا لُبانةٌ ولبونة ولُماسة، ووطرٌ، وحوجاء ممدودة. وقوله: «لا ننطلق معاً»، يقول إن لم تقفا تأخرتُ عنكما فتفرّقنا. وتنظراني؛ يقال نظرته انظره، وانظرته أُنظره إنظاراً ونظرةً أيضاً إذا أخّرته؛ قال اللَّه عز وجل: فنظِرَةٌ إلى ميسرةٍ. والجنيب: المجنوبُ من فرس وغيره، والجنيب أيضاً الذي يشتكى رئته من شدة العطش.

وقال الطوسي قال الأصمعي: جاور رجلٌ من بني عامر بن صعصعة عمرو بن شأس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم، فخطبها عمرو إلى أبيها. فقال أبوها: أما ما دمتُ جاراً لكم فلا، لأني أكره أن يقول الناس غصبه أمره، ولكن إذا أَتيتُ قومي فاخطبها إليّ أُزَوِّجكها.

فوجد عمرو من ذلك في نفسه واعتقد ألا يتزوجها أبداً إلا أن يُصيبها مَسبِيَّة. فلما ارتحل أبوها همّ عمرٌو يغزو قومها، فسار في أثر أبيها. فلما وقعت عينه عليه وظفِر به استحيا من جواره وما كان بينهما من العهد والميثاق، فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجت رأسها من الهودج تنظر إليه. فلما رآها رجع مُستحيِياً متذمّماً منها. وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير؛ فقال في ذلك:

صـوت

إذا نحن أدلجنا[٢] وأنتِ أمامنا ... كفى لمطايانا بوجهك هاديا

(١) سَجومٌ: الناقة حين استعدادها للحَلْب، إذا فشَّخت رجليها وسطعت برأسها.
(٢) أدلج: سار من أول اللّيل.

ألـيـس يـزيـدُ الـعـيـس[١] خِـفـة أذرعٍ وإن كـنّ حـسـرى[٢] أن تـكـونـي أمـامـيـا
ولـوِ اتّـقـاء الـلّـه والـعـهـد قـد رأى مَـنـيَّـتـه مـنـي أبـوك الـلـيـالـيـا
ونـحـن بـنـو خـيـر الـسِّـبـاع أَكـيـلـةً وأحـربِـه إذا تـنـفـس عـاديـا[٣]
بـنـو أسـدٍ وردٍ يـشـقّ بـنـابـه عـظـام الـرجـال لا يُـجـيـب الـرّواقـيـا
مـتـى تـدع قـيـساً ادع خـنـدفَ إنَّـهـم إذا مـا دُعـوا أسـمـعـتَ ثـمّ الـدواعـيـا
لـنـا حـاضـرٌ لـم يـحـضـر الـنـاس مـثـلـه وبـادٍ إذا عـدُّوا عـلـيـنـا الـبـواديـا

[الطويل]

الغناء لإِسحاق الموصليَّ ثاني ثقيل في الأول والثاني من الأبيات، وفيه لحنٌ قديم.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثنا الحزامي قال حدثنا معن بن عيسى عن رجل عن سُوَيد بن أبي رُهم قال: قلت لابن سيرين: ما تقول في الشعر؟ قال: هو كلامٌ، حسنُه حسنٌ، وقبيحه قبيحٌ. قلتُ: فما تقول في النسيب؟ قال: لعلك تُريد مثلَ قول الشاعر:

إذا نـحـن أدلـجـنـا وأنـتِ أمـامـنـا كـفـى لـمـطـايـانـا بـوجـهـك هـاديـا
أَلـيـس يـزيـد الـعـيـس خـفـةَ أذرعٍ وإن كـنّ حـسـرى أن تـكـونـي أمـامـيـا

[الطويل]

قال: وأراد بإنشاده إياهما إنك قد رأَيتني أحفظ هذا الجنس وأَرويه وأنشدتُك إياه، فلو كان به بأسٌ ما أنشدتُه.

* * *

صـوت

فـإن تـكـن الـقـتـلـى بَـواءً فـإنَّـكـم فـتًـى مـا قـتـلـتـم آلَ عـوف بـن عـامـرِ
فـتًـى كـان أَحـيـا مـن فـتـاةٍ حـيِـيَّـةٍ وأشـجـع مـن لـيـثٍ بـخـفَّـان خـادرِ

[الطويل]

(١) العيس: الأبيض من الإبل مع شقرة يسيرة واحده أعيس وواحدته عيساء.
(٢) الحسرى: مفردها حسير وهي الدَّابة المتعبة المعيية.
(٣) العادي: هو المعتدي من السِّباع، الظالم الذي يفترس الناس.

عروضُه من الطويل. البواءَ بالباء: التكافؤ؛ يقال ما فلانٌ لفلانٍ ببَواء، أَي ما هو له بكفء أَن يُقتل به. و«ما» في قولها «فتى ما قتلتم» صلة. وآل عوف نداء. وخفَّان: موضع مشهور. وخادر: مقيم في مَكمنه وغِيله، وهو مأخوذ من الخدر.

الشعر لليلى الأُخَيْلِيَّة ترثي توبة بن الحُمير. والغناء لإِسحاق بن إبراهيم الموصلي، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَشٍ. وفي هذه القصيدة عدةُ أَغانٍ تُذكر مع سائر ما قاله توبةُ في ليلى وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر في مقتله إن شاء اللَّه تعالى.

* * *

ذكر ليلى ونسبها
وخبر توبة بن الحمير معها وخبر مقتله

هي ليلى بنت عبد اللَّه بن الرّحال ـ وقيل ابن الرّحالة ـ بن شدَّاد بن كعب بن مُعاوية، وهو الأخيل وهو فارس الهَرَّار، ابن عُبادة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وهي من النساء المتقدمات في الشعر من شعراء الإسلام. وكان توبة بن الحُمير يهواها. وهو توبة بن الحُمير بن حَزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عُقيل.

أَخبرني ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن حبيب بن نصر المُهلَّبي قالا حدّثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد الوراق قال حدثنا محمد بن علي أبو المُغير قال حدثنا عن أبي عُبيدة قال حدثني أَنيس بن عمرو العامري قال:

كان توبة بن الحُمير أحد بني الأسَديَّة، وهي عامرة بنت والبة بن الحارث، وكان يتعشَّق ليلى بنت عبد اللَّه بن الرّحالة ويقول فيها الشعر، فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوِّجه إيَّاها وزوجها في بني الأدلع. فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها، فإذا هي سافرة ولم يرَ منها إليه بشاشةً، فعلم أن ذلك لأمرٍ ما كان، فرجع إلى راحلته فركبها ومضى، وبلغ بني الأدلع أنَّه أتاها فتبِعوه ففاتهم. فقال توبة في ذلك:

نـأتْـك[1] بـلـيـلـى دارُهـا لا تـزورهـا وشـطَّـت نـواهـا واسـتـمـرّ مـريـرُهـا

[الطويل]

وهي طويلة، يقول فيها:

وكـنـتُ إذا مـا جـئـتُ لـيـلـى تـبـرقـعـتْ[2] فـقـد رابـنـي مـنـهـا الـغـداةَ سُـفـورُهـا

[الطويل]

أَخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عمر بن شبَّة قال:

كان توبة بن الحُمير إذا أتى ليلى الأخيليَّة خرجت إليه في بُرقُع. فلما شُهر أمرُه

(١) نأتك: أبعدتك.

(٢) تبرقعت: لَبِسَت البرقع وهو غطاء الوجه.

شَكَوه إلى السلطان، فأباحهم دمَه إن أتاهم. فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه. فلمَّا علمتْ به خرجتْ سافرةً حتى جلستْ في طريقه. فلما رآها سافرةً فطن لمَا أرادت وعلم أَنه قد رُصد، وأَنها سفَرت لذلك تحذّره، فركض فرسه فنجا. وذلك قوله:

وكـنـتُ إذا مـا جـئـتُ لـيـلـى تـبـرقـعـتْ فـقـد رابـنـي مـنـهـا الـغـداةَ سـفـورُهـا

قال أبو عُبيدة وحدثني غير أنيس أَنه كان يُكثر زيارتها. فعاتبه أخوها وقومُها فلم يُعْتِب، وشكوه إلى قومه فلم يُقلع، فتظلَّموا منه إلى السلطان فأهدر دمَه إن أتاهم. وعلمت ليلى بذلك، وجاءها زوجُها وكان غيوراً فحلف لئن لم تُعلِمه بمجيئه ليقتلنَّها، ولئن أنذرته بذلك ليقتلنها. قالت ليلى: وكنت أَعرف الوجه الذي يجيئني منه، فرصدوه بموضع ورصدته بآخر، فلما أقبل لم أقدر على كلامه لليمين، فسفرتُ وألقيت البرقع عن رأسي. فلما رأى ذلك أنكره فركب راحلته ومضى ففاتهم.

أَخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن معاوية بن بكر قال حدثني أبو زيادٍ الكلابيُّ قال:

خرج رجلٌ من بني كِلابٍ ثم من بني الصحمة يبتغي إبلاً له حتى أَوحش[١] وأَرمل[٢]، ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بوادٍ، فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيفُ، فأبصر امرأة وصبياناً يدورون بالخباء[٣] فلم يكلِّمه أَحدٌ. فلما كان بعد هدأة من الليل سمع جريرةَ إبلٍ رائحةٍ، وسمع فيها صوتَ رجلٍ حتى جاء بها فأناخها على البيت، ثم تقدّم فسمع الرجل يُناجي المرأة ويقول: ما هذا السّوادُ حذاءَك؟ قالت: راكبٌ أناخ بنا حين غابت الشمس ولم أُكلمه. فقال لها كذبت، ما هو إلا بعضُ خُلَّانك، ونهض يضربها وهي تناشده. قال الرجل: فسمعته يقول: واللَّه لا أترك ضربك حتى يأتي ضيفك ويُغيثك.

فلما عيلَ[٤] صبرُها قالت: يا صاحب البعير يا رجلُ! وأَخذ الصحميّ هراوته ثم أقبل يُحضرُ حتى أَتاها وهو يضربها، فضربه ثلاث ضربات أو أَربعاً، ثم أدركته المرأَة فقالت: يا عبد اللَّه، ما لك ولنا! نَحّ عنا نفسك.

فانصرف فجلس على راحلته وأَدلج ليلته كلها وقد ظنَّ أنه قتل الرجل وهو لا يدري مَنه الحيّ بعدُ، حتى أصبح في أَخبيةٍ من الناس، ورأى غنماً فيها أمةٌ مولَّدة، فسألها عن أشياء حتى بلغ به الذكر، فقال: أَخبريني عن أُناسٍ وجدتهم بشعبِ كذا.

---

(١) أوحش: شعر بالجوع.
(٢) أرمل: نفذ زاده ورملت يداه.
(٣) الخَباء: الغطاء من وبر أو صوف أو شعر.
(٤) عيل: نفذ.

فضحكَت وقالت: إنك لتسألني عن شيء وأنتَ به عالم. فقال: وما ذاك للَّه بلادُك؟ فواللَّه ما أنا به عالم. قالت: ذاك خِباء ليلى الأخيليَّة، وهي أَحسنُ الناس وجهاً، وزوجها رجلٌ غيورٌ فهو يعزُب بها عن الناس فلا يَحلُّ بها معهم، واللَّه ما يقربُها أحدٌ ولا يضيفها، فكيف نزلتَ أَنت بها؟ قال: إنما مررتُ فنظرت إلى الخباء ولم أقربَه، وكتمها الأمر. وتحدَّث الناسُ عن رجل نزل بها فضربها زوجها فضربه الرجلُ ولم يُدرَ مَن هو. فلما أَخبر باسم المرأة وأقر على نفسه تغنّى بشعر دلّ فيه على نفسه وقال:

ألا يا ليلَ أُختَ بني عُقيلٍ أَنا الصَّحميُّ إن لم تعرفيني
دعتني دعوةً فحجزتُ عنها بصكَّات رفعتُ بها يميني
فإن تكُ غَيرةٌ أُبرئك منها وإن تكُ قد جُنِنْتَ فذا جُنوني

[الوافر]

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثنا رشد بن حَنتم الهلالي قال حدثني أَيُّوب بن عمرو عن رجل يقال له ورقاء قال:

سمعتُ الحجَّاج يقول لليلى الأخيليَّة: إن شبابك قد ذهب، وأضمحلّ أمرُك وأمر توبة؛ فأُقسم عليك إلَّا صدَقتِني، هل كانت بينكما ريبةٌ قطُّ أو خاطبك في ذلك قطّ؟ فقالت: لا واللَّه أيها الأمير إلا أنه قال لي ليلةً وقد خَلونا كلمةً ظننتُ أنه قد خضع فيها لبعض الأمر، فقلتُ له:

وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبُح بها فليس إليها ما حَييتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأحرى فارغٌ وحليلُ(١)

[الطويل]

فلا واللَّه ما سمعت منه ريبةً بعدها حتى فرّق بيننا الموتُ. قال لها الحجاج: فما كان منه بعد ذلك؟ قالت: وجّه صاحباً له إلى حاضرنا فقال: إذا أتيتَ الحاضرَ من بني عُبادة بن عُقيل فاْعلُ شرفاً ثم اهتِف بهذا البيت:

عفا اللَّه عنها هل أَبيتنَّ ليلةً من الدهر لا يسري إليّ خيالُها

[الطويل]

فلما فعل الرجل ذلك عرفتُ المعنى فقلتُ له:

وعنه عفا ربي وأحسن حِفظه عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالُها

[الطويل]

(١) حليل: زوج.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

وهو أجمع في قصيدة توبة:

نَـأتْـك بـلـيـلـى دارهـا لا تـزورهـا

صـوت

حـمـامـة بـطـن الـودايَـيـن تـرنّـمـي ... سـقـاك مـن الـغـرّ الـغَـوادي مـطـيـرُهـا
أَبِـيـنـي لـنـا لا زال ريـشـك نـاعـمـاً ... ولا زلـتِ فـي خـضـراءَ دانٍ بـريـرُهـا[١]
وأُشـرفُ بـالـقَـوز[٢] الـيـفَـاع[٣] لـعـلَّـنـي ... أرى نـار لـيـلـى أو يـرانـي بـصـيـرُهـا
وكـنـتُ إذا مـا جـئـتُ لـيـلـى تـبـرقـعـت ... فـقـد رابـنـي مـنـهـا الـغـداةَ سـفـورُهـا
عـلـي دمـاءُ الـبُـدن[٤] إن كـان بـعـلـهـا ... يـرى لـيَ ذنـبـاً غـيـر أنـي أَزورُهـا
وأنـي إذا مـا زرتُـهـا قـلـتُ يـا اسـلَـمـي ... ومـا كـان فـي قـولـي اسـلَـمـي مـا يَـضـيـرُهـا
وغـيَّـرنـي إن كـنـتِ لـمـا تـغـيّـري ... هـواجـرُ[٥] تـكـتَـنِّـيـنـهـا وأسـيـرُهـا
وأدمـاءَ مـن سـرّ الـمـهـاري[٦] كـأنَّـهـا ... مـهـاةُ صُـوارٍ غـيـر مـا مـسَّ كـورُهـا[٧]
قـطـعـتُ بـهـا أجـواز[٨] كـل تَـنُـوفـةٍ[٩] ... مـخـوفٍ رداهـا كـلـمـا اسـتـنّ مُـورُهـا[١٠]
تـرى ضُـعـفـاء الـقـومِ فـيـهـا كـأنـهـم ... دعـامـيـص[١١] مـاء نـشّ عـنـهـا غـديـرُهـا

[الطويل]

غنّى في الأربعة الأبيات الأُول فُلَيحُ بن أبي العوراء ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وغنّى في الثالث والرابع ابن سُرَيج رملاً بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى المنجّم، وذكر غيرهما أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزيع. وغنّى فيها

---

(١) البرير: الأول من ثمر شجر الأراك. (٢) القوز: الهضبة من الرَّمل.
(٣) اليفاع: التلّ.
(٤) البُدن: مفردها بُدنة وهي الناقة أو البقرة تُعلَف وتسمَّن لتذبح.
(٥) هواجر: شابات.
(٦) المهاري: جمع مُهرية وهي الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان وهو سيد حي من العرب.
(٧) كورها: رحلها.
(٨) أجواز: مفردها جوز، والجوز هو الوسط من كل شيء.
(٩) التنوفة: الصحراء الخالية من الماء.
(١٠) مورها: غبارها.
(١١) دعاميص: مفردها دعموص، وهي دودة سوداء تكون في الغدران إذا نشَّت.

الهذليُّ ثقيلاً أوَّل بالبنصر عن حَبشٍ. وغنّى ابن محرز في «عليّ دماءُ البُدن» والذي بعده خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو. وعن ابن مِسجَحٍ في:

وغـيَّـرنـي إن كـنـتِ لـمـا تَـغـيَّـري

وما بعده لحنٌ ذكر أن عبد اللَّه بن جعفر روَّاه الأبيات وأَمره أن يُغنِّي بها، أخبرني بذلك إسماعيل بن يونس الشِّيعي عن عمر بن شبَّة عن إسحاق الموصلي عن ابن الكلبي في خبرٍ قد ذكرته في أخبار ابن مسجحٍ، وذكر الهشاميّ أن اللحن ثقيلٌ أول بالوسطى:

حدَّثنا أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال حدثني محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدثني مَن أَنشد الأصمعيّ:

عـلـيّ دمـاءُ الـبُـدْنِ إن كـان زوجـهـا يـرى لِـيَ ذنـبـاً غـيـر أَنِّـي أَزورُهـا
وأنـي إذا مـا زرتُـهـا قـلـت يَـا اسـلَـمـي فـهـل كـان في قـولـي اسـلَـمـي ما يَضيرها

[الطويل]

فقال الأصمعي: شكوى مظلومٍ وفعلُ ظالم.

مقتل توبة وسببه:

أخبرني بالسبب في مقتل توبة، محمد بن الحسن بن دُريد إجازةً عن أبي حاتم السِّجستاني عن أبي عُبيدة، والحسنُ بن علي الخفَّاف قال حدّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن علي بن المُغيرة عن أبيه عن أبي عُبيدة، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، وروايةُ أبي عُبيدة أتمُّ واللَّفظ له. قال أبو عُبيدة:

كان الذي هاج مقتلَ توبةَ بن الحُميِّر بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عُقيل بن كعب بن ربيعةَ بن عامر بن صعصعة أنه كان بينه وبين بني عامر بن عوف بن عُقيل لحاءٌ، ثم إن توبةَ شهِد بني خفاجة وبني عوفٍ وهم يختصمون عند هَمَّام بن مطرف العُقيلي في بعض أمورهم. قال: وكان مَروانُ بن الحَكم يومئذٍ أَميراً على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، فاستعمله على صدقات بني عامر. قال فوثب ثورُ بن أبي سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عُقيل على توبة بن الحُميّر فضربه بجرزٍ[1] وعلى توبة الدرعُ والبيضةُ، فجرح أنف البيضة وجهَ توبة. فأمر همام بثور بن أَبي سمعان فأُقعد بين يدي توبة، فقال: خُذ بحقِّك يا توبة. فقال له توبة: ما

(١) الجُرز: العمود من الحديد.

كان هذا إلا عن أمرك، وما كان ليجترئ عليّ عند غيرك.

وأُمّ همام صوبانة بنت جَون بن عامر بن عوف بن عُقيل، فاتَّهمه توبة لذلك، فانصرف ولم يقتصّ منه. فمكثوا غير كثير، وإن توبة بلَغه أن ثور بن أبي سمعان خرج في نفرٍ من رهطه إلى ماء من مياه قومه يقال له قوباء يريدون مالهم بموضع يقال له جُريرٌ بتثليث ـ قال: وبينهما فلاةٌ ـ فاتَّبعه توبةُ في ناس من أَصحابه، فسأل عنه وبحث حتى ذكر له أنه عند رجلٍ من بني عامر بن عقيل يقال له ساريةُ بن عُمير بن أبي عدي وكان صديقاً لتوبة. فقال توبة: واللَّه لا نطرُقُهم عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنه. فأرادوا أن يخرجوا حين يصبحون. فقال لهم ساريةُ: ادّرعوا[١] الليل؛ فإني لا آمَنُ توبةَ عليكم الليلة فإنه لا ينام عن طلبكم. قال: فلما تَعَشَّوا ادّرعوا الليلَ في الفلاة. وأقعد لهم توبةُ رجلين فغفل صاحبا توبة.

فلما ذهب الليلُ فزع توبة وقال: لقد اغتررتُ إلى رجلين ما صنعا شيئاً، وإني لأعلم أَنهم لم يُصبحوا بهذه البلاد، فاقتص آثارهم، فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا، فبعث إلى صاحبيه فأتياه، فقال دُونكما هذا الجمل فأوقِراه من الماء في مَزادتيه ثم اتَّبعا أثري، فإن خفي عليكما أن تُدركاني فإني سأُنوِّر لكما إن أمسيتما دوني.

وخرج توبة في أثر القوم مسرعاً، حتى إذا انتصف النهار جاوز علماً يقال له أفيح في الغائط. فقال لأصحابه: هل ترون سَمراتٍ إلى جنب قرون بقرٍ؟ ـ وقرون بقر مكان هنالك ـ فإن ذلك مَقِيلُ القوم لم يتجاوزوه فليس وراءَه ظلٌّ. فنظروا فقال قائلٌ: أرى رجلاً يقود بعيراً كأنه يقوده لصيدٍ. قال توبة: ذلك ابن الحبتريَّة، وذلك من أَرمى من رمى. فمن له يختلجه[٢] دون القوم فلا ينذَرون بنا؟ قال: فقال عبد اللَّه أَخو توبة: أنا له. قال فاحذر لا يضربنَّك، وإن استطعت أن تحولَ بينه وبين أصحابه فافعل. فخلّى طريق فرسه في غمضٍ[٣] من الأرض، ثم دنا منه فحمل عليه، فرماه ابن الحَبتريَّة ـ قال: وبنو الحَبتر ناسٌ من مذحج في بني عقيل ـ فعقر فرسَ عبد اللَّه أَخي توبة واختلّ[٤] السهم ساقَ عبد اللَّه، فانحاز الرجل حتى أَتى أصحابه فأنذرهم، فجمعوا ركابَهم وكانت متفرّقةً. قال: وغشيهم توبةُ ومَن معه، فلما رأوا ذلك صفُّوا رحالَهم وجعلوا السَّمُراتِ في نُحورهم وأَخذوا سلاحهم ودَرَقَهم، وزحف إليهم توبةُ، فارتمى القومُ لا يُغني أَحدٌ منهم شيئاً في أَحد.

(١) ادّرعوا: اتخذوا درعاً وادّرعوا اللّيل: دخلوا في ظلمته واتّخذوه ستراً لهم.
(٢) يختلجه: ينتزعه انتزاعاً. (٣) الغَمض: المنخفض من الأرض.
(٤) اختل السهم: نفذ وأصاب.

ثم إن توبة وكان يُترِّس[١] له أَخوه عبد اللَّه، قال: يا أَخي لا تُترِّس لي؛ فإني رأَيت ثوراً كثيراً ما يرفع التُّرْسَ، عسى أن أُوافق منه عند رفعه مرمى فأرميه. قال: ففعل، فرماه توبةُ على حلمة ثديه فصرعه. وجال القوم فغشيهم توبة وأَصحابه فوضعوا فيهم السِّلاح حتى تركوهم صرعى وهم سبعةُ نفرٍ. ثم إن ثوراً قال انتزعوا هذا السهم عنِّي. قال توبةُ ما وضعناه لننتزعه. فقال أصحابُ توبة: انجُ بنا نأخذ آثارنا ونلحق راويتنا، فقد أَخذنا ثأرنا من هؤلاء وقد متنا عطشاً. قال توبةُ: كيف بهؤلاء القوم الذين لا يمنعون ولا يمتنعون!. فقالوا: أَبعدهم اللَّه. قال توبة: ما أَنا بفاعلٍ وما هم إلا عشيرتُكم، ولكن تجيء الراوية فأضع لهم ماءً واغسلُ عنهم دماءَهم وأُخيّل عليهم من السباع والطير لا تأكلهم حتى أُوذنَ قومهم بهم بعمقٍ.

فأقام توبة حتى أَتته الراوية قبل الليل، فسقاهم من الماء وغسل عنهم الدماء. وجعل في أَساقيهم[٢] ماءً، ثم خيَّل لهم بالثياب على الشجر، ثم مضى حتى طرَّق من الليل سارية بن عُوَيمر بن أَبي عدي العُقيلي فقال: إنَّا قد تركنا رهطاً من قومكم بسمُراتٍ من قرون بقر، فأَدركوهم، فمن كان حيّاً فداووه، ومن كان ميِّتاً فادفنوه، ثم انصرف فلحِق بقومه.

وصبَّح ساريةُ القوم فاحتملهم وقد مات ثور بن أبي سمعان ولم يمت غيرُه. فلم يزل توبةُ خائفاً. وكان السَّليل بن ثورٍ المقتول رامياً كثيرَ البغي والشرّ، فأخبر بغرّةٍ من توبة وهو بقُنَّة من قنان الشَّرف يقال لها قُنَّة بني الحُمير، فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرَقه؛ فترقَّى توبة ورجلٌ من إخوته في الجبل، فأحاطوا بالبيوت، فناداهم وهو في الجبل: هأنذا مَن تبغون فاجتنبوا البيوت. فقالوا: إنكم لن تستطيعوه وهو في الجبل، ولكن خُذوا ما استدف[٣] لكم من ماله، فأخذوا أفراساً له ولإخوته وانصرفوا، ثم إن توبة غزاهم، فمرّ على أفلَتَ بن حَزن بن معاوية بن خفاجة ببطن بِيشة. فقال: يا توبة أَين تُريد؟ قال: أريد الصبيان من بني عوف بن عُقيلٍ. قال: لا تفعل فإن القوم قاتلوك، فمهلاً. قال: لا أُقلع عنهم ما عشتُ، ثم ضرب بطن فرسه فاستمرّ به يُحضر[٤] وهو يرتجز ويقول:

تنجو إذا قيل لها يَعاطِ تنجو بهم من خلَل الأمشاطِ

[الرجز]

(١) يترس: يقيه بالترس.
(٢) الأساقي: جمع الجمع لسِقاء وهو وعاء الماء.
(٣) استدف: تهيأ وسهل وأمكن الحصول عليه.
(٤) يحضر: يعدو بسرعة.

حتى انتهى إلى مكانٍ، يقال له حجرُ الرَّاشدة، ظليلٍ، أسفلُه كالعمود، وأَعلاه منتشر، فاستظلّ فيه هو وأصحابه. حتى إذا كان بالهاجرة مرّت عليه إبلُ هُبيرةَ بن السَّمين أَخي بني عوف بن عُقيل واردةَ ماءً لهم يقال له طلُوبٌ، فأخذها وخلّى طريقَ راعيها، وقال له: إذا أتيت صُدغ[١] البقرة مولاك فأخبره أن توبة أخذ الإبلَ، ثم انصرف توبة يطردُ الإبل.

قال: فلمَّا ورد العبدُ على مولاه فأخبره نادى في بني عوف وقال: حتَّام هذا! فتعاقدوا بينهم نحواً من ثلاثين فارساً ثم اتّبعوه. ونهضت امرأة من خَثعم من بني الهِرة كانت في بني عوف وكانت تؤخّذ لهم، فقالت: أَروني أَثرَه، فخرجوا بها فأروْها أثره، فأخذت من ترابه فسافتْه[٢] فقالت: اطلبوه فإنه سَيُحبس عليكم. فطلبوه فسبقهم، فتلاوموا بينهم وقالوا: ما نرى له أثراً، وما نراه إلا وقد سبقكم.

قال: وخرج توبة حتى إذا كان بالمضجَع من أرض بني كِلاب جعل نِذارته وحبس أصحابه. حتى إذا كان لشعبٍ من هضبة يقال لها هند من كبد المضجع جعل ابن عم له يقال له قابضُ بن عبد اللَّه ربيئةً له على رأس الهضبة فقال: انظر فإن شخَصَ لك شيء فأعلمنا. فقال عبد اللَّه بن الحُمير: يا توبة إنك حائن، أذكِّرك اللَّه، فواللَّه ما رأيتُ يوماً أشبه بسمُرات بني عوف يوم أدركناهم في ساعتهم التي أتيناهم فيها منه، فانجُ إن كان بك نجاة. قال: دعني، فقد جعلتُ ربيئةً[٣] ينظر لنا.

قال: ويرجع بنو عوف بن عُقيل حين لم يجدوا أثر توبة فيلقون رجلاً من غنيٍّ، فقالوا له: هل أحسست في مجيئك أَثر خيل أو أثر إبل؟ قال: لا واللَّه. قالوا: كذبت وضربوه. فقال: يا قومُ لا تضربوني، فإني لم أجد أثراً، ولقد رأَيتُ زُهاء كذا وكذا إبلاً شُخوصاً في هاتيك الهضبة، وما أدري ما هو.

فبعثوا رجلاً منهم يقال له يزيدُ بن رُويبة لينظر ما في الهضبة. فأشرف على القوم، فلما رآهم ألوى بثوبه لأصحابه حتى جاؤوا، فحمل أَوّلهم على القوم حتى غشي توبة، وفزع توبة وأخوه إلى خيلهما، فقام توبة إلى فرسه فغلبته لا يقدر على أن يُلجمها ولا وقفتْ له، فخَلَّى طريقها، وغشيه الرجل فاعتنقه، فصرعه توبة وهو مدهوشٌ وقد لبس الدرع على السيف فانتزعه ثم أَهوى به ليزيد بن رُويبة فاتَّقاه بيده فقطع منها، وجعل يزيد يُناشده رحِمَ صَفيَّةَ، وصفيَّة أُمٌّ له من بني خفاجة. وغشي

(١) صُدغ: جمعها أصداغ، والصُّدغ هو ما بين العين والأذن.
(٢) سافته: شمَّته.
(٣) الربيئة: الطليعة.

القومُ توبة من ورائه فضربوه فقتلوه، وعَلِقَهم عبد اللَّه بن الحُمير يطعنهم بالرمح حتى انكسر.

قال: فلما فرَغوا من توبة لَووا على عبد اللَّه بن الحُمير فضربوا رجلَه فقطعوها. فلما وقع بالأرض أَشرع سيفَه وحده ثم جثا على رُكبتيه وجعل يقول: هَلُموا، ولم يشعر القوم بما أصابه. وانصرف بنو عوف بن عُقيل، وولَّى قابضٌ منهزماً حتى لحق بعبد العزيز بن زرارة الكِلابي فأخبره الخبر. قال: فركب عبد العزيز حتى أَتى توبة فدفنه وضم أَخاه. ثم ترافع القومُ إلى مروان بن الحَكَم، فكافأ بين الدَّمين وحُملت الجراحاتُ. ونزل بنو عوفٍ بن عُقيل البادية ولحقوا بالجزيرة والشام.

قال أَبو عُبيدة: وقد كان توبة أَيضاً يُغير زمن مُعاوية بن أَبي سُفيان على قُضاعة وخَثعم ومهرةَ وبني الحارث بن كعبٍ. وكانت بينهم وبين بني عُقيل مُغاوراتٌ، فكان توبةُ إذا أراد الغارة عليهم حمل الماءَ معه في الرَّوايا ثم دفنه في بعض المفازة على مسيرة يوم منها؛ فيُصيب ما قدر عليه من إبلهم فيُدخلها المفازة فيطلبه القوم، فإذا دخل المفازةَ أعجزهم فلم يقدروا عليه فانصرفوا عنه. قال: فمكث كذلك حيناً. ثم إنه أغار في المرة الأولى التي قُتل فيها هو وأخوه عبد اللَّه بن الحُمير ورجل يقال له قابض بن أبي عُقيل، فوجد القومَ قد حَذروا فانصرف توبةُ مُخفقاً لم يُصب شيئاً. فمرّ برجلٍ من بني عوف بن عامر بن عُقيلٍ مُتنحِّياً عن قومه، فقتله توبةُ وقتل رجلاً كان معه من رهطه واطرد إبلهما، ثم خرج عامداً يريد عبد العزيز بن زرارة بن جَزء بن سُفيان بن عَوف بن كِلاب، وخرج ابن عمٍّ لثور بن أبي سمعان المقتول، فقال له خُزيمة: صر إلى بني عوف بن عامر بن عُقيل فأخبرهم الخبر.

فركبوا في طلب توبةَ فأدركوه في أرضِ بني خَفاجة، وقد أمِن في نفسه فنزل، وقد كان أسرى يومه وليلته، فاستظلّ ببُرْدَيه وأَلقى عنه درعه وخلَّى عن فرسه الخوصاءِ تتردّد قريباً منه، وجعل قابضاً ربيئة له ونام، فأقبلت بنو عوف بن عامر متقاطرين لئلَّا يفطن لهم أحدٌ، فنظر قابض فأبصر رجلاً منهم فأقبل إلى توبة فأنبهه. فقال توبة: ما رأيتَ؟ قال: رأَيتُ شخصَ رجلٍ واحد، فنام ولم يكترث له، وعاد قابضٌ إلى مكانه فغلبته عيناه فنام.

قال: فأقبل القوم على تلك الحال فلم يشعر بهم قابضٌ حتى غَشوه، فلما رآهم طار على فرسه. وأقبل القوم إلى توبة، وكان أول من تقدم غلامٌ أمردُ على فرس عُريٍ[1] يقال له يزيد بن رُويبة بن سالم بن كعبِ بن عوف بن عامر بن عُقيل؛ ثم

(١) عري: العاري والمراد الذي لم يُجعل له سرج.

تلاه ابن عمه عبد اللَّه بن سالم ثم تتابعوا. فلما سمع توبة وقع الخيل نهض وهو وسنانُ فلبِس درعه على سيفه ثم صوَّت بفرسه الخوصاء فأتته، فلما أراد أن يركبها أَهوت ترمحه[١]، ثلاث مراتٍ، فلما رأَى ذلك لطَم وجهها فأدبرت، وحال القومُ بينه وبينها. فأخذ رُمحه وشدَّ على يزيد بن رُوَيبة فطعنه فأنفذ فخذيه جميعاً، وشدّ على توبة ابن عم الغلام عبد اللَّه بن سالم فطعنه فقتله، وقطعوا رجل عبد اللَّه. فلما رجع عبد اللَّه بعد ذلك إلى قومه لاموه وقالوا له: فررتَ عن أَخيك، فقال عبد اللَّه بن الحُمير في ذلك. قال أبو عبيدة وحدثني أيضاً مُزرع بن عبد اللَّه بن همام بن مُطَرِّف بن الأعلم قال:

كان أهلُ دارٍ من بني جُشم بن بكر بن هوازن يقال لهم بنو الشَّريد حلفاء لبني عداد بن خَفاجة في الإسلام، فكان بينهم وبين خميس بن ربيعة رهط قومه قتالٌ على ماءةٍ تُدعى الحُليْفة وعامّتها لجدّ بن همام. قال وشهد عبد اللَّه بن الحُمير ذلك وهو أعرج، عرج يوم قُتل توبةُ فلم يُغنِ كثيرَ غناءٍ. فقالت بنو عُقيل: لو توبةُ تلقَّاهم لبُلُوا منه بغير أفوق ناصل. فقال عبد اللَّه بن الحُميِّر يعتذر إليهم:

عبد اللَّه بن الحُمير يعتذر إلى قومه بعد قتل أخيه:

تأَوبني بعارمة الهمومُ ... كما يعتاد ذَا الدَّين الغريمُ
كأنَّ الهمَّ ليس يُريدُ غيري ... ولو أَمسى له نَبطٌ[٢] وروم
علامَ تقومُ عاذلتي تلومُ ... تؤرّقني وما آنجاب الصَّريمُ[٣]
فقلتُ لها رويداً كي تجلَّى ... غواشي النَّوم والليلُ البهيمُ
ألمَّا تَعلمي أَني قديماً ... إذا ما شئتُ أَعصي مَن يلومُ
وأن المرءَ لا يدري إذا ما ... يهُمُّ علامَ تحمله الهمومُ
وقد تُعدي على الحاجات حرفٌ ... كُركن الرَّعن ذِعلبةٌ[٤] عقيمُ
مُداخَلةُ الفَقار وذاتُ لَوثٍ[٥] ... على الحُزَّان[٦] مُقحَمةٌ غَشومُ[٧]
كأن الرَّحل منها فوق جأْبٍ[٨] ... بذات الحاذ معقلُه الصَّريمُ

(١) ترمحه: ترفسه.
(٢) نبط: نبع.
(٣) الصَّريم: اللَّيل والنَّهار، ضدّ.
(٤) ذِعلبة: سريعة.
(٥) لوث: القوة والبأس.
(٦) الحُزَّان: مفردها الحزين، وهو المكان المنقاد الغليظ.
(٧) غشوم: أي أنها ماضية في سيرها لا يثنيها شيء عن طريقها.
(٨) الجأب: الصلب من الحمر الوحشية الغليظة.

طَبـاه[١] بِـرجـلـةِ الـبـقَّـار بـرقٌ ... فـبـات الـلـيـلَ مُـنـتـصـبـاً يَـشـيـمُ
فـبـيـنـا ذاك إذ هـبـطـت عـلـيـه ... دلُـوح[٢] الـمُـزن[٣] واهـيـةٌ هـزيـمُ
تَـهُـبُّ لـهـا الـشَّـمـالُ فـتـمـتـريـهـا ... ويـعـقُـبـهـا بـنـافـحـةٍ نـسـيـمُ
يُـكِـب إذا الـرَّذاذ جـرى عـلـيـه ... كـمـا يُـصـغـي إلـى الآسـي الأَمـيـمُ
إذا مـا قـال أقـشـعَ جـانـبـاه ... نـشـتْ مـن كـل نـاحـيـةٍ غـيـومُ
فـأشـعِـرَ لـيـلـه أرَقـاً وقُـرّاً ... يُـسَـهّـره كـمـا أرِقَ الـسـلـيـمُ
ألا مـن يـشـتـري رِجـلاً بـرجـلٍ ... تَـخـوَّنـهـا الـسِّـلاح فـمـا تـسـومُ
تـلـومُـكَ فـي الـقـتـال بـنـو عُـقـيـل ... وكـيـف قِـتـالُ أَعـرجَ لا يـقـومُ
ولـو كـنـتُ الـقـتـيـلَ وكـان حـيّـاً ... لـقـاتـلَ لا ألـفٌ[٤] ولا سـؤومُ[٥]
ولا جـثَّـامـةٌ ورَعٌ هَـيـوبٌ[٦] ... ولا ضَـرَعٌ[٧] إذا يُـمـسـي جَـثُـومُ[٨]

[الوافر]

قال: ثم إن خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف بن عامر بن عُقيل الذين قتلوا توبة، فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحارث بن كعب، ثم افترقتْ بنو خفاجة. فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا، فجمعتْ لهم بنو خفاجة أيضاً قبائل عُقيل. فلما رأت ذلك بنو عوف بن عامر بن عُقيل لحقوا بالجزيرة فنزلوها؛ وهم رهط إسحاق بن مسافر بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عُقيل.

ثم إن بني عامر بن صعصعة صاروا في أمرهم إلى مروان بن الحكَم وهو والي المدينة لمعاوية بن أَبي سُفيان، فقالوا: ننشدُك اللَّه أن تفرّق جماعتنا، فعقَّل توبة وعقَّل الآخرين معاقل العرب مائةً من الإبل، فأدّتها بنو عامر.

قال: فخرجت بنو عوف بن عامر قَتَلةُ توبة فلحقوا بالجزيرة، فلم يبقَ بالعالية منهم أحدٌ، وأقامت بنو ربيعة بن عُقيل وعُروةَ بن عُقيل وعُبادة بن عُقيل بمكانهم بالبادية.

قال أَبو عبيدة وحدثنا مُزرّع بن عمرو بن همَّام ـ قال أَبو عبيدة: وكان معي أَبو

(١) طباه: قاده.
(٢) دلوح: السحابة الكثيرة الماء.
(٣) المُزن: السحاب الأبيض المحمَّل بالماء.
(٤) الألفّ: الملتف من كثرة لحم جسمه الثقيل الوزن، وهذا عيب في الرجال دون النساء.
(٥) سؤوم: كثير السآمة، ملول.
(٦) هيوب: الذي يهاب، الخائف.
(٧) الضِّرع: الخاضع.
(٨) جثوم: الذي يجثم في مكان واحد لا يبرحه.

الخطَّاب وغيره ـ قال توبة بن حُمير بن ربيعة بن كَعب بن خفاجة بن عمرو بن عُقيل، وأُمُّه زبيدةُ. فهاج بينه وبين السَّليل بن ثور بن أَبي سمعان بن عامر بن عوف بن عُقيل كلامٌ، وكان شِرّيراً ونظيرَ توبةَ في القوَّة والبأس، فبلغ الحورُ (وهو الكلام) إلى أن أَوعد كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، فالتقى بعد ذلك توبةُ والسَّليلُ على غديرٍ من ماء السماء، فرمى توبةُ السليل فقتله.

ثم إن توبة أغار ثانية على إبل بني السمين بن كعب بن عوف بن عُقيل واردة ماءَهم فاطّردَها. واتبعوه وهم سبعة نفر: يزيد بن رُويبة، وعبد اللَّه بن سالم، ومعاوية بن عبد اللَّه ـ قال أَبو عُبيدة: ولم يذكر غير هؤلاء ـ فانصرفوا يجنبُون[١] الخيل يحملون المزَاد، فقصُّوا أَثر توبة وأصحابه فوجدوهم وقد أَخذوا في المضجع من أرض بني كِلابٍ في أرضِ دمثةٍ[٢] تربة، فضلَّت فرس توبة الخوصاء من الليل، فأقام واضطجع حتى أصبح، وساق أَصحابه الإبلَ، وهم ثلاثة نفرٍ سوى توبةَ: المُحرزُ أحدُ بني عمرو بن كلابٍ، وقابضُ بن أبي عُقيل أحد بني خفاجة، وعبد اللَّه بن حُميِّر أخو توبة لأُمهِ وأَبيه.

فلما أصبح توبةُ إذا فرسه الخوصاء راتعة أدنى ظَلَم قريبة منه ليس دونها وجاحٌ[٣] فأشلاها[٤] حتى أتته، ثم خرج يعدو حتى لحق بأصحابه، فانتهوا إلى هضبةٍ بكبد المضجع، فارتقى توبةُ فوقها ينظر الطَّلب، فرآه القوم ولم يرَهم عند طلوع الشمس، وبالت الخوصاء حين انتهت إلى الهضبة، فقال القوم إنه لطائر أو إنسان. فركب يزيد بن رُويبة وكان أحدث القوم سنّاً، وأُمّهُ بنت عم توبة، فأغار ركضاً حتى انتهى إلى الهضبة، فإذا بول الفرس وعليه بقيةٌ من رغوته، وإذا أَثر توبة يعرفونه، فرجع فخبّر أصحابه.

واندفع توبة وأصحابه حتى نزلوا إلى طرَف هضبةٍ يقال لها الشِّجرُ من أرض بني كِلاب، فقالوا بالظَّهيرة، فلم يشعر شعره إلا والإبل قد نفرت، وكانت بركاً[٥] بالهاجرة، من وئيد[٦] الخيل. فوثب توبة، وكان لا يضع السيف، فصبّ الدّرع على السيف متقلِّده وهلاً، وداجت القوم، فطلب قائم السيف فلم يقدر عليه تحت الدّرع فلم يستطع سَلَّه، فطار إلى الرمح فأخذه، فأهوى به طعناً إلى يزيد بن رُويبة، وقد كان

(١) يجنبون: يجعلونها جانبهم.
(٢) دمِثة: ليِّنة سهلة.
(٣) الوجاح: الستر أو الغطاء.
(٤) أشلاها: دعاها إليه.
(٥) بُركاً: مفردها بارك وهو الجمل أو الناقة الراقدة مكانها.
(٦) الوئيد: الصوت العالي الشديد.

يزيد عاهد اللَّه ليقتُلنَّه أو ليأخُذنَّه، فأنفذ فخذ يزيد، واعتنقه يزيد فعضَّ بوجنتيه، واستدبره عبدُ اللَّه بالسيف ففلق رأس توبة. وهيَّتَ[١] توبة حين اعتوره الرجلان بقابض: يا قابض فلم يلوِ عليه، وفرّ قابضٌ والكلابي، وذبّ عبد اللَّه بن حُميِّر عن أخيه؛ فأهوى له معاوية بن عبد اللَّه بالسيف فأصاب رُكبته فاختلعت (أي سقطت).

فأتى قابضٌ من فوره ذلك عبد العزيز بن زُرارة أحد بني أَبي بكر بن كِلاب فقال: قُتل توبة فنادى في قومه، فجاءه أَبوه زُرارة فقال أين تريد؟ فقال: قُتل توبة. فقال أَبو طوط سُحقاً لك! أَتطلب بدم توبة أن قتلته بنو عُقيل ظالماً لها باغياً عادياً عليها! قال لكني أُجِنَّه[٢] إذاً. قال أَبوه. أما هذه فنَعم. فألقى السلاح وانطلق حتى أجنَّه، وحمل أَخاه عبد اللَّه بن حميِّر. قال: فأهل البادية يزعمون أن مُحرِزاً سُحر فأخذ عن سيفه. فقالت ليلى الأخيليَّة بنت عبد اللَّه بن الرحَّالة بن شدّاد بن كَعب بن مُعاوية فارس الهرَّار بن عُبادة بن عُقيل.

رثت ليلى توبة بعدة قصائد:

نظرتُ ورُكنٌ من ذِقانين[٣] دونه ... مَفاوزُ حَوضى أي نظرةِ ناظرِ
لأونسَ إن لم يقصُر الطَّرف عنهم ... فلم تَقصر الأخبار والطَّرفُ قاصري
فوارسَ أجلى شأوُها عن عقيرةٍ ... لِعاقِرها فيها عَقِيرةُ عاقرِ

[الطويل]

ـ شأوها: سُرعتها وهو الطَّلقُ وجريها، وقال غيره: غايتها. عقيرة: تعني توبة. لعاقرها: تعني لعاقر توبة، تُريد يزيد بن رُويبة. ووجهٌ آخر: في عقيرة عاقر معنى مدْحٍ أي عقيرة كريمة لعاقرها. ووجهٌ آخر: عَقيرة لعاقرها: فيها الهلاكُ بعَقرها ـ.

فآنستُ خيلاً بالرّقي مُغيرةً ... سوابقُها[٤] مثل القطا[٥] المُتواترِ[٦]
قتيلُ بني عوفٍ وأَيصر دونه ... قتيل بني عوفٍ قتيلُ يَحابِر
تَواردَه أسيافُهم فكأنما ... تَصادَرنَ عن أَقطاع أَبيضَ[٧] باتر

(١) هيَّت: صاح بأعلى صوته.
(٢) أُجنُّه: أستره وأُكفِّنه.
(٣) ذقانين: جبلان أحدهما ذقان لبني عمرو بن كلاب والآخر لأبي بكر بن كلاب.
(٤) السوابق: الأوائل من كل شيء.
(٥) القطا: مفردها قطاة، وهي طائر في حجم الحمام، يُضرب بها المثل في الاهتداء.
(٦) المتواتر: المتتابع.
(٧) الأبيض: السيف يطلق عليه الأبيض لشدَّةَ لمعانه وبريقه.

مـن الـهِـنـدوانـيـات[١] فـي كـل قـطـعـةٍ ... دمٌ زلّ عـن أَثـرٍ مـن الـسـيـف ظـاهـر
أتـتـه الـمـنـايـا دون زغـفٍ[٢] حـصـيـنـةٍ ... وأسـمـر[٣] خَـطّـيٍّ وخـوصـاءَ[٤] ضـامـر[٥]
عـلـى كـل جـرداء[٦] الـسَّـراة[٧] وسـابـحٍ[٨] ... درأْن[٩] بـشُـبّـاك الـحـديـد زوافـر[١٠]
عـوابـسَ تـعـدو الـثَّـعـلـبـيَّـة ضُـمَّـراً ... وهُـنَّ شـواحٍ[١١] بـالـشَّـكـيـم الـشـواجـر[١٢]
فـلا يُـبـعـدنـك الـلَّـه يـا تـوبُ إنـمـا ... لِـقـاء الـمـنـايـا دارعـاً مـثـلُ حـاسـرِ
فـإلَّا تَـكُ الـقَـتـلـى بَـواءً فـإنّـكـم ... سَـتـلـقَـون يـومـاً وردهُ غـيـر صـادرِ
وإن الـسـلـيـلَ[١٣] إذ يـبـاوي قَـتـيـلَـكـم ... كـمـرحـومةٍ[١٤] من عَـركِـها[١٥] غير طاهرِ
فـإن تـكـن الـقَـتـلـى بَـواءً فـإنـكـم ... فَـتًـى مـا قـتـلـتـم آل عـوف بـن عـامـرِ
فـتًـى لا تَـخـطَّـاه الـرِّفـاقُ ولا يـرى ... لِـقـدرٍ عـيـالاً دون جـارٍ مُـجـاورِ
ولا تـأخـذ الـكُـومُ الـجِـلادُ[١٦] رمـاحـهـا ... لـتـوبـةَ في نـحـسٍ[١٧] الشتاء الصَّنابِرِ[١٨]
إذا مـا رأتـه قـائـمـاً بـسـلاحـه ... تَـقَـتـه الـخِـفـافُ بـالـثِّـقـال الـبَـهـازرِ[١٩]
إذا لـم يَـجُـد مـنـهـا بـرسـلٍ فـقَـصـرُه ... ذُرى المُرهفات[٢٠] والقلاص[٢١] التَّواجِرِ[٢٢]
قـرى سـيـفَـه مـنـهـا مُـشـاشـاً[٢٣] وضـيـفَـه ... سَنام المهاريسِ[٢٤] السِّباط المَشافرِ[٢٥]

(١) الهندوانيات: مفردها هندواني، وهو نوع من السيوف ينسب للهند لأنها محل صناعته.
(٢) الزغف: الدرع المحكمة. (٣) الأسمر: الرمح.
(٤) خوصاء: اسم الفرس. (٥) ضامر: خامص البطن.
(٦) جرداء: القصيرة الشعر. (٧) السِّراة: الظهر.
(٨) سابح: الخيل الذي يحسن مدَّ يديه بالجري فيشبَّه بالسابح.
(٩) درأن: دفعن ورددن.
(١٠) زوافر: مُخْرِجات أنفاسهن بسرعة من سرعة الجري.
(١١) شواح: يقال شوحت إذا فتحت فاها وشواح فاتحات الأفواه.
(١٢) الشواجر: المشتبكة بعضها ببعض. (١٣) السليل: الولد لأنه ينسّل من والده.
(١٤) المرحومة: المصابة بداء عضال في رحمها.
(١٥) العرك: الحيض. (١٦) الجِلاد: النوق الغزيرة اللبن.
(١٧) النحس: ريح الشتاء الشديدة البرودة. (١٨) الصَّنابر: مفردها صنبر وهو شدة البرد.
(١٩) البهازر: مفردها بهزرة وهي الإبل العظيمة. (٢٠) المرهفات: مفردها مرهفة وهي الدقيقة الليّنة.
(٢١) القِلاص: جمعها قلوص، وهي الشابة من النوق.
(٢٢) التواجر: الإبل التي يصيب صاحبها ربحاً عند المتاجرة بها.
(٢٣) المُشاش: مفردها مُشاشة وهي رأس العظم.
(٢٤) المهاريس: ضرب من الإبل.
(٢٥) المشافر: مفردها مشفر وهو شفة البعير.

وتـوبـةُ أحـيـا مـن فـتـاةٍ حـيِـيَّـةٍ وأجـرأُ مـن لَـيْـثٍ بـخـفَّـانَ خـادرِ[١]
ونِـعـمَ الـفـتـى إن كـان تـوبـةُ فـاجـراً وفـوق الـفـتـى إن كـان لـيـس بـفـاجـرِ
فـتـى يُـنـهـلُ الـحـاجـاتِ ثـم يَـعـلُّـهـا فـيُـطـلـعـهـا عـنـه ثـنـايـا الـمـصـادرِ
[الطويل]

صـــوت

كـأن فـتـى الـفـتـيـان تـوبـةَ لـم يُـنِـخ قـلائـصَ يَـفـحـصـنَ الـحـصـا بـالـكَـرَاكِـرِ
ولـم يَـبـنِ أَبـراداً عـتـاقـاً لـفِـتـيـةٍ كِـرَامٍ ويَـرحـل قـبـل فـيء الـهـواجـرِ
[الطويل]

ـ في هذين البيتين لحن من الثَّقيل الأَول لمحمد بن إبراهيم قريض وهو من خاصِّ صنعته وغنائه ـ

ولـم يـتـجـلّ الـصُّـبـحُ عـنـه وبـطـنُـه لَـطـيـف كـطَـيّ الـسِّـب لـيـس بـحـادرِ
فـتًـى كـان لـلـمـولـي سـنـاءً ورفـعـة ولـلـطـارق الـسـاري قِـرًى غـيـر بـاسـرِ
ولـم يُـدعَ يـومـاً لـلـحـفـاظِ ولـلـنَّـدا ولـلـحـرب يـرمـي نـارهـا بـالـشـرائـرِ
ولـلـبـازل الـكـومـاءِ يـرغـو حُـوارهـا ولـلـخـيـل تـعـدو بـالـكُـمـاةِ الـمـسـاعـرِ
كـأنـك لـم تـقـطـع فـلاةً ولـم تُـنِـخ قِـلاصـاً لـدى فـأوٍ[٢] مـن الأرض غـائـرِ
وتُـصـبـح بـمـوْمـاةٍ[٣] كـأن صَـريـفـهـا[٤] صَريفُ خطاطيف[٥] الصَّرى[٦] في المحاورِ
طـوتْ نـفـعـهـا عـنـا كِـلابٌ وآسـدت بـنـا أجـهـلـيـهـا بـيـن غـاوٍ وشـاعـرِ
وقـد كـان حـقـاً أَن تـقـول سـرَاتُـهـم لـعـاً[٧] لأخـيـنـا عـالـيـاً غـيـر عـاثـرِ
ودَوِّيـة قـفـر يـحـارُ بـهـا الـقَـطـا تـخـطَّـيـتـهـا بـالـنَّـاعـجـات[٨] الـضَّـوامـرِ
فـتـالـلَّـه تـبْـنـي بـيـتـهـا أُمُّ عـاصـمٍ عـلـى مـثـلـه أُخـرى الـلـيـالـي الـغـوابـرِ

(١) خادر: متخذ الخدر أي المقيم.
(٢) فأو: بطن من الأرض كثيرة الرمال.
(٣) مومأة: الصحراء الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس، (المفازة الموحِشة).
(٤) الصريف: الصوت.
(٥) خطاطيف: مفردها خُطاف وهي الحديدة التي تعقل بها البكرة من طرفيها وفيها المحور.
(٦) الصَّرى: الماء المتكدر من طول زمن مكثه.
(٧) لعاً: كلمة دعاء ترفع للعاثر حتى ينتعش.
(٨) الناعِجات: واحدتها ناعجة وهي الإبل التي تصاد بها نعاج الوحش والظباء وغيرها.

فـلـيس شِـهـابُ الـحـرب تـوبـة بـعـدهـا بـغـازٍ ولا غـادٍ بـركـبٍ مـسـافـرِ
وقـد كـان طـلَّاع الـنَّـجـاد وبـيِّـن الـلّـسـان ومِـدلاج الـسُّـرى غـيـرَ فـاتـرِ
وقـد كـان قـبـل الـحـادثـات إذا انـتـحـى[١] وسـائـق أو مـعـبـوطـةً[٢] لـم يُـغـادرِ
وكـنـتَ إذا مـولاك خـاف ظُـلامـة دعـاك ولـم يـهـتـف سـواك بـنـاصـرِ
فـإن يَـكُ عـبـد الـلَّـه آسـى ابـن أُمّـه وآبَ بـأسـلاب الـكَـمِـيّ[٣] الـمُـغـاورِ[٤]
وكـان كـذات الـبَـوّ[٥] تـضـرب عـنـده سِـبـاعـاً وقـد ألـقـيـنـه فـي الـجـراجـرِ[٦]
فـإنـك قـد فـارقـتـه لـك عـاذراً وأَنَّـى لِـحـيٍّ عُـذرُ مَـن فـي الـمـقـابـرِ
فـأقـسـمـتُ أبـكـي بـعـد تـوبـة هـالـكـاً وأَحـفـلُ مـن نـالـتْ صـروف الـمـقـادرِ
عـلـى مـثـل هَـمَّـام ولابـن مُـطـرِّفٍ لـتَـبـكِ الـبـواكـي أو لـبِـشـر بـن عـامـرِ
غُـلامـان كـانـا اسـتـوردا كـلَّ سَـورةٍ[٧] مـن الـمـجـد ثـم اسـتـوثـقـا فـي الـمـصـادرِ
رَبـيـعَـيْ حـيـاً كـانـا يَـفـيـضُ نَـداهُـمـا عـلـى كُـل مـغـمـورٍ نـداه وغـامـرِ
كـأن سـنـا نـاريـهـمـا كـلّ شَـتـوةٍ سـنـا الـبـرقِ يـبـدو لـلـعـيـون الـنـواظـرِ

[الطويل]

وقالت أيضاً ترثي توبة ـ عن أُم حُميِّر، وأُمُّها ابنة أَخي توبة، عن أُمها. قال أَبو عبيدة: أم حُميِّر أُخت أَبي الجراح العُقيلي. قال: وأمها بنت أخي توبة بن حُميِّر. قال: وكان الأصمعي يُعجبُ بها ـ:

أَيـا عـيـنُ بَـكِّـي تـوبـة ابـن حُـمـيِّـر بـسَـحٍّ[٨] كـفـيـض الـجـدول الـمُـتـفـجِّـرِ
لـتـبـكِ عـلـيـه مـن خـفـاجـة نـسـوةٌ بـمـاء شـؤون الـعَـبـرة الـمـتـحـدِّر
سـمـعـنَ بـهـيـجـا أرهـقـتْ فـذكـرتـه ولا يـبـعـث الأحـزان مـثـل الـتَّـذكُّـر

(١) انتحى: قصد ناحية.
(٢) معبوطة: التي عبطتت، أي ذبحت من غير كسر ولا داء.
(٣) الكمّي: الفارس الشجاع الذي تكمَّى في سلاحه وستر نفسه بالدرع.
(٤) المغاور: الكثير الغارات، المقاتل الشرس.
(٥) البوّ: هو ولد الناقة، أو هو جِلد الحُوار يُحشى تِبناً أو غيره، فيقرَّب من أم الفصيل فتعطف عليه فيدر لبنها.
(٦) الجراجر: مفردها جرجرة ومعناها الحَلق.
(٧) سَورة: علامة المجد وأثره.
(٨) السَّح: الصَّب والسيلان من فوق.

كأن فتى الفتيان توبة لم يَسِر ... بنجد[١] ولم يطلُع مع المُتغوّر[٢]
ولم يَردِ الماء السِّدام[٣] إذا بدا ... سَنا الصُّبح في بادي الحواشي مُنوِّرِ
ولم يغلب الخصم الضِّجاج ويملأ الـ ... ـجِفان سَدِيفاً[٤] يوم نكباء صرصر[٥]
ولم يعلُ بالجود الجيادِ يقودها ... بسُرّة بين الأشمساتِ فأيصر
وصحراءَ موماةٍ يَحارُ بها القطا ... قطعتَ على هول الجنان بمنْسَر[٦]
يقودون قُبّاً كالسَّراحين لاحها ... سُراهم وسيرُ الراكب المتَهجِّر
فلمَّا بدت أرضُ العدو سقَيتَها ... مُجاج[٧] بَقِيَّات المَزاد المُقيّر[٨]
ولما أَهابوا بالنِّهاب حَويتَها ... بخاظي[٩] البضيع كَرُّه غير أَعسر
مُمَرٍّ ككَرّ الأندريِّ مُثابِرٍ ... إذا ما وَنَينَ[١٠] ملهبِ الشَّدّ مُحضرِ[١١]
فألوتْ بأعناقٍ طِوالٍ وراعَها[١٢] ... صَلاصِلُ[١٣] بَيضٍ سابغٍ وسنَوَّرِ[١٤]
ألم تَرَ أنّ العبدَ يقتل ربّه ... فيظهر جَدُّ العبد من غير مَظهرِ
قتلتم فتًى لا يسقط الرَّوعُ رُمحه ... إذا الخيلُ جالت في قَناً متكسِّرِ
فيا تَوبُ لِلهَيجا ويا تَوبُ للنَّدى ... ويا تَوبُ للمستنبح[١٥] المتنوّرِ[١٦]
ألَا ربَّ مكروبٍ أجَبتَ ونائلٍ ... بذلت ومعروفٍ لديك ومُنكَرِ

[الطويل]

وقالت ترثيه:

أقسمتُ أرثي بعد توبةَ هالكاً ... وأَحفِلُ مَن دارت عليه الدوائرُ

---

(١) النَّجد: ما أشرف وارتفع من الأرض. (٢) المتغوّر: الذي يأتي غَوْر الأرض وهو منخفضها.
(٣) السِّدام: الماء المتدفق، مفردها سَدِمٌ. (٤) السديف: مقطوع السنام.
(٥) صرصر: المرتفع الصوت، أو الشديد البرد.
(٦) مَنسر: القطعة من الجيش تتقدمه. (٧) مُجاج: ما يمُجُّه المرء مِن فِيه.
(٨) المقَيَّر: المطلي بالقار أي المُزفَّت، لأن القار هو الزفت.
(٩) خاظي: الكثير اللحم ومكتنزه. (١٠) وَنَيْنَ: ضعفن وهزلن.
(١١) المُحضَر: الفرس حين يرتفع من سرعة عدوه.
(١٢) راعها: أخافها وأفزعها. (١٣) صلاصل: الأصوات مفردها صلصلة.
(١٤) سَنوَّر: جملة السلاح، وخص بعض اللغويين به الدروع فحسب.
(١٥) المستنبح: الذي يصرخ بأعلى صوته فيصدر صوته كالكلب لتسمعه كلاب الحي فتنبح فيهتدي بصوتها.
(١٦) المتنوّر: الذي يرى النار من بعد.

لعمرُك ما بالموتِ عارٌ على الفتى ... إذا لم تُصِبه في الحياة المعايرُ
وما أحدٌ حَيٌّ وإن عاش سالماً ... بأخلَدَ ممن غيَّبته المقابرُ
ومَن كان مما يُحدِثُ الدهرُ جازعاً ... فلا بُدَّ يوماً أن يُرى وهو صابرُ
وليس لذي عيشٍ عن الموتِ مَقصَرٌ ... وليس على الأيام والدهر غابرُ
ولا الحيُّ مما يُحدِثُ الدهرُ مُعتَبٌ[1] ... ولا المَيتُ إن لم يصبرِ الحيُّ ناشرُ
وكلُّ شبابٍ أَو جديدٍ إلى بِلىً ... وكلُّ امرئ يوماً إلى اللَّه صائرُ
وكلُّ قَرينَيْ أُلفةٍ لتَفَرُّقٍ ... شَتاتاً وإن ضَنَّا وطال التَّعاشرُ
فلا يُبعِدَنكَ اللَّه حيَّاً ومَيِّتاً ... أَخَا الحرب إن دارت عليك الدوائرُ

[الطويل]

ويُروى:

(فلا يُبعِدَنك اللَّه يا توبُ هالكاً ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائرُ)
فآليتُ لا أنفَكّ أبكيك ما دعتْ ... على فننٍ ورقاءُ أَو طار طائرُ
قتيلُ بني عَوفٍ فيا لَهْفَتا له ... وما كنتُ إيَّاهم عليه أُحاذرُ
ولكنما أخشى عليه قبيلةً ... لها بدروب الروم بادٍ وحاضرُ

[الطويل]

وقالت ترثيه:

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ ... يا تَوبُ للضيف إذ تُدعى وللجارِ
وتَوبُ للخصم إن جاروا وإن عدَلوا ... وبدّلوا الأمر نَقضاً بعد إمرارِ
إن يُصدِروا الأمرَ تُطلِعْه موارده ... أو يوردوا الأمر تُحلِّلْه بإصدارِ

[البسيط]

وقالت ترثيه:

هَراقتْ بنو عَوفٍ دماً غير واحدٍ ... له نَبَأٌ نَجدِيُّه سَيَغورُ
تداعت له أَفناءُ[2] عوفٍ ولم يكن ... له يوم هَضبِ الرّدَهتَين نصيرُ

[الطويل]

وقالت ترثيه:

يا عين بَكِّي بدمَعٍ دائم السَّجَمِ[3] ... وابكي لتوبةَ عند الرَّوع والبُهَمِ[4]

(١) المُعتَب: المُسترضى.
(٢) أفناء النَّاس: أخلاطهم.
(٣) السَّجَم: المنصبّ المنهمر من الدمع أو الماء.
(٤) البُهم: الأمور المبهمة أي المشكِلة.

على فتًى من بني سعدٍ فُجِعتُ به ... ماذا أُجِنّ به في الحفرةِ الرَّجِمِ
من كلّ صافيةٍ صِرفٍ وقافيةٍ ... مثل السِّنان وأَمرٍ غيرِ مُقتسمِ
ومُصدِرٍ حين يُعيي القومَ مُصدِرهم ... وجَفنةٍ عند نحسِ الكوكب الشَّبِمِ[1]
[البسيط]

وقالت تعيِّر قابضاً:

جزى اللَّه شرّاً قابضاً بصَنيعه ... وكلُّ امرئ يجزى بما كان ساعيَا
دعا قابضاً والمُرهَفاتُ يَرِدنَه ... فقُبِّحتَ مدعوّاً ولبَّيك داعيَا
[الطويل]

وقالت لقابض وتَعذِر عبدَ اللَّه أخا تَوبةَ:

دعا قابضاً والموتُ يخفق ظِلُّه ... وما قابضٌ إذ لم يُجِب بنَجيبِ
وآسى عُبَيدُ اللَّه ثَمَّ ابنَ أمّه ... ولو شاء نَجَّى يوم ذاك حبيبي
[الطويل]

خرج توبة إلى الشام فلقيه زنجي وخبره معه:

أَخبرني الحسن بن عليّ عن عبد اللَّه بن أَبي سعدٍ عن أحمد بن مُعاوية بن بكر قال حدثني أَبو الجرَّاح العُقَيليّ عن أُمّه دينار بنت خَيبَرِيّ بن الحُميّر عن توبة بن الحميّر قال.

خرجتُ إلى الشام، فبينا أَنا أَسير ليلةً في بلادٍ لا أنيس بها ذاتِ شجرٍ نزلتُ لأُريح، وأخذتُ تُرسي فألقيتُه فوقي، وألقيتُ نفسي بين المُضطَجع والبارك. فلمَّا وجدتُ طَعمَ النوم إذا شيءٌ قد تجلَّلني عظيمٌ ثقيلٌ قد برك عليّ، ونشزتُ عنه ثم قَمَصتُ[2] منه قُماصاً فرميتُ به على وجهه، وجلستُ إلى راحلتي فانتضيت السيف، ونهض نحوي فضربتُه ضربةً انخزل منها، وعُدتُ إلى موضعي وأنا لا أدري ما هو أَإنسان أم سَبُعٌ؛ فلمَّا أصبحتُ إذا هو أسوَدُ زنجيٌّ يضرب برجليه وقد قطعتُ وسطه حتى كدت أبريه، وانتهيتُ إلى ناقةٍ مُناخةٍ، موقَرةٍ ثياباً من سَلَبه، وإذا جاريةٌ شابَّة ناهدٌ وقد أوثقها وقرنها بناقته. فسألتها عن خبرها، فأخبرتني أنه قتل مولاها وأَخذها منه. فأخذتُ الجميع وعدت إلى أهلي. قال أَبو الجرَّاح قالت أمّي: وأَنا أدركتها في الحيّ تخدُم أهلنا.

---

(١) الشَّبم: الشديد البرودة.
(٢) قمصت: وثبتُ.

حديث معاوية مع ليلى في توبة:

أَخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال أَخبرنا عَطاء بن مُصعب القرشيّ عن عاصم اللَّيثيّ عن يونس بن حبيبٍ الضَّبيّ عن أَبي عمرو بن العلاء قال:

سأل معاوية بن أَبي سُفيان ليلى الأخيليَّة عن توبة بن الحميّر فقال: ويحك يا ليلى! أكما يقول الناس كان توبة؟ قالت: يا أَمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقّاً، والناس شجرةُ بَغي يحسدون أَهلَ النِّعَم حيث كانوا وعلى من كانت. ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبطَ البنان، حديدَ اللِّسان، شجاً للأقران، كريمَ المخبر، عفيف المئزر، جميل المنظر. وهو يا أَمير المؤمنين كما قلتُ له. قال: وما قلتِ له؟ قالت قلت ولم أتعدّ الحقَّ وعلمي فيه:

بَعيدُ الثرى لا يبلغ القوم قعرهُ ... أَلَدُّ[1] مُلِدٌّ يغلبُ الحقَّ باطِلُهْ
إذا حلّ ركبٌ في ذَراه وظِلّهِ ... ليمنعهم مما تُخافُ نَوازِلُهْ
حماهم بنَصل السيف من كلّ فادحٍ[2] ... يخافونه حتى تموتَ خصَائلُهْ[3]

[الطويل]

فقال لها معاويةُ: ويحكِ؟ يزعم الناسَ أنه كان عاهراً خارباً. فقالت من ساعتها:

مَعاذَ إلٰهي كان واللَّه سَيِّداً ... جَواداً على العِلَّات جَمّاً نَوافِلُهْ
أغَرَّ خَفاجِيّاً يرى البخلَ سُبَّةً ... تَحَلَّبُ كَفَّاه النَّدى وأنامِلُهْ
عفيفاً بعيدَ الهَمِّ صُلباً قناتُه ... جميلاً مُحَيَّاه قليلاً غوائلُهْ
وقد علِم الجوعُ الذي بات سارياً ... على الضيف والجيران أنَّك قاتلُهْ
وأنك رَحبُ الباع يا تَوبُ بالقِرى ... إذا ما لئيمُ القومِ ضاقت مَنازلُهْ
يَبيتُ قريرَ العين مَن بات جارَه ... ويُضحي بخيرٍ ضيفه ومُنازِلُهْ

[الطويل]

فقال لها مُعاوية: ويحكِ يا ليلى! لقد جُزتِ بتوبة قَدره. فقالت: واللَّه يا أمير المؤمنين لو رأيتَه وخبرتَه لعرفتَ أنّي مقصِّرة في نَعته وأنّي لا أبلغ كُنْهَ ما هو أهله. فقال لها معاوية: مِن أيِّ الرجال كان؟ قالت:

أتته المَنايا حين تَمَّ تمامُه ... وأقصر عنه كلُّ قِرنٍ يُطاوِلُهْ

(١) الألدّ: المعاند، الكثير الجدال والشديد في الخصومة.
(٢) الفادح: الأمر العظيم، أو هو المصيبة.
(٣) الخصائل: مفردها خصيلة، وهي كل لحم اتصل بعصب.

وكان كليث الغابِ يحمي عرينه وترضى به أشباله وحلائلُهْ
غَضوبٌ حليمٌ حين يُطلَبُ حِلمه وسُمٌّ زُعافٌ[١] لا تُصابُ مَقاتِلُهْ
[الطويل]

قال: فأمر لها بجائزةٍ عظيمة وقال لها: خبِّريني بأجوَد ما قُلتِ فيه من الشعر. قالت: يا أمير المؤمنين، ما قلتُ فيه شيئاً إلَّا والَّذي فيه من خصال الخير أكثر منه. ولقد أجدتُ حين قلت:

جزى اللَّه خيراً والجزاءُ بكَفّه فتًى من عُقَيلٍ ساد غيرَ مُكَلَّفِ
فتًى كانت الدنيا تهون بأَسرِها عليه ولا ينفكّ جَمّ التَّصَرُّفِ
ينالُ عَلِيَّاتِ الأمورِ بهونةٍ إذا هي أعيت كلّ خِرقٍ مُشَرَّفِ
هو الذَّوب[٢] بل أرْيُ الخلايا شَبيهُه بدِرياقةٍ[٣] من خمر بَيسان[٤] قَرقفِ[٥]
فيا تَوبُ ما في العيش خيرٌ ولا ندًى يُعَد وقد أمسيتَ في تُرب نَفنَفِ[٦]
وما نلتَ منك النّصفَ حتى ارتمت بك الـ ـمنايا بسهم صائب الوقع أعجَفِ[٧]
فيا أَلفَ ألفٍ كنتَ حيّاً مُسَلَّماً لألقاك مثلَ القَسوَر المُتَطَرّفِ
كما كنتَ إذ كنتَ المنجَّى من الرّدى إذا الخيلُ جالت بالقنا المُتَقَصِّفِ
وكم من لهيفٍ مُحجَرٍ قد أجبتَه بأبيضَ قَطَّاع الضَّريبة مُرهَفِ
فأنقذته والموتُ يَحرُق[٨] نابه عليه ولم يُطعَن ولم يُتَنَسَّفِ[٩]
[الطويل]

ما كان بين توبة وجميل أمام بثينة:

أَخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن ابن أَبي سعد قال حُدِّثت عن القَحذميّ عن مُحارب بن غُصَين العُقَيليّ قال:

كان توبة قد خرج إلى الشام، فمرّ ببني عُذرةَ، فرأته بُثينة فجعلت تنظر إليه، فشقّ ذلك على جميلٍ، وذلك قبل أن يُظهر حبَّه لها. فقال له جميل: مَن أَنت؟ قال:

---

(١) الزعاف: الزؤام القاتل.
(٢) الذَّوب: العسل المُذاب.
(٣) الدِّرياق: الخمر.
(٤) بيسان: موضع.
(٥) قرقف: الخمر يرعَدُ عنها صاحبها.
(٦) نفنف: الصحراء.
(٧) أعجف: به عجف.
(٨) يحرِّق نابه: يحكّه ويكّز عليه حتى يكاد يحترق من شدة الغضب.
(٩) يُتنسَّف: يمسك بخصمه بشدة ثم يعرض له رجله فيعثره.

أَنا توبة بن الحميّر. قال: هل لك في الصراع؟ قال: ذلك إليك، فشدّت عليه بثينة مِلحفةً مُوَرَّسة[١] فأتزر بها، ثم صارعه فصرعه جميلٌ. ثم قال هل لك في النضال[٢]؟ قال نعم، فناضله فنضله جميلٌ. ثم قال له: هل لك في السباق؟ فقال نعم، فسابقه فسبقه جميل. فقال له توبة: يا هذا إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسة، ولكن اهبِط بنا الوادي، فصرعه توبة ونضله وسبقه.

سأل عبد الملك بن مروان ليلى عما رآه توبة فيها فأجابته:

أَخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة قال:

بلغني أنّ ليلى الأخيلية دخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنَّت وعجزَت، فقال لها: ما رأى توبةُ فيك حين هَويَكِ؟ قالت: ما رآه الناس فيك حين ولَّوك. فضحك عبد الملك حتى بدتْ له سِنٌّ سَوداء كان يُخفيها.

وفود ليلى على الحجاج وحديثه معها:

وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن أَبي سعد عن أَحمد بن رشيد بن حكيم الهِلاليّ عن أيّوب بن عمرو عن رجلٍ من بني عامر يقال له وَرقاء قال:

كنت عند الحجَّاج بن يوسف، فدخل عليه الآذن فقال: أصلح اللَّه الأمير، بالباب امرأة تهدِر كما يهدر البعير النّادّ. قال: أدخِلها. فلمَّا دخلت نسبها فانتسبت له. فقال: ما أتى بك يا ليلى؟ قالت: إخلافُ النجوم، وقِلَّةُ الغيوم، وكلَب[٣] البرْد، وشدّة الجَهد، وكنتَ لنا بعد اللَّه الرِّدّ. قال: فأخبريني عن الأرض. قالت: الأرض مُقشَعِرَّة[٤]، والفِجاجُ مُغبرّة، وذو العنى مُختَلّ، وذو الحَدِّ مُنفَلّ. قال: وما سبب ذلك؟ قالت: أصابتنا سِنون[٥] مُجحفةٌ مُظلمةٌ، لم تَدَعْ لنا فصيلاً[٦] ولا ربُعاً، ولم تُبقِ عافطةً[٧] ولا نافطةً[٨]؛ فقد أهلكت الرجال، ومزّقت العيال، وأفسدت الأموال، ثم أنشدته الأبيات التي ذكرناها مُتقدِّماً. وقال في الخبر: قال الحجَّاجُ: هذه التي تقول:

نـحـنُ الأخـايـلُ لا يـزالُ غُـلامُـنـا حـتـى يَـدِبَّ عـلـى الـعـصـا مـشـهـورَا

(١) مُوَرَّسة: مصبوغة بنبات أصفر اسمه الورس.
(٢) النضال: المسابقة في رمي السهام.
(٣) كَلَب البرد: أرادت اشتداد البرد.
(٤) مقشعرّة: متقلصة لقلّة انهمار المطر.
(٥) سِنون: الجدب والقحط، مفردها سَنة.
(٦) الفصيل: ولد الناقة أو البقرة حين يفصل عن أمه ويفطم.
(٧) العافِطة: الضائنة.
(٨) النَّافِطة: الماعزة.

تَبكي الرّماحُ إذا فَقَدنَ أكُفَّنا جَزَعاً وتَعرفنا الرّفاقُ بحورَا

[الكامل]

ثم قال لها: يا ليلى، أَنشِدينا بعضَ شعرِك في توبةَ، فأنشدتْه قولها:

لعمرُك ما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا لم تُصِبه في الحياةِ المَعايِرُ
وما أَحدٌ حَيٌّ وإن عاش سالماً بأخلَدَ ممن غيَّبته المقابرُ
فلا الحَيُّ مما أحدث الدَّهرُ مُعتَبٌ ولا المَيتُ إن لم يَصبِر الحيُّ ناشرُ
وكلُّ جديدٍ أو شبابٍ إلى بِلىً وكلُّ امرىءٍ يوماً إلى الموت صائرُ
قتيلُ بني عَوفٍ فَيا لَهفَتا له وما كنتُ إيَّاهم عليه أحاذرُ
ولكنني أخشى عليه قبيلةً لها بدُروب الشام بادٍ وحاضرُ

[الطويل]

فقال الحجَّاج لحاجبه: اذهب فاقطع لسانَها. فدعا لها بالحجَّام ليقطع لسانها، فقالت: ويلك! إنما قال لك الأمير اقطع لسانها بالصلة والعطاء، فارجع إليه واستأذنه. فرجع إليه فاستأمره[1]، فاستشاط عليه وهمَّ بقطع لسانه، ثم أمر بها فأُدخلتْ عليه، فقالت: كادَ وعهدِ اللَّه يقطع مِقوَلي، وأنشدته:

حَجَّاجُ أَنت الذي لا فوقه أحدٌ إلَّا الخليفةُ والمُستغفَرُ الصَّمَدُ
حَجَّاج أنت سِنانُ الحَرب إن نُهجتْ وأنت للناس في الداجي لنا تَقِدُ

[البسيط]

أَخبرنا الحسن قال حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال حدثني أبو الحسن ميمون الموصليّ عن سلمة بن أيوب بن مسلمة الهَمدانيّ قال: كان جدّي عند الحجَّاج، فدخلتْ عليه امرأةٌ بَرزةٌ[2]، فانتسبت له فإذا هي ليلى الأخيلية. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العبَّاس اليزيديّ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: كنت عند الحجاج. وأخبرني وكيعٌ عن إسماعيل بن محمد عن المدائنيّ عن جُوَيريةَ عن بِشرِ بن عبد اللَّه بن أَبي بكر: أنّ ليلى دخلتْ على الحجَّاج، ثم ذكر مثل الخبر الأوّل، وزاد فيه: فلمَّا قالت:

غلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها

قال لها: لا تقولي «غلامٌ»، قولي «هُمامٌ». وقال فيه: فأمر لها بمائتين. فقالت:

(١) استأمره: شاوره في أمره.
(٢) برزة: الكهلة التي تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدثون معها وهي تحافظ على عِفّتها.

زِدني، فقال: اجعلوها ثلاثمائة. فقال بعضُ جُلَسائه: إنَّها غنمٌ. فقالت: الأمير أكرمُ من ذلك وأَعظم قدراً من أن يأمر لي إلا بالإبل. قال: فاستحيا وأمر لها بثلاثمائة بعير، وإنما كان أمر لها بغنمٍ لا إبل.

وأَخبرنا به وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالحي عن عمر بن شَبَّة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أَبيه، وقال فيه: ألا قلتِ مكانَ غُلام هُمام! وذكر باقي الخبر الذي ذكره مَن تقدم، وقال فيه: فقال لها: أنشدينا ما قُلتِ في توبةَ، فأنشدته قولها:

فإن تكن القَتلى بواءً فإنكم ... فتى ما قتلتم آل عوف بن عامرِ
فتًى كان أحيا من فتاةٍ حَييَّةٍ ... وأَشجع من ليثٍ بخفَّان خادرِ
أتته المنايا دون درعٍ حَصينةٍ ... وأسمرَ خَطِّيٍّ وجرداءَ ضامرِ
فنعم الفتى إن كان توبةُ فاجراً ... وفوق الفتى إن كان ليس بفاجرِ
كأن فتى الفتيان توبة لم يُنخ ... قلائص يفحصن الحَصا بالكراكِرِ

[الطويل]

فقال لها أَسماء بن خارجة: أيتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجل بشيءٍ ما تعرفه العرب فيه. فقالت: أيها الرجل هل رأيت توبة قطُّ؟ قال لا. فقالت: أمَا واللَّه لو رأيته لوددتَ أن كل عاتقٍ في بيتك حاملٌ منه؛ فكأنما فُقئ في وجه أسماءَ حَبُّ الرُّمان. فقال له الحجاج: وما كان لك ولها!

أَخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد عن محمد بن علي بن المُغِيرة قال سمعتُ أبي يقول سمعتُ الأصمعيّ يذكر أن الحَجَّاج أمر لها بعشرة آلاف درهم، وقال لها: هل لكِ من حاجةٍ؟ قالت: نعم أصلح اللَّه الأمير، تحملني إلى ابن عمي قُتيبةَ بن مُسلم، وهو على خُراسان يومئذٍ، فحملها إليه، فأجازها وأقبلتْ راجعةً تُريد البادية، فلما كانت بالري ماتت، فقبْرُها هناك.

هكذا ذكر الأصمعي في وفاتِها وهو غلطٌ. وقد أخبرني عمي عن الخَزَنْبل الأصبهاني عمّن أخبره عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مَهدي عن ابن أبي سعد عن محمد بن الحسن النَّخعي عن ابن الخصيب الكاتب، واللفظ في الخبر للحزَنبل، وروايته أتمّ:

أنّ ليلى الأخيلية أقبلت من سفرٍ، فمرّت بقبر توبة ومعها زوجها وهي في هودج لها. فقالت: واللَّه لا أبرح حتى أُسَلِّم على توبة، فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى

إلا أن تلِم به. فلما كثُر ذلك منها تركها، فصعدت أكمةً عليها قبر توبة، فقالت: السلامُ عليك يا توبةُ، ثم حوّلت وجهها إلى القوم فقالت: ما عرَفت له كذبةً قطُّ قبل هذا. قالوا: وكيف؟ قالت: أَليس القائل:

صـــوت

ولـو أن لـيـلـى الأخـيَـلـيَّـة سـلَّـمـت عـلـيَّ ودونـي تُـربـةٌ وصـفـائـحُ
لـسَـلَّـمـتُ تـسـلـيـم الـبـشـاشـة أَو زقـا إلـيـهـا صـدًى مـن جـانـب الـقـبـر صـائـحُ
وأُغـبَـط مـن لـيـلـى بـمـا لا أَنـالُـه أَلَا كـل مـا قـرّت بـه الـعـيـن صـالـحُ

[الطويل]

فما بالُه لم يُسلِّم عليّ كما قال! وكانت إلى جانب القبر بومةٌ كامنة، فلما رأت الهودجَ واضطرابه فزعتْ وطارت في وجه الجمل، فنفَر فرمى بليلى على رأسها، فماتت من وقتها، فدُفنتْ إلى جنبه. وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها.

غنى في الأبيات المذكورة آنفاً حَكَمٌ الوادي لَحنين، أحدُهما رملٌ بالوسطى عن عمرو، والآخر خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبشٍ، وقال حبش: وفيها لحنان لجميلة والميلاء رَمَلان بالبنصر، وذكر أبو العُبيس بن حمدون أن الرمل لعُمر الوادي.

كان توبة شريراً كثير الغارات:

قال أبو عبيدة: كان توبة شريراً كثير الغارة على بني الحارث بن كعب وخثعم وهمْدان، فكان يزور نساءً منهن يتحدث إليهن، وقال:

أَيـذهـبُ ريـعـان الـشَّـبـاب ولـم أزر غـرائـر مـن هـمـدان بـيـضـاً نـحـورُهـا

[الطويل]

قال أبو عبيدة: وكان توبةُ ربما ارتفع إلى بلاد مهرة فيُغير عليهم، وبين بلاد مهرة وبلاد عُقيل مَفازةٌ مُنكرةٌ لا يقطعها الطَّير، وكان يحمل مزاد الماء فيدفن منه على مَسيرة كل يوم مزادة ثم يُغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازة، وإنما كان يتعمد حَمَّارَّة القَيظ وشدّة الحرّ، فإذا ركب المفازة رجعوا عنه.

أَخبرني حَرَمي عن الزبير عن يحيى بن المِقدام الرّبَعي عن عمِّه موسى بن يعقوب قال:

دخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكةَ بنتِ يزيد بن مُعاوية، فرأى عندها امرأةً بدوية أنكرها، فقال لها: مَن أَنت؟ قالت: أنا الوالهة الحَرّى ليلى

الأخيلية. قال: أَنتِ التي تقولين:

أُريقت جفانُ ابن الخليع فأصبحت حياض النَّدى زالت بهن المراتبُ
فعُفاته[١] لهفى يطوفون حوله كما انقضّ عرش البئر والوردُ عاصبُ
[الطويل]

قالت: أنا التي أقول ذلك. قال: فما أبقيتِ لنا؟ قالت: الذي أبقاه اللَّه لك. قال: وما ذاك؟ قالت: نسباً قُرشيّاً، وعيشاً رخيّاً، وامرةً مُطاعةً. قال: أفردتِه بالكرم! قالت: أفردته بما أفرده اللَّه به. فقالت عاتكة: إنها قد جاءت تستعين بنا عليك في عين تُسقيها وتحميها لها. ولستُ ليزيدَ إن شفَّعتها في شيء من حاجاتها، لتقديمها أعرابيّاً جِلفاً على أمير المؤمنين. قال: فوثبت ليلى فقامت على رجلها واندفعت تقول:

ستحملُني ورَحلي ذاتُ وخَدٍ[٢] عليها بنتُ آباءٍ كرام
إذا جعلتْ سواد الشَّام جَنباً وغُلِّقَ دونها بابُ اللِّئام
فليس بعائدٍ أبداً إليهم ذوو الحاجات في غَلَسِ الظَّلام
أعاتِك لو رأيتِ غَداة بِنَّا عزاءَ النَّفس عنكم واعتزامي
إذاً لعَلمتِ واستيقنتِ أني مُشيَّعةٌ ولم ترعي ذِمامي[٣]
أأجعلُ مثلَ توبةَ في نَدَاه أبا الذِّبَّان فُوهُ الدهرَ دامي
معاذ اللَّه ما عسفتْ برَحلي تُغِذّ السَّير للبلد التَّهامي
أقُلتِ خليفةٌ فسواه أحجى بإِمْرَتهِ وأولى باللِّثام
لِثام الملك حين تُعَدُّ كعبٌ ذوو الأخطار والخُطَطِ الجِسام
[الوافر]

فقيل لها: أيُّ الكعبين عنَيتِ؟ قالت: ما أخالُ كعباً ككعبي.

رواية أخرى في وفودها على الحجاج:

أَخبرنا اليزيديّ بن الخليل بن أَسَدٍ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي يعقوب الثقفيّ عن عبد الملك بن عُمَير عن محمد بن الحجَّاج بن يوسف قال:

بينا الأمير جالسٌ إذ استُؤذن لليلى. فقال الحجَّاج: ومَن ليلى؟ قيل: الأخيليَّة

(١) العُفاة: طالبو البرِّ والمعروف.
(٢) الوَخد: ضرب من السير، وهو إسراع البعير أو أن يرمي بقوائمه كمشي النّعام.
(٣) الذِّمام: الحقُّ والحُرمة.

صاحبة توبة. قال: أدخلوها. فدخلتْ امرأةٌ طويلةٌ دَعجاء العينين حسنةُ المِشية إلى الفَوَه[١] ما هي، حسنة الثَّغر، فسلَّمت فردّ الحجَّاج عليها ورحّب بها فدنت، فقال الحجَّاج: دَراكِ ضَعْ لها وِسادةً يا غلام، فجلستْ.

فقال: ما أعملَكِ إلينا؟ قالت: السلام على الأمير، والقضاءُ لحقِّه، والتعرّض لمعروفه. قال: وكيف خلفتِ قومَك؟ قالت: تركتهم في حال خِصبٍ وأمنٍ ودَعَةٍ. أمَّا الخِصبُ ففي الأموال والكلإ. وأمَّا الأمنُ فقد أمّنهم اللَّه عزّ وجلّ بك. وأمَّا الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم. ثم قالت: أَلا أُنشدك؟ فقال: إذا شئتِ. فقالت:

أَحَجَّاجُ إنَّ اللَّه أعطاك غايةً ... يُقَصِّر عنها مَن أراد مَداها
أَحَجَّاجُ لا يُفلَلْ[٢] سِلاحُك إنَّما الـ ... ـمنايا بكَفِّ اللَّه حيث تراها
إذا هبط الحجَّاج أرضاً مريضةً ... تَتَبَّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الدَّاء العُضالِ الذي بها ... غُلامٌ إذا هزّ القناةَ سَقاها
سقاها دماء المارقينَ[٣] وعلّها ... إذا جمحتْ يوماً وخِيفَ أذاها
إذا سمع الحجَّاج رِزَّ[٤] كتيبةٍ ... أعَدّ لها قبل النزول قِراها
أعدّ لها مصقولةً فارسيَّةً ... بأيدي رِجالٍ يحلُبون صَراها[٥]
أَحَجَّاجُ لا تُعطِ العُصاةَ مُناهمُ ... ولا اللَّهُ يُعطي للعُصاةِ مُناها
ولا كلَّ حَلَّافٍ تقلَّدَ بيعةً ... فأعظم عهدَ اللَّه ثم شَراها

[الطويل]

فقال الحجَّاج ليحيى بن مُنقذٍ: للَّه بلادُها ما أشعرها! فقال: ما لي بشعرها علمٌ. فقال: عليَّ بعبيدة بن مَوهبٍ وكان حاجبه، فقال: أنشديه فأنشدته، فقال: عبيدة: هذه الشاعرة الكريمة، قد وجب حقُّها. قال: ما أغناها عن شفاعتك! يا غلام مُرْ لها بخمسمائة درهم؛ واكسُها خمسة أثواب أحدُها كساء خزّ، وأدخِلها على ابنة عمها هند بنت أسماء فقُل لها: حَلِّيها.

فقالت: أصلح اللَّه الأمير. أضرّ بنا العريف في الصدقة، وقد خربت بلادنا، وانكسرتْ قلوبنا، فأخذ خيار المال. قال: اكتبوا لها إلى الحَكَم بن أيّوب فليبتَعْ لها

(١) الفَوَه: سعة الفم، أو أن تخرج الأسنان من طولها، وهي فوهاء وهو أفوه.
(٢) يفلُل سلاحك: يثلَم سيفك.
(٣) المارقين: الخارجين عن الدين أو القانون.
(٤) الرِّز: الصوت الذي يسمع من بعيد.
(٥) الصّرى: اللبن الذي يبقى مدة فيتغير طعمه.

خمسة أجمال وليجعل أحدها نجيباً[١]، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعَزْلِ العريف الذي شكته. فقال ابن مَوهبٍ: أصلح اللَّه الأمير، أأصِلُها؟ قال: نعم، فوصلها بأربعمائة درهم، ووصلتها هند بثلاثمائة درهم، ووصلها محمد بن الحجَّاج بوصيفتين[٢].

قال الهيثم: فذكرتُ هذا الحديث لإسحاق بن الجصَّاص فكتبه عنّي، ثم حدثني عن حمَّاد الراوية قال: لمَّا فرغتْ ليلى من شعرها أقبل الحجَّاج على جُلسائه فقال لهم: أَتدرون مَن هذه؟ قالوا: لا! واللَّه ما رأينا امرأةً أَفصح ولا أَبلغ منها ولا أَحسن إنشاداً. قال: هذه ليلى صاحبة توبة. ثم أقبل عليها فقال لها: باللَّه يا ليلى أرأيتِ من توبة أمراً تكرهينه أَو سألك شيئاً يُعاب؟ قالت لا واللَّه الذي أسأله المغفرةَ ما كان ذلك منه قطّ. فقال: إذا لم يكن فيرحمنا اللَّه وإيَّاه.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شبَّة عن عبد اللَّه بن محمد بن حكيم الطائيّ عن خالد بن سعيد عن أَبيه قال: كنت عند الحجَّاج فدخلتْ عليه ليلى الأخيليَّة، ثم ذكر مثلَ الخبر الأوّل، وزاد فيه: فلمَّا قالت:

غـلامٌ إذا هـزّ الـقـنـاة سـقـاهـا

قال: لا تقولي: غلامٌ، قولي: هُمامٌ.

صـوت

سـألـنـي الـنـاسُ أيـن يـعـمِـدُ هـذا قـلـتُ آتـي فـي الـدّار قَـرمـاً سَـرِيَّـا
مـا قـطـعـتُ الـبـلاد أسـري ولا يـمَّـمْـتُ إلَّا إيَّـاكَ يـا زكـريَّـا
كـم عـطـاءٍ ونـائـلٍ وجـزيـلٍ كـان لـي مـنـكـم هَـنِـيّـاً مـريَّـا

[الخفيف]

عَروضه من الخفيف، الشعر للأُقَيشر الأسديّ، والغناء لدَحمان، وله فيه لحنانِ، أحدُهما خفيفُ ثقيلٍ من أَصوات قليلةٍ الأشباه عن إسحاق، والآخر ثقيلٌ أَوَّل بالبنصر في الثالث والثاني عن عمرو، وذكر يونس أنه للأبجر ولم يجنِّسه، وذكر الهشاميّ أَن لحن الأبجر خفيف ثقيلٍ، وأنَّ لحن ابن بَلوعٍ في الثالث ثاني ثقيل. وليحيى بن واصل ثقيلٌ أَوّل بالوسطى.

* * *

(١) النَّجيب: الكريم الحسب، جمعها: أنجاب ونُجباء ونُجُب.
(٢) الوصيفة: الخادمة، جمعها: وصفاء ووصائف.

ذكر الأقيشر وأخباره

نسب الأقيشر واسمه ولقبه وكنيته:

الأُقَيشِرُ: لقبٌ غلب عليه؛ لأنه كان أَحمرَ الوجه أَقشَرَ[١]، واسمه المغيرةُ بن عبد اللَّه بن مُعرِض بن عمرو بن أَسد بن خُزَيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار. وكان يُكنى أَبا مُعرِض، وقد ذكر ذلك في شعره في مواضع عدَّة، منها قوله:

فإنّ أَبا مُعرِضٍ إذ حَسا ... من الرَّاح[٢] كأساً على المِنبرِ
خطيبٌ لبيبٌ أبو مُعرِضٍ ... فإن لِيمَ في الخمر لم يصبرِ

[المتقارب]

وعُمِّر عُمراً طويلاً، فكان أَقعد[٣] بني أَسدٍ نسباً، وما أخلقه بأن يكون وُلِد في الجاهلية ونشأ في أوَّل الإسلام؛ لأنّ سِماك بن مَخرَمة الأسديّ صاحبَ مسجد سِماكٍ بالكوفة بناه في أَيَّام عمر، وكان عُثمانيّاً، وأهلُ تلك المحلَّة إلى اليوم كذلك. فيروي أَهلُ الكوفة أَنَّ عليّ بن أَبي طالب ـ صلوات اللَّه عليه ـ لم يُصَلِّ فيه، وأَهل الكوفة إلى اليوم يجتنبونه. وسِماكٌ الذي بناه هو سِماك بن مخرمة بن جُمَين بن بَلث بن عمرو بن مُعرض بن عمرو بن أَسَدٍ، والأقيشر أقعدُ نسباً منه. وقال الأقيشر في ذكر مسجد سِماكٍ شعراً.

قال في مسجد سماك بالكوفة شعراً ذم فيه بني دودان ثم ترضاهم ببيت:

أَخبرني محمد بن الحسن الكنديّ الكوفيُّ قال أخبرني الحسن بن عُليل العنزيّ عن محمد بن مُعاوية ـ وكنيته أبو عبد اللَّه محمد بن معاوية ـ قال: الأقيشرُ من رَهط خُرَيم بن فاتكٍ الأسديّ. وخُرَيم إنما نُسِب إلى جَدِّ أَبيه فاتكٍ، وهو خُرَيم بن الأخرم بن شدَّاد بن عمرو بن فاتكٍ الأسديّ، وفاتكٌ هو ابن قُلَيب بن عمرو بن أَسدٍ. والأقيشر هو المغيرة بن عبد اللَّه بن مُعرِض بن عمرو بن أَسَد. قال: وهو

(١) الأقشر: شديد حمرة الوجه.
(٢) الرَّاح: الخمر.
(٣) أقعدهم نسباً: أقلهم نسباً، وأبعدهم آباء إلى الجد الأول الأكبر.

القائل لمَّا بنى سِماكُ بن مُخرمة مسجده الذي بالكوفة، وهو أكبر مسجدٍ لبني أَسدٍ، وهو في خِطَة بني نَصر بن قُعَين:

غَضِبتْ دودان من مسجدِنا ... وبه يَعرفهم كلُّ أَحَدْ
لو هدَمنا غُدوةً بُنيانه ... لانمحتْ أسماؤهم طولَ الأبدْ
إسمهم فيه وهم جيرانُه ... واسمه الدهرَ لعمرو بن أَسَدْ
كلما صلَّوا قَسَمنا أَجرَه ... فلنا النِّصفُ على كلّ جسدْ

[الرمل]

فحلف بنو دودان ليضربُنَّه. فأتاهم فقال: قد قلت بيتاً محوتُ به كلَّ ما قلتُ. قالوا: وما هو يا فاسق؟ قال قلت:

وبنو دودان حَيٌّ سادةٌ ... حَلَّ بيتُ المجد فيهم والعدَدْ

فتركوه:

كان خليعاً ماجناً مدمناً لشرب الخمر:

أَخبرني وكيع عن إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنيّ قال، وأَخبرني أَبو أَيّوب المدينيّ عنْ محمد بن سلَّام قال:

كان الأقيشر كوفيّاً خليعاً ماجناً مُدمناً لشرب الخمر، وهو الذي يقول لنفسه:

فإنّ أَبا مُعرِضٍ إذ حَسا ... من الرَّاح كأساً على المِنبرِ
خطيبٌ لبيبٌ أَبو مُعرضٍ ... فصار خليعاً على المَكْبِرِ[1]
أَحلَّ الحرام أَبو مُعرضٍ ... فإن لِيمَ في الخمر لم يَصبرِ
يُجِلُّ اللِّئام ويَلحى الكرام ... وإن أقصروا عنه لم يُقصرِ

[المتقارب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ، وأَخبرني عبد الوهَّاب بن عُبيد الصَّحَّاف الكوفيّ عن قَعنَب بن مُحرزٍ الباهليّ عن المدائنيّ:

أنَّ الأقيشر مرَّ يريد الحيرة، فاجتاز على مجلسٍ لبني عَبسٍ، فناداه أحدهم: يا أُقَيشر، وكان يغضب منها، فزجره الأشياخ، ومضى الأقيشر ثم عاد إليه ومعه رجلٌ وقال له: قِفْ معي، فإذا أنشدتُ بيتاً فقُل لي: ولِمَ ذلك، ثم انصرِف، وخُذ هذين

(١) المَكْبِر: التقدم في العمر.

الدرهمين. فقال له: أَنا أصير معك إلى حيث شئتَ يا أَبا مُعرض ولا أرزؤك[١] شيئاً، قال: فافعل. فأقبل به حتى أتى مجلس القوم، فوقف عليهم ثم تأمّلهم وقد عرف السابَّ، فأقبل عليه وقال:

أتدعوني الأقيشرَ ذلك اسمي وأدعوك ابنَ مُطفئة السِّراجِ

فقال له الرجل. ولِمَ ذاك؟ فقال:

تُناجي خِدنَها بالليل سرّاً وربُّ الناس يعلمُ ما تُناجي

[الوافر]

قال قَعنبٌ في خبره: فلُقِّب ذلك الرجل ابن مُطفئة السراج.

وقال قَعنبٌ في خبره عن المدائنيّ أخبرنا به اليزيديّ عن الخرّاز عن المدائنيّ في كتاب الجوابات، ولم يَروِه الباقون:

كان الأقيشر يَكتري بغلةَ أَبي المضاء المُكاري فيركبها إلى الخمَّارين بالحيرة. فركبها يوماً ومضى لحاجته، وعند أَبي المضاء رجل من تميم يُكنى أبا الضحَّاك، فقال له: من هذا؟ قال: الأُقيشر، فأخذ طبق الميزان وكتب فيه:

عَجِبتُ لشاعرٍ من حَيِّ سَوءٍ ضئيلِ الجسم مِبطانٍ هجينِ

[الوافر]

وقال لأَبي المضاء: إذا جاء فأَقرئه هذا. فلمَّا جاء أقرأه. فقال له الأُقيشر: ممن هو؟ قال: مِن بني تميم. فكتب الأُقيشر تحت كتابه:

فلا أَسداً أَسُبُّ ولا تَميماً وكيف يجوز سَبُّ الأكرمينِ
ولكنَّ التَّميمي حال بيني وبينك يا ابن مضرطة العجينِ[٢]

[الوافر]

فهرب إلى الكوفة فلم يَزِد على هذا.

وقال قَعنبٌ في خبره عن المدائنيّ: فجاء التيميّ فقرأ ما كتب، فكتب تحته:

يا أيها المبتغي حُشّاً لحاجته وجهُ الأقيشر حشٌّ غير ممنوعِ

[البسيط]

فلمَّا قرأه قال: اللّهم إني أستعديك عليه، وكتب تحته:

---

(١) أرزؤك: أصيب منك شيئاً.

(٢) مُضرطة العجين: التي تعجن للناس مقابل أجر فيصدر العجين صوتاً أثناء عجنه.

إنـي أتـانـي مـقـالٌ كـنـت آمَـنُـه فجاء من فاحشٍ في الناس مخلوعِ
عـبـد الـعـزيـز أبـو الـضـحَّـاك كـنـيـتـه فـيـه مـن الـلـؤم وَهْـيٌ غـيـر مـمـنـوعِ
ولـم تَـبِـتْ أُمُّـه إلَّا مُـطـاحـنـةً وأن تُـؤاجَـر فـي سـوق الـمـراضـيـع
ينساب ماء البرايا في استها سَرِباً[١] كـأنـمـا انـسـاب فـي بـعـض الـبـلالـيـع[٢]
مـن ثَـمَّ جـاءت بـه والـبَـظْـرُ حَـنَّـكـه كـأنـه فـي اسـتـهـا تِـمـثـالُ يُـسـروع[٣]

[البسيط]

فلمَّا جاءه جزع ومشى إليه بقوم من بني تَميم، فطلبوا أَن يكُفّ ففعل. وأَمَّا عبد اللَّه بن خلفٍ فذكر عن أَبي عمرو الشيبانيّ أَنَّ الأقيشر قال هذا في مسكين.

والشعر الذي فيه الغناءُ يقوله الأقيشر في زكريَّا بن طلحة الذي يقال له الفيَّاض، وكان مدَّاحاً له.

أَخبرني الحسن بن عليّ عن العنزيّ عن محمد بن مُعاوية قال: غَنَّت جاريةٌ عند عبد الملك بن مروان بشعر الأقيشر:

قـرّب الـلَّـه بـالـسـلام وحـيَّـا زكـريّـا بـن طـلـحـةَ الـفـيَّـاضِ
مَـعـدِنُ الـضَّـيـفِ إن أنـاخـوا إلـيـه بـعـد أَيـنِ الـطـلائـح[٤] الأنـقـاضِ[٥]
سـاهـمـاتُ الـعـيـونِ خـوصٌ رَذايـا قـد بـراهـا الـكـلال بـعـد إيـاضِ
زادَه خـالـدُ بـن عـمّ أبـيـه مَـنـصـبـاً كـان فـي الـعُـلَا ذا انـتـقـاضِ
فَـرْعُ تَـيـمٍ مـن تَـيـمِ مُـرَّةَ حـقّـاً قـد قـضـى ذاك لابـن طـلـحـة قـاضِ

[الخفيف]

فقال عبد الملك للجارية: ويحكِ! لمن هذا؟ قالت: للأقيشر. قال: هذا المدحُ لا على طمعٍ ولا فَرَقٍ، وأشعرُ الناس الأقيشر.

وذكر عبد اللَّه بن خلفٍ أَنَّ أبا عمرو الشيبانيّ أخبره أنَّ الكُمَيت بن زيد لقي الأقيشر في سَفرةٍ، فقال له: أَين تقصدُ يا أَبا مُعرِض؟ فقال:

---

(١) سرِباً: سائلاً.
(٢) البلاليع: مفردها البلَّاعة والبلّوعة، وهو بئر يحفر ضيّق الرأس يجري فيها ماء المطر ونحوه.
(٣) يسروع: دودة مخططة بسواد وحمرة وهي حمراء الرأس بيضاء العين، جمعها يساريع.
(٤) الطلائح: مفردها طليح وطليحة، وهو الذي أعياه طول السير.
(٥) الأنقاض: مُفردها نِقْض، وهو الذي هُزِل من طول المسير.

سالني الناس أين يَقصدُ هذا قلتُ آتي في الدار قَرماً سَرِيَّا
[الخفيف]

وذكر باقيَ الأبيات التي فيها الغناء، فلم يزل الكميت يستعيده إيَّاها مراراً، ثم قال: ما كذب مَن قال إنك أَشعر الناس.

أَخبرني عمي عن الكرانيّ عن ابن سلَّام قال:

كان الأقيشر عِنِّيناً، وكان لا يأتي النساء، وكان كثيراً ما كان يصف ضِدّ ذلك من نفسه. فجلس إليه يوماً رجلٌ من قَيس، فأنشده الأقيشر:

ولقد أروح بمشرفٍ ذي شَعرةٍ عَسِرِ المَكَرَّةِ ماؤه يَتفصَّدُ[١]
مَرِحٍ[٢] يطير من المِراح لُعابُه وتكاد جِلدَته به تتقدّدُ[٣]
[الكامل]

ثم قال للرجل: أتُبصرُ الشعرَ؟ قال: نعم. قال: فما وصفتُ؟ قال: فرساً. قال: أفكنتَ لو رأيتَه ركبته؟ قال: إي واللَّه وأَثني عِطفَه. فكشف عن أَيره وقال: هذا وصفتُ، فقُمْ فاركبه. فوثب الرجل من مجلسه وجعل يقول له: قبحك اللَّه من جليسٍ! سائر اليوم.

ونسخت من كتاب عبد اللَّه بن خَلفٍ: حدّثني أَبو عمرو الشيباني قال:

ماتت بنتُ زيادٍ العُصفُريّ، فخرج الأُقيشر في جنازتها، فلما دفنوها انصرف. فلقِيه عابس مولى عائذِ اللَّه، فقال له: هل لك في غداء وطلاء[٤] أتيت به من طِيْرَنابَاذَ؟ قال: نعم. فذهب به إلى منزله فغدّاه وسقاه، فلما شرب قال:

فليت زياداً لا يزلنَ بناتُه يَمتنَ وألقى كُلَّما عشتُ عابسا
فذلك يومٌ غاب عني شرُّه وأنجحتُ فيه بعدما كنت آيسا
[الطويل]

ونسخت من كتابه: حدثني أبو عمرو قال:

شرب الأُقيشر في بيت خمَّار بالحيرة، فجاءه الشُّرط ليأخذوه، فتحرّز منهم وأغلق بابه وقال: لست أَشرب، فما سبيلكم عليَّ! قالوا: قد رأينا العُس[٥] في كفِّك وأنت تشرب. قال: إنما شربتُ من لبن لِقحةٍ[٦] لصاحب الدار، فلم يبرحوا حتى أخذوا منه درهمين. فقال:

(١) يتفصَّد: يسيل ويتدفق.
(٢) مَرِح: أي اشتدّ نشاطه.
(٣) تتقدّد: تتقطع إرباً.
(٤) الطلاء: الخمر.
(٥) العسُّ: القدح الكبير.
(٦) اللِّقحة: الناقة الكثيرة اللبن، الحلوب.

إنـمـا لِـقـحـتُـنـا بـاطـيـةٌ[1] فـإذا مـا مُـزجـت كـانـت عـجـبْ
لـبـنٌ أصـفـرُ صـافٍ لـونُـه يَـنـزع الـبـاسـورَ مـن عـجْـب الـذَّنَـبْ
إنـمـا نـشـربُ مـن أمـوالـنـا فـسـلـوا الـشُّـرطـيَّ مـا هـذا الـغـضـبْ
[الرمل]

أخبرني الحسن بن علي عن العنزي عن محمد بن معاوية قال:

دخل وفدُ بني أسدٍ على عبد الملك بن مروان، فقال: من شاعرُكم يا بني أَسد؟ قالوا: إن فينا لشعراءَ ما يرضَى قومُهم أن يفضِّلوا عليهم أحداً. قال لهم: فما فعل الأُقيشر؟ قالوا: مات. قال: لم يَمتْ، ولكنه مشتغلٌ بعِشقه، وما أُبعدُ أن يكون شاعركم إلا أنه يُضيعُ نفسه. أَليس هو القائل:

يـا أيُّـهـا الـسـائـل عـمَّـا مَـضـى مِـن عـلـم هـذا الـزمـن الـذاهـبِ
إن كـنـتَ تـبـغـي الـعـلـم أو أهـلـه أو شـاهـداً يُـخـبـرُ عـن غـائـبِ
فـاعـتـبـر الأرضَ بـأسـمـائـهـا واعـتـبـر الـصـاحـب بـالـصـاحـبِ
[السريع]

وذكر عبد اللَّه بن خلفٍ عن أبي عمرو الشيباني أن جاراً للأُقيشر طحَّاناً كان ينسئ[2] الناس يُكنى أبا عائشة. فأتاه الأُقيشر يسأله فلم يُعطه، فقال له:

يـريـدُ الـنـسـاء ويـأبـى الـرجـالَ فـمـا لـي ومـا لأَبـي عـائـشَـهْ
أدام لـه الـلَّـه كـدّ الـرجـال وأثـكـلـه ابـنـتَـه عـائـشَـهْ
[المتقارب]

فأعطاه ما أراد واستعفاه من أن يزيد شيئاً.

نسختُ من كتاب عُبيد اللَّه بن محمد اليزيدي بخطِّه: قال الهيثم بن عدي حدثني عَطَّاف بن عاصم بن الحدَثان قال:

مرّ أعرابيٌّ من بني تميمٍ كان يهزأ بالأُقيشِر، فقال له:

أبـا مُـعـرضٍ كـن أنـتَ إن مُـتُّ دافـنـي إلـى جـنـب قـبـرٍ فـيـه شِـلـوُ الـمُـضـلَّـلِ
فـعـلِّـيَ أن أنـجـو مـن الـنـار إنـهـا تُـضـرَّم لـلـعـبـدِ الـلـئـيـم الـمُـبـخَّـلِ

(١) باطيَّة: إناء الخمر.
(٢) ينسِئ: يقرض الناس ويمهلهم في سداد ذلك الدين أي يؤخرهم.

بـذلـك أوصـاهـا الإلـه ولـم تـزل تُحشُّ[١] بأوصالٍ[٢] وتُربٍ وجَندَلِ[٣]
وأنـت بـحـمـد الله إن شـئـتَ مُـفـلـتِـي بـحـزمِـك فـاحـزُم يـا أُقَيْـشِـرُ واعـجَـلِ
[الطويل]

فقال له: ممن أنت؟ قال: من بني تميمٍ ثم أحدِ بني الهُجيمِ بن عمرو بن تميمٍ. فقال الأُقيشر:

تـمـيـمَ بـنَ مُـرٍّ كـفـكِـفـوا عـن تـعـمُّـدي بـذُلٍّ فـإنـي لـسـتُ بـالـمـتـذلِّـلِ
أيـهـزَأ بـي الـعـبـدُ الـهُـجـيـمـيُّ ضـلَّـةً ومـثـلـي رمـى ذا الـتُّـدرَإِ الـمـتـضـلِّـل
بـداهـيـةٍ دهـيـاءَ لا يـسـتـطـيـعُـهـا شـمـاريـخُ[٤] مـن أركـان سـلـمـى ويـذبُـل
وبـالـلَّـه لـولا أن حـلـمـي زاجِـري تـركـتُ تـمـيـمـاً ضُـحـكـةً كـلَّ مـحـفِـل
فـكُـفُّـوا رمـاكـم ذو الـجـلال بـخـزْيـة تُـصَـبِّـحُـكـم فـي كـل جـمـعٍ ومـنـزل
فـأنـتـم لـئـامُ الـنـاس لا تُـنـكـرونـه وألأمُـكـم طُـرّاً حُـريـثُ بـن جَـنـدل
[الطويل]

فصار إليه شيوخٌ من بني الهُجيم واعتذروا إليه واستكفُّوه فكفّ.

أَخبرني الأخفش قال حدثني أبو الفيَّاض بن أَبي شُراعةَ عن أبيه قال:

شرب الأقيشر بالحيرة في بيتٍ فيه خَيَّاط مُقعدٌ ورجلٌ أعمى، وعندهم مُغَنٍّ مُطرب، فطرب الأقيشر، فسقاهم من شرابه، فلما انتشَوْا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم، وقفز الخيَّاط المُقعد يرقص على ظَلعه[٥] ويجهَد في ذلك كل جهدٍ. فقال الأُقيشر:

ومُـقْـعـدِ قـومٍ قـد مـشـى مـن شَـرابـنـا وأعـمـى سَـقـيـنـاه ثـلاثـاً فـأبـصـرا
شـرابـاً كـريـحِ الـعـنـبـر الـوردِ ريـحُـه ومـسـحـوق هـنـديّ مـن الـمـسـك أَذفـرا[٦]
مـن الـفـتـيـات الـغُـرِّ مـن أرض بـابـلٍ إذا شَـفَّـهـا الـحـانـي[٧] مـن الـدّنّ[٨] كـبَّـرا

(١) حشَّ النَّار: سَعَّرها وأوقدها.
(٢) الأوصال: مفردها وصل، وهو كل عظم لا يتصل به غيره ولا يوصل بغيره ولا يُكسر.
(٣) الجندل: واحدتها «جندلة» وهي الصخرة العظيمة.
(٤) شماريخ: مفردها شِمراخ وهو رأس الجبل وقمّته.
(٥) ظلعه: عرجه.
(٦) الأذفر: المسك الخالص البالغ الجودة.
(٧) الحاني: بائع الخمر، لأنه ينسب إلى الحانية وهي مكان بيع الخمر.
(٨) الدّنّ: الراقود العظيم.

لـهـا مـن زُجـاج الـشـام عُـنـقٌ غـريـبـة تـأنّـق فـيـهـا صـانـعٌ وتـخـيَّـرا
ذخـائـر فـرعـون الـتـي جُـبـيـتْ لـه وكـلٌّ يُـسـمَّـى بـالـعـتـيـق مـشـهَّـرا
إذا مـا رآهـا بـعـد إنـقـاء غـسـلـهـا تـدور عـلـيـنـا صـائـمُ الـقـوم أفـطـرا

[الطويل]

أخبرنا علي بن سليمان قال حدثني سوَّار قال حدثني أبي قال:

كان الأقيشر صاحب شرابٍ وندامى، فأشخص الحجاجُ بعضَ نُدمائه إلى بعض النواحي، ومات بعضهم، ونسك بعضهم، وهرب بعضهم؛ فقال في ذلك:

غُـلـبَ الـصَّـبـرُ فـاعـتـرتـنـي هُـمـومٌ لـفـراق الـثِّـقـات مـن إخـوانـي
مـات هـذا وغـاب هـذا وهـذا دائـبٌ فـي تـلاوةِ الـقـرآنِ
ولـقـد كـان قـبـل إظـهـاره الـنُّـسـ ـك قـديـمـاً مـن أظـرف الـفـتـيـانِ

[الخفيف]

وأخبرني أبو الحسن الأسدي عن العنزي قال: قال ابن الكلبي حدثني سلمةُ بن عبد سُواع عن أبيه قال:

كان الأقيشر لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم، يجعل درهمين في كِراء بغل إلى الحيرةِ، ودرهمين للشراب، ودرهماً للطعام. وكان له جارٌ يكنى أبا المَضاء له بغلٌ يُكريه، وكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه إلى الحيرةِ، حتى يأتي بيت الخمَّار فينزل عنده ويربُطه بلجامه وسرجه ـ فيقال إنه أعطى ثمنه في الكراء ـ ثم يجلس فيشرب حتى يُمسي؛ ثم يركبه وينصرف. فقال في ذلك:

يـا بـغـلُ بـغـلَ أبـي الـمـضـاء تـعـلَّـمـنْ أنـي حـلـفـتُ ولـلـيـمـيـن نُـذورُ
لـتُـعَـسِّـفَـنَّ وإن كـرهـتَ مَـهـامـهـاً فـيـمـا أُحـبّ وكـلُّ ذاك يـسـيـرُ
بـالـرغـم يـا ولـد الـحـمـار قـطـعـتـهـا عـمـداً وأنـت مُـذلّـلٌ مـصـبـورُ
حـتـى تـزور مُـسَـمِّـعـاً فـي داره وتـرى الـمُـدَامـة بـالأكُـفّ تـدورُ
لا يـرفـعـون بـمـا يـسـوؤك نـعـرةً وإذا سـخِـطـتَ فـخـطْـبُ ذاك صـغـيـر

[الكامل]

قال: فأتى يوماً من الأيام بيت الخمَّار الذي كان يأتيه فلم يصادفه فجعل ينتظره، ودخلتِ الدار امرأةٌ عباديَّة، فقال لها: ما فعل فلان؟ قالت: مضى في حاجةٍ وأنا امرأته، فما تريد؟ قال نبيذاً. قالت بِكمْ؟ قال: بدرهمين: قالت: هلُم درهميك وانتظرني. قال لا. قالت: فذلك إليك، ومضت وتبِعها، فدخلت داراً لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته. فلمَّا طال جلوسه خرج إليه بعضُ أهل الدار، قالوا:

وما يُجلسك؟ فأخبرهم. فقالوا له: تلك امرأةٌ محتالة يقال لها أُمّ حُنين من العباديّين. فعلم أنه قد خُدع، فانصرف إلى خمَّاره فأخبره بالقصة وقال له: أنسِئني اليوم فاسقني ففعل. وأنشأ الأقيشر يقول:

لم يُغرّر بذات خفّ سوانا ... بعد أُخت العبّاد أُمّ حُنينِ
وعدتنا بدرهمين نبيذاً ... أو طِلاءً مُعَجَّلاً غير دينِ
ثم ألوت بالدرهمين جميعاً ... يا لَقَومي لِضيعةِ الدرهمينِ

[الخفيف]

وذكر هذا الخبر عبدُ اللَّه بن خلفٍ عن أَبي عمرو الشَّيباني وزاد فيه: أن الخمَّار كان يسمَّى بحُنين، وأن المرأة المحتالة قالت له: إنها أُم حنين الخمَّار الذي كان يُعامله حتى أخذتِ الدرهمين ثم هربت منه، وذكر الأبيات الثلاثة التي تقدمت، وبعدها:

عاهدتْ زوجها وقد قال إني ... سوف أغدو لحاجتي ولديني
فدعتْ كالحصان أبيضَ جَلداً ... وافرَ الأير مُرسل الخُصيَتينِ
قال ما أجرُ ذا هُديتِ فقالت ... سوف أُعطيك أجرَه مرَّتينِ
فأبدإ الآن بالسِّفاح[1] فلما ... سافحته أرضته بالأُخريَينِ
تلَّها[2] للجبين ثم امتطاها ... عالمُ الأير أفحجُ الحالبينِ
بينما ذاك منهما وهي تحوي ... ظهره بالبَنَان والمعصمينِ
جاءَها زوجها وقد شام فيها ... ذا انتصابٍ مُوثَّق الأخدعينِ[3]
فتأَسَّى وقال ويل طويلٌ ... لِحُنينٍ من عار أُمّ حُنينِ

[الخفيف]

قال: فجاء حُنينٌ الخمَّار فقال له: يا هذا ما أردتَ بهجائي وهجاء أُمي؟! قال: أخذت مني درهمين ولم تُعطني شَراباً. قال: واللَّه ما تعرفك أُمي ولا أخذت منك شيئاً قطُّ، فانظر إلى أُمي فإن كانت هي صاحبتك غرمتُ لك الدرهمين: قال: لا واللَّه ما أعرف غير أُمّ حُنين، ما قالت لي إلا ذلك، ولا أهجو إلا أم حُنين وابنها، فإن كانت أُمك فإياها أعني، وإن كانت أم حُنين أخرى فإياها أعني. فقال: إذاً لا يفرق الناس بينهما. قال: فما عليّ إذاً! أتُرى درهميَّ يضيعان! فقال له: هَلُمَّ إذاً أغرمهما لك وأقم ما تحتاج إليه، لا بارك اللَّه لك! ففعل.

---

(١) السِّفاح: الزِّنا.
(٢) تلَّها للجبين: قلبها وألقاها على وجهها ثم قتلها.
(٣) الأخدَعَان: عرقان في جانبي العنق.

قال عبد اللَّه وحدثني أَبو عمرو قال:

كان العُريان بن الهَيثم النَّخعيّ صديقاً للأقيشر، فقال له: يا أُقَيشر إني أُريد أن أمتدَّ إلى الشام فأَكتِبني[1] من مُلَحِك[2] فأَكتبَه. فخرج إلى الشام فأصاب مالاً، فبعث إلى الأقيشر بخمسين درهماً، ففعل وقال: هاتِ. قال المولى: على أن تهجوَه، إذ وضع منك؟ قال نعم، فأعطاه خمسين درهماً. وقال الأقيشر:

وسألتَني يومَ الرَّحيل قصائداً ... فملأْتُهنَّ قصائداً وكتابَا
إنِّي صدَقتك إذ وجدتُك صادقاً ... وكذَبتَني فوجدتني كذّابَا
وفتحتُ باباً للخيانةِ عامداً ... لَمَّا فتحتَ من الخيانة بابَا

[الكامل]

وكان أَبو العريان على الشُّرْطةِ، فخافه الأقيشر من هجاء ابنه. وبلغ الهيثم هذه الأبيات فبعث إليه بخمسمائة درهم وسأله الكَفّ عن ابنه وألَّا يُشَهِّره، فأخذها وفعل.

قال أَبو عمرو: وخطب رجلٌ من حضرموت امرأةً من بني أَسَدٍ، فأقبل يسأل عنها وعن حسَبها وأمَّهاتها، حتى جاء الأقيشر فسأله عنها. فقال له: مِن أين أنت؟ قال: من حضرموت. فأنشأ يقول:

حَضرَمَوتٌ فتَّشَتْ أحسابنا ... وإلينا حَضرَمَوتٌ تَنتسبْ
إخوةُ القِرد وهم أعمامُه ... بَرِئت منكم إلى اللَّه العربْ

[الرمل]

أَخبرني الحسن بن عليّ عن أبي أيّوب المدينيّ قال: قال أبو طالب الشاعر حدثني رجلٌ من بني أَسَدٍ قال:

سمعتُ عمة الأُقيشر تقول له يوماً: اتّقِ اللَّه وقُمْ فصلِّ، فقال: لا أُصَلِّي. فأكثرت عليه، فقال: قد أبرمتني، فاختاري خَصلةً من خَصلتين: إمَّا أَن أُصَلِّي ولا أتطهَّر، وإمَّا أن أتطهَّر ولا أُصلي. قالت: قبّحك اللَّه! فإن لم يكن غيرُ هذا فصلِّ بلا وضوء.

قال أَبو أيّوب: وحُدِّثت أَنه شرب يوماً في بيت خمَّار بالحيرة، فجاء شُرَطيٌّ من شُرَطِ الأمير ليدخل عليه، فغلق الباب دونه. فناداه الشُّرَطيّ اسقِني نبيذاً وأَنت آمِنٌ. فقال: واللَّه ما آمَنك، ولكن هذا ثقبٌ في الباب فاجلس عنده وأنا أَسقيك منه، ثم

(١) الإكتاب: الإملاء.
(٢) المُلَح: مفردها المُلْحة، وهي واحدة المُلَح من الأحاديث.

وضع له أُنبوباً من قصبٍ في الثَّقب وصبّ فيه نبيذاً من داخل والشرطيّ يشرب من خارج الباب حتى سكِر. فقال الأُقيشر:

سأل الشُّرطيُّ أن نَسقيَه فسقيناه بأُنبوب القَصَبْ
إنما نشرَب من أموالنا فسَلُوا الشُّرطيَّ ما هذا الغضبْ

[الرمل]

أَخبرني عمي عن الكرانيّ عن قَعنَبِ بن المُحرِز، وحدّثنا محمد بن خلف عن أَبي أَيّوب المدينيّ عن قعنب بن الهيثم بن عديّ قال:

كان قَيس بن محمد بن الأَشعث ضرير البصر، فأتاه الأُقيشر فسأله، فأمر قَهرمانه[1] فأعطاه ثلاثمائة درهم، فقال: لا أُريدها جملةً، ولكن مُرِ القَهرمانَ أَن يُعطيني في كلّ يوم ثلاثةَ دراهم حتى تنفد. فكان يأخذها منه، فيجعل درهماً لطعامه، ودرهماً لشرابه، ودرهماً لدابَّة تحمله إلى بيوت الخمارين. فلمَّا نفدت الدراهم أتاه الثانية فسأله فأعطاه وفعل مثلَ ذلك، وأتاه الثالثة فأعطاه وفعل مثل ذلك، وأتاه الرابعة فسأله. فقال له قيسٌ: لا أبا لك! كأنك قد جلعتَ هذا خَراجاً علينا. فانصرف وهو يقول:

أَلم ترَ قَيسَ الأكمهَ ابن محمد يقول ولا تلقاه للخير يَفعلُ
رأيتُك أعمى العين والقلب ممسكاً وما خير أعمى العين والقلب يبخلُ
فلو صَمَّ تمَّت لعنة اللَّه كلُّها عليه وما فيه من الشرّ أفضلُ

[الطويل]

فقال قيس: لو نجا أَحدٌ من الأُقيشر لنجوتُ منه.

كان سكران فحكَّموه في الصحابة فقال شعراً:

أخبرني أَبو الحسن الأسديّ عن العنزيّ عن محمد بن معاوية قال:

اختصم قومٌ بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، فقالوا: نجعل بيننا أوَّل مَن يَطلع علينا. فطلع الأقيشر عليهم وهو سكران. فقال بعضهم لبعض: انظروا مَن حَكَمُنا. فقالوا: يا أَبا مُعرضٍ قد حكَّمناك. قال: في ماذا؟ فأخبروه. فمكث ساعةً ثم أنشأ يقول:

إذا صلَّيتُ خمساً كلَّ يوم فإنّ اللَّه يغفِر لي فُسوقي
ولم أُشرِك بِربّ الناس شيئاً فقد أمسكتُ بالحَبل الوثيقِ

(١) القهرمان: كلمة أعجمية بمعنى الوكيل أو القائمقام.

وهـذا الـحـقُّ لـيـس بـه خَـفـاءٌ ودَعـنـي مـن بُـنَـيَّـات الـطـريـقِ

[الوافر]

قال محمد بن معاوية: وتزوّج الأقيشر ابنةَ عَمٍّ له يقال لها الرَّباب، على أربعة آلاف درهم، ويقال على عشرة آلاف درهم، فأتى قومه فسألهم فلم يُعطوه شيئاً؛ فأتى ابن رأس البغل وهو دُهقان الصين وكان مجوسيّاً، فسأله فأعطاه الصَّداق. فقال الأقيشر:

كـفـانـي الـمـجـوسـيُّ مَـهـرَ الـرَّبـابِ فِـدًى لـلـمـجـوسـيّ خـالـي وعـمّْ

شَـهِـدتُ بـأنَّـك رَطـبُ[1] الـمُـشـاشِ وأنَّ أَبـاك الـجـواد الـخِـضَـمّْ[2]

وأنّـك سـيِّـدُ أهـل الـجـحـيـم إذا مـا تـردَّيـتَ فـيـمـن ظـلـمْ

تـجـاوِرُ قـارون فـي قَـعـرهـا وفِـرعـونَ والـمُـكـتـنـى بـالـحـكـمْ

[المتقارب]

فقال له المجوسيّ: ويحك! سألتَ قومك فلم يُعطوك وجئتني فأعطيتك، فجزَيتني هذا القول ولم أُفلِت من شِعرك وشرّك! قال: أَوَ ما ترضى أَن جعلتك مع الملوك وفوق أَبي جهلٍ! ثم جاء إلى عِكرمة بن رِبعِيٍّ التميميّ فلم يُعطِه، فقال فيه:

سـألـتُ ربـيـعـةَ مَـن شـرُّهـا أبـاً ثـم أمّـاً فـقـالـوا لِـمَـهْ

فـقـلـتُ لأعـلَـمَ مَـن شَـرُّكـم وأجـعـل بـالـسـبّ فـيـه سِـمَـهْ[3]

فـقـالـوا لـعـكـرمـة الـمـخـزِيـاتُ ومـاذا يـرى الـنـاسُ فـي عِـكـرمَـهْ

فـإن يَـكُ عـبـداً زَكـا مـالـه فـمـا غـيـرُ ذا فـيـه مـن مَـكـرُمَـهْ

[المتقارب]

قال ابن الكلبيّ: وشرب الأقيشر في حانة خمَّار حتى أَنفد ما معه، ثم شرب بثيابه حتى غَلِقت فلم يبقَ عليه شيءٌ، وجلس في تِبنٍ إلى جانب البيت إلى حَلقه مستدفئاً به. فمرّ رجلٌ به يَنشُد ضالَّةً، فقال: اللَّهم اردُدْ عليه واحفَظ علينا. فقال له الخمَّار: ثخنتْ عينك! أيّ شيء يحفظ عليك ربّك؟ قال: هذا التِّبن لا تأخذه فأموتُ من البرد. فضحك الخمَّار وردّ عليه ثيابه وقال: اذهب فاطلب ما تشرب به، ولا تجئني بثيابك فإني لا أَشتريها بعد ذلك.

(١) رطب المشاش: طيب النفس، لين العريكة.

(٢) الخِضمّ: السيّد الحمول المعطاء، خاص بالرجال، جمعها خِضَمَّون.

(٣) سِمَة: علامة.

لقيه هشام الشرطي وهو سكران فحاوره في سكره:

قال ابن الكلبيّ: واجتاز الأقيشر برجلٍ يقال له هِشامٌ وكان على شُرطة عمرو بن حُرَيث وهو سكران، فدعا به فقال له: أنت سكران؟ قال لا. قال: فما هذه الرائحة؟ قال: أكلتُ سَفَرجلاً، ثم قال:

يقولون لي انْكَهْ[1] شَربتَ مُدامةً فقلت كذبتم بل أكلتُ سفرجلا

[الطويل]

فضحك منه ثم قال: فإن لم تكن سكران فأخبِرني كم تصلّي في كلّ يوم. فقال:

يسائلني هشامٌ عن صلاتي صلاةِ المسلمين فقلتُ خمسُ
صلاةُ العصرِ والأولى ثمانٍ مُواترةٌ فما فيهنّ لبسُ
وعند مغيب قَرنِ الشمس وِترٌ وشَفعٌ بعدها فيهنّ حَبسُ
وغُدوةً اثنتان معاً جميعاً ولمَّا تبدُ للرائين شَمسُ
وبعدهما لوقتهما صَلاةٌ لِنُسكٍ بالضَّحاء إذا نَبُسُ
أأحصيتُ الصلاة أيا هشاماً فذاك مُكَدَّرُ الأخلاق جِبسُ[2]
تَعَوَّد أن يُلام فليس يوماً بحامده من الأقوام إنسُ

[الوافر]

قال: فضحك هشام وقال: بلى قد أخبرتَنا يا أَبَا مُعرض، فانصرف راشداً.

إستنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة:

أَخبرني محمد بن الحسن بن درَيدٍ عن أَبي عُبيدة قال:

قدِم رجلٌ من بني سَلول على قُتيبة بن مُسلم بكِتاب عامله على الريّ وهو المُعَلّى بن عمرو المُحاربيّ، فرآه على الباب قُدامة بن جعدة بن هُبَيرة المخزوميّ وكان صديقاً لقُتَيبة، فدخل عليه فقال له: ببابك أَلأمُ العرب، سَلوليٌّ رسولُ مُحاربيٍّ إلى باهليٍّ. فتبسم قتيبة تبسُّماً فيه غيظٌ. وكان قُدامة بن جعدة يُتَّهم بشرب الخمر، وكان الأقيشر يُنادمه. فقال قتيبة: ادعوا لي مِرداس بن جُذام الأسديّ فدُعِي. فقال له: أنشِدني ما قال الأقيشر في قُدامة بن جعدة وهو بالحيرة. فأَنشده قوله:

رُبَّ نَدمانٍ كريمٍ ماجدٍ سَيِّدِ الجَدَّين من فَرعَيْ مُضَرْ

(١) أنكه: أخرج نَفَسه ليشُمَّه شخص آخر. (٢) الجِبس: الجامد، الفاسق، واللئيم.

قـد سَـقَـيـتُ الـكـأسَ حـتـى هَـرَّهـا لـم يُـخـالـط صَـفـوَهـا مـنـه كَـدَرْ
قـلـتُ قُـمْ صَـلِّ فـصـلَّـى قـاعـداً تـتـغـشَّـاه سـمـاديـر[1] الـسَّـكَـرْ
قـرَنَ الـظُّـهـرَ مـع الـعـصـر كـمـا تُـقـرَنُ الـحِـقَّـةُ[2] بـالـحِـقّ الـذَّكَـرْ
تـرك الـفـجـر فـمـا يـقـرؤهـا وقـرا الـكـوثـر مـن بـيـن الـسُّـورْ

[الرمل]

قال: فتغيّر لون وجه القرشي وخجِل. فقال له قتيبة: هذه بتلك، والبادىء أظلم.

أخبرني الأخفش عن محمد بن الحسن بن الحَرون قال حدثنا الكسروي عن الأصمعي قال:

قال عبد الملك للأُقيشر: أَنشدني أبياتك في الخمر، فأنشده قوله:

تُـريـك الـقـذى مـن دونـهـا وهـي دونـه لِـوجـه أخـيـهـا فـي الإِنـاء قُـطُـوبُ[3]
كُـمَـيـتٌ[4] إذا فُـضَّـت وفـي الـكـأس وردةٌ لـهـا فـي عـظـام الـشـاربـيـن[5] دبـيـبُ

[الطويل]

فقال له: أحسنتَ يا أبا مُعرِضٍ! ولقد أجدتَ وصفها، وأظنُّك قد شربتها. فقال: واللَّه يا أمير المؤمنين إنه ليريبُني منك معرفتك بهذا.

أخبرني الحسن بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن ابن الكلبيّ عن رجل من الأزْد قال:

كان الأقيشر يأتي إخواناً له يسألهم فيعطونه، فأتى رجلاً منهم فأمر له بخمسمائة درهم، فأخذها وتوجَّه إلى الحانةِ ودفعها إلى صاحبها وقال له: أَقِم ما أحتاج إليه ففعل ذلك، وانضم إليه رفقاء له، فلم يزل معهم حتى نفدت الدراهم، فأتاهم بعد إنفاقها بيوم ثم أتاهم من غدٍ فاحتملوه، فلما أتاهم في اليوم الثالث نظر إليه أصحابه من بعيد فقالوا لصاحب الحانة: أَصعدنا إلى غُرفتك هذه وأعلم الأقيشر أنَّا لم نأتِ اليوم. فلما جاء الأقيشر أعلمه ما قالوه له. فعلِم الأقيشر أنه لا فرج له عند صاحب

(١) سماديرِ: شيء يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السُكر.
(٢) الحِقَّة: الإبل التي دخلت في عامها الرَّابع.
(٣) قُطُوب: بمعنى عُبوس، وهي حالة الرجل إذا زَوَى أو كَلَح بين عينيه.
(٤) كُمَيت: الخمر التي فيها سواد وحُمرة.
(٥) الشاربين: أي الذي يشربون الخمر.

الحانة إلا برهَنٍ، فطرح إليه ثيابه وقال له: أقِم لي ما أَحتاج إليه ففعل. فلما أَخذ في الشراب أنشأ يقول:

يا خليليّ إسقياني كاسا ثم كأساً حتى أخرّ نُعاسا
إن في الغرفة التي فوق رأسي لأناساً يخادعون أُناسا
يشربون المُعَتَّق الراح صِرفاً ثم لا يرفعون بالزور راسا

[الخفيف]

فلما سمع أصحابه هذا الشعر فدوّه بآبائهم وأُمهاتهم ثم قالوا له: إما أن تصعد إلينا أو ننزل إليك، فصعد إليهم.

أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه قال حدثني أبو مُسلِمٍ المُستملي عن المدائني قال:

مدح الأقيشر بِشر بن مروان ودخل إليه فأنشده القصيدة وعنده أيمنُ بن خُريم بن فاتكٍ الأسدي، فقال أَيمنُ: هذا واللَّه كلامٌ حسنٌ من جوفٍ خربٍ. فأجابه بالبيت المذكور. وقال أبو عمرو أيضاً في خبره: فلما صار الأقيشر إلى منزله بعث عمّه فأخذ منه الألف الدرهم وقال: واللَّه لا أُخلِّيك تُفسدها وتشرب بها الخمر. قال: فتصنع بها ماذا؟ قال: أكسوك واكسو عيالك وأُعدُّ لك قوتَ عامك. فتركه ودخل على بشر فقال له:

أَبلغ أبا مروان أن عطاءه أزاغ به مَن ليس لي بعيال

[الطويل]

قال: ومَن ذلك؟ فأخبره الخبر. فأمر صاحبَ شُرطته أن يُحضر عمّه وينتزع منه الألفَ الدرهم ويسلِّمها إليه، وقال: خُذها ونحن نقوم لعيالك بما يُصلحهم.

مدح خمارة بشعر داعر فسرّت به:

أخبرني هاشم بن محمد عن أَبي غسَّان دماذَ عن أَبي عبيدة قال:

مر الأقيشر بخمَّارة بالحيرة يقال لها دومةُ، فنزل عندها فاشترى منها نبيذاً، ثم قال لها جوّدي لي الشَّراب حتى أجيد لك المدح ففعلتْ فأنشأ يقول:

ألا يا دوم دام لك النَّعيم وأَسمرُ ملءُ كفِّك مستقيمُ
شديدُ الأسر يَنبضُ حالباه يُحمُّ كأنه رجلٌ سقيمُ
يُرَوِّيه الشراب فيزدَهيه وينفخ فيه شيطانٌ رجيمُ

[الوافر]

أخبرني أَبو حسن الأسدي عن حمَّاد بن إسحاق عن أَبيه عن أَيوب بن عباية قال: كان فاتكُ بن فضالة بن شريكٍ الأسدي كريماً على بني أُميَّة، وهو الوافد على عبد الملك بن مروان قبل أن ينهض إلى حرب ابن الزُّبير، فضمِن له على أهل العراق طاعتهم وتسليم بلادهم إليه، وأن يُسلِموا مُصعباً إذا لقيه ويتفرقوا عنه. وله يقول الأقيشر في هذه الوفادة:

وفد الوفودُ فكنتَ أفضل وافدٍ يا فاتكُ بن فَضَالة بن شريك

[الكامل]

أَخبرني علي بن سليمان الأخفش عن السكري قال حدثني ابن حبيب قال:

ولي الكوفة رجلٌ من بني تميم يقال له مطرٌ؛ فلما علا المنبر انكسرت الدّرجة من تحته فسقط عنها؛ فقال الأقيشرُ:

أبني تميم ما لِمِنبر ملكِكُمْ ما يستقرّ قرارهُ يَتمرمرُ[1]

إن المنابر أنكرتْ استاهكم فادعُوا خُزَيمةَ يَستقِرّ المنبرُ

[الكامل]

أَخبرني محمد بن مزيد عن حمَّاد بن إسحاق عن أَبيه عن عاصم بن الحدَثان قال:

مرّ رجلٌ من مُحارب يقال له قُريظةُ بن يقَظة بالأقيشر الأسدي وهو في مجلس من مجالس بني أَسد، فسلَّم على الأقيشر وكان به عارفاً. فقال له القومُ: مَن هذا يا أَبا مُعرِض؟ وكان مخموراً، فقال:

ومَن لي بأن أسطيعَ أن أذكر اسمه وأَعيا عِقالاً أَن يُطيق له ذكرا

[الطويل]

قال: فضحك القوم وقالوا: سبحان اللَّه! أي شيءٍ تقول؟ فقال: اسمه ونسبُه أعظمُ من أَن أقدر على ذكرهما في يوم، فإن شئتم سميته اليوم ونسبتُه غداً، وإن شئتم نسبتُه اليومَ وسميته غداً. قالوا: هاتِ اسمه اليوم. فقال: قُريظةُ. فقال رجلٌ منهم: ينبغي أَن يكون ابن يَقَظة. فقال الأقيشر: صدقتَ واللَّه وأصبتَ، ولقد أثقلني اسمهُ حين ذكرته أن أقول نعم. فبلغ قريظة قوله وكان شاعراً فقال:

لِسانُك من سُكرٍ ثقيلٌ عن التُّقى ولكنه بالمخزيات طليق

وأنتَ حقيقٌ يا أُقيشرُ أَن تُرى كذاك إذا ما كنتَ غير مُقيق

(١) يتمرمر: يهتزُّ ويترجرج.

تسفُّ من الصهباء صِرفاً[1] تَخالها جنى النَّحل يُهديه إليك صديق
[الطويل]

فبلغ الأقيشر قولُ المُحاربي وكان يُكنى أَبا الذّيال، فأجابه فقال:

عَدِمتُ أَبا الذّيال من ذي نوالةٍ له في بيوت العاهرات طريقُ
أبالخَمرِ عَيّرتَ امرأً ليس مُقلِعاً وذلك رأيٌ لو عَلِمتَ وثيق
سأشرَبها ما دُمتُ حيّاً وإن أمُتْ ففي النفس منها زفرةٌ وشهيق
[الطويل]

أَخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدثنا عمر بن شبَّة قال:

بلغني أَن الرشيد سمع ليلةً رجلاً يغنّي:

إن كانت الخمر قد عزّتْ وقد مُنِعَتْ وحال من دونها الإسلامُ والحرجُ
فقد أُباكِرُها صِرفاً وأشربُها أَشفي بها غُلَّتي صِرفاً وأمتزجُ
وقد تقومُ على رأسي مُغنِّيةٌ لها إذا رجَّعَتْ في صوتها غُنُجُ
وترفع الصوت أَحياناً وتخفِضه كما يَطِنّ ذُبابُ الرَّوضة الهزجُ
[البسيط]

قال: فوجَّه في أَثر الصوت مَن جاءه بالرجل وهو يُرعَد، فقال: لا تُرَعْ فإنما أعجبني حُسنُ صوتك. فقال: واللَّه يا أَمير المؤمنين ما تغنَّيت بهذا الشعر إلَّا وأنا قد ثُبتُ من شرب النبيذ، وهذا شعرٌ يقوله الأقيشر في توبته من النبيذ. فقال له الرشيد: وما حملك على تركه؟ قال: خَشيةُ اللَّه. وإني فيه يا أَمير المؤمنين كما قال زيد بن ظَبيان:

جاؤوا بقاقُزَّةٍ[2] صَفراءَ مُترَعةٍ[3] هل بين ذي كَبرةٍ والخمر من نَسَبِ
بئس الشَّرابُ شراباً حين تَشرَبه يُوهي العظام وطوراً مُفتِرُ العَصَبِ
إني أخافُ مَليكي أن يُعَذِّبني وفي العشيرةِ أن يُزري على حَسَبي
[البسيط]

فقال له الرشيد: أَنت وما اخترتَ أعلمُ، فأعِدِ الصوت، فأعاده. وأمر بإِحضار المغنِّين واستعاده، وأمرهم بأخذِه عنه فأخذوه، ووصله وانصرف؛ وكان صوتَ الرَّشيد

(١) الصِّرف: الخمر الخالص غير الممزوج.
(٢) قاقُزة: الكأس الصغيرة ويطلق عليها قاقوزة وقازوزة، وهي كلمة فارسيَّة معرَّبة.
(٣) مُترعَة: ملآنة.

أيّاماً. هكذا ذكر إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شبَّة في هذا الخبر أن الأبيات للأقيشر، ووجدتُها في شعر أَبي مِحجَنٍ الثقفيّ له لمَّا تاب من الشَّراب.

خرج لغزو الشام فباع حماره وأنفق ثمنه في الفجور:

أَخبرني عليُّ بن سليمان قال حدثنا أَبو سعيدٍ عن محمد بن حبيب قال:

كان القُباعُ، وهو الحارث بن عبد اللَّه بن أَبي ربيعة، قد أخرج الأقيشر مع قومه لقتال أهل الشام، ولم يكن عند الأقيشر فرسٌ فخرج على حمارٍ، فلمَّا عبر جسرَ سُوراء[1] فوصل لقريةٍ يقال لها قنِّين تَوارى عند خمَّارٍ نَبَطيٍّ يُبرِز زوجته للفجور، فباع حماره وجعل يُنفقه هناك ويَشرب بثمنه ويفجُر إلى أَن قفَل الجيش، وقال في ذلك:

خرجتُ من المِصرِ الحَواريّ[2] أهلُه ... بلا ندبةٍ فيها احتسابٌ ولا جُعْلِ
إلى جيش أهل الشام أُغزيتُ كارهاً ... سَفاهاً بلا سيفٍ حديد ولا نَبلِ
ولكن بتُرْسٍ ليس فيه حمالةٌ ... ورُمحٍ ضعيفِ الزُّجّ مُنصدع النَّصلِ
حَباني به ظُلمُ القُباع ولم أَجِدْ ... سوى أمره والسَّيرِ شيئاً من الفِعلِ
فأزمعتُ أمري ثم أصبحتُ غازياً ... وسلَّمتُ تسليم الغُزاةِ على أهلي
وقلتُ لعلّي أن أُرى ثَمَّ راكباً ... على فرس أو ذا مَتاعٍ على بَغلِ
جَوادي حمارٌ كان حيناً لظهره ... إكافٌ وإشناق المزادة والحبلِ
وقد خان عينيه بياضٌ وخانَه ... قوائمُ سَوءٍ حين يُزجَر في الوَحلِ
إذا ما انتحى في الماء والوَحل لم تَرِم ... قوائمه حتى يُؤَخّرَ بالحملِ
أنادي الرّفاق بارك اللَّه فيكمُ ... رُوَيدكم حتى أجوز إلى السَّهلِ
فسِرنا إلى قنِّين يوماً وليلةً ... كأنَّا بَغايا ما يَسِرنَ إلى بَعلِ
إذا ما نزلنا لم نجد ظِلَّ ساحةٍ ... سوى يابس الأنهار أَو سَعَفِ النخلِ
مَرَرنا على سُوراءَ نَسمع جِسرَها ... يَئطُّ[3] نَقيضاً عن سفائنه الفضلِ
فلمَّا بدا جسرُ السَّراة وأَعرضت ... لنا سوق فُرَّاغ الحديث إلى شُغلِ
نزلنا إلى ظِلٍّ ظليلٍ وباءةٍ[4] ... حَلالٍ برغم القلطمان[5] وما نفلِ

(١) سورا: قرية بالعراق ينسب إليها الخمر.
(٢) الحواري: الناصِر والحميم.
(٣) يئط: يصدر صوتاً يسمى الأطيط.
(٤) الباءة: القدرة على النكاح.
(٥) القلطمان: فارسية معرَّبة.

يُشارطه مَن شاء كان بدرهم عَروساً بما بين السَّبيئة والنَّسلِ
فأتبعتُ رُمحَ السَّوء سمية نصله وبِعتُ حماري واسترحتُ من الثِّقلِ
تقول ظبايا قل قليلاً ألا ليا فقلت لها إصوي فإني على رِسلِ
مهرت لها جرديقة[1] فتركتُها بمرها كطَرفِ العين شائلةَ الرّجلِ
[الطويل]

وممَّا يُغنَّى فيه من شِعر الأقيشر:

صوت

لا أَشرَبَنْ أبداً راحاً مُسارَقةً إلَّا مع الغُرّ[2] أبناءِ البَطاريقِ[3]
أفنى تِلادي وما جَمَّعتُ من نَشَبٍ قَرعُ القَواقيز أفواه الأباريقِ
[البسيط]

الغناء لحُنَين هزجٌ بالبنصر عن عمرو. وفيه لعمر الوادي رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ. وفيه ثقيلٌ أوَّل يُنسب إلى حُنَينٍ وعُمَر وحَكَمٍ جميعاً. وهذا الغناء المذكور من قصيدة للأقيشر طويلةٍ، أوَّلها:

إنّي يذكِّرني هنداً وجارتَها بالطَّفِّ صوتُ حمامات على نِيْقِ
[البسيط]

صوت

دَعاني دَعوةً والخيلُ تَردي فلَا أدري أبِاسمي أمْ كناني
وكانَ إجابتي إيَّاهُ أنّي عَطَفتُ عليه خَوَّارَ العِنان
[الوافر]

الشعر لابن الغريزة النَّهشليّ. والغناء ليحيى المكيّ رملٌ بالوسطى عن الهشاميّ. وقد جعل المغنُّون معه هذا البيت ولم أَجِده في قصيدته، ولا أَدري أَهُوَ له أم لغيره:

أَلَا يا مَن لِذا البرقِ اليماني يلوحُ كأنَّه مِصباحُ بانِ
[الوافر]

---

(١) جرديقة: معرَّبة الجرَدَقة: الرغيف. (٢) الغُرّ: مفردها أغرّ وهو السيّد الكريم الشريف.
(٣) البطاريق: مفردها بطريق، وهو القائد من قوَّاد الرّوم، تحت يده خمسة آلاف رجل، ثم الطَّرخان على خمسة آلاف.

أخبار ابن الغريزة ونسبه

كثيرُ بن الغريزة التميميُّ أَحد بني نهشلٍ. والغريزة أُمّه. وهو مخضرَمٌ، أدرك الجاهلية والإسلام، وقال الشعر فيهما. وهذا الشعر يقوله ابن الغريزة في غزاةٍ غزاها الأقرع بن حابسٍ وأَخوه بالطَّالقان وجوزَجان وتلك البلاد، فأصيب مِن أصحابه قومٌ بالطَّالقان فرثاهم ابن الغريزة.

أَخبرني الصوليّ عن الخزَنبل عن ابن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه قال:

بعث عُمر بن الخطَّاب الأقرع بن حابسٍ وأخاه على جيشٍ إلى الطَّالَقان وجوزَجان وتلك البلاد، فأُصيب من أصحابه قومٌ بالطَّالقان، فقال ابن الغريزة النهشليّ وقد شهد تلك الوقعة يرثيهم ويذكر ذلك اليوم:

سقى مُزنُ السَّحاب إذا استهلَّت ... مَصارع فِتيةٍ بالجوزجانِ
إلى القَصرَين من رُستاق خُوطٍ ... أبادهُمُ هناك الأقرعانِ
وما بي أَن أَكون جَزِعْتُ إلَّا ... حنينَ القلب للبرقِ اليماني
ومَحبورٍ برُؤيتنا يُرَجّي الـ ... ـلقاء ولن أَراه ولن يراني
ورُبَّ أخٍ أصاب الموت قبلي ... بَكَيتُ ولو نُعِيتُ له بَكاني
دعاني دعوةً والخيل تَردي[1] ... فما أدري أبِاسمي أم كَنَاني
فكان إجابَتي إيَّاه أنّي ... عطفتُ عليه خَوَّار العنانِ
وأيَّ فتًى دَعوتَ وقد تولَّت ... بهنّ الخيلُ ذاتُ العنظوانِ[2]
وأيَّ فتًى إذا ما مُتُّ تدعو ... يُطَرّف عنك غاشية السِّنانِ
فإن أَهلِك فلم أَكُ ذا صُدوفٍ[3] ... عن الأقران في الحرب العَوانِ
ولم أُدلِج لِأطرُق عِرسَ[4] جاري ... ولم أجعل على قَومي لساني

(١) تردي: ترجم الأرض (تحفرها) بحوافرها، وهو نوع من السير بين العدو والمشي.
(٢) العنظوان: البذيء الفحّاش. (٣) صُدوف: إعراض.
(٤) عرس: زوجة.

ولـكـنّـي إذا مـا هـايَـجـونـي ... مَـنـيـعُ الـجـارِ مُـرتـفـعُ الـبـنـانِ
ويَـكـرَهُـنـي إذا استـبـسـلـتُ قِـرنـي ... وأَقـضـي واحـداً مـا قـد قـضـانـي
فـلا تَـسـتـبـعـدا يـومـي فـإنـي ... سـأوشِـك مَـرَّةً أَن تَـفـقـدانـي
ويـدركـنـي الـذي لا بُـدَّ مـنـه ... وإن أشـفـقْـتُ مـن خـوف الـجـنـانِ
وتَـبـكـيـنـي نـوائـحُ مُـعـوِلاتٌ ... تُـرِكْـنَ بـدار مُـعـتـرَكِ الـزّمـانِ
حَـبـائـسُ بـالـعـراق مُـنَـهـنِـهـاتٌ[1] ... سَـواجـي[2] الـطَّـرف كـالـبـقـر الـهِـجـانِ
أَعـاذلَـتـيَّ مِـن لَـومِ دعـانـي ... ولـلـرَّشَـد الـمُـبَـيَّـن فـاهـديـانـي
وعـاذلـتـيَّ صَـوتُـكـمـا قـريـبٌ ... ونَـفـعُـكُـمـا بـعـيـدُ الـحـيـر وانـي
فـرُدّا الـمـوت عـنّـي إن أتـانـي ... ولا وأبـيـكـمـا لا تَـنـفـعـلانِ

[الوافر]

* * *

صـوت

دارٌ لـقـاتـلـة الـغـرانـق[3] مـا بـهـا ... غـيـر الـوحـوش خـلـت لـه وخـلَا لَـهَـا
ظـلَّـت تُـسـائـل بـالـمُـتـيَّـم مـا بـه ... وهـي الـتـي فـعـلـت بـه أفـعـالَـهَـا

[الكامل]

الشعرُ لأعشى بني تغلِبَ من قصيدة يمدح بها مَسلمة بن عبد الملك ويهجو جريراً ويُعين الأخطل عليه. ويروى «ربَعٌ لقانصة الغرانق» وهو الصحيح هكذا، ويُغنَّى «دارٌ لقاتلة» لأنه يقول في آخر البيت «خلَت له وخلا لها»، والغناء لعبد اللَّه بن العباس ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو بن بانة وابن المكيّ. وفيه لمخارقٍ رملٌ من جميع أغانيه.

* * *

(١) منهنهات: مكفكفات.
(٢) سواجي الطّرف: ساكنات العيون.
(٣) الغرانق: مفردها غرنوق وغرنيق وهو الشاب الدَّمِث الناعم.

أخبار أعشى بني تغلب ونسبه

كان نصرانيًا:

قال أَبو عمرو الشيباني: اسمه ربيعة. وقال ابن حبيب: اسمه النُّعمان بن يحيى بن معاوية، أَحد بني معاوية بن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هِنبِ بن أفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أَسد بن ربيعةَ بن نِزارٍ، شاعرٌ من شعراء الدولة الأموية، وساكني الشام إذا حضر، وإذا بدا نزل في بلاد قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة. وكان نصرانيّاً، وعلى ذلك مات.

قصته مع الحر بن يوسف:

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السُّكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال:

كان أعشى بني تغلب يُنادم الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكَم. فشربا يوماً في بستان له بالموصل، فسكر الأعشى فنام في البستان. ودَعا الحرُّ بجواريه فدخلن عليه قُبته. واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القُبة، فمانعه الخدم، ودافعهم حتى كاد أن يهجم على الحُرّ مع جواريه، فلطمه خَصِيٌّ منهم؛ فخرج إلى قومه فقال لهم: لطمني الحُرُّ. فوثب معه رجل من بني تغلبَ يقال له ابن أَدعج وهو شهاب بن هَمَّام بن ثعلبة بن أبي سعد، فاقتحما الحائط وهجما على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجعا. فقال الأعشى:

كـأنـي وابـن أدعـجَ إذ دخـلـنـا ... عـلـى قُـرشَـيِّـكَ الـورَع[1] الـجـبـانِ
هِـزَبْـرَا[2] غـابـةٍ وقـصـا[3] حـمـاراً ... فـظـلَّا حـولـه يـتـنـاهـشـانِ
أنـا الـجُـشـميُّ مـن جُـشَـم بـن بـكـرٍ ... عـشـيَّـة رُعـت طـرفَـك بـالـبـنـانِ

[الوافر]

(١) الورع: الجبان.
(٢) الهِزبْر: الأسد، جمعها هزابر.
(٣) وقَصَ: كسر ودقَّ.

أي لطمتُك. وقوله: («أنا الجشمي» أي مثلي يفعل ذلك بمثلك ـ

فما يسطيع ذو مُلك عقابي إذا اجترمتْ يدي وجَنى لساني
عَشيَّة غاب عنك بنو هشام وعثمانُ استُها وبنو أَبان
تروحُ إلى منازلها قُريشٌ وأنتَ مُخيّمٌ بالزّرّقان

[الوافر]

والزّرّقانُ: قريةٌ كانت للحرّ بسنجار.

مدح مدركاً الكناني فأساء ثوابه فهجاه:

قال ابن حبيب: مدح أعشى بني تغلب مُدرك بن عبد اللَّه الكناني أحد بني أُقيشر بن جَذيمة بن كعب فأساء ثوابه؛ فقال الأعشى:

لعمرك إني يوم أمدح مُدركاً لكالمُبتني حوضاً على غير منهلِ
أمرّ الهوى دُوني وفيَّل[1] مِدحتي ولو لكريمٍ قُلتُها لم تُفيَّلِ

[الطويل]

قال ابن حبيب: كان شمعلة بن عامر بن عمرو بن بكر أخو بني فائدٍ وهم رهطُ الفرس نصرانيّاً وكان ظريفاً، فدخل على بعض خُلفاء بني أُميَّة، فقال: أَسلِم يا شمعلة. قال: لا واللَّه أُسلم كارهاً أبداً، ولا أُسلم إلا طائعاً إذا شئتُ. فغضب فأمر به فقُطعت بضعةٌ من فخذه وشُويتْ بالنار وأُطعمها. فقال أعشى بني تغلب في ذلك:

أمِن حُذَّةٍ[2] بالفخذ منك تباشرت عُداك فلا عارٌ عليك ولا وزرُ
وإن أمير المؤمنين وجرَحه لكَالدّهر لا عارٌ بما فعل الدهرُ

[الطويل]

وقال ابن حبيبَ قال أبو عمرو:

كان الوليد بن عبد الملك محسناً إلى أعشى بني تغلب، فلما ولي عمرُ بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه ومدحه فلم يُعطه شيئاً، وقال: ما أرى للشعراء في بيت المال حقّاً، ولو كان لهم فيه حق لَمَا كان لك؛ لأنك امرؤٌ نصراني، فانصرف الأعشى وهو يقول:

لَعَمري لقد عاش الوليد حياته إمام هُدًى لا مُستزاد ولا نزرُ

---

(١) فيَّل: خطَّأ.
(٢) الحُذَّة: القطعة الصغيرة من اللَّحم.

كـأنّ بـنـي مـروان بـعـد وفـاتـه جـلامـيـدُ لا تَـنْـدى وإن بـلَّـهـا الـقـطـرُ
[الطويل]

وقال ابن حبيب عن أَبي عمرو: كانت بين بني شيبان وبين تغلب حروبٌ، فعاون مالكُ بن مسمع بني شيبان في بعضها ثم قعد عنهم. فقال أعشى بني تغلبَ في ذلك:

بـنِـي أُمّـنـا مَـهـلاً فـإن نـفـوسـنـا تُـمـيـتُ عـلـيـكـم عـتـبـهـا ومِـظـالـهـا
وتَـرعـى بـلا جـهـلٍ قـرابـة بـيـنـنـا وبـيـنِـكُـمُ لـمَّـا قـطـعـتـم وصـالَـهـا
جـزى الـلَّـه شـيـبـانـاً وتـيـمـاً مـلامـةً جـزاءَ الـمُـسـيء سـعـيـهـا وفـعـالَـهـا
أبـا مِـسـمـع مـن تُـنـكـر الـحـق نـفـسُـه وتـعـجـز عـن الـمـعـروف يـعـرفْ ضـلالَـهـا
أأوقـدتَ نـار الـحـرب حـتـى إذا بـدا لـنـفـسـك مـا تـجـنـي الـحـروب فـهـالَـهـا
نـزعـتَ وقـد جـردتـهـا ذات مـنـظـرٍ قـبـيـح مُـهـيـنٍ حـيـث ألـقـت حـلالَـهـا
ألـسـنـا إذا مـا الـحـربُ شـبَّ سـعـيـرُهـا وكـان صـفـيـح[1] الـمـشـرفـي صـلَالَـهـا[2]
أجـارتُـنـا حـلٌّ لـكـم أن تـنـالـوا مـحـارمـهـا وأن تَـمـيـزوا حـلالَـهـا
كـذبـتـم يـمـيـنُ الـلَّـه حـتـى تـعـاوروا[3] صُـدور الـعـوالـي بـيـنـنـا ونـصـالَـهـا[4]
وحـتـى تـرى عـيـنُ الـذي كـان شـامـتـاً مـزَاحـف[5] عـقـرى بـيـنـنـا ومـجـالَـهـا
[الطويل]

* * *

صـوت

ويـفـرح بـالـمـولـود مـن آل بـرمـكٍ بُـغـاة الـنَّـدى والـرمـح والـسـيـف والـنَّـصـلِ
وتـنـبـسـطُ الآمـالُ فـيـه لـفَـضـلـه ولا سـيَّـمـا إن كـان مـن ولـد الـفـضـلِ
[الطويل]

الشعر لأبي النضير. والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أولُ بالبنصر عن عمرو بن بانةَ من مجموع إسحاق. وقال حبشٌ: فيه لإبراهيم الموصلي ثقيلٌ آخر بالوسطى. ولقضيبَ وبراقشَ جاريتي يحيى بن خالد فيه لحنان.

(١) صفيح: السيف العريض.
(٢) الصَّلال: مفردها صَلالة، وهي بطانة الخُف.
(٣) تعاوروا: تداولوا.
(٤) النِّصال: مفردها نصل، وهو حديدة السيف الذي ليس له مقبض.
(٥) المزاحف: مفردها مزحف وهو مكان الزحف.

أخبار أبي النضير ونسبه

أبو النضير اسمه عُمرُ بن عبد الملك، بَصرِيٌّ، مولًى لبني جُمَحَ.

أَخبرنا بذلك عمي عن ابن مهرويه عن إسحاق بن محمد النَّخَعيّ عن إسحاق بن خلفٍ الشاعر قال: قلت لأبي النضير بن أبي الياس: لمن أَنت؟ فقال: لبني جُمَح. وذكر أَبو يحيى اللَّاحقيُّ أَن اسمه الفضل بن عبد الملك. شاعرٌ من شعراء البصريين، صالحُ المذهب، ليس من المعدودين المتقدّمين ولا من المولَّدين الساقطين. وكان يغنّي بالبصرة على جَوارٍ له مولَّدات، ويُظهر الخلاعة والمُجون والفِسق، ويعاشر جماعةً ممن يُعرَف بذلك الشأن. وكان أبانُ اللَّاحقيُّ يعاشره ثم تصارَما، وهجاه وهجا جواريه وافترقا على قِلىً، ثم انقطع أبو النضير إلى البرامكة فأغنَوه إلى أَن مات.

قال إسحاق الموصلي إنه أظرف الناس:

أَخبرنا ابن أَبي الأزهر عن حمَّاد بن إسحاق قال سمعت أَبي يقول: لو قيل لي مَن أظرف مَن رأيته قطُّ أو عاشرته، لقلتُ: أَبو النضير.

أَخبرني عيسى الورّاق عن الفضل اليزيدي عن إسحاق، وأَخبرني محمد بن مَزيَدٍ عن حمَّاد عن أَبيه قال:

وُلِد للفضل بن يحيى مولودٌ، فوفَد عليه أَبو النضير ولم يكن عرف الخبر فيُعِدَّ له تهنئةً، فلمَّا مثل بين يديه ورأى الناس يهنِّئونه نَثراً ونَظماً قال ارتجالاً:

ويَفرَحُ بالمولود من آلِ بَرْمَكٍ ... بُغاةُ النَّدى والسيف والرُّمح والنَّصلِ

وتَنبسطُ الآمالُ فيه لفضله ... ولا سيما إن كان من وَلَد الفضلِ

[الطويل]

فاستحسن الناس بديهة الفضل في هذا، وأمر لأبي النضير بصلةٍ.

وأَخبرني حبيبُ بن نَصرٍ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدثني بعض المَوالي قال:

حضرتُ الفضلَ بنَ يحيى وقد قال لأبي النضير: يا أَبا النضير أَنت القائلُ فينا:

إذا كـنـتُ مـن بـغـداد فـي رأس فَـرسـخٍ وجـدتُ نـسـيـم الـجـود مِـن آل بَـرمَـكِ
[الطويل]

لقد ضيَّقتَ علينا جدّاً. قال: أفَلأجل ذلك أيها الأمير ضاقت عليَّ صِلَتُك وضاقت عنّي مكافأتُك وأنا الذي أقول:

تـشـاغـل الـنـاسُ بـبـنـيـانـهـم والـفـضـل فـي بُـنـيـانـه جـاهـدُ
كـلُّ ذوي الـفـضـل وأهـل الـنُّـهـى لـلـفـضـل فـي تـدبـيـره حـامـدُ
[السريع]

وعلى ذلك فما قلت البيت الأول كما بلغ الأمير، وإنما قلتُ:

إذا كـنـت مـن بـغـداد مُـنـقـطـع الـثّـرى وجـدت نـسـيـم الـجـود مـن آل بـرمـكِ
[الطويل]

فقال الفضل: إنَّما أخَّرتُ عنك لأمازحك، وأمر له بثلاثين ألف درهمٍ.

أَخبرني ابن عمَّارٍ عن أَبي إسحاق الطَّلحيّ عن أَبي سُهَيل قال:

كان أَبو النضير يَهوى عِنان جارية النَّاطفيّ، وكتب إليها:

إنَّ لـي حـاجـةً فـرأيـكِ فـيـهـا لـكِ نـفـسـي الـفِـدا مِـنَ الأوصـابِ[1]
وهـي لـيـسـتْ مـمـا يـبـلِّـغُـه غـيـ ـري ولا أسـتـطـيـعُـه بـكـتـابِ
غـيـرَ أنّـي أقـولُـهـا حـيـن ألـقـا كِ روَيـداً أُسِـرُّهـا مـن ثِـيـابـي
[الخفيف]

فأجابته وقالت:

أَنـا مـشـغـولـةٌ بـمـن لـسـتُ أَهـوا هُ وقـلـبـي مِـن دونـه فـي حِـجـابِ
فـإذا مـا أردتَ أَمـراً فـأسـرِرْ هُ ولا تـجـعـلـنَّـه فـي كـتـابِ
[الخفيف]

قال: وقال أَبو النضير فيها:

شعر له في عنان:

صـوت

أنـا والـلَّـه أهـواكِ وأهـواكِ وأهـواكِ

(١) الأوصاب: مفردها وصب وهو المرض.

وأهـــوى قُـــبـــلـــةً مِـــنـــكِ عـــلـــى بَـــردِ ثَـــنـــايـــاك
وأهـــوى لـــك مـــا أهـــوى لـــنـــفـــسـي وكـــفـــى ذاك
فـــهـــل يـــنـــفَـــعُـــنـــي ذلـــ ـك يـــومـــاً حـــيـــن ألـــقـــاك
أنـــا والـــلَّـــه أهـــواك ومـــا يـــشـــعُـــر مـــولاك
فـــإيَّـــاك بـــأن يَـــعـــلَـــ ـمَ إيّـــاكِ وإيَّـــاك

[الهزج]

فيه لعليّ بن المارقيّ رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ.

حدثنا ابن عمَّار عن الطَّلحيّ عن أَبي سُهَيلٍ قال:

كان أَبو النضير يغنّي غناءً صالحاً، فغنّى ذات يوم صوتاً كان استفاده ببغداد. فقالت له قَينةٌ كانت ببغداد يقال لها مكتومةُ: إطرَح عليَّ هذا الصوت يا أَبا النضير. فقال: لا تطيبُ نفسي به مُحابياً، ولكنّي أَبيعك إيَّاه. قالت: بكَمْ؟ قال: برأْس ماله. قالت: وما رأسُ ماله؟ قال: ناكني فيه الذي أخذتُه منه. فغطَّت وجهها وقالت: عليك وعلى هذا الصوت الدمارُ.

أَخبرني ابن عمَّار عن الطَّلحيّ عن أَبي سُهَيل قال.

قال أَبو النضير، وفيه غناءٌ لإِبراهيم:

صـــوت

أيَـــصـــحـــو فـــؤادكَ أم يَـــطـــرَبُ وكـــيـــف وقـــد شـحَـطـت[1] زيـــنـــبُ
جـــرى الـــنـــاسُ قـــبـــل أَبـــي جـــعـــفـــرٍ زمـــانـــاً فـــلـــم يُـــدرَ مَـــن غَـــلَّـــبُـــوا
فـــلـــمَّـــا جـــرى بـــأبـــي جـــعـــفـــر بـــنـــو تـــغـــلـــبٍ ســـبـــقـــتْ تَـــغـــلـــبُ

[المتقارب]

قال أَبو سُهَيل: وأَبو جعفرٍ الذي عناه أَبو النضير هو عبد اللَّه بن هشام بن عمرو التَّغلبيّ الذي يذكره العتَّابيّ في شعره ورسائله، وكان جواداً سخيّاً. وكان ابن هشامٍ وَلِيَ السِّند، وفيه يقول أَبو النضير:

ألَا أيّـهـا الـغـيـثُ الـذي سـحّ وبَـلُـه كـأنّـك تـحـكـي راحـةَ ابـن هِـشـامِ
كـأنّـك تـحـكـيـهـا ولـكـنّ جُـودَه يـدومُ وقـد تـأتـي بـغـيـر دوامِ

(١) شحطت: بَعُدت.

وفـيـك جَـهـامٌ[١] ربَّـمـا كـان مُـخـلِـفـاً وراحـتُـه تـغـدو بـغـيـر جَـهـام
[الطويل]

أخبرني ابن عمَّار عن الطلحيّ عن أبي سُهَيلٍ قال:

كان أَبو النضير يزعم أنّ الغناء على تقطيع العَروض، ويقول: هكذا كان الذين مضَوْا يقولون، وكان مستهزئاً بالغناء حتى تعاطى أن يغنّي، وكان إبراهيم الموصليّ يخالفه في ذلك ويقول: العَروضُ مُحدَثٌ، والغناء قبله بزمانٍ. فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه:

سَـكَـتُّ عـن الـغِـنـاء فـلا أُمـاري بـصـيـراً لا ولا غـيـر الـبـصـيـرِ
مـخـافـةَ أن أُجَـنّـن فـيـه نـفـسـي كـمـا قـد جُـنّ فـيـه أَبـو الـنـضـيـرِ
[الوافر]

أَخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه قال حدثني أَبو طلحة الخُزاعيّ عن اللَّاحقيّ قال:

كان جدّي أبانُ يشرَبُ مع إخوانٍ له على شاطىء دجلة بعد مُصارمته[٢] أَبا النضير، وكان القومُ أصدقاءَ له ولأبي النضير، فذكروه. فقال جدّي: إن حضر انصرفتُ، فأمسكوا. فقال جدّي فيه:

رُبَّ يـوم بـشـطِّ دجـلـةَ لَـذٍّ ولَـيـالٍ نـعِـمـتُ فـيـهـا لِـذاذِ
غَـيـبـةٌ لـم تَـطُـل عـلـيّ ومـاذا خـيـرُ قُـربِ الـمُـطَـرمِـذِ[٣] الـمـلَّاذِ
تـركَ الأشـربـاتِ لـيـس بـعـاطٍ لـرسـاطـونـهـا[٤] ولا الـرّاقـيـاذِ
وحـكـى الأحـمـق الـذي لـيـس يـدري أنَّ خـيـرَ الـشـراب هـذا الـلـذاذِ
ضـلَّ رأيٌ أَراه ذاك كـمـا ضـلّ غُـواةٌ لاذوا بـشـرّ مَـلاذِ
أنـت أعـمـى فـيـمـا ادَّعَـيـت كـمـا لـسـ ـتَ لِـصَـوغِ الألـحـان بـالأسـتـاذِ
كـان ذنـبـاً أتـوبُ مـنـه إلـى الـلَّـه اخـتـيـارك صـاحـبـاً واتّـخـاذي
إنّ لِـلَّـهِ صـومَ شـهـرَيـن شُـكـراً أن قـضـى مـنـك عـاجـلاً إنـقـاذي
لا لِـديـنٍ ولا لـدُنـيـا ولا يَـصـ ـلُـح فـي عـلـم مـا ادَّعـى بـنَـفـاذِ
[الخفيف]

---

(١) الجَهام: السحاب الذي لا ماء فيه.
(٢) مصارمته إياه: مقاطعته ومخاصمته.
(٣) المطرمِذ: الذي يخالف قوله عمله.
(٤) الرساطون: كلمة معرَّبة، والرساطون شراب يتخذ من الخمر والعسل.

حدثني ابن عمَّار عن الطَّلحيّ عن أبي سُهَيل قال:

كتب أَبو النضير إلى حمَّاد عَجرَدٍ يسأل عن حاله في الشراب وشُربه إيَّاه ومَن يعاشر عليه. فكتب إليه حمَّادٌ:

أَبـا الـنـضـيـر اسـمـع كـلامـي ولا ... تـجـعـل سـوى الإنـصـاف مـن بـالـكـا
سـألـتَ عـن حـالـي، ومـا حـالُ مَـن ... لـم يَـلـقَ إلَّا عـابـداً نـاسـكـا
يُـظـهـرُ لـي ذا فـمـتـى يـفـتـرص[1] ... شـيـئـاً تـجـدْه عـاديـاً فـاتـكـا[2]

[السريع]

يعني حُرَيث بن عمرو. وكان حمَّادٌ نزل عليه، وكان حُرَيثٌ هذا مشهوراً بالزّندقة، وكذلك حمَّادٌ هذا كان مشهوراً بها، فنزل عليه لذلك.

أَخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أَبي طلحة الخُزاعيّ عن أَبي يحيى اللَّاحقيّ قال:

كتب أبو النضير إلى عمي حَمدان بن أبان، وكان له صديقاً، يشكو إليه عمر بن يحيى الزيّاديّ وكان عربدَ عليه وشتمه:

أَقـرِ حَـمـدانَ سـلامَ الـلَّـه مِـن فـضـلٍ وقُـلْ لَـهْ
يـا فـتًـى لـسـتُ بـحـمـد الـلَّـه أَخـشـى أَن أَمَـلَّـهْ
ذاك أنّ الـلَّـه قـد أنـ ... ـهـلـه الـظَّـرفَ وعـلَّـهْ
وذُرا بـيـت رَقـاشٍ ... وعُـلاهـا قـد أحَـلَّـهْ
إنّ شَـتـمَ الـسِّـفـلـة الـكَـشـ ... ـخان[3] ذي الـقـرنـيـن ضَـلَّـهْ
ولـوَ انّ الـقـلـبَ هـاجـى ... عُـمـراً يـومـاً لَـغَـلَّـهْ
ذاك أنَّ الـلَّـه قـد أخـ ... ـزى ابـن يـحـيـى وأذَلَّـهْ
مَـن يُـهـاجـي رجُـلا يَـ ... ـتـوعِـبُ الـجُـردان كُـلَّـهْ
مـا يـسـيـلُ الأيـرُ إلَّا ... أدخـلَ الأيـرَ وبَـلَّـهْ
وإذا عـايـنَ أَيـراً ... وافـيّ الـفَـيـشـة غَـلَّـهْ
هـذه قـصَّـةُ مَـن قـد ... جـعـل الـمُـردان شُـغـلَـهْ

[مجزوء الرمل]

(١) يفترص: يغتنم وينتهز الفرصة. (٢) الفاتِك: الجريء الشجاع، جمعها فُتَّاك.
(٣) الكشخان: الدّيوث الذي لا يغار على أهله وعِرضه.

أنشد الفضل بن الربيع شعراً في امرأة تزوجها وطلقها:

حدثني عمي عن أَبي العيناء عن أبي النضير قال:

دخلتُ على الفضل بن الربيع فقال: هل أحدثتَ بَعدي شيئاً؟ قلتُ: نعم، قلتُ أبياتاً في امرأةٍ تزوَّجتُها وطلَّقتها لغير علَّةٍ إلَّا بُغضي لها، وإنها لبيضاءُ بَضَّةٌ، كأنَّها سبيكة فضَّةٍ. فقال لي: وما قلتَ فيها؟ فقلت قلتُ:

رحلتْ سُكَينةُ بالطَّلاقِ ... فأَرَحتُ[1] من غُلّ الوَثاقِ
رحلتْ فلم تَألم لها ... نفسي ولم تَدمع مَآقي
لو لم تبِنْ بطلاقها ... لأبنتُ نفسي بالإِباقِ[2]
وشِفاء ما لا تَشتهيـ ... ـه النَّفس تعجيل الفراقِ

[مجزوء الكامل]

فقال: يا غلام، الدَّواةَ والقِرطاس، فأُتيَ بهما، فأمرني فكتبتُ له الأبياتَ، ثم قلت له: أنت واللَّه تبغضُ بنتَ أَبي العباس الطُّوسيّ. فقال: اسكُتْ أخزاك اللَّه! ثم ما لبِث أن طلَّقها.

صـوت

ما بالُ عَينِكَ جائلاً أقذاؤها[3] ... شَرِقتْ بعَبرتها وطال بُكاؤها
ذكرتْ عشيرتَها وفرقةَ بَينِها ... فطوتْ لذلك غلَّةً[4] أحشاؤها

[الكامل]

الشعر لعبد اللَّه بن عمرَ العَبليّ. والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد، رملٌ مطلقٌ في مجرى الوُسطى عن ابن المكيّ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنسُبْه إلى أحدٍ، وقيل: إنه من منحول يحيى إلى أَبي سعيد.

* * *

(١) أرحتُ: أَشعرتُ بالراحة.
(٢) الإباق: الاستخفاء ثمَّ الذهاب مفردها آبق وأبوق.
(٣) الأقذاء: مفردها القذى وهو ما يقع في العين.
(٤) الغلَّة: شدة العطش.

أخبار العبليّ ونسبه

اسمه عبد اللَّه بن عمر بن عبد اللَّه بن علي بن عَدِيّ بن ربيعةَ بن عبد العُزَّى بن عبد شمس بن عبد مَنافٍ، ويُكنى أَبا عدِيٍّ، شاعرٌ مُجيدٌ من شعراء قُريش، ومن مُخضرَمي الدولتين، وله أخبارٌ مع بني أُمية وبني هاشم تُذكَرُ في غير هذا الموضع. ويقال له عبد اللَّه بن عمر العبلي، وليس منهم؛ لأن العَبَلات من ولَد أُميَّة الأصغر بن عبد شمسٍ. سُموا بذلك لأن أُمهم عبلة بنتُ عُبيد بن حارك بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، وهؤلاء يقال لهم براجمُ بني تميم، ولدت لعبد شمس بن عبد مَناف أميَّة الأصغر، وعبد أُمَية ونوفلاً، وأمه من بنَي عبد شمس، فهؤلاء يقال لهم العَبلاتُ، ولهم جميعاً عَقِبٌ. أما أُميَّة الأصغر فإنهم بالحجاز، وهم بنو الحارث بن أُمية، منهم علي بن عبد اللَّه بن الحارث، ومنهم الثُّريا صاحبة ابن أَبي ربيعة. وأما بنو نوفل وعبد أُمية فإنهم بالشام كثيرٌ. وعبد العُزّى بن عبد شمس كان يقال له أسدُ البطحاء. وإنما أدخلهم الناسُ في العَبَلات لمَّا صار الأمرُ لبني أُمَيّة الأكبر وسادوا وعظم شأنُهم في الجاهلية والإسلام وكثُر أشرافهم، فجعل سائر بني عبد شمسٍ مَن لا يعلم قبيلةً واحدةً، فسمَّوهم أمَية الصُّغرى، ثم قيل لهم العَبلات لشُهرة الاسم.

وعلي بن عَدِيٍّ جدُّ هذا الشاعر شهد مع عائشة يوم الجمل. وله يقول شاعر بني ضبَّة لعنةُ اللَّه عليه.

يا ربِّ اكبُب بعليٍّ جَمَلَهْ ولا تُبارك في بعيرٍ حَمَلَهْ
إلا عليَّ بن عَدِيٍّ ليس له

[الرجز]

فأمَّا عبد اللَّه بن عمر هذا الشاعر فكان في أَيام بني أُميَّة يميل إلى بني هاشم ويذم بني أميَّة، ولم يكن منهم إليه صُنعٌ جميلٌ، فسلِم بذلك في أيام بني العبَّاس، ثم خرج على المنصور في أيامه مع محمد بن عبد اللَّه بن الحسن.

أَخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مُصعب الزبيري قال:

العبلي عبدُ اللَّه بن عمر بن عبد اللَّه بن عليّ بن عَدِي بن ربيعة بن عبد العُزَّى بن عبد شمس، ويُكنى أبا عَدِيٍّ، وله أَخبار كثيرة مع بني هاشم وبني أُميَّة. وقسم هشام بن عبد الملك أموالاً وأجاز بجوائز، فلم يُعطه شيئاً. فقال:

خَسَّ حظِّي أن كنتُ من عبد شمسٍ ... ليتني كنت من بني مخزومِ
فأفوزَ الغداةَ منهم بسهمٍ ... وأبيع الأبَ الشّريفَ بِلُومِ
[الخفيف]

فلما استُخلف المنصور كتب إلى السَّري بن عبد اللَّه أن يُوجّه به إليه ففعل. فلما قدم عليه قال له: أنشدني ما قلتَ في قومك، فاستعفاه. فقال: لا أعفيك. فقال: أَعطني الأمان فأعطاه، فأنشده:

ما بال عينك جائلاً أقذاؤها ... شَرقت بعبرتِها فطال بُكاؤها
[الكامل]

حتى انتهى إلى قوله:

فبنو أمَيَّة خير مَن وطِىءَ الحصى ... شَرَفاً وأفضل ساسةٍ أمراؤها
[الكامل]

فقال له: اخرُج عني لا قرّب اللَّه دارك! فخرج حتى قدِم المدينةَ، فألفى محمد بن عبد اللَّه بن حسن قد خرج فبايعه.

أخبرني عمي عن الكرانيّ عن العَمريّ عن العتبيّ عن أبيه قال:

كان أبو عديٍّ الذي يقال له العبليّ مجفوّاً في أَيَّام بني مروان وكان منقطعاً إلى بني هاشم، فلمَّا أَفضتِ الدولة إليهم لم يُبقوا على أحدٍ من بني أُميَّة، وكان الأمر في قتلهم جدّاً إلَّا مَن هرَب وطار على وجهه. فخاف أبو عديٍّ أن يقع به مكروه في تلك الفَوْرة فتوارى؛ وأخذ داود بن عليٍّ حُرَمه وماله، فهرب حتى أتى أَبا العباس السفاح، فدخل عليه في غُمار الناس متنكراً وجلس حَجرةً حتى تقوّض القوم وتفرّقوا، وبقي أبو العباس مع خاصّته. فوثب إليه أبو عديّ فوقف بين يديه وقال:

ألا قُل للمنازل بالسِّتار ... سُقيت الغيث من دِمنٍ قِفارِ
فهل لك بعدنا عِلمٌ بسلمى ... وأَترابٍ لها شبهِ الصِّوارِ[1]
أوانسُ لا عوابسُ جافياتٌ[2] ... عن الخُلُق الجميل ولا عواري

(١) الصِّوار: القطيع من البقر.
(٢) جافيات: غليظات.

وفيهنّ ابنة القُصَويّ سلمى ... كَهَمّ النفس مُفعمةُ الإزارِ
تلوثُ خِمارَها بِأحَمَّ[١] جَعدٍ[٢] ... تضلُّ الفَاليات[٣] به المَداري
برهرهةٌ[٤] مُنعّمةٌ نمتها ... أبُوَّتها إلى الحسب النُّضارِ
فدَع ذِكر الشباب وعهد سلمى ... فما لك منهما غيرُ ادّكارِ
وأَهدِ لهاشمٍ غُرَرَ القوافي ... تنَخَّلُها[٥] بعلمٍ واختيارِ
لعمرُكَ إنَّني ولُزوم نَجدٍ ... ولا ألقى حِباء[٦] بني الخيارِ
لكالبادي لأبرَدَ مُستَهِلٍّ ... بحوباء[٧] كبطن العَير عارِ
سأرحل رِحلةً فيها اعتزامٌ ... وجِدٌّ في رَواحٍ وابتكارِ
إلى أهل الرسول غدت برَحلي ... عُذافِرة[٨] تَرامى بالصَّحاري
تَؤمُّ المعشَر الأبرار تبغي ... فكاكاً للنساء من الإسارِ
أيا أهلَ الرسولِ وصيدَ فِهرٍ ... وخير الواقفين على الجمارِ
أتُؤخذ نِسوتي ويُجازُ مالي ... وقد أمسكت بالحرَم الصَّواري
بنُصرة هاشمٍ شهَّرتُ نفسي ... بداري للعِدا وبغير داري
بقربَي هاشمٍ وبحقّ صِهرٍ ... لأحمدَ لفَّه طيبُ النِّجارِ[٩]
ومنزلُ هاشمٍ من عبد شمسٍ ... مكان الجيد[١٠] من عُليا الفَقارِ

[الوافر]

فقال له السفَّاح: مَن أنت؟ فانتسب له. فقال له: حقٌّ لعمري أعرفه قديماً ومَودَّةٌ لا أجحدها، وكتب له إلى داود بن عليّ بإطلاق مَن حبسه من أهله وردّ أمواله عليه وإكرامه، وأمر له بنفقة تُبَلّغه المدينة.

---

(١) الأحمّ: الأسوَد.
(٢) جَعد: خلاف السبط وهو الشعر الذي فيه التواء وتقبُّض.
(٣) الفاليات: اللواتي تقمن بتفلية الشَّعر.
(٤) برهرهة: الرقيقة الجلد كأن الماء يجري فيه من النعومة.
(٥) تنخَّلها: اصطفاها.
(٦) الحِباء: العطاء والهِبة.
(٧) حوباء: النفس، جمعها: حوباوات.
(٨) عُذافرة: العظيمة من الإبل.
(٩) النِّجار: مفردها نَجر، وهو الأصل والنسب.
(١٠) الجِيد: العُنُق.

أَخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمدانيّ قال حدثنا يحيى بن الحسن العَلويّ عن موسى بن عبد اللَّه بن موسى بن عبد اللَّه بن حسن قال حدثني أبي قال:

قال سعيد بن عُقبة الجُهَنيّ: إنِّي لعند عبد اللَّه بن الحسن إذ أتاه آتٍ فقال له: هذا رجل يدعوك، فخرجتُ فإذا أنا بأَبي عديّ الأمويّ الشاعر، فقال: أعلِم أبا محمد. فخرج إليه عبد اللَّه بن حسن وابناه وقد ظهرت المسوّدة[١] وهم خائفون، فأمر له عبد اللَّه بن حسن بأربعمائة دينار وابناه بينهما بأربعمائة دينار، وهند بنت أبي عبيدة أمُّهما بمائتي دينار، فخرج من عندهم بألف دينار.

وأَخبرني حرميّ عن الزبير، وأخبرني الأخفش عن المبرّد عن المغيرة بن محمد المهلَّبيّ عن الزبير عن سليمان بن عيَّاش السعديّ قال:

جاء عبد اللَّه بن عمر بن عبد اللَّه العبليّ إلى سُوَيقة وهو طريد بني العبَّاس، وذلك بعقِب أيَّام بني أُميَّة وابتداء خروج مُلكهم إلى بني العباس، فقصده عبد اللَّه والحسن ابنا الحسن بسوَيقة، فاستنشده عبد اللَّه شيئاً من شعره فأنشده. فقال له: أريد أن تُنشدني مما رثيت به قومك، فأنشده:

تقول أُمامةُ لمَّا رأتْ ... نُشوزي عن المضجع الأنفَسِ
وقِلَّة نومِي على مضجعي ... لدى هَجعةِ الأعيُن النُّعَّسِ
أبي ما عراكَ؟ فقلت الهمومُ ... عَرَونَ أباك فلا تُبلِسي[٢]
عَرَون أباكِ فحبَّسنَه ... من الذُّلّ في شرّ ما مَحبسِ
لِفَقد العشيرة إذ نالها ... سِهامٌ من الحدَث المُبئسِ
رَمتها المنونُ بلا نُصَّلٍ ... ولا طائشاتٍ[٣] ولا نكَّسِ[٤]
بأَسهُمِها الخالساتِ النفوسَ ... متى ما اقتضت مُهجةً تخلِسِ
فصرعاهُمُ في نواحي البِلا ... د تُلقى بأرضٍ ولم تُرمسِ[٥]
كريمٌ أُصيب وأثوابُه ... من العار والذَّام لم تَدنَسِ
وآخَرُ قد طار خوف الرَّدى ... وكان الهُمامَ فلم يُحسَسِ

(١) المسوِّدة: بنو العباس دعوا بهذا الاسم لأنهم اتخذوا السَّواد شعاراً لهم.
(٢) تُبلسي: تيأسي.
(٣) طائشات: السهام التي لا تصب الهدف.
(٤) نُكَّس: السهام التي تنكسر فيجعل أعلاها أسفلها.
(٥) ترمس: تدفن وتغطى بالتراب.

فكم غادروا من بَواكي العيو ن مَرضى ومن صِبية بُؤّسِ
إذا ما ذكرنَاهمُ لم تَنَمْ لحرّ الهموم ولم تجلسِ
يُرجِّعنَ مثل بُكاء الحما م في مأتمٍ قَلِقِ المجلسِ
فذاك الذي غالني فاعلمي ولا تسألينّي فتستنحسي[١]
وأشياء قد ضِفنَني بالبلاد ولست لهنّ بمستحلِسِ[٢]
أفاض المدامع قتلى كُدًى وقتلى بكُثوة لم تُرمَسِ
وقتلى بوَجٍّ وباللّاغبَتَيـ ـن[٣] من يَثرِبٍ خيرُ ما أنفُسِ
وبالزَّابيَين[٤] نفوسٌ ثوتْ وقتلى بنهر أبي فُطرُسِ
أُولئك قومٌ تداعتْ بهم نوائب من زمن مُتعِسِ
أذلَّت قِيادي لمن رامني وأَلزقتِ الرَّغم[٥] بالمعطَسِ[٦]
فما أنسَ لا أنسَ قتلاهمُ ولا عاش بعدهم مَن نَسي

[المتقارب]

قال: فلمَّا أتى عليها بكى محمد بن عبد اللَّه بن حسن. فقال له عمه الحسن بن حسن بن عليّ عليهم السلامُ: أتبكي على بني أُميَّة وأنت تُريد ببني العبَّاس ما تريد! فقال: واللَّه يا عمّ لقد كنَّا نقمنا على بني أُميَّة ما نقمنا، فما بنو العبَّاس إلا أَقلُّ خوفاً للَّه منهم، وإن الحُجَّة على بني العباس لأَوجب منها عليهم. ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارمُ وفواضلُ ليست لأبي جعفر.

فوثب حسن وقال: أعوذ باللَّه من شرّك، وبعث إلى أبي عَديّ بخمسين ديناراً، وأمر له عبد اللَّه بن حسن بمثلها، وأمر له كلُّ واحد من محمد وإبراهيم ابنيه بخمسين خمسين، وبعثت إليه أُمهما هندٌ بخمسين ديناراً، وكانت منفعته بها كثيرة. فقال أبو عَديٍّ في ذلك:

أقام ثَويُّ[٧] بيت أبي عَديٍّ بخير منازل الجيران جارا
تقوّض بيتُه وجلا[٨] طريداً فصادف خير دور الناس دارا

(١) تستنحسي: تتبعي بالاستخبار.
(٢) مُستَحلِس: الملازم للشيء.
(٣) اللَّابتان: الحرّتان اللّتان تكتنفان المدينة المنورة.
(٤) الزَّابيان: نهران أسفل الفرات، ويقال: الزَّابان.
(٥) الرَّغم: التراب.
(٦) المَعْطَس: الأنف.
(٧) الثويّ: الضّيف.
(٨) جلا: خرج من بلده.

وإنـــي إن نـــزلـــتُ بـــدار قـــومٍ ذكـــرتُـــهـــم ولـــم أذمُـــم جِـــوارا

[الوافر]

فقالت هند لعبد اللَّه وابنيها منه: أقسمتُ عليكم إلَّا أعطيتموه خمسين ديناراً أُخرى فقد أشركني معكم في المدح، فأعطوه خمسين ديناراً أخرى عن هند.

أَخبرني عيسى بن الحسين الورّاق عن أبي أيوب المدينيّ قال ذكر محمد بن موسى مولى أبي عقيل قال:

قدم أَبو عَدِيّ العبليُّ الطائفَ والياً من قبل محمد بن عبد اللَّه بن حسن أيام خروجه على أبي جعفر ومعه أعرابٌ من مُزَينة وجُهينة[١] وأسلمَ فأخذ الطائف وأتى محمد بن أبي بكر العُمري حتى بايع، وكان مع أَبي عَديّ أحد عشر رجلاً من ولد أَبي بكر الصِّديق، فقدمها بين أَذان الصبح والإقامة، فأقام بها ثلاثاً، ثم بلغه خروج الحسن بن معاوية من مكة، فاستخلف على الطائف عبد الملك بن أبي زُهير وخرج ليلتقي الحسن بالعرج، فركب الحسن البحر، ومضى أبو عدي هارباً على وجهه إلى اليمن. فذلك حين يقول:

هُـيِّـجـتَ لـلأجـزاع حـول عـرابِ واعـتـاد قـلـبـك عـائـد الأطـرابِ

وذكـرت عـهـد مـعـالـم بـلـوى الـثـرى هـيـهـات تـلـك مـعـالـم الأحـبـابِ

هـيـهـات تـلـك مـعـالـمٌ مـن ذاهـبٍ أمـسـى بـحـوضـى أَو بـحـقـل قـبـابِ

قـد حـلّ بـيـن أبـارقٍ[٢] مـا إنْ لـه فـيـهـا مـن اخـوانٍ ولا أَصـحـابِ

شـطَّـت نـواه عـن الألـيـف وسـاقـه لِـقُـرى يـمـانـيـة حـمـامُ كـتـابِ[٣]

يـا أُخـتَ آل أَبـي عـديّ أقـصـري وذري الـخِـضـاب فـمـا أَوان خـضـابِ[٤]

أتـخـضَّـبـيـن وقـد تـخـرّم[٥] غـالـبـاً دهـرٌ أَضـرّ بـهـا حـديـدُ الـنـابِ

والـحـرب تـعـرُك غـالـبـاً بـجـرانـهـا[٦] وتـعـضُّ وهـي حـديـدةُ الأنـيـابِ[٧]

أم كـيـف نـفـسـك تـسـتـلِـذُّ مـعـيـشـةً أو تـنـقِـعـيـن لـهـا أَلـذَّ شـرابِ

[الكامل]

---

(١) جُهينة ومُزينة: قبيلتان.

(٢) أبارق: مفردها أبرق وهو غلظ فيه طين وحجارة ورمل.

(٣) حمام كتاب: القضاء والقدر. (٤) الخضاب: ما يختضب به.

(٥) تخرَّم: استأصل واقتطع.

(٦) الجِران: جِران البعير، مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره جمعها جُرُن.

(٧) حديدة الأنياب: مسنونتها.

وذكر العبَّاس بن عيسى العقيلي عن هارون بن موسى الفروي عن سعيد بن عقبة الجُهني قال: حضرتُ عبد اللَّه بن عمر المكني أبا عدي الأُموي يُنشد عبد اللَّه بن حسن قولَه:

أفاض الدمامعَ قَتلى كُدًى وقَتلى بكُثوة لم تُرمَسِ
[المتقارب]

قال: فرأيت عبد اللَّه بن حسن وإن دموعه لتجري على خدِّه.

وقد أَخبرني محمد بن مزيد عن حمَّاد عن أَبيه عن الهيثم بن عَديٍّ عن أَبي سعيد مولى فائد قال:

لمَّا أَتانا قَتلُ عبد اللَّه بن عليّ مَن قتل من بني أُميَّة كنت أنا وفتًى من ولد عثمان وأَبو عديٍّ العبليُّ مُتوارين في موضع واحد، فلحقني من الجزع ما يلحق الرجل على عشيرته، ولحق صاحبيّ كما لحقني، فبكينا طويلاً، ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا، فقال كل واحد منَّا بعضها غير مُحصَّلٍ ما لكل واحدٍ منا فيها، قال: ثم أنشدنيها، فأخذتُها من فيه:

تقول أُمامةُ لمَّا رأت نُشوزي[1] عن المضجع الأنفسِ
[المتقارب]

أَخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا محمد بن زكريّا الغلابي عن ابن عائشة قال:

كان أَبو عديٍّ الأموي الشاعر يكره ما يجري عليه بنو أُميَّة من ذكر عليّ بن أبي طالب صلواتُ اللَّه عليه وسبِّه على المنابر، ويُظهر الإنكار لذلك، فشهد عليه قومٌ من بني أمية بمكة بذلك ونهوه عنه، فانتقل إلى المدينة وقال في ذلك:

شرّدوا بي عند امتداحي عليَّا ورأَوا ذاك فيَّ داءً دوِيَّا
فوربي لا أَبرحُ الدّهرَ حتى تُختَلى[2] مهجتي بحبي عليَّا
وبنيهِ لحبّ أَحمد إني كنت أَحببتُهم بحبي النَّبيَّا
حُبُّ دينٍ لا حُبُّ دنيا وشرُّ الـ ـحبِّ حُبٌّ يكون دُنياويَّا
صاغني اللَّه في الذُّؤابة منهم لا زنيماً[3] ولا سنيداً دعيَّا

(١) نشوزي: إستعصائي وبغضي. (٢) تُختلى: تقطع.
(٣) الزنيم: الدَّعي، المنسوب إلى غير والده.

عـدوِيّـاً خـالـي صـريـحـاً وجـدِّي عـبـدُ شـمـس وهـاشـمٌ أَبَـوَيّـا
فـسـواءٌ عـلـيّ لـسـتُ أُبـالـي عـبـشـمـيّـاً[1] دُعـيـتُ أم هـاشـمـيَّـا
[الخفيف]

أَخبرني عمي قال حدثنا الكرانيُّ قال حدثنا العُمري عن العتبي عن أَبيه قال:

وفدَ أَبو عديٍّ الأموي إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التي يقول فيها:

عـبـدُ شـمـسٍ أبـوك وهـو أَبـونـا لا نُـنـاديـك مـن مـكـان بـعـيـدِ
والـقـرابـاتُ بـيـنـنـا واشـجـاتٌ مُـحـكـمـات الـقـوى بـحـبـلٍ شـديـدِ
[الخفيف]

فأنشده إياها، وأَقام ببابه مدَّةً حتى حضر بابه وفود قُريش فدخل فيهم، وأَمر لهم بمال فضل فيه بني مخزوم أخواله، وأَعطى أَبا عدي عطيَّةً لم يرضها، فانصرف وقال:

خَسّ حظِّي أَن كـنـتُ مـن عـبـد شـمـسٍ لـيـتـنـي كـنـتُ مـن بـنـي مـخـزومِ
فـأفـوز الـغـداةَ فـيـهـم بـسـهـمٍ وأَبـيـعَ الأَبَ الـكـريـم بِـلُـومِ
[الخفيفَ]

غنّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر اللّذين أَولُهما:

عـبـدُشـمـس أَبـوك وهـو أَبـونـا

ابن جامع، ولحنُه ثاني ثقيل بإِطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وأوّل هذه القصيدة التي قالها في هشام:

لـيـلـتـي مـن كـنـودَ بـالـغـور عُـودي بـصـفـاء الـهـوى مِـن امّ أَسـيـدِ
مـا سـمـعـنـا ذاك الـهـوى ونـسـيـنـا عـهـده فـارجـعـي بـه ثـم زيـدي
قـد تـولّـى عـصـر الـشـبـاب فـقـيـداً رُبّ جـارٍ يَـبـيـن غـيـر فـقـيـدِ
خـلِـق[2] الـثَّـوب مـن شـبـابٍ ولـبـسٍ وجـديـدُ الـشـبـاب غـيـر جـديـدِ
فـاسْـرِ عـنـك الـهـمـوم حـيـن تـداعـت[3] بـعـلاةٍ مـثـل الـفـنـيـق[4] وَخُـودِ

(١) العبشميّ: المنسوب إلى عبد شمس.
(٢) خلِق الثوب: بَلِيَ.
(٣) تداعت: اجتمعت.
(٤) الفنيق: الفحل المكرم لا يؤذى ولا يُركب لكرامته على أهله.

عنتريسٍ[١] تُوفي الزِّمام بفعمٍ ... مثل جزع الإشاءة المجرودِ
وارم جَوز الفلا بها ثم سُمْها ... عَجرفيَّ[٢] النَّجاء بالتوخيدِ[٣]
وهِشاماً خليفة اللَّه فاعمِدْ ... واصرِمَنْ مِرَّةَ القويّ الجليدِ
تَلقَهُ مُحكَمَ القوى أريَحِيّا[٤] ... ذا قِرًى عاجلٍ وسَيبٍ عتيدِ
مَلِكاً يَشمَلُ الرعيَّةَ منه ... بأيادٍ ليست بذات خمودِ[٥]
أخضرُ الرَّبع والجنابُ خصيبٌ ... أَفيَح[٦] المُسترادِ للمستريدِ
ذكرتْ ناقتي البِطاحَ فحنَّتْ ... حين أن ورَّكتْ قبورَ ثمودِ
قلت بعضَ الحنين يا ناق سيري ... نحوَ بَرقٍ دعا لغيثٍ عميدِ
فأغذَّت[٧] في السّيرِ حتى أتتكم ... وهي قوداءُ[٨] في سَواهِمَ قُودِ
قد براها السُّرى إليك وسيري ... تحت حَرّ الظَّهيرة الصَّيخودِ[٩]
وطوى طائد[١٠] العَرائكِ[١١] منها ... غَولُ بيدٍ تجتابُها بعدَ بيدِ
وأتتكم حُدبَ الظهور وكانت ... مُسنَماتٍ[١٢] ممرَّها بالكديدِ
واطمأنَّت أرض الرُّصافة[١٣] بالخِصـ ... ـب ولم تُلقِ رَحلَها بالصَّعيدِ[١٤]
نزلتْ بامرىءٍ يرى الحمدَ غُنْماً ... باذلٍ مُبلفٍ مُفيدٍ مُعيدِ
بذل العدل في القِصاصِ فأضحى ... لا يخاف الضعيف ظُلمَ الشديدِ
من بني النَّضر من ذُرا مَنبتِ النَّضـ ... ـر بأورى زنَد وأكرمِ عودِ
فهو كالقلب في الجوانح منها ... واسطٌ سِرَّ جِذمها والعديدِ

(١) عنتريس: الناقة الصلبة الجواد الجريئة والمكتزة اللحم.
(٢) العجرفي: السريع.
(٣) التوخيد: الحثّ على الوخد وهو أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النّعام.
(٤) الأريحيّ: الواسع الخلق، المنبسط إلى المعروف.
(٥) خمود: النار التي سكن لهبها ولم يطفأ جمرها.
(٦) أفيح: واسع وهي فيحاء.
(٧) أغذَّت: أسرعت في السير ممَّا يقارب الهرولة.
(٨) قوداء: طويلة العنق منحنية الظهر.
(٩) الصَّيخود: الشديد الحرّ.
(١٠) طائد: نابت.
(١١) العرائك: مفردها عريكة وهي السَّنام.
(١٢) مسنَّمات: عظيمة السنَّام غليظته.
(١٣) الرُّصافة: كلّ منبت خصب وقد غلب الاسم على محلّة ببغداد.
(١٤) الصعيد: التراب.

بـيـن مَـروانَ والـولـيـد فـبَـخ بَـخْ ... لـلـكـريـم الـمـجـيـد غـيـر الـزَّهـيـدِ
لـو جـرى الـنـاسُ نـحـوَ غـايـة مـجـدٍ ... لِـرهـانٍ فـي الـمـحـفـل الـمـشـهـودِ
لَـعـلاهُـمْ بـسـابـغَـيـن مـن الـمـجـ ... ـد عـلـى الـنـاس طـارفٍ[1] وتـلـيـدِ[2]
إنّـكـم مَـعـشـرٌ أبـى الـلَّـهُ إلَّا ... أن تـفـوزوا بـدرِّهـا الـمـحـشـودِ
لـم يـرَ الـلَّـه مَـعـشـراً مـن بـنـي مَـر ... وان أولـى بـالـمُـلـك والـتـسـويـدِ
قـادةٌ سـادةٌ مـلـوكٌ بـحـارٌ ... وبَـهـالـيـل[3] لـلـقـروم[4] الـصِّـيـدِ
أريَـحِـيُّـون مـاجـدون خِـضَـمُّـو ... ن حُـمـاةٌ عـنـد اربـداد الـجُـلـودِ
يـقـطـعـون الـنـهـار بـالـرأي والـحَـز ... مِ ويُـحـيـون لـيـلَـهـم بـالـسُّـجـودِ
أهـلُ رِفـدٍ وسـؤدُدٍ وحـيـاء ... ووفـاءٍ بـالـوعـد والـمـوعـودِ
ويـرون الـجِـوار مـن حُـرَم الـلَّـ ... ـهِ فـمـا الـجـارُ فـيـهـمُ بـوحـيـدِ
لـو بـمـجـدٍ نـالَ الـخـلـودَ قـبـيـلٌ ... آل مـروانَ فُـزتُـمُ بـالـخـلـودِ
يـا ابـنَ خـيـر الأخـيـار مـن عـبـد شـمـسٍ ... يـا إمـام الـورى ورب الـجـنـودِ
عـبـدُ شـمـسٍ أبـوك وهـو أَبـونـا ... لا نـنـاديـك مـن مـكـانٍ بـعـيـدِ
ثـم جـدِّي الأدنـى وعَـمُّـك شـيـخـي ... وأَبـو شـيـخـك الـكـريـم الـجُـدودِ
فـالـقـرابـاتُ بـيـنـنـا واشـجـاتٌ ... مُـحـكـمـاتُ الـقُـوى بـحـبـلٍ شـديـدِ
فـأثـبـنـي ثـواب مـثـلـك مِـثـلـي ... تـلـقـنـي لـلـثَّـواب غـيـر جَـحـودِ
إن ذا الـجـدِّ مَـن حَـبـوت بِـوُدٍّ ... لـيـس مـن لا تـودّ بـالـمـجـدودِ
وبـحـسـبِ امـرىءٍ مـن الـخـيـر يُـرجـى ... كـونـه عـنـد ظـلِّـك الـمـمـدودِ

[الخفيف]

قصيدة له يندب فيها فرقة بني أمية :

وأَما قصيدته التي أولُها :

مـا بـالُ عـيـنـك جـائـلاً أَقـذاؤهـا

وهي التي فيها الغناء المذكور، فإنه قالها في دولة بني أمية عند

(١) الطارف: الحديث أو المستحدث من الأموال على أنواعها.
(٢) التليد: كل مال قديم كان أو ولد في بيتك من إبل وغنم وغير ذلك، من الأموال.
(٣) بهاليل: مفردها بهلول، وهو السيّد الجامع لكل خير.
(٤) القروم: جمع قرم وهو الرجل السيّد العظيم.

اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم، يندب بينهم، وفيها يقول:

واعتادها ذِكر العشيرة بالأسى ... فصباحُها نابٍ بها ومساؤها
شركوا العدا في أمرهم فتفاقمت ... منها الفتون وفُرِّقت أهواؤها
ظلَّتْ هناك وما يعاتبُ بعضها ... بعضاً فينفع ذا الرجاء رجاؤها
إلا بمرهَفةِ الظُّبات كأنها ... شُهُبٌ تقِلُّ ـ إذا هوت ـ أخطاؤها
وبعُسَّل زُرق يكون خضابُها ... علَقَ النُّحور إذا تفيضُ دماؤها
فبذاكمُ أمست تَعاتبُ بينها ... فلقد خَشيتُ بأن يُحمَّ فناؤها
ما ذا أُؤَمِّلُ إن أميّة ودّعتْ ... وبقاءُ سكان البلاد بقاؤها
أَهلُ الرِّياسة والسياسة والنَّدى ... وأُسودُ حربٍ لا يخيم لقاؤها
غيثُ البلاد هُمُ وهُم أمَراؤها ... سُرُجٌ يُضيء دُجى الظلام ضياؤها
فلئن أميَّة ودّعت وتتايعت ... لغواية حميت لها خُلفاؤها
لَيُوَدِّعن من البريّة عزُّها ... ومن البلاد جمالها ورجاؤها
ومن البَلِية أنْ بقيتَ خلافَهم ... فرداً تَهِيجُك دورُهم وخلاؤها
لهفي على حرب العشيرة بينها ... هَلَّا نَهى جُهَّالها حُلماؤها
هلَّا نُهِّى تنهى الغويّ عن التي ... يُخشى على سُلطانها غوغاؤها[1]
وتُقىً وأحلامٌ لها مُضَريّةٌ ... فيها إذا تدمى الكلومُ[2] دواؤها
لمَّا رأَيت الحربَ توقَدُ بينها ... ويشُبُّ نار وقودها إذكاؤها[3]
نوّهتُ بالملِك المُهيمن دعوةً ... ورواحُ نفسي في البلاءِ دُعاؤها
ليرُدّ ألفتَها ويجمع أَمرها ... بخيارها فخيارها رُحماؤها
فأجاب ربي في أميةَ دعوتي ... وحَمى أمية أَن يُهدّ بناؤها
وحَبَا أمية بالخلافة إنهم ... نورُ البلاد وزَينُها وبهاؤها
فبنو أمية خيرُ مَن وطئ الثّرى ... شرفاً وأفضلُ ساسةٍ أمَراؤها

[الكامل]

وهي قصيدة طويلة اقتصرتُ منها على ما ذكرتُه.

* * *

(١) الغوغاء: الكثير المختلط من الناس، أو السّفلة من الناس المسرعين إلى الشّر.
(٢) الكُلوم: الجِراح. (٣) إذكاؤها: إشعالها.

صـــوت

مـهـلاً ذَريـنـي فـإِنـي غـالَـنـي خُـلـقـي وقـد أَرى فـي بـلاد الـلَّـه مُـتَّـسـعـا
مـا عـضَّـنـي الـدهـرُ إلا زادنـي كـرمـاً ولا اسـتـكـنـتُ لـه إن خـان أو خـدعـا

[البسيط]

الشعر لأبي جِلدةَ اليشكُري من قصيدة يمدح بها مِسمع بن مالك بن مِسمع، والغناء لعَلُّويه رملٌ بالوسطى عن عمرو.

* * *

أخبار أبي جلدة ونسبه

أَبو جلدة بن عبيد بن مُنقذ بن حُجر بن عبيد اللَّه بن مسلمة بن حُبيِّب بن عَدِيِّ بن جُشَم بن غنْم بن حُبيِّب بن كعب بن يَشكُر بن بكر بن وائل، شاعرٌ إسلاميٌّ، من شُعراء الدّولة الأُموية، ومن ساكني الكوفة. وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجَّاج.

أَخبرني بخبره في جُملة ديوان شعره محمد بن العبَّاس اليزيديُّ وقرأته عليه قال حدثني عمي عبيد اللَّه قال حدثني محمدُ بن حبيب، وأَخبرني به علي بن سُليمان الأخفش أيضاً عن الحسن بن الحسن اليشكري عن ابن الأعرابي قال:

كان أَبو جلدة اليشكُري من أَخص الناس بالحجاج، حتى إنه بعثه وبعث معه عبد اللَّه بن شدّاد بن الهادي الليثي إلى عبد اللَّه بن جعفر بن أَبي طالب عليه السلام، فخطب الحجاج منه ابنته أُم كلثوم. ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث، وكان من أَشد الناس تحريضاً على الحجَّاج. فلما أُتي الحجَّاج برأسه ووُضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلاً ثم قال: كم مِن سرٍّ أودعتُه في هذا الرأس فلم يخرج حتى أُتيتُ به مقطوعاً. فلما كان يومُ الزّاوية خرج أَبو جلدة بين الصَّفين، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

فقل للحوَارِيَّات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلابُ النوابحُ
بكينَ إلينا خَشيةً أن تُبيحها ... رماحُ النَّصارى والسيوفُ الجوارحُ
بكينَ لكيما يمنعوهنّ منهمُ ... وتأبى قلوبٌ أضمرتْها الجوانحُ
ونادينا: أين الفرارُ وكنتمُ ... تغارون أن تبدو البُرى والوشائحُ
أأسلمتمونا للعَدوِّ على القنا ... إذا انتُزعت منها القرون النواطحُ
فما غار منكم غائرٌ لحليلةٍ ... ولا غربٌ عَزّت عليه المناكحُ

[الطويل]

قال: فلمَّا أنشدهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا فشدوا شدّةً تضعضع[1] لهم عسكرُ

(١) تضعضع: خضع وذلَّ وافتقر.

الحجَّاج، وثبت لهم الحجاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا، فكانت الدائرة له، فجعل يقتِّل الناسَ بقِيَّة يومه، حتى صاح به رجلٌ: واللَّه يا حجَّاج لئن كنَّا قد أسأنا في الذنب لَمَا أحسنت في العفو، ولقد خالفتَ اللَّه فينا وما أَطعتَه. فقال له: وكيف ويلك؟ قال: لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ[١] فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ[٢] فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ [محمد: ٤] وقد قتلتَ فأثخنتَ حتى تجاوزت الحدّ، فأسرْ ولا تقتُل، ثم قال: أَو أمْنُنْ. فقال: أَولى لك! أَلا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت! ثم نادى برفع السيف وأَمّن الناس جميعاً. قال ابن حبيب قال ابن الأعرابي: فبلغني أَن الحجَّاج قال يوماً لجلسائه ما حرّض علي أحدٌ كما حرّض أَبو جلدة؛ فإنه نزل على سَرحةٍ في وسط عسكر لابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه وسلَح فوقه والناس ينظرون إليه. فقالوا له: ما لَكَ ويلك أَجُننتَ! ما هذا الفعل! قال: كلُّكم قد فعلتم مثل هذا إلا أَنكم سترتموه وأظهرتُه: فشتموه وحملوا عليّ، فما أَنساهم وهو يقدُمهم ويرتجز:

نحن جلبنا الخيل من زرَنجا ... ما لَكَ يا حَجَّاج منَّا منجى
لتُبعَجنّ[٣] بالسيوف بعجا ... أو لتفِرّنّ فذاك أَحجى[٤]

[الرجز]

فواللَّه لقد كاد أَهل الشام يومئذٍ يتضعضعون لولا أَن اللَّه تعالى أَيّد بنصره.

قال: وقال أَبو جلدةَ يومئذٍ:

أيا لهفي ويا حُزني جميعاً ... وَيا غمَّ الفؤاد لِما لقِينا
تركنا الدِّين والدنيا جميعاً ... وخلَّينا الحلائل والبنينا
فما كنَّا أناساً أهل دينٍ ... فنصبرَ للبلاء إذا بُلينا
ولا كنَّا أُناساً أَهلَ دُنيا ... فنمنعها وإن لم نرجُ دينا
تركنا دُورنا لطغَامِ[٥] عَكٍّ[٦] ... وأنباطِ القُرى والأشعرينا

[الوافر]

قال ابن حبيب: وكان أَبو جلدة مع القعقاع بن سُويد المِنقَري بسجستانَ، فذمّ منه بعض ما عامله به، فقال فيه:

(١) أثخنتموهم: غلبتموهم وكثرتم فيهم الجِراح.
(٢) الوَثاق: ما يُشدُّ به.
(٣) تبعجنَّ: تشقنّ.
(٤) أحجى: أجدر وأحق.
(٥) الطغام: الأوغاد، مفردها طَغَم.
(٦) العَك: اسم لقبيلة.

ستعلم أن رأيك رأيُ سَوءٍ إذا ظِلُّ الإمارة عنك زالا
وراح بنو أَبيك ولستَ فيهم بذي ذكرٍ يزيدهم جمالا
هناك تَذكَّرُ الأسلافَ منهم إذا الليلُ القصيرُ عليك طالا

[الوافر]

فقال له القعقاع: ومتى يطول عليّ الليل القصير؟ قال: إذا نظرتَ إلى السماء مُربَّعة. فلما عُزل وحبس أَخرج رأسه ليلةً فنظر، فإذا هو لا يرى السماء إلا بقدر تربيع السجن، فقال: هذا واللَّه الذي حذرنيه أَبو جلدة.

قال: وولي مِسمع بن مالك سجستان، وكان مُكث أَبي جلدة بها، فخرج فتلقاه ومدحه بقصيدته التي أوَّلها:

بانت سُعادُ وأَمسى حبلُها انقطعا وَليت وصلاً لها من حبلِها رجعا
شطَّت بها غُربة زوراء[1] نازحةٌ فطارت النَّفسُ من وَجدٍ بها قِطعا
ما قرَّت العين إذا زالت فينفعها طعمُ الرُّقاد إذا ما هاجعٌ[2] هجعا
منعتُ نفسي من روحٍ تعيش به وقد أكونُ صحيحَ الصدر فانصدعا
غدت تلوم على ما فات عاذلتي وقبل لومك ما أغنيت مَن مَنعا
مهلاً ذَريني فإني غالني[3] خُلُقي وقد أَرى في بلاد اللَّه مُتَّسَعا
فخري تليدٌ وما أَنفقتُ أَخلفه سيبُ الإله وخيرُ المال ما نفعا
ما عضني الدهرُ إلا زادني كَرماً ولا استكنتُ له إن خان أو خدعا
ولا تَلينُ على العلَّات معجَمتي[4] في النائبات[5] إذا ما مسني طبَعا
ولا تُلَيِّن من عودي غمائزه[6] إذا المُغمَّز منها لان أو خضعا
ولا أُخاتلُ ربّ البيتِ غفلتَه ولا أَقول لشيءٍ فات ما صنعا
إني لأمدح أَقواماً ذوي حسبٍ لم يجعل اللَّه في أقوالهم قذعا[7]
ألطيِّبين على العِلَّات معجَمةً لو يُعصر المسكُ من أطرافهم نبعا
بني شهابٍ بها أَعني وإنهمُ لأكرمُ الناس أخلاقاً ومُصطنعا

[البسيط]

(١) زوراء: شديدة الميل.
(٢) الهاجع: النَّائم نومة خفيفة.
(٣) غالني: حبسني.
(٤) معجمتي: صلابتي وقوَّتي.
(٥) النائبات: المصائب.
(٦) غمائز: مفردها غميزة وهي العيب.
(٧) القَذَع: الفحش من الكلام.

قال: فوصله مِسمع بن مالك وحَمله وكساه وولّاه ناشيتكين وكان مكتبه. قال: ثم تُوفي مِسمع بن مالك بسجستان، فقال أَبو جِلدة يرثيه:

أَقـولُ لـلـنـفـس تـأسـاءً وتـعـزيـةً ... قـد كـان مـن مِـسـمـع فـي مـالـكٍ خـلـفُ
يـا مِـسـمـع الـخـيـر مـن نـدعـو إذا نـزلـتْ ... إحـدى الـنَّـوائـب بـالأقـوام واخـتـلـفـوا
يـا مِـسـمـعـاً لـعـراقٍ لا زعـيـم لـهـا ... بمنْ تُرى يُؤمن المُستشرفُ[1] النَّطفُ[2]
تـلـك الـعـيـون بـحـيـث الـمـصـر سـادمـة ... تـبـكـيـك إذ غـالـك الأكـفـان والـجُـرُفُ
قـد وسّـدوك يـمـيـنـاً غـيـر مـوسـدة ... وبـذل جـود لـمـا أودى بـك الـتـلـفُ
كـنـتَ الـشِّـهـابَ الـذي يُـرمـى الـعـدوّ بـه ... والـبـحـرَ مـنـه سِـجـالُ الـجُـود تـغـتـرفُ

[البسيط]

قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال:

كان أَبو جِلدة يُنادم[3] شقيقَ بن سَليط بن بُديل السَّدوسي أخا بسطام بن سليط، وكان لهما أَخٌ يقال له ثعلبة بن سَليط، وكان ثقيلاً بخيلاً مُبَغَّضاً، وكان يُطَفِّل عليهم ويُؤذيهم. فقال فيه أَبو جِلدةَ:

أُحِـبُّ عـلـى لَـذَاذتـنـا شـقـيـقـاً ... وأُبـغـضُ مـثـل ثَـعـلـبـةَ الـثَّـقـيـلُ
لـه غـمٌّ عـلـى الـجُـلـسـاء مُـؤذٍ ... نـوافِـلُـه إذا شـربـوا قـلـيـلُ

[الوافر]

فرّق مِسمع مالاً في عشيرته وجفا سائر بكر فقال هو شعراً فأكرمه وأرضاه:

قال ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ:

وفرّق مِسمع بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثَعلبة عطايا كثيرة وقرّبهم وجفا سائرَ بطون بكر بن وائلٍ. فقال أَبو جِلدة:

إذا نـلـتَ مـالاً قـلـتَ قـيـسٌ عـشـيـرتـي ... تـجـور عـلـيـنـا عـامـداً فـي قـضـائـكـا
وإن كـانـتِ الأخـرى فـبـكـرُ بـن وائـلٍ ... بـزَعـمـك يُـخـشـى داؤهـا بـدوائـكـا
هـنـالـك لا نـمـشـي الـضَّـراءَ إلـيـكـمُ ... بـنـي مِـسـمـع إنَّـا هـنـاك أَولـئـكـا
عـسـى دولـة الـذُّهـلـيـنِ يـومـاً ويـشـكـرٍ ... تـكُـرَّ عـلـيـنـا سَـبـغـةً مـن عـطـائـكـا

[الطويل]

---

(١) المستشرف: الظالم.
(٢) النَّطف: الذي يثير الشك.
(٣) يُنادم: يجالس على شرب الخمر.

قال: فبعث إليه مسمعٌ فترضَّاه ووصله وفرّق في سائر بطون بكر بن وائل على جِذمين، جذمٍ يقال له الذُّهلان، وجذمٍ يقال له اللّهازم. فالذُّهلان: بنو شيبان بن ثعلبة بن يَشكُر بن وائل، وبنو ضُبيعةً بن ربيعةَ. واللَّهازم: قيس بن ثعلبة، وتيمُ اللَّاتِ بن ثعلبة، وعِجلُ بن لُجيم، وعنزةُ بن أَسدِ بن ربيعة قال الفرزدق:

وأَرضى بحكم الحيِّ بكر بن وائلٍ إذا كان في الذُّهلين أو في اللَّهازم

[الطويل]

قال: وقد دخل بنو قيس بن عُكابةَ مع إخوتهم بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة وأما حَنيفة فلم تدخل في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وسط دار مُضَر، وكانوا لا ينصرون بكراً ولا يستنصرونهم. فلما جاء الإسلامُ ونزل الناس مع بني حَنيفة ومع بني عِجلِ بن لُجيم فتلهزَموا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازن بن جُديٍّ بن مالك بن صعبِ بن عليّ، فصاروا جميعاً في اللهازم. وقال موسى بن جابر الحَنفي السُّحيميُّ بعد ذلك في الإسلام:

وجدنا أبانا كان حلّ ببلدةٍ سُوًى بين قيسِ قيسِ عيلان والفِزرِ
فلمَّا نأتْ عنَّا العشيرةُ كلُّها أقمنا وحالفنا السيوفَ على الدهرِ
فما أسلمتنا بعدُ في يومِ وقعةٍ ولا نحن أَغمدنا السيوفَ على وتْرِ

[الطويل]

كان جاره سيف يشرب ويعربد عليه فهجاه:

وقال ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال:

كان لأبي جِلدةٍ بسجستان جارٌ يقال له سيفٌ من بني سعد، وكان يشرب الخمر ويُعربد على أَبي جِلدة، فقال يهجوه:

قُل لذوي سيفٍ وسيفٍ أَلستُمُ أقلَّ بني سعدٍ حصاداً ومزرعا
كأنكم جِعلانُ دارِ مُقامةٍ على عذِرات الحيّ أَصبحن وُقَّعا
لقد نال سيفٌ في سِجستان نُهزةً تطاول منها فوق ما كان إِصبعا
أَصابَ الزِّنا والخمر حتى لقد نَمت له سُرَّةٌ تُسقى الشَّرابَ المُشعشعا[1]
فلولا هوانُ الخمر ما ذُقتَ طعمها ولا سُقْتَ إبريقاً بكَفِّك مُترعا
كما لم يَذُقها أَن تكون عزيزةً أبوك ولم يُعرَض عليها فيطمعا

(١) المشعشع: المخلوط بالماء.

وكـان مـكـان الـكـلـب أَو مـن ورائـه إذا مـا الـمُـغـنّـي لِـلَّـذاذة أَسـمـعـا

[الطويل]

قال ابن حبيب: وكان أَبو جِلدة قد استعمله القَعقاع بن سُويد حين تولّى سِجستان على بُستَ والرُّخَّج، فأرجف الناسُ بالقعقاع وأَرجف به أَبو جِلدة معهم، وكتب القعقاع إليه يتهدده؛ فكتب إليه أَبو جِلدة:

يُـهـدِّدنـي الـقـعـقـاعُ فـي غـيـر كُـنـهـهِ فـقـلـتُ لـه: بـكـرٌ إذا رمُـتـنـي تُـرسـي
كـأنـا وإيـاكُـم إذا الـحـرب بـيـنـنـا أُسـودٌ عـلـيـهـا الـزّعـفـرانُ مـع الـورْسِ[1]
تُـرى كـمـصـابـيـح الـدّيـاجـي وُجـوهُـنـا إذا مـا لُـقـيـنـا والـهـرقـلـيَّـةِ[2] الـمُـلْـسِ
هـنـاك الـسُّـعـودُ الـسـانـحـاتُ جَـرتْ لـنـا وتـجـري لـكـم طـيـرُ الـبـوارحِ بـالـنَّـحـسِ[3]
ومـا أَنـت يـا قـعـقـاعُ إلا كـمـن مـضـى كـأنـك يـومـاً قـد نُـقِـلـتَ إلـى الـرّمـسِ[4]
أظـنّ بـغـالَ الـبُـرد تـسـري إلـيـكـم بـه غَـطـافـنـيّـاً وإلا فَـمـن عـبـسِ
وإلا فـبـالـبـسَّـال يـا لـك إن سَـرَت بـه غـيـر مـغـمـوز الـقـنـاة ولا نـكـسِ
فـعُـمـالُـنـا أَوفـى وخـيـرٌ بـقـيـةً وعُـمَّـالُـكـم أَهـلُ الـخِـيـانـة والـلَّـبـسِ
ومـا لـبـنـي عـمـرٍو عـلـيّ هـوادةٌ ولا لـلـرّبـابِ غـيـرُ تَـعـسٍ مـن الـتَّـعـسِ

[الطويل]

قال: فلمَّا انتهت هذه القصيدة إلى القعقاع وجّه برسولٍ إلى أَبي جِلدةَ، وقال: انظر، فإن كان كتب هذا الكتاب بالغداة فاعزِله، وإن كان كتبه بالليل فأقرره على عمله ولا تعزله ولا تضربه. وكان أَبو جلدة صاحب شرابٍ، فقال للرسول: واللَّه ما كتبته إلَّا بالعشيّ. فسأله البيِّنة على ذلك فأتاه بأقوامٍ شهدوا له بما قال، فأقرّه على عمله وانصرف عنه.

قال ابن حبيب: ومرّ أبو جلدة بقصرٍ من قصور بُستَ ينزله رجلٌ من الدَّهاقين، فرأى ابنته تُشرِف من أَعلى القصر، فأنشأ يقول:

إنَّ فـي الـقـصـر ذي الـخِـبـا بَـدرَ تِـمٍّ حـسـنَ الـدَّلِّ لـلـفـؤاد مـصـيـبَـا
وَلِـعـاً بـالـخَـلـوق[5] يَـأرَجُ مـنـه ريـحُ رنَـدٍ[6] إذا اسـتـقـلّ مـنـيـبَـا

(١) الورس: نبات أصفر اللون يستخدم لصبغ الثياب.
(٢) الهرقليَّة: الدنانير، وسميت بهذا نسبة إلى هِرَقل عظيم الروم.
(٣) النّحس: ضد السعد أو الضّر. (٤) الرَّمس: القبر.
(٥) الخَلوق: نوع من الطيب مائع لونه أصفر لأن معظمه من الزعفران.
(٦) الرَّند: الشجر الطيب الرائحة.

يلبس الخزَّ والمطارِف والقـ ـزَّ وعَصباً من اليماني قشيبَا
ورأيت الحبيب يُبرِز كفّاً ما رآه المحبُّ إلَّا خضيبَا

[الخفيف]

فبلغ ذلك من قوله الدُّهقان، فأهدى له وبرّه وسأله ألَّا يذكر ابنته في شعر بعد ذلك.

قال ابن حبيب: ولحق أَبا جلدة ضيمٌ من بعض الولاة، فهتف بقومه فلم يقدِروا على منعه منه ولا معونته رهبةً للسلطان، فهتف بأعلى صوته: يا مسمع بن مالك، يا أَمير بن أحمرَ، ثم أنشأ يقول:

ولمَّا أن رأيتُ سَراةَ قومي سُكوتاً لا يثوب لهم زعيمُ
هتفتُ بمسمعٍ وصدى[1] أميرٍ وقبرِ معمَّرٍ تلك القروم[2]

[الوافر]

قال: فأبكى جميع من حضر، وقاموا جميعاً إلى الوالي فسألوه في أمره حتى كفَّ عنه. قال: وأمير بن أحمر رجلٌ من بني يَشكُر، وكان سيِّداً جواداً، وفيه يقول زيادٌ الأعجم:

لولا أَميرٌ هلكتْ يشكُرٌ ويشكرٌ هَلكى على كلّ حالْ

[السريع]

قال ابن الأعرابيّ: كان أَمير بن أحمر والياً على خُرسان في أيام معاوية.

ومعمَّرٌ الذي عناه أَبو جلدة معمَّر بن شميرِ بن عامر بن جبلة بن ناعب بن صُرَيم، وكان أَميرَ سجستان، وكان سيِّداً شريفاً.

وقال: خطب أَبو جلدة امرأةً من بني عِجلٍ يقال لها خليعة بنت صَعب، فأبت أَن تتزوَّجه وقالت: أَنت صُعلوكٌ فقيرٌ لا تحفظ مالك ولا تُلفي شيئاً إلَّا أنفقته في الخمر، وتزوَّجت غيره. فقال أبو جلدة في ذلك:

صوت

لمَّا خطبتُ إلى خليعةَ نفسها قالت خليعة ما أرى لك مالا
أودى بمالي يا خليعُ تَكَرُّمي وتخرُّقي وتحمُّلي الأثقالا

(١) الصَّدى: جسد الإنسان بعد موته. (٢) القروم: الفحول مفردها القَرم.

إنّـي وجـدِّكِ لـو شـهِـدتِ مَـواقـفـي بـالـسَّـفـح يـوم أُجـلِّـلُ الأبـطـالا
سـيـفـي، لـسَـرَّك أَن تـكـونـي خـادمـاً عـنـدي إذا كـرِهَ الـكـمـاة نـزالا
[الكامل]

الغناء لإِبراهيم الموصليّ ثان ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ من كتاب عليّ بن يحيى.

ضرط بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضرطوا:

قال أَبو سعيد السُّكري وعمر بن سعيد صاحب الواقدي:

إن أبا جِلدة كان في قرية من قرى بُست يقال له الخيزُران ومعهم عمرو بن صُوحان أَخو صعصعة في جماعة يتحدثون ويشربون، إذ قام أَبو جِلدة ليبول فضرط، وكان عظيم البطن، فتضاحك القومُ منه، فسلّ سيفه وقال: لأُضربنّ من لا يضرط في مجلسه هذا ضربةً بسيفي، أَمِني تضحكون لا أُمَّ لكم! فما زال حتى ضرطوا جميعاً غير عمرو بن صُوحان. فقال له: قد علمت أَن عبد القيس لا تضرط ولك بدَلها عشرُ فسواتٍ. قال: لا واللَّه أَو تُفصح بها! فجعل عمرو يجثي[1] وينحني فلا يقدر عليها، فتركه. وقال أَبو جلدة في ذلك:

أمـن ضـرطـةٍ بـالـخـيـزُران ضـرطـتُـهـا تَـشـدّد مـنـي دارةً وتـلـيـنُ
فـمـا هـو إلا الـسـيـفُ أَو ضـرطـةٌ لـهـا يـثـور دُخـانٌ سـاطـعٌ وطـنـيـنُ
[الطويل]

قال: ولعمرو بن صوحان يقول أَبو جِلدة اليشكري وطالت صُحبته إِياه فلم يظفر منه بشيء:

صـاحـبـتُ عـمـراً زمـانـاً ثـم قـلـتُ لـه إِلـحـقْ بـقـومـك يـا عـمـرو بـن صُـوحـانـا
فـإن صـبـرتَ فـإِن الـصـبـر مَـكـرُمـةٌ وإن جَـزِعـتَ فـقـد كـان الـذي كـانـا
[البسيط]

قال ابن سعيد وحدثني أَبو صالح قال:

بلغ أَبا جلدة زياداً الأعجم هجا بني يَشكُر، فقال فيه:

لا تَـهـجُ يـشـكـر يـا زيـاد ولا تـكـن غَـرَضـاً وأَنـت عـن الأذى فـي مـعـزِلِ
واعـلـمْ بـأنـهـمُ إذا مـا حُـصِّـلـوا خـيـرٌ وأَكـرمُ مـن أَبـيـك الأعـزلِ

(١) يجثي: يجلس على ركبتيه.

لـولا زعـيـمُ بـنـي الـمُـعـلّـى لـم نـبـت حـتـى نُـصـبِّـحـكـم بـجـيـشٍ جـحـفـلِ
تـمـشـي الـضَّـراءَ رجـالـهـم وكـأنـهـم أُسـدُ الـعـريـن بـكـل عـضـبٍ[1] مُـنـصُـلِ
فـاحـذر زيـادُ ولا تـكـن ذا تُـدرإٍ[2] عـنـد الـرجـال ونُـهـزةً لـلـخُـتَّـلِ

[الكامل]

وقال ابن حبيب: كان سليمان بن عَمرو بن مرْثَد البكري صديقاً لأبي جَلدة، وكان فارساً شجاعاً، وقتله ابن خازم لشيء بلغه فأنكره؛ وفيه يقول أَبو جلدة:

إذا كـنـتَ مُـرتـاداً نـديـمـاً مُـكـرِّراً نـمـاه سَـراةٌ مـن سـراة بـنـي بـكـرِ
فـلا تـعـدُ ذا الـعـلـيـا سـلـيـمـانَ عـامـداً تـجـد مـاجـداً بـالـجـود مـنـشـرح الـصـدرِ
كـريـمـاً عـلـى عـلاَّتـه يـبـذل الـنَّـدى ويـشـربـهـا صـهـبـاءَ[3] طـيِّـبـة الـنـشـرِ[4]
مـعـتَّـقـةً كـالـمـسـك يُـذهـبُ رحـيـهـا الـزُّكـام وتـدعـو الـمـرءَ لـلـجـود بـالـوَفـرِ
وتـتـرك حـاسـي الـكـأس مـنـهـا مُـرَنَّـحـاً يـمـيـدُ كـمـا مـادَ الأثـيـمُ مـن الـسـكـرِ
تـلـوحُ كـعـيـن الـديـك يـنـزو حَـبـابُـهـا إذا مُـزِجـتْ بـالـمـاء مـثـلَ لَـظـى الـجـمـرِ
فـتـلـك إذا نـادمـتُ مـن آل مَـرثـدٍ عـلـيـهـا نـديـمـاً ظـلّ يَـهـرف[5] بـالـشّـعـرِ
يُـغـنِّـيـكَ تـاراتٍ وطـوراً يـكُـرُّهـا عـلـيـك بـحـيَّـاك الإلـهُ ولا يـدري
تـعَـوّد أَلا يـجـهـلَ الـدهـرَ عـنـدهـا وأن يـبـذُل الـمـعـروفَ في الـعُـسر واليسرِ
وإن سـلـيـمـانَ بـن عـمـرو بـن مَـرثَـدٍ تـألَّـى[6] يـمـيـنـاً أَن يـريـش[7] ولا يَـبـري
فـهِـمَّـتُـه بـذلُ الـنَّـدى وابـتـنـا الـعُـلا وضربُ طُلَى[8] الأبطال في الحرب بالبُترِ
وفـي الأمـن لا يـنـفـكُّ يـحـسـو مُـدامـةً إذا مـا دجـا لـيـلٌ إلـى وضَـح الـفـجـرِ

[الطويل]

قال: فلما بلغتْ سليمان هذه الأبياتُ قال: هجاني أَخي وما تعمَّد، لكنه يرى أن النَّاس جميعاً يُؤثرون الصَّهباء كما يُؤثرها هو، ويشربونها كما يشربها. وبلغ قوله أَبا جلدة فأتاه فاعتذر إليه، وحلَف أَنه لم يعتمد بذلك ما يكرهه ويُنكره. قال: قد عَلمتُ بذلك وشهدتُ لك به قبل أَن تعتذر، وقبِل عُذره.

(١) العَضب: السيف البتّار.
(٢) التُّدْرَأ: المنعة والمدافعة.
(٣) الصهباء: الخمر المعصورة من العنب الأبيض.
(٤) النَّشر: الرائحة.
(٥) يهرف: يهذي ويخلط.
(٦) تألَّى: أقسم وحلف.
(٧) يريش: ينبت ريش جناحه.
(٨) الطُلى: الأعناق.

سأل الحضين بن المنذر شيئاً فلم يعطه إياه فهجاه:

وقال ابن حبيب: سأل أَبو جلدة الحُضين بن المُنذر الرّقاشي شيئاً فلم يُعطه إيَّاه، وقال: لا أُعطيه ما يشرب به الخمر. فقال أَبو جلدة يهجوه:

يا يومَ بُؤسٍ طلعتْ شمسُه ... بالنَّحس لا فارقتَ رأسَ الحُضينِ
إنّ حُضَيناً لم يزل باخلاً ... مُذ كان بالمعروف كزّ[1] اليدينِ

[السريع]

فبلغ الحضين قولُ أَبي جلدة، فقال يُجيبه:

عَضّ أَبو جلدةَ من أُمه ... مُعتَرضاً ما جاوز الأسكتينِ
بَظراً طويلاً غاشياً رأسُه ... أَعقف كالمِنجل ذا شُعبتينِ

[السريع]

وقال أَبو جلدةَ في حُضينٍ أَيضاً:

لَعمرُك إني يوم أُسندُ حاجتي ... إليك أبا ساسانَ غيرُ مُسدّدِ
فلا عالمٌ بالغيب من أَين ضَرُّه ... ولا خائفٌ بَتَّ الأحاديث في غدِ
فليتَ المنايا حلَّقتْ بي صُروفُها[2] ... فلم أطلُبِ المعروف عند المُصرّدِ[3]
فلو كنتَ حُرّاً يا حُضينُ بن مُنذرٍ ... لقُمتَ بحاجاتي ولم تتبلَّدِ
تجهَّمتني خوفَ القِرى واطّرَحتني ... وكنتَ قصيرَ الباعِ غير المُقلَّدِ
ولم تَعدُ ما قد كنتَ أَهلاً لمِثله ... من اللُّؤم يا ابن المُستذَلِّ المُعبَّدِ

[الطويل]

تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعراً:

قال: فبلغ أَبا جلدة أن بني رَقاش تهدّدوه بالقتل لهجائه الحُضين بن مُنذرٍ، فقال:

تُهدِّدني جهلاً رَقاش وليتني ... وكل رقاشيٍّ على الأرض في الحَبلِ
فبآستِ حُضينٍ واستِ أُمّ رمتْ به ... فبئس محلُّ الضيف في الزمن المحلِ
وإن أنا لم أتركْ رَقاش وجمعهُمْ ... أذلَّ على وطء الهوان من النعلِ
فشَلَّتْ يداي واتبعتُ سوى الهُدى ... سبيلاً ولا وُفِّقتُ للخير والفضلِ

(١) كزُّ اليدين: مقبوض اليدين كناية عن شدة البخل.
(٢) صروفها: نوائبها. (٣) المُصرّد: الذي يبخل بعطائه فيقطعه.

عِظامُ الخُصى ثُطّ[١] اللِّحى مَعدن الخنا ... مَباخيل بالأزواد[٢] في الخصب والأزلِ[٣]
إذا أمنوا ضرَّاءَ دهرٍ تعاظلوا[٤] ... عِظال الكلاب في الدُّجُنَّة والوَبلِ
وإن عضَّهم دهرٌ بنكبة حادثٍ ... فأخورُ عيداناً من المُرْخ والأثلِ
أسُودُ شرًى وسط النَّديِّ ثعالبٌ ... إذا خطرتْ حرب مَراجِلُها تغلي

[الطويل]

شعره في دهقانة كان يختلف إليها:

أَخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن عبد اللَّه الأصبهاني المعروف بالخزَنبل عن عمرو بن أَبي عمرو الشيباني عن أَبيه قال:

عشق أبو جلدة اليشكريُّ دِهقانةً ببستَ وكان يختلف إليها ويكون عندها دائماً، وقال فيها:

وكأسٍ كأنَّ المِسكَ فيها حسوتُها ... ونازَعَنيها صاحبٌ لي مُلَوَّمُ[٥]
أغَرُّ كأنَّ البدر سُنَّةُ[٦] وَجهه ... له كفلٌ وافٍ وفرعٌ ومَبسِمُ[٧]
يُضيء دُجى الظَّلماءِ رونق خدِّه ... وينجاب عنه الليل والليل مظلمُ
وثَديانِ كالحقَّين والمتنُ مدمَجٌ ... وجيدٌ عليه نَسقُ[٨] دُرٍّ منظَّمُ
وبطنٌ طواه اللَّه طيّاً ومَنطقٌ ... رخيمٌ ورِدفٌ نيط بالحِقوِ مُفأَمُ[٩]
به تَبَلَتني واستبتني وغادرتْ ... لظًى في فؤادي نارُها تتضرَّمُ
أبيتُ بها أَهذي إذا الليلُ جنَّني ... وأُصبح مبهوتاً فما أتكلَّمُ
فمن مُبلِغٌ قومي الدُّنا[١٠] أَنْ مُهجتي ... تَبينُ، لئن بانت أَلَا تتلوّمُ
وعهدي بها ـ واللَّه يُصلحُ بالها ـ ... تجودُ على مَن يشتهيها وتُنعمُ
فما بالها ضنَّت عليَّ بوُدّها ... وقلبي لها يا قوم عانٍ متيّمُ

[الطويل]

---

(١) الثُّط: مفردها أثَطّ وهو القليل الشعر في لحيته.
(٢) الأزواد: مفردها زاد وهو ما يُتّخذ من الطعام للسفر.
(٣) الأزل: شدَّة وضيق العيش، وخشونته.
(٤) تعاظلوا: تعاونوا ولازموا الفساد.
(٥) مُلَوَّم: يكثر إلقاء اللّوم على الناس.
(٦) سُنَّة الوجه: هيئة الوجه وصورته.
(٧) مَبسَم: مكان التبسم، وهو الفم.
(٨) النَّسق: المنظم من الخرز في خيط.
(٩) مُفأم: ممتلئ شحماً.
(١٠) الدُّنا: دنا يدنو تعني قرب يقرب فالدُّنا هم الأقربون أو المقرّبون.

قال: فلمَّا بلغها الشعرُ سألتْ عن تفسيره ففُسِّر لها. فلمَّا انتهى المفسِّر إلى هذين البيتين الأخيرين غضبت فقالت: أنا زانيةٌ كما زعم إن كلّمته كلمةً أبداً. أَوَكلَّما اشتهاني إنسانٌ بذلت له نفسي وأنعمتُ من روحي إذاً! أَي أَنا إذاً زانية. فصرمته، فلم يقدِر عليها وعُذّب بها زماناً، ثم قال فيها لمَّا يئس منها:

صحا قلبي وأقصر بعد غيٍّ ... طويلٍ كان فيه من الغواني
بأن قصد السبيل فباع جهلاً ... برُشدٍ وارتجى عُقبى الزَّمانِ
وخاف الموت واعتصم ابن حُجرٍ ... من الحبّ المبرّح بالجَنانِ
وقِدماً كان معترِماً[1] جَموحاً[2] ... إلى لذّاته سَلِسَ العنانِ
وأقلع بعد صَبوَته وأضحى ... طويل الليل يَهرِف بالقُرانِ
ويدعو اللَّه مجتهداً لكيما ... ينالَ الفوزَ من غُرَف الجنانِ

[الوافر]

قال ابن حبيب قال أَبو عُبيدة:

كان يزيد بن المهلَّبِ يُتَّهم بالنساء. فقال فيه أَبو جلدة:

إذا اعتكرت[3] ظلماءُ ليلٍ ونوَّمتْ ... عيونُ رجالٍ واستلذُّوا المضاجِعَا
سما نحوَ جارِ البيتِ يَستامُ[4] عِرسه ... يزيدُ دبيباً للمعاناة قابعا
وإن أمكنته جارةُ البيت أو رنتْ ... إليه أتاها بعد ذلك طائعا

[الطويل]

فشاعت الأبيات ورواها الناسُ لقتادةَ بن مُعرِب. فقال أَبو جلدة:

أبا خالدٍ رُكني ومَن أَنا عبدُه ... لقد غالني الأعداءُ عمداً لتغضبا
فإن كنتُ قلتُ اللَّذْ أتاك به العِدا ... فشلَّتْ يدي اليمنى وأصبحتُ أَعضبا[5]
ولا زِلتُ محمولاً عليَّ بليَّةٌ ... وأمسيتُ شِلواً للسّباع مُتَرَّبا[6]
فلا تسمعنْ قول العِدا وتبيَّنَنْ ... أَبا خالدٍ عُذراً وإن كنتَ مُغضبا

[الطويل]

وقال ابن حبيبَ: قال رجلٌ للبعيث: أيُّ رجلٍ هو أبو جلدة؟ فقال: قَتادةُ بن مُعرِب أَعرَفُ به حيث يقول:

(١) المعترم: الشرس.
(٢) الجموح: الرجل الذي يركب هواه فلا يمكن ردَّه.
(٣) اعتكرت: اشتدت ظلمتها.
(٤) يستام عرسه: سأله سوم زوجته.
(٥) الأعضب: من لا ناصر له ولا معين.
(٦) المتَّرَّب: الذي لُطِّخ بالتراب.

إنَّ أَبـا جـلـدة مـن سُـكـرِه ... لا يـعـرِف الـحـقَّ مـن الـبـاطـلِ
يـزداد غَـيّـاً وانـهـمـاكـاً ولا ... يـسـمـع قـول الـنـاصـح الـعـاذلِ
أعـيـا أَبـوه وبـنـو عـمـه ... وكـان فـي الـذّروة مِـن وائـلِ
فـلـيـتـه لـم يَـكُ مـن يَـشـكُـرٍ ... فـبـئـسَ خِـدنُ الـرجـل الـعـاقـلِ
أعـمـى عـن الـحـقّ بـصـيـرٌ بـمـا ... يـعـرفـه كـلُّ فـتًـى جـاهـلِ
يُـصـبـحُ سَـكـرانَ ويُـمـسـي كـمـا ... أصـبـح، لا أُسـقـي مِـنَ الـوابـلِ
شـدَّ رِكـاب الـغـيّ ثـم اغـتـدى ... إلـى الـتـي تُـجـلَـبُ مـن بـابـلِ
فـالـسِّـجـن إن عـاش لـه مـنـزلٌ ... والـسِّـجـنُ دارُ الـعـاجـزِ الـخـامـلِ
[السريع]

شعر له يناقض به قتادة بن معرب:

وقال أَبو جلدة يجيبه:

قَـبُـحـتَ لـو كـنـتَ امـرأً صـالـحـاً ... تَـعـرِف مـا الـحـقُّ مـن الـبـاطـلِ
كـفَـفـتَ عـن شـتـمـي بـلا إِحَـنـةٍ ... ولـم تَـوَرَّط كِـفَّـةَ الـحـابـلِ
لـكـن أبـتْ نـفـسـك فـعـلَ الـنُّـهـى ... والـحَـزم والـنَّـجـدة والـنـائـلِ
فـتـحـت لـي بـالـشَّـتـم حـتـى بَـدا ... مـكـنـون غِـشٍّ فـي الـحـشـا داخـلِ
فـاجـهـد وقُـل لا تـتّـرك جـاهـداً ... شَـتْـمَ امـرىءٍ ذي نـجـدةٍ عـاقـلِ
تَـعْـذلـنـي فـي قـهـوةٍ مُـزَّةٍ ... درْيـاقـةٍ تُـجـلَـبُ مـن بـابـلِ
ولـو رآهـا خـرَّ مـن حُـبِّـهـا ... يـسـجُـدُ لـلـشـيـطـان بـالـبـاطـلِ
يـا شـرّ بـكـرٍ كـلِّـهـا مَـحـتِـداً ... ونُـهـزةَ الـمـخـتـلـس الآكـلِ
عِـرضَـكَ وفِّـرْهُ ودعـنـي ومـا ... أهـواه يـا أَحـمـق مـن بـاقـلِ
[السريع]

قال ابن حبيب: كان أَبو جلدة يشرب مع ابن عمٍّ له من بكرِ بن وائل، فسكر نديمه فعربد عليه وشتمه، فاحتمله أَبو جلدة وسقاه حتى نام، وقال في ذلك:

أَبـى لـيَ أن ألـحـى نـديـمـي إذا انـتـشـى ... وقـال كـلامـاً سـيِّـئـاً لـي عـلـى الـسـكـرِ
وقَـاري وعـلـمـي بـالـشَّـراب وأَهـلـه ... ومـا نـادمَ الـقـومَ الـكـرامَ كـذي الـحـجـرِ[1]

(١) ذو الحِجر: ذو العقل والرأي.

فلستُ بلاحٍ لي نديماً بِزلَّةٍ ولا هفوةٍ كانت ونحن على الخمرِ
عركتُ بجنبي قول خدني[١] وصاحبي ونحن على صهباءَ طيِّبةِ النشرِ
فلما تمادى قلتُ خُذها عريقةً فإنك من قومٍ جَحاجحةٍ[٢] زُهرِ
فما زلتُ أَسقيه وأَشربُ مثل ما سقيتُ أخي حتى بدا وضحُ الفجرِ
وأَيقنتُ أن السكر طار بلُبِّه[٣] فأغرق في شتمي وقال وما يدري
ولاكَ لساناً كان إذ كان صاحياً يقلِّبه في كل فنٍّ من الشعرِ

[الطويل]

أَخبرني محمد بن مزيدٍ قال حدثنا حمَّاد بن إسحاق عن أَبيه عن عاصم بن الحَدثان قال:

كان أَبو جلدة اليَشكري قد خرج إلى تُسترَ في بعثٍ، فشرب بها في حانةٍ مع رجل من قومه كان ساكناً بها. ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بُستَ والرُّخَج وكان مكتبُه هناك، فأقام بها مدّة، ثم لقي بها ذلك الرجل الذي نادمه بتُستر ذات يوم، فسلَّم عليه ودعاه إلى منزله، فأكلا، ثم دعا بالشراب ليشربا، فامتنع الرجل وقال: إني قد تركتُها للَّه. فقال أَبو جلدة وهو يشرب:

أَلا رُبَّ يومٍ لي ببُستَ وليلةٍ ولا مثل أَيامي المواضي بتُسترِ
غَنيتُ بها أَسقي سُلافَ مُدامةٍ كريمَ المُحيَّا من عَرانينِ يَشكرِ
نُبادرُ شُرْب الراحِ حتى نهرّها[٤] وتتركنا مثل الصَّريع المُعفرِ
فذلك دهرٌ قد تولّى نعيمه فأصبحتُ قد بُدِّلتُ طول التَّوقُّرِ
فراجعني حِلمي وأصبحتُ منهج الـ ـشراب وقِدماً كنتُ كالمتحيّرِ
وكل أوان الحق أبصرتُ قَصده فلستُ وإن نُبِّهتُ عنه بمقصرِ
سأركض في التقوى وفي العِلم بعد ما ركضت إلى أمر الغويّ المشهَّرِ
وباللَّه حَولي واحتيالي وقُوّتي ومَن عنده عُرفي الكثير ومُنكَري

[الطويل]

مر به مسمع بن مالك فوثب إليه وقال فيه شعراً:

أَخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا محمد بن الحارث المدائني قال:

(١) الخِدن: الصديق الملازم.
(٢) جحاجحة: الأسياد، مفردها جحجح.
(٣) اللُّب: العقل.
(٤) نهرها: نكرهها ونبغضها.

مرّ مِسمعُ بن مالكٍ بأبي جِلدة، فوثب إليه وأنشأ يقول:

يا مِسمعُ بنَ مالكٍ يا مسمع أنت الجوادُ والخطيبُ المِصقعُ[١]
فاصنع كما كان أبوك يصنعُ

[الرجز]

فقال له رجلٌ كان جالساً هناك: إن قبِل منك واللَّه يا أبا جلدة ناك أُمّه. فقال له: وكيف ذلك ويحك؟ قال: لأنك أَمرتَه أَن يصنع كما كان أَبوه يصنع!

وقال أَبو عمرو الشيباني: كان مِسمع بن مالك يُعطي أَبا جلدة، فقال فيه:

يسعى أُناسٌ لكيما يُدركوك ولو خاضوا بحارَك أو ضحضاحَها[٢] عرِقوا
وأنت في الحرب لا رثُّ القُوى[٣] بَرِمٌ عند اللِّقاء ولا رِعديدةٌ[٤] فَرِقُ[٥]
كلُّ الخِلال[٦] التي يسعى الكرامُ لها إن يمدحوك بها يوماً فقد صدَقوا
ساد العراق فحالُ الناس صالحةٌ وسادَهم وزمانُ الناس مُنخرِقُ
لا خارجيٌّ ولا مستحدثٌ شرفاً بل مجدُ آلِ شهابٍ كان مذ خُلِقوا

[البسيط]

قال: ثم مدح مُقاتِلَ بن مِسمعٍ طمعاً في مثل ما كان مِسمعٌ يُعطيه، فلم يلتفت إليه وأَمر أَن يُحجب عنه. فقيل له: تعرّضتَ للسان أَبي جِلدة وخُبثه. فقال: ومَن هو الكلبُ! وما عسى أَن يقول قبّحه اللَّه وقبّح مَن كان منه! فيجهد جهده. فبلغ ذلك من قوله أَبا جِلدة فقال يهجوه:

قَرى ضيفه الماء القَراح ابنُ مِسمعٍ وكان لئيماً جارُه يتذلَّلُ
فلمَّا رأى الضيفُ القِرى غير راهنٍ لديه تولَّى هارباً يتعلَّلُ
ينادي بأعلى الصوت بكر بن وائلٍ ألَا كلُّ مَن يرجو قراكم مضلَّلُ
عميدكمُ هَرَّ الضيوف فما لكم ربيعةُ أمسى ضيفكم يتحوَّلُ
وخِفتم بأن تَقرُوا الضيوف وكنتم زماناً بكم يحيا الضَّريكُ[٧] المعَيِّلُ[٨]

(١) المِصقع: البليغ أو العالي الصَّوت.
(٢) الضحضاح: الماء اليسير.
(٣) رثُّ القِوى: خفيف القوى.
(٤) الرعديد: الجبان الذي ترعد فرائصه عند اقتراب موعد القتال.
(٥) الفَرِق: الذي يعتريه الخوف الشديد والفزع.
(٦) الخِلال: الصِّفات.
(٧) الضّريك: الفقير المعدم أو السيئ الحال.
(٨) المعيِّل: الذي عنده عدد كبير من العيال.

فـمـا بـالـكـم بـالـلّـه أَنـتـم بَـخِـلـتـمُ ... وقـصَّـرتُـمُ والـضـيـف يُـقـرَى ويُـنـزَلُ
ويُـكـرَمُ حـتـى يُـقـتـرى حـيـن يُـقـتـرى ... يـقـول إذا ولَّـى جـمـيـلاً فـيُـجـمِـلُ
فـمـهـلاً بـنـي بَـكـرٍ دَعُـوا آلَ مِـسـمـعٍ ... ورأْيَـهـمُ لا يَـسـبـقُ الـخـيـل مُـحـثَـلُ[1]
ودونـكُـمُ أضـيـافَـكـم فـتـحـدَّبـوا ... عـلـيـهـم وواسـوهـم فـذلـك أجـمـلُ
ولا تُـصـبـحـوا أُحـدوثـةً مـثـل قـائـلٍ ... بـه يـضـربُ الأمـثـال مَـن يـتـمـثَّـلُ
إذا مـا الـتـقـى الـرُّكـبـانُ يـومـاً تـذاكـروا ... بـنـي مِـسـمـعٍ حـتـى يـحـمُّـوا ويـثـقُـلـوا
فـلا تَـقـرَبـوا أَبـيـاتَـهـم إنَّ جـارهـم ... وضـيـفـهـمُ سِـيَّـانِ أنَّـى تـوسّـلـوا
هُـمُ الـقـومُ غَـرَّ الـضـيـف مـنـهـم رُواؤهـم ... ومـا فـيـهـمُ إلَّا لـئـيـمٌ مـبَـخَّـلُ
فـلَـوْ بـبـنـي شَـيـبـان حـلَّـتْ ركـائـبـي ... لـكـان قِـراهـم راهـنـاً حـيـن أَنـزلُ
أُولـئـك أولـى بـالـمـكـارِم كـلِّـهـا ... وأجـدَرُ يـومـاً أَن يُـواسـوا ويُـفـضِـلـوا
بـنـي مِـسـمـع لا قـرَّب الـلّـه داركـم ... ولا زال واديـكـم مـن الـمـاء يُـمـحِـلُ
فـلـم تَـردَعـوا الأَبـطـال بـالـبـيـضِ والـقـنـا ... إذا جـعـلـتْ نـارُ الـحـروب تَـأَكَّـلُ

[الطويل]

* * *

(١) مُحثّل: الضامر من جراء سوء التغذية.

أخبار علويه ونسبه

هو علي بن عبد اللَّه بن سَيف. وكان جدُّه من السُّغد الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عفَّان واسترقَّ منهم جماعةً اختصهم بخدمته، وأعتق بعضهم، ولم يُعتِق الباقين فقتلوه. وذكر ابن خُرداذبه، وهو ممن لا يحصَّل قولُه ولا يُعتَمد عليه، أنَّه من أَهل يثرب مولى بني أُميَّة، والقول الأول أصحّ.

مهارته في الغناء والضرب وبعض أخلاقه:

ويُكنى عَلُّويَه أَبا الحسن. وكان مغنِّياً حاذقاً، ومؤدِّباً محسناً، وصانعاً متفنِّناً، وضارباً متقدِّماً، مع خفَّة روح، وطيب مجالسة، وملاحة نوادر. وكان إبراهيم الموصلي علَّمه وخرَّجه وعُني به جدّاً، فبرع وغنّى لمحمد الأمين، وعاش إلى أَيام المتوكل، ومات بعد إسحاق الموصلي بمدَيدةٍ يسيرة. وكان سبب وفاته أنه خرج به جَرَبٌ، فشكاه إلى يحيى بن ماسَويَهِ، فبعث إليه بدواءٍ مُسهلٍ وطلاء، فشرب الطلاء وأطَّلى بالدواء المُسهل، فقتله ذلك. وكان إسحاق يتعصب له في أكثر أوقاته على مخارق. فأمَّا التقديم والوصف فلم يكن إسحاق يرى أحداً من جماعته لهما أَهلاً، فكانوا يتعصَّبون عليه لإِبراهيم بن المهديّ، فلا يضرُّه ذلك مع تقدُّمه وفضله.

رأي إسحاق الموصلي فيه وفي مخارق:

أخبرني محمد بن مَزيَدٍ قال حدثنا حمَّاد بن إسحاق قال: قلت لأبي: أيّما أفضلُ عندك مخارقٌ أو علُّويه! فقال: يا بنيّ علُّويَه أَعرفهما فهماً بما يخرج من رأسه وأعلمهما بما يغنِّيه ويؤدّيه، ولو خُيّرتُ بينهما مَن يُطارح جواريَّ أو شاورني مَن يستنصحني لمَا أَشرتُ إلَّا بعلُّويَه؛ لأنه كان يؤدّي الغناء، وصنع صنعةً مُحكمةً. ومخارقٌ بتمكُّنه من حَلقه وكثرة نغمه لا يقنع بالأخذ منه؛ لأنه لا يؤدّي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يغنِّيه مرّتين غناءً واحداً لكثرة زوائده فيه. ولكنهما إذا اجتمعا عند خليفةٍ أَو سوقةٍ غلب مخارقٌ على المجلس والجائزة لطيب صوته وكثرة نغمه.

حدثني جَحظة قال حدثني أبو عبد اللَّه بن حمدون قال حدثني أَبي قال:

إجتمعتُ مع إسحاق يوماً في بعض دور بني هاشم، وحضر علُّويَه فغنَّى أَصواتاً، ثم غنّى من صنعته:

صـــوت

ونُبِّئتُ لـيـلـى أرسـلـتْ بـشـفـاعـةٍ إلـيَّ فـهَـلَّا نـفـسُ لـيـلـى شـفـيـعُـهـا

[الطويل]

ـ ولحنه ثاني ثقيل ـ فقال له إسحاق: أحسنت واللَّه يا أبا الحسن! أحسنتَ ما شئتَ! فقام علُّويَه من مجلسه فقبَّل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسُرّ بقوله سروراً شديداً، ثم قال: أنت سيدي وابن سيِّدي، وأستاذي وابن أستاذي، ولي إليك حاجةٌ. قال: قل، فواللَّه إني أبلغ فيها ما تحبّ. قال: أَيّما أفضل عندك أَنا أَو مخارق؟ فإني أُحِبُّ أَن أسمع منك في هذا المعنى قولاً يؤثَر ويحكيه عنك مَن حضر، فتشرّفني به. فقال إسحاق: ما منكم إلَّا محسِنٌ مجملٌ، فلا تُرِد أَن ترى في هذا شيئاً. قال: سألتك بحقي عليك وبتربية أبيك وبكلّ حقٍّ تعظِّمه إلَّا حكمتَ. فقال: وَيحك! واللَّه لو كنتُ أَستجيز أَن أَقول غيرَ الحقّ لقلته فيما تحبّ، فأَمَّا إذ أبيت إلَّا ما ذكرتَ فهاك ما عندي: فلو خُيّرتُ أَنا مَن يُطارح جَواريَّ أو يغنِّيني لَما اخترتُ غيرَك، ولكنما إذا غنَّيتما بين يَدَي خليفةٍ أَو أَميرٍ غلبك على إطرابه واستبدّ عليك بجائزته. فغضب علّويه وقام وقال: أُفٍّ من رضاك ومن غضبك!

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال:

قَدِمتُ مِن سُرّ مَن رأَى قَدمةً إلى بغداد، فلقيتُ أَبا محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فجعل يسألني عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتى انتهى إلى ذكر الغناء، فقال: أيُّ شيء رأيتَ الناس يستحسونه في هذه الأيام من الأغاني، فإن الناس ربما لهِجوا بالصوت بعد الصوت؟ فقلت: صوتاً من صَنعتك. فقال: أي شيء هو؟ فقلت:

صـــوت

أَلَا يـا حـمـامَـي قـصـرِ دُوران هِـجـتُـمـا بـقـلـبـي الـهـوَى لـمَّـا تـغـنَّـيـتُـمـا لِـيـا

وأبـكـيـتُـمـانـي وسـط صـحـبـي ولـم أكـن أُبـالـي دمـوعَ الـعـيـن لـو كـنـتُ خـالـيـا

[الطويل]

فضحك وقال: ليس هذا لي، هذا لعَلُّويه، ولقد لعمري أحسنَ فيه وجوّد ما شاء.

لحن علُّويه في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

أتاه بعض أصحابه فأطعمهم وغناهم ألحاناً له:

حدثني عمي قال حدثنا عبد اللَّه بن عمرو قال حدثني أحمد بن محمد بن عبد اللَّه الأبزاري قال:

أتيتُ علُّويه يوماً بالعشيّ، فوجدتُ عنده خاقانَ بن حامدٍ وعبدَ اللَّه بن صالح صاحب المُصلّى، وكنتُ حملتُ معي قفصَ فراريجَ كَسكَرّية[١] مُسمَّنة وجرابيْ[٢] دقيقٍ سميدٍ[٣] فسلَّمتُه إلى غلامه، وبعث إلى بِشر بن حارثة: أطعمنا ما عندك، فلم يزل يُطعمنا فضلاتٍ حتى أدرك طعامُه، ثم بعث إلى عبد الوهَّاب بن الخصيب بن عمرو فحضر، وقُدِّم الطعامُ فأكل وأكلنا أكْلَ مُعَذِّرين[٤]، ثم قال: إني صنعتُ البارحة لحناً أعجبني، فاسمعوه وقولوا فيه ما عندكم، وغنَّانا فقال:

صوت

هَزئتْ عُميرةُ أن رأت ظهري انحنى وذؤابتي[٥] عُلَّتْ بماء خِضابِ
لا تَهزَئي مني عُمير فإنني مَحضٌ كريمٌ شيبتي وشبابي

[الكامل]

ـ لحنُ علُّويه في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطى ـ فقلنا له: حسنٌ واللَّه جميلٌ يا أبا الحسن، وشربنا عليه أقداحاً. ثم استؤذن لعثعثٍ غلام أحمد بن يحيى بن مُعاذ، فأذِن له، ومع عثعث كتابٌ من مولاه أحمد بن يحيى: سمعتُ يا سيِّدي منك صوتاً عند أمير المؤمنين (يعني المعتصمَ)، فأُحبّ أن تتفضل وتطرحه على عبدك عثعث. وهو:

صوت

فواحسرتا لم أقضِ منك لُبانةً[٦] ولم أتمتَّع بالجوارِ وبالقربِ

(١) كسكريَّة: نسبة إلى كسكر، وهي كورة قصبتها واسط، كان خراجها اثنى عشر ألفَ ألف مثقال كأصبهان.
(٢) جراب: المزود أو الوعاء. جمعها جُرُب وجُرْب وأَجربة.
(٣) سميد: هو الدقيق الخالص الذي استخرجت منه النخالة.
(٤) المُعَذِّرون: المقصِّرون. (٥) الذؤابة: الناصية، أو منبتها من الرأس.
(٦) لُبانة: مفردها اللّبان، وهي الحاجة من دون فاقة، بل من همَّة.

يـقـولـون هـذا آخـرُ الـعـهـد مـنـهـمُ فـقـلـتُ وهـذا آخـر الـعـهـد مـن قـلـبـي
[الطويل]

لحنُ علُّويه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل، وهو من مقدَّم أغانيه وصدورها. وأوَّل هذا الصوت:

ألا يـا حـمـامَ الـشِّـعـب شِـعـب مُـوَرّقٍ سـقـتكَ الـغـوادي مـن حـمـامٍ ومـن شِـعـبِ
[الطويل]

قال: وإذا مع حُسين رُقعةٌ من مولاه: سَمعتك يا سيِّدي تُغني عند الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن المهدي:

أَلا يـا حـمـامـيْ قـصـر دُورانَ هـجـتُـمـا بـقـلـبـي الـهـوى لـمَّـا تـغـنَّـيـتُـمـا لِـيـا
[الطويل]

أُحبُّ أن تطرحه على عبدك حُسين. قال: فدعا بغلام له يُسمى عبدَ آل فطرحه عليهما حتى أحكاه ثم عرضاه عليه حتى صحّ لهما. فما أَعلم أنه مرّ لنا يومٌ يقاربُ طِيبَ ذلك اليوم وحُسنَه.

حدثني جعفر بن قُدامةَ قال حدثني عُبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر قال:

سمعتُ أَبي يقول سمعت الواثق يقول: علُّويه أصحُّ الناس صنعةً بعد إسحاق، وأطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارق، وأضربُ الناسِ بعد ربربٍ ومُلاحظ، فهو مُصلِّي كل سابقٍ قادرٍ، وثاني كل أوّل واصلٍ مُتقدم. قال: وكان الواثق يقول: غناءُ علُّويه مثلُ نقر الطَّست يبقى ساعةً في السمع بعد سكُوته.

نسختُ من كتاب أَبي العبَّاس بن ثوابة بخطّه: حدثني أحمد بن إسماعيل أَبو حاتم قال حدثني عبد اللَّه بن العبَّاس الربيعيّ قال:

اجتمعتُ يوماً بين يدي المعتصم وحضر إسحاق الموصليُّ، فغنى علُّويه:

لِـعـبـدةَ دارٌ مـا تُـكـلِّـمـنـا الـدارُ تـلـوحُ مـغـانـيـهـا كـمـا لاح أَسـطـارُ[1]
[الطويل]

فقال إسحاق: أخطأتَ فيه، ليس هو هكذا. فغضب علّويه وقال: أُمُّ من أخذنا عنه هكذا زانيةٌ. فقال إسحاق: وشتمنا قبحه اللَّه، وسكت وبان ذلك فيه. قال: وكان علُّويه أخذه من أَبيه.

(١) أسطار: مفردها سطر، وهو الخط من الكتابة.

كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار:

حدثني عمي قال حدثنا هارون بن مُخارق قال:

كان علُّويه أعسر[١] وكان عُوده مقلوب الأوتار: البَمُّ أسفل الأوتار كلِّها، ثم المثلثُ فوقه، ثم المَثنى، ثم الزير، وكان عوده إذا كان في يد غيره مقلوباً على هذه الصفة، وإذا كان معه أخذه باليمنى وضرب باليسرى، فيكون مستوياً في يده ومقلوباً في يد غيره.

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال كان الخلنجيُّ القاضي، واسمه عبد اللَّه بن محمد، ابن أخت علُّويه المغني، وكان تيَّاهاً صلِفاً، فتقلَّد في خلافة الأمين قضاء الشرقية، فكان يجلس إلى أُسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جسده ولا يتحرّك، فإذا تقدّم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى يَفصِل بينهما ثم يعود لحاله. فعمد بعض المُجَّان إلى رقعةٍ من الرقاع التي يُكتبُ فيها الدعاوى فألصقها في موضع ذَنبته بالدِّبق ومكَّن منها الدّبق. فلمَّا تقدم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل انكشف رأسه وبقيتِ الذنبةُ موضعها مصلوبةً ملتصقةً، فقام الخلنجي مُغضباً وعلِم أنها حيلةٌ وقعتْ عليه، فغطَّى رأسه بطيلسانِه وقام فانصرف وتركها مكانها، حتى جاء بعضُ أعوانه فأخذها. وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات:

إن الخلنجيّ من تتايُهِه ... أثقلُ بادٍ لنا بطلعتهِ
ما إنْ لذي نخوةٍ مناسبةٌ ... بين أخاوينه وقصعتهِ
يصالح الخصمُ مَن يخاصمهُ ... خوفاً من الجور في قضيَّتهِ
لو لم تُدَبّقهُ كفُّ قانصِهِ ... لطار تيهاً على رعيَّتهِ

[المنسرح]

قال: وشُهرت الأبيات والقصة ببغداد، وعمِل له علُّويه حكايةً أعطاها للزفَّانين والمخنَّثين فأحرجوه فيها، وكان علُّويه يُعاديه لمنازعةٍ كانت بينهما ففضحه، واستعفى الخلنجيُّ من القضاء ببغداد وسأل أن يُولَّى بعض الكُوَر البعيدة، فوُلِّيَ جُندَ دمشقَ أو حِمصَ. فلما وَلي المأمونُ الخلافةَ غنَّاه علُّويه بشعر الخلنجيّ فقال:

بَرئتُ من الإسلام إن كان ذا الذي ... أتاكِ به الواشون عني كما قالوا
ولكنهم لمَّا رأوكِ غريّة ... بهجري تواصَوْا بالنميمة واحتالوا

(١) أعسر: الذي يعمل بيده الشمال فقط.

فـقـد صِـرتِ أُذنـاً لـلـوُشـاة سـمـيـعـةً يـنـالـون مـن عِـرضـي وإن شـئـت مـا نـالـوا

[الطويل]

فقال له المأمون: من يقول هذا الشعر؟ فقال: قاضي دمشقَ. فأمر المأمون بإحضاره، فكُتب إلى صاحب دمشق بإشخاصه فأُشخص، وجلس المأمون للشرب وأحضر علُّويه، ودعا بالقاضي فقال له: أنشدني قولَك:

بَـرئـتُ مـن الإسـلام إن كـان ذا الـذي أتـاكِ بـه الـواشـون عـنـي كـمـا قـالـوا

[الطويل]

فقال له: يا أمير المؤمنين هذه أبياتٌ قلتُها منذ أربعين سنةً وأنا صبيّ، والذي أكرمك بالخلافة وورّثك ميراثَ النبوّة ما قلتُ شعراً منذ أكثر من عشرين سنةً إلا في زُهدٍ أو عتاب صديق. فقال له: اجلس فجلس، فناوله قدَح نبيذٍ التمر أَو الزبيب. فقال: لا واللَّه يا أمير المؤمنين مَّا أعرف شيئاً منها. فأخذ القدَح من يده وقال: أَمَا واللَّه لو شربتَ شيئاً من هذا لضربتُ عنقك، وقد ظننتُ أنك صادقٌ في قولك كلِّه، ولكن لا يتولَّى لي القضاءَ رجلٌ بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام، انصرف إلى منزلك. وأمر علُّويه فغيّر الكلمة وجعل مكانها «حُرِمتُ مُنايَ منكِ».

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك قال:

كان علُّويه يغني بين يدي الأمين، فغنى في بعض غنائه:

لـيـتَ هـنـداً أنـجـزتـنـا مـا تـعِـدْ وشـفَـتْ أنـفـسـنـا مـمـا تَـجِـدْ

[الرمل]

وكان الفضلُ بن الربيع يطعن عليه، فقال للأمين: إنما يُعَرِّض بك ويستبطئ المأمون في محاربته؛ فأمر به فضُرب خمسين سوطاً وجُرّ برجله، وجفاه مدّةً، حتى ألقى نفسه على كوثرٍ فترضَّاه له ورُدّ إلى خدمته، وأمر له بخمسة آلاف دينار. فلمَّا قدِم المأمون تقرّب إليه بذلك، فلم يقع له بحيث يُحبّ، وقال له: إنَّ المَلِكَ بمنزلة الأسد أو النار، فلا تتعرّض لِما يُغضبه، فإنه ربما جرى منه ما يُتلفك ثم لا تقدر بعد ذلك على تلافي ما فرط منه، ولم يُعطه شيئاً.

ومثل هذا من فعل الأمين، ما حدثني به محمد بن مَزيد بن أَبي الأزهر قال حدثنا حمَّاد بن إسحاق قال حدثني أَبي قال:

دخلتُ على الأمين فرأيته مُغضباً كالحاً، فقلتُ له: ما لأمير المؤمنين ـ تمّم اللَّه سروره ولا نغَّصه ـ أَراه كالحائر؟ قال: غاظني أَبوك الساعة لا رحمه اللَّه! واللَّه لو

كان حيّاً لضربتُه خمسمائة سوطٍ، ولولاك لنبشتُ الساعةَ قبرَه وأَحرقتُ عِظامه. فقمتُ على رِجلي وقلت: أعوذُ باللَّه من سُخطك يا أميرَ المؤمنين! ومَن أَبي وما مقداره حتى تغتاظ منه! وما الذي غاظك فلعلّ له فيه عُذراً؟ فقال: شدَّةُ محبَّته للمأمون وتقديمه إيَّاه عليّ حتى قال في الرشيد شعراً يقدّمه فيه عليّ وغنَّاه فيه، وغُنِّيته الساعة فأورثني هذا الغيظ. فقلتُ: واللَّه ما سمعت بهذا قطُّ ولا لأبي غناءٌ إلَّا وأَنا أَرويه، ما هو؟ فقال: قوله:

أَبــو الــمــأمــونِ فــيــنــا والأمــيــنِ لــه كــنــفــان مــن كَــرَمٍ ولــيــنِ

[الوافر]

فقلت له: يا أَمير المؤمنين لم يقدِّم المأمون في الشعر لتقديمه إيَّاه في الموالاة، ولكن الشعر لم يصحْ وزنه إلَّا هكذا. فقال: كان ينبغي له إذ لم يصحَّ الشعرُ إلَّا هكذا أَن يدعه إلى لعنة اللَّه. فلم أزل أداريه وأرفق به حتى سكن. فلما قدِم المأمون سألني عن هذا الحديث فَحَدَّثته به، فجعل يضحك ويعجب منه.

مدحه عبد اللَّه بن طاهر:

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني عُبَيد اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر قال:

سمعتُ أَبي يقول: لو خُيّرتُ لوناً من الطعام لا أَزيد عليه غيرَه لاخترتُ الدُّرَّاجة[١]؛ لأني إن زِدت في خلِّها صارتْ سِكباجة[٢]، وإن زدتُ في مائها صارت إسفيدباجة[٣]، وإن زدتُ في تصبيرها بل في تشييطها صارت مُطَجَّنة[٤]. ولو اقتصرتُ على رجل واحد لَما اخترتُ سوى علُّويه؛ لأنه إن حدثني ألهاني، وإن غنَّاني أشجاني، وإن رجعتُ إلى رأيه كفاني.

حدثني عمي قال حدثني عبد اللَّه بن أَبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الأبزاريّ قال:

كنتُ عند سعيد بن عُجَيفٍ أَنا وعبد الوهَّاب بن الخصيب وعبد اللَّه بنُ صالح صاحب المصلى، إذ دخل عليه حاجبه فقال له: علُّويَه بالباب، فأَذِن له فدخل. فقال له: لا تحمدني فإِني لم يجئني رسول رجلٍ اليومَ، فعرضت إِخواني جميعاً على قلبي فلم يقع عليه

(١) الدُّرَّاجة: طير أسود الجناحين، وهو من طيور العراق.
(٢) سِكباجة: هي مرق يعمل من اللحم والخل والكلمة معرَّبة.
(٣) إسفيدباجة: ضرب من الطعام يتكون من البصل والزبدة.
(٤) مُطجّنة: مقلوّة بالطاجن، الطجن هو القلو.

غيرك. فدعا له ببرذَونٍ أدهم بسرجه ولجامه فأهداه إليه، وجلسنا نشرب وعلُّويه يغنّي. فلما توسّطنا أمرنا جاء رسول عُجَيفٍ يطلبه في منزله، فقالوا له: هو عند ابنه سعيد. فأتاه الرسول فقال له: أجِب الأمير. فقلنا: هذا شيءٌ ليس فيه حيلةٌ. وقد جاء الرسول وهو يغنّي:

صـوت

ألـم تـرَ أنـي يـوم جـوِّ سُـوَيـقـةٍ بـكـيـتُ فـنـادتـنـي هـنَـيـدة مـالـيَـا
فـقـلـتُ لـهـا إنَّ الـبـكـاء لـراحـةٌ بـه يـشـتـقـي مَـن ظـنّ أَن لا تـلاقـيـا

[الطويل]

ـ لحنُ علُّويه في هذا رملٌ. والشعر للفرزدق ـ قال: فقام علُّويه ثم قال: هوذا، أمضي إلى الأمير فأُحدّثه بحديثنا وأَستأذنه في الانصراف بوقتٍ يكون فيه فضلٌ لكم. فانصرف بعد المغرب ومعه جامٌ[١]، فيه مسكٌ وعشرةُ آلاف درهم ومَنَيان[٢] فيهما رماطون[٣]، فقال: جئتُ أشرب عنكم، وآخذه وأنصرف إلى إنسانٍ لَه عندي أيادٍ (يعني عليَّ بن مُعاذٍ أَخا يحيى بن مُعاذ). فلم يزلْ عندنا حتى هم بالانصراف. فلما رأيت ذلك فيه قمت قبله فأتيتُ منزل عليّ بن مُعاذ، فقيل له: ابن الأبزاريّ بالباب. فبعث إليَّ: إن أردتَ مَضاءَ فخذْه (يعني غلاماً كان يغنّي)، فقلتُ له: لست أريده، إنما أُريدك أَنت، فأذِن لي فدخلتُ. فقال: ألك حاجةٌ في هذا الوقت؟ فقلت: الساعةَ يجيئك علُّويه. فقال: وما يدريك؟ لحدّثته بالحديث. ودخل علُّويه، فقال لي: ما جاء بك إلى هاهنا؟ فقلت: ما كنتُ لأدَعَ بقيَّة ليلتي هذه تضيع، فما زال يغنِّينا ونشرب حتى نام الناس ثم انصرفنا.

فضّله عمرو بن بانة على نفسه:

حدثني جعفر بن قُدامةَ قال حدثنا هارون بن مُخارق قال حدثني أَبي قال:

قلت لعمرو بن بانة: أيّما أجودُ صنعتك أَم صنعة علُّويه؟ فقال: صنعةُ علُّويه، لأنه ضاربٌ وأَنا مرتجلٌ. ثم أطرق ساعةً وقال: لا أَكذِبك يا أبا المُهَنَّأ واللَّه ما أُحسِن أَن أَصنع مثل صنعةِ علُّويه:

فـوا حـسـرتـا لـم أَقـضِ مـنـكِ لُـبـانـةً ولـم أَتـمـتَّـع بـالـجـوار وبـالـقُـربِ

[الطويل]

(١) جامٌ: هو إناء من فضَّة، جمعها: أجؤم وأجوام وجامات وجوم.
(٢) مَنَيان: مفردها منى، وهو مكيال للسمن وغيره.
(٣) رماطون: نوع من شراب أهل الشام يتخذ من الخمر والعسل.

ولا مثل صنعته:

هَـزئـتْ أُمَـيـمـةُ أن رأتْ ظـهـري انـحـنـى وذُؤابـتـي عُـلَّـتْ بـمـاء خـضـابِ

[الكامل]

ولا مثل صنعته:

أَلَا يـا حَـمـامَـيْ قـصـرِ دورانَ هِـجـتُـمـا لـقـلـبـي الـهـوَى لـمَّـا تـغـنَّـيـتُـمـا لِـيَـا

[الطويل]

وقد مضتْ نسبة هذه الأصوات.

حدثني جحظة قال حدثني أحمد بن الحسين بن هشام أَبو عبد اللَّه قال حدثني أحمد بن الخليل بن هشام قال:

كان بين علُّويه وبين عليّ بن الهَيثم جَوَنْقَا، شرٌّ في عربدةٍ وقعتْ بينهما بحضرة الفضل بن الربيع وتمادَى الشرّ بينهما، فغنَّى علُّويه في شعرٍ هجاه به أَبو يعقوب في حاجةٍ، فهجاه وذكر أَنه دَعيٌّ. وكان جَوَنقَا يدّعي أَنه من بني تغلب، فقال فيه أَبو يعقوب:

يـا عـلـيُّ بـنَ هَـيـثـم يـا جَـوَنـقَـا[1] أنـت عـنـدي مـن الأراقِـم حَـقَّـا

عـربـيٌّ وجـدُّه نَـبَـطِـيٌّ! فَـدَبَـنْـقَـا لـذا الـحـديـث دَبَـنـقَـا[2]

قـد أصـابـتـك فـي الـتـقـرّب عـيـنٌ فـاسـتـنـارتْ لـشـهـبـهـا الـفـلـك بـرقَـا

وإذا قـال إنـنـي عـربـيٌّ فـانـتـهِـره وقـل لـه أنـت شـفـقَـا

[الخفيف]

ـ وللخُريميّ فيه أَهاجٍ كثيرةٌ نبطيَّة ـ فغنى علُّويه لحناً صنعه في هذه الأبيات بحضرة الأمين، وكان الفضل بن الربيع حاضراً فقال: يا أمير المؤمنين، عليُّ بن الهيثم كابني، وإذا استخفّ به فإنما أَستخفّ بي. فقال الأمين: خُذوه، فأخذوه وضُرب ثلاثين دِرَّةً، وأمر بإِخراجه. فطرح علُّويه نفسه على كوثر فاستصلح له الفضلَ بن الربيع، وترضّى له الأمين حتى رضِي عنه ووهبَ له خمسة آلاف دينار.

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك قال حدثني مُخارِق قال:

(١) الجونق: فارسية من جه نيك أي أنا ما أجودني.

(٢) الدبنق: فارسية معرَّبة.

غنى علُّويه يوماً بحضرة الواثق هذا الصوت:

مَن صاحبَ الدَّهر لم يحمدْ تصرُّفه عنا وللدهر إحلاءٌ وإمرارُ

[البسيط]

ـ ولحنه ثقيلٌ أوّل ـ فاستحسنه الواثق وطرِب عليه. فقال علُّويه: واللَّه لو شئتُ لجعلت الغناء في أيدي الناس أكثر من الجوز، وإسحاق حاضرٌ بين يدي الواثق، فتضاحك ثم قال: يا أبا الحسن، إذاً تكون قيمته مثل قيمة الجَوز، ليتك إذ قلَّلته صنعتَ شيئاً، فكيف إذا كثّرته!. فخجل علُّويه حتى كأنما ألقمه إسحاق حجراً، وما انتفع بنفسه يومئذٍ.

حدثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدثني عبد اللَّه بن المعتزّ قال حدثني عبد اللَّه الهشامي قال:

قال لي علُّويه: أمرنا المأمون أن نباكره لنصطبح، فلقِيني عبد اللَّه بن إسماعيل المراكبي مولى عرِيب، فقال: أيها الظالم المعتدي أمَا ترحَم ولا ترقّ، عريبُ هائمةٌ من الشوق إليك تدعو اللَّه وتستحكمه عليك وتحلمُ بك في نومها في كل ليلة ثلاثَ مرَّات. قال علُّويه: فقلت: أمّ الخلافةِ زانيةٌ، ومضيتُ معه. فحين دخلتُ قلت: استوثق من الباب، فأنا أعرفُ الناس بفضول الحُجَّاب، فإذا عريبُ جالسةٌ على كرسيٍّ تطبخ ثلاث قُدور من دجاج. فلمَّا رأتني قامت فعانقتني وقبَّلتني وقالت: أي شيء تشتهي؟ فقلت: قدراً من هذه القدور، فأفرغتْ قدراً بيني وبينها فأكلنا، ودعتْ بالنَّبيذ فصبَّت رطلاً فشربتْ نصفه وسقتني نصفه، فما زلتُ أشرب حتى كدتُ أن أسكر. ثم قالت: يا أبا الحسن، غنيتُ البارحة في شعرٍ لأبي العتاهية أعجبني، أفتسمعه مني وتُصلحه؟ فغنت:

صـوت

عذيري من الإنسان لا إن جفوتُه صفا لي ولا إن صرت طوعَ يديهِ

وإني لمشتاقٌ إلى ظلّ صاحبٍ يرُوقُ ويصفو إن كدِرتُ عليه

[الطويل]

فصيّرناه مجلساً. وقالت: قد بقي فيه شيء، فلم أزل أنا وهي حتى أَصلحناه. ثم قالت: وأَحبّ أن تغني أنت فيه أَيضاً لحناً، ففعلتُ. وجعلنا نشرب على اللّحنين مليّاً. ثم جاء الحُجَّاب فكسروا الباب واستخرجوني، فدخلتُ إلى المأمون فأقبلتُ أرقصُ من أقصى الإيوان وأُصفِّق وأُغني بالصوت، فسمع المأمون والمغنُّون ما لم

يعرفوه فاستظرفوه، وقال المأمون: ادْنُ يا علُّويه ورُدّه[١]، فردَدته عليه سبع مرات. فقال لي في آخرها عند قولي:

يـــروق ويـــصـــفـــو إن كـــدرت عـــلـــيـــه

يا علُّويه خُذِ الخلافة وأعطني هذا الصاحبَ.

لحنُ عَريب في هذا الشعر رملٌ. وفيه لعلُّويه لحنان: ثاني ثقيلٍ، وماخوريّ.

وقال العتَّابيّ حدثني أَحمد بن حَمدون قال:

غاب عنَّا علُّويه مدَّةً ثم صار إلينا. فقال له إبراهيم بن المهديّ: ما الذي أحدثتَ بعدي من الصنعة يا أَبا الحسن؟ قال: صنعتُ صوتين. فقال: فهاتهما إذاً؛ فغنَّاه:

صـــوت

أَلا إنّ لـي نـفـسـيـن نـفـسـاً تـقـولُ لـي ... تـمـتَّـع بـلـيـلـى مـا بـدالـك لـيـنُـهـا
ونـفـسـاً تـقـول اسـتـبـقِ وُدَّك واتَّـئـدْ ... ونـفـسـك لا تـطـرَحْ عـلـى مَـن يُـهـيـنُـهـا

[الطويل]

ـ لحن علُّويه في هذين البيتين خفيف ثقيل ـ قال: فرأيتُ إبراهيم بن المهديّ قد كاد يموت من حسده وتغيَّر لونُه، ولم يدرِ ما يقول له؛ لأنه لم يجد في الصوت مطعناً، فعدَل عن الكلام في هذا المعنى وقال: هذا يدلّ على أنَّ ليلى هذه كانت من لينها مثل المُوم[٢] بالبنفسج، فسكت علُّويه. ثم سأله عن الصوت الآخر، فغنَّاه:

صـــوت

إذا كـــان لـــي شَـــيـــئـــان يـــا أُمَّ مـــالـــكٍ ... فـــإنّ لـــجـــاري مـــنـــهـــمـــا مـــا تـــخـــيّـــرَا
وفـــي واحـــدٍ إن لـــم يـــكـــن غـــيـــرُ واحـــدٍ ... أراه لـــــه أَهـــــلاً إذا كـــــان مُـــــقـــــتِـــــرَا

[الطويل]

ـ والشعر لحاتمِ الطائي. لحنُ علُّويه في هذين البيتين أَيضاً خفيف ثقيل.

---

(١) رُدَّه: بمعنى ردّده أو كرّره.
(٢) الموم: الشمع المُذاب.

وقد رُوي أَن إبراهيم الموصليّ صنعه ونحله إيَّاه، وأَنا أذكر خبره بعقِبِ هذا الخبر ـ قال أَحمد بن حمدون: فأتى واللَّه بما برَّز على الأوّل وأوفى عليه، وكاد إبراهيم يموت غيظاً وحسداً لمنافسته في الصنعة وعجزِه عنها. فقال له: وإن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن حبوتَ جارك منهما واحدةً؟! فخجل علُّويه وما نطق بصوتٍ بقيَّة يومه. وحدثني عمي عن عليّ بن محمد عن جدّه حَمدون هذا الخبر، ولفظُه أقلّ من هذا.

فأمَّا الخبر الذي ذكرتُه عن علُّويه أَنَّ إبراهيم الموصليّ نحله هذا الصوت، فحدثني جحظة قال حدثني ابنُ المكيّ المُرتجل وهو محمد بن أَحمد بن يحيى قال حدثني علُّويه قال:

قال إبراهيم الموصليّ يوماً: إنّي قد صنعتُ صوتاً وما سمعه منّي أَحدٌ بعدُ، وقد أحببتُ أَن أَنفعك وأرفع منك بأَن أُلقيه عليك وأهَبَه لك، وواللَّه ما فعلتُ هذا بإسحاق قطُّ وقد خصصتُك به، فانتحله وادَّعِه، فلست أنسبه إلى نفسي وستكسب به مالاً. فألقى عليَّ قولَه:

إذا كـان لـي شـيـئـانِ يـا أُمَّ مـالـكٍ فـإنّ لـجـاري مـنـهـمـا مـا تـخـيَّـرَا

[الطويل]

فأخذتُه وادَّعيته وسترتُه طولَ أَيَّام الرشيد خوفاً من أن أُتّهم فيه وطولَ أَيَّام الأمين حتى حدث عليه ما حدث. وقدِم المأمون من خُراسان وكان يخرج إلى الشمَّاسِيَّة دائماً يتنزَّه، فركبتُ في زَلَّالٍ[1] وجئتُ أتبعه، فرأيتُ حرَّاقة عليّ بن هشام، فقلتُ للملاح: اطرَحْ زلَّالي على الحرّاقة ففعل، واستُؤذِن لي فدخلتُ وهو يشرب مع الجواري ـ وما كانوا يحجُبون جواريَهم في ذلك الوقت ما لم يَلِدْنَ ـ فإذا بين يديه مُتَيَّم وبَذْلُ من جواريه، فغنَّيته الصوت فاستحسنه جدّاً وطرِب عليه وقال: لمن هذا؟ فقلت: هذا صوتٌ صنعتُه وأهديته لك، ولم يسمعه أحدٌ قبلك، فازداد به عجباً وطرباً وقال لها: خُذِيه عنه، فألقيتُه عليها حتى أخذته، فسرَّ بذلك وطرِب، وقال لي: ما أجِدُ لك مكافأةً على هذه الهديَّة إلَّا أَن أتحوّل عن هذه الحرَّاقة بما فيها وأُسَلِّمه إليك أجمع. فتحوّل إلى أخرى، وسُلِّمَتِ الحرَّاقة بخزانتها وجميع آلاتها إليَّ وكلّ شيء فيها، فبِعتُ ذلك بمائةٍ وخمسين ألفَ درهمٍ واشتريتُ بها ضيعتي الصالحيَّة.

---

(١) زلَّال: زورق صغير.

حدثني جحظةُ قال حدثني ابن المكيّ المرتجل عن أَبيه قال: قال إسحاق بن حُميدٍ كاتبُ أَبي الرازيّ، وحدثني به عمي قال حدثني عبد اللَّه بن أَبي سعد قال حدثني حسان بن محمد الحارثيّ عن إسحاق بن حُميد كاتب أبي الرازي قال:

غنّى علُّويه الأعسرُ يوماً بين يدي المأمون:

تخيّرتُ من نعمانَ عُودَ أَراكةٍ لهندٍ فمن هذا يُبلِّغه هندا

[الطويل]

فقال المأمون: أُطلبوا لهذا البيت ثانياً فلم يُعرف، وسأل كلَّ من بحضرته من أهل الأدب والرُّواة والجُلساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحدٌ. فقال إسحاق بن حُميد: لما رأيتُ ذلك عُنيتُ بهذا الشعر وجهدتُ في المسألة وطلبتُه ببغداد عند كل متأدب وذي معرفةٍ فلم يعرفه. وقلَّد المأمون أَبا الرازي كُوَرَ دجلةَ وأَنا أكتب له، ثم نقله إلى اليمامة والبحرين. قال إسحاق بن حُميد: فلما خرجنا ركبت مع أَبي الرازيّ في بعض الليالي على حِمارة، فابتدأ الحادي يحدو بقصيدة طويلة، وإذا البيت الذي كنت أطلُبه، فسألته عنها فذكر أنها للمُرَقِّش الأكبر، فحفِظتُ منها هذه الأبيات:

خليليَّ عُوجا بارك اللَّه فيكما وإن لم تكن هندٌ لأرضكما قصدا
وقُولا لها ليس الضَّلالُ أجازنا ولكننا جُزنا لِنلقاكُمُ عمدَا
تخيّرتُ منَ نعمانَ عودَ أراكة لهندٍ فمن هذا يبلّغه هندا
وأَنطيتُه سيفي لكيما أُقيمه فلا أوَداً فيه استبنتُ ولا خَضدا[1]
ستبلُغُ هنداً إن سلِمنا قلائص[2] مهارى يُقَطِّعن الفلاةَ بنا وخدا[3]
فلما أَنخنا العيس[4] قد طار سيرُها إليهم وجدناهم لنا بالقِرى حشدا
فناولتُها المِسواكَ والقلبُ خائفٌ وقلتُ لها يا هندُ أَهلكتنا وجدا
فمدّتْ يداً في حُسن دلٍّ تناوُلاً إليه وقالت ما أَرى مثل ذا يُهدى
وأقبلتُ كالمُجتاز أدّى رسالةً وقامتْ تجرّ الميسنانيّ[5] والبُردا

(١) الخضد: كسر العود.
(٢) قلائص: مفردها قلوص وهي الشابة من النوق.
(٣) الوخد: ضرب من المشي.
(٤) العيس: من الإبل: البيض التي يخالط بياضها حمرة، واحدها أعيس وواحدتها عيساء.
(٥) الميساني: نوع من الثياب منسوب إلى ميسان لأنها محل المنشأ.

تـعـرّضُ لـلـحـيّ الـذيـن أريـدهـم وما الـتـمـسـت إلا لـتـقـتـلـنـي عـمـدا
فـمـا شـبـهُ هـنـدٍ غـيـر أدمـاءَ[1] خـاذلٍ[2] مـن الـوحـش مُـرتـاعٍ مُـراعٍ طـلاً فـردا
[الطويل]

قال: فكتب بها إلى المأمون فاستُحسنتْ ورُوِيتْ، وأمر علُّويه فصنع في البيتين الأولين منها غناء يُشبه.

أغاني علُّويه في هذه الأبيات: اللحن الأول في قوله:

تـخـيّـرت مـن نَـعـمـانَ عـودَ أراكـة

غنَّاه علُّويه وليس اللحن له، اللحن لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر. ولحنه الثاني الذي أَمره أَن يصنعه في:

خـلـيـلـيّ عُـوجـا بـارك الـلَّـه فـيـكـمـا

رملٌ.

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك قال:

عرَض علُّويه على المعتصم رُقعةً في أَمر رِزقه وإِقطاعه وهو يشرَب دفعها إليه من يده، فلمَّا أَخذها اندفع علُّويه يغنّي:

صـوت

إنّـي اسـتـحـيـتُـك أن أفـوه بـحـاجـتـي فـإذا قـرأتَ صـحـيـفـتـي فـتـفـهَّـمِ
وعـلـيـكَ عـهـدُ الـلَّـه إن خـبَّـرتـه أحـداً ولا أظـهـرتـه بـتـكـلُّـمِ
[الكامل]

فقرأ المعتصم الرُّقعة وهو يضحك، ثم وقّع له فيها بما أراد.

الشعر لابن هَرمة كتب به إلى بعض آل أَبي طالبٍ وهو إبراهيم بن الحسن يطلُب منه نبيذاً وقد خرج هو وأصحابه إلى السَّيالة، فكتب إليه البيت الأول على ما رويناه، والثاني غيّره المغنُّون، وهو:

وعـلـيـك عـهـدُ الـلَّـه إن أعـلـمـتَـه أهـلَ الـسَّـيـالـة إن فـعـلـتَ وإن لِـمَ
[الكامل]

---

(١) أدماء: في لونها أدمة.
(٢) خاذل: الظّبية التي تقيم على ولدها.

فلمَّا قرأ الرُّقعة قال: عليّ عهد اللَّه إن لم أُعلِم به عامل السَّيالة. وكتب إلى عامل السَّيالة: إنَّ ابن هَرمة وأصحاباً له سفهاء يشربون بالسَّيالة، فاركب إليهم، حتى تأخذهم، فركب إليهم ونَذِروا به، فهرب، وقال يهجو إبراهيم:

كتبتُ إليك أستهدي نبيذاً وأُدْلي بالمودّة والحقوقِ
فخبَّرتَ الأمير بذاك جهلاً وكنتَ أخا مفاضحةٍ وموقِ[1]

[الوافر]

حدثني بذلك الحرميّ بن أَبي العلاء قال حدثنا الزُّبير. وقد ذكرتُه في أخبار ابن هرمة. والغناء لعَبادِلَ.

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني موسى بن هارون الهاشميّ قال حدثني أبي قال:

كنت واقفاً بين يدي المعتصم وهو جالسٌ على حَير الوَحش والخيل تُعرَض عليه وهو يشرب وبين يديه علُّويه ومُخارق يغنِّيان، فعُرض عليه فرسٌ كُميتٌ[2] أحمرُ ما رأيتُ مثله قطُّ، فتغامز علُّويه ومُخارق، وغنَّاه علُّويه:

وإذا ما شربوها وانتشَوْا وَهَبوا كلّ جوادٍ وطِمِرْ

[الرمل]

فتغافل عنه. وغنَّاه مُخارقٌ:

يَهَبُ البِيضَ كالظِّبَاء وجُرداً[3] تحت أجلالها وعيس[4] الركابِ

[الخفيف]

فضحك ثم قال: اسكُتا يا ابنَي الزَّانيتين، فليْس يملكه واللَّه واحدٌ منكما. قال: ثم دار الدَّورُ، فغنَّى علُّويه:

وإذا ما شربوها وانتشَوْا وَهَبوا كلَّ بِغالٍ وحُمُرْ

[الرمل]

فضحك وقال: أَمَّا هذا فنعم، وأَمر لأحدهما ببغلٍ وللآخر بحمار.

---

(١) الموق: الحمق في غباوة، جمعها موقى، ويقال للوحد أحمق مائق.
(٢) كُميت: الذي يخالط لونه الأحمر قنوء أو شدّة حمرة.
(٣) الجُرد: الخيل القصيرة الشعر، واحدها أجرد وواحدتها جرداء.
(٤) العيس: النوق البيض التي يخالط بياضها حمرة.

حدثني عمي قال: حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الأبزاريّ قال:

كنَّا عند زلبهزة النخَّاس، وكانت عنده جاريةٌ يقال لها خِشفٌ ابتاعها من علُّويه، وذلك في شهر رمضان، ومعنا رجلٌ هاشميّ من ولد عبد الصمد بن عليّ يقال له عبد الصمد، وإبراهيم بن عمرو بن نهيون وكان يحبها، فأعطى بها زلبهزة أَربعة آلاف دينارٍ فلم يَبِعها منه، وبقيتْ معه حتى توفّيتْ، فغنَّتنا أَصواتاً كان فيها:

أشارت بطرف العين خيفةَ أهلِها ... إشارة محزونٍ ولم تتكلَّم
فأيقنتُ أنّ الطَّرف قد قال مَرحباً ... وأهلاً وسَهلاً بالحبيب المُسَلِّم
وأبرزتُ طَرفي نحوَها لأجيبها ... وقلتُ لها قولَ امرئ غير مُعجِم[1]
هنيئاً لكم قَتلي وصَفوُ مودّتي ... وقد سِيْطَ[2] في لحمي هواكِ وفي دمي

[الطويل]

ـ الغناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ ـ قال: فلمَّا وثبنا للانصراف قال لنا وقد اشتدّ الحرّ: أقيموا عندي. فوجّهتُ غلاماً معي وأعطيته ديناراً وقلتُ له ابتَعْ فراريج بعشرة دراهم وثلجاً بخمسة دراهم وعجِّل، فجاء بذلك فدفعه إلى زلبهزة وأمره بإِصلاح الفراريج ألواناً، وكتبتُ إلى علُّويه فعرّفته خبرنا، فجاءنا وأقام، وأفطرنا عند زلبهزة، وشرِب منَّا مَن كان يستجيز الشراب، وغنَّى علُّويه لحناً ذكر أنه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوَّل، فاستغربه الجماعةُ، وهو:

صـوت

يا هندُ إنَّ الناس قد أفسدوا ... وُدَّكِ حتى عَزَّني المَطلَبُ
يا ليتَ مَن يسعى بنا كاذباً ... عاشَ مُهاناً في أذىً يَتعبُ
هَبيهِ ذنباً كنتُ أذنبتُه ... قد يغفِر اللَّهُ لمن يُذنِبُ
وقد شجاني وجرتْ دمعتي ... أن أرسلتْ هندٌ وهي تَعتبُ
ما هكذا عاهدتَنا في مني ... ما أنت إلَّا ساحرٌ تخلُبُ

(١) مُعجِم: الذي في كلامه عُجمة، أي غير فصيح الكلام.
(٢) سِيْط: خُلط ومُزج.

حلفتَ لي باللَّه لا نبتغي غيركِ ما عشتِ ولا نطلُبُ

[السريع]

قال: وقام عبد الصمد الهاشميّ ليبولَ. فقال علُّويه: كلُّ شيء قد عرفتُ معناه: أمَّا أنت فصديقُ الجماعة، وهذا يتعشَّق هذه، وهذا مولاها، وأنا ربَّيتها وعلَّمتها، وهذا الهاشميّ أَيش معناه! فقلتُ لهم: دعوني أحُكُّه وآخذ لزلبهزة منه شيئاً. فقال: لا واللَّه ما أُريد. فقلت له: أنت أحمقُ، أنا آخذ منه شيئاً لا يستحي القاضي من أخذه. فقال: إن كان هكذا فنعم. فقلت له: إذا جاء عبد الصمد فقُلْ لي: ما فعلَ الآجُرُّ الذي وعدتَني به، فإِن حائطي قد مال وأخاف أن يقع، ودَعني والقصةَ.

فلما جاء الهاشميّ قال لي زلبهزة ما أمرته به، فقلتُ: ليس عندي آجُر، ولكن اصبر حتى أَطلب لك من بعض أَصدقائي، وجعلتُ أنظر إلى الهاشميّ نظر مُتعرض به. قال الهاشمي: يا غلامُ دواةً ورُقعة، فأحضر ذلك. فكتب له بعشرة آلاف آجُرَّةٍ إلى عامل له، وشربنا حتى السَّحر وانصرفنا. فجئتُ بُرقعته إلى الآجُرّيّ ثم قلتُ: بكم تبيعه الآجُرّ؟ فقال: بسبعة وعشرين درهماً الألف. قلت: فبكم تشتريه مني؟ قال: بنُقصان ثلاثة دراهم في الألف. فقلتُ: فهاتِ، فأخذتُ منه مائتين وأربعين درهماً، واشتريتُ منها نبيذاً وفاكهةً وثلجاً ودجاجاً بأربعين درهماً، وأعطيتُ زلبهزة مائتي درهم وعرّفته الخبر، ودعونا علُّويه والهاشميّ، وأقمنا عند زلبهزة ليلتنا الثانية. فقال علُّويه: نعم! الآن صار للهاشميّ عندكم موضعٌ ومعنى.

أَخبرني جحظة قال حدثني أَحمد بن حمدون قال حدثني أَبي قال:

قال لنا الواثق يوماً: مَن أَحذقُ الناس بالصَّنعة؟ قلنا إسحاق. قال: ثم مَن؟ قلنا: علُّويه. قال: فمن أَضربُ الناس؟ قلنا: ثقيفٌ. قال: ثم مَن؟ قلنا: علُّويه. قال: فمن أَطيبُ الناس صوتاً؟ قلنا: مُخارق. قال: ثم مَن؟ قلنا: علُّويه. قال: اعترفتم له بأنه مُصلِّي كل سابقٍ، وقد جمع الفضائل كلَّها وهي متفرقةٌ فيهم، فما ثَمّ ثانٍ لهذا الثالث.

غنى المأمون في دمشق بما أساءه فغضب عليه وشتمه:

وحدثني جَحظةُ قال حدثني محمد بن أحمد المكي المُرتجل قال حدثني أَبي قال:

دخلتُ إلى علُّويه أَعوده من علة اعتلَّها ثم عوفي منها، فجرى حديثُ

المأمون، فقال لي: كِدْتُ ـ عَلِم اللَّه ـ أَذهب دفعةً ذات يوم وأنا معه لولا أَنَّ اللَّه تعالى سلمني ووهب لي حلمه. فقلت: كيف كان السبب فِي ذلك؟ فقال: كنتُ معه لمَّا خرج إلى الشام، فدخلنا دمشق فطُفنا فيها، وجعل يطوف على قصور بني أُميَّة ويتبَّع آثارهم، فدخل صحناً من صحونهم، فإِذا هو مفروشٌ بالرُّخام الأخضر كلُّه وفيه بِركةُ ماء يدخلها ويخرج منها من عينٍ تصبّ إليها، وفي البركة سمكٌ، وبين يديها بستان على أربع زواياه أَربعُ سرَواتٍ كأنها قُصَّتْ بمقراض من التفافها أَحسنُ ما رأَيتُ من السَّرو قطُّ قدّاً وقدراً. فاستحسن ذلك، وعزم على الصَّبوح[1]، وقال: هاتوا لي الساعة طعاماً خفيفاً، فأُتي ببَزْماوردٍ[2] فأكل، ودعا بشرابٍ، وأَقبل عليَّ وقال: غنِّني ونشِّطني، فكأن اللَّه عزّ وجلّ أَنساني الغناء كلَّه إلا هذا الصوت:

لو كان حولي بنو أُميَّة لم تنطِق رجالٌ أَراهُمُ نطقوا

[المنسرح]

فنظر إليّ مُغضباً وقال: عليك وعلى بني أُميَّة لعنة اللَّه! ويلكَ! أَقلتُ لك سُؤني أَو سُرَّني! أَلم يكن لك وقتٌ تذكر فيه بني أُميَّة إلا هذا الوقتَ تعرِّض بي! فتحيَّلتُ عليه وعلمتُ أَني قد أَخطأتُ، فقلتُ: أَتلومُني على أَن أَذكر بني أُميَّة! هذا مولاكم زِرياب عندهم يركب في مائتي غلام مملوكٍ له، ويملك ثلاثمائة ألفِ دينارٍ وهبوها له سوى الخيل والضِّياع والرقيق، وأَنا عندكم أَموت جوعاً. فقال: أَو لم يكن لك شيءٌ تذكِّرني به نفسك غير هذا! هكذا حضرني حين ذكرتُهم. فقال: أَعدل عن هذا وتنبَّه على إرادتي. فأنساني اللَّه كل شيء أَحسنه إلا هذا الصوت:

ألحَينُ ساق إلى دمشقَ ولم أَكُن أَرضى دمشقَ لأهلنا بلَدَا

[الكامل]

فرماني بالقدح فأخطأني فانكسر القدحُ، وقال: قُمْ عني إلى لعنة اللَّه وحرِّ سقَر، وقام فركب. فكانت واللَّه تلك الحال آخر عهدي به، حتى مرِض ومات. قال: ثم قال لي: يا أَبا جعفر كم تُراني أُحسِن! أُغنّي ثلاثة آلاف صوت، أربعة آلاف صوت، خمسةَ آلاف صوت، أَنا واللَّه أغنّي أكثر من ذلك، ذهب عَلِم اللَّهُ كلُّه حتى كأنّي لم أعرِف غير ما غنَّيتُ. ولقد ظننتُ أَنه لو كانت لي ألفُ روح ما

(١) الصَّبوح: طعام أو شراب الصَّباح.

(٢) بزماورد: طعام يتخذ من اللحم والبيض.

نجتْ منه واحدةٌ منها، ولكنه كان رجلاً حليماً، وكان في العمر بقيّة.

نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر

صـــوت

لـــو كـــان حـــولـــي بـــنـــو أمـــيَّـــةَ لـــم تـــنـــطـــق رجـــالٌ أراهُـــمُ نـــطـــقـــوا
مِـــن كـــلّ قَـــرمٍ مَـــحـــضٍ ضـــرائـــبُـــه عـــن مَـــنـــكِـــبَـــيـــه الـــقـــمـــيـــصُ يـــنـــخـــرقُ

[المنسرح]

الشعر لعبيد اللَّه بن قيس الرُّقيات. والغناء لمعبد، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لابن سُرَيج. وذكر ابن خُرداذْبه أن فيه لدُكَين بن عبد اللَّه بن عَنبسة بن سعيد بن العاصي لحناً من الثقيل الأول، وأن دكيناً مدنيٌّ كان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان.

صـــوت

ألـــحَـــيـــنُ ســـاق إلـــى دِمَـــشـــقَ ومـــا كـــانـــت دمـــشـــق لأهـــلـــنـــا بـــلَـــدَا
قـــادتـــك نَـــفـــســـك فـــاســـتـــقـــدتَ لـــهـــا وأُريـــــتَ أمـــــرَ غـــــوايـــــةٍ رَشَـــــدَا

[الكامل]

لعُمر الوادي في هذا الشعر ثقيلٌ أول بالوسطى عن ابن المكي. قال: وفيه ليعقوب الوادي رملٌ بالبنصر.

إعترض على خضابه فأجاب:

حدثني عمي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال سمعتُ الحسن بن وَهبٍ الكاتب يحدّث:

أنَّ علُّويه كان يصطبح في يوم خضابه مع جواريه وحُرَمه، ويقول: أجعل صبوحي في أحسن ما يكون عند جواريَّ. فقيل له: إن ابن سيرينَ كان يقول: لا بأسَ بالخِضاب ما لم تغرَّرْ به امرأةٌ مسلمةٌ. فقال: إنَّما كُرِه لئلَّا يتصنَّع به لمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوّجها على أَنه شابٌّ وهو شيخ، فأمَّا الإماء فهنّ ملكي، وما أريد أن أغُرّهنّ.

قال الحسن: فتعالل علُّويه على المعتصم ثلاثةَ أيامٍ متوالية واصطبح فيها، فدعاني، وكان صوتُه على جواريه شعر الأخطل:

كـأنَّ عـطَّـارةً بـاتـتْ تُـطـيـفُ بـه حـتـى تـسـربـل مـثـل الـورس وانـتـعـلَا
[البسيط]

فقال لي: كيف رويته؟ فقلتُ له: قرأتُ شعرَ الأخطل وكان أعلم الناس به، كان يختار «تسروَل» ويقول: إنما وصف ثوراً دخل رَوضةً فيها نُوّارٌ أصفرُ فأثَّر في قوائمه وبطنه فكان كالسراويل، لا أنَّه صار له سِربالٌ. ولو قال: «تسربل» أيضاً لم يكن فاسداً، ولكنّ الوجه «تسرول».

مدح إسحاق لحناً له:

أَخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجِّم قال:

قَدِمتُ من سُرَّ مَن رأى قَدمةً بعد طول غيبة، فدخلتُ إلى إسحاق الموصلي، فسلَّم عليَّ وسألني خبري وخبر الناس حتى انتهينا إلى ذكر الغناء، فسألني عمَّا يتشاغل الناس من الأصوات المُستجادة. فقلتُ له: تركتُ الناسَ كلَّهم مُغرمين بصوتٍ لك. قال: وما هو؟ فقلت:

أَلَا يـا حـمـامَـيْ قَـصـرِ دوران هِـجـتـمـا

فقال: ليس ذلك لي، ذاك لعلُّويه. وقد لعمري أحسن فيه وجَوّد ما شاء.

قال المأمون أبياتاً فغناه فيها فوصله:

أَخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك الخزاعيّ قال حدثني علُّويه قال:

خرج المأمون يوماً ومعه أبياتٌ قد قالها وكتبها في رُقعة بخطِّه، وهي:

صـوت

خـرجـنـا إلـى صَـيـد الـظِّـبـاء فـصـادنـي هـنـاك غـزالٌ أدعـجُ[1] الـعـيـن أحـوَرُ[2]
غـزالٌ كـأنّ الـبـدرَ حـلّ جـبـيـنـه وفـي خـده الـشَّـعـرَى الـمـنـيـرةُ تَـزهَـرُ
فـصـاد فـؤادي إذ رمـانـي بـسـهـمـه وسـهـمُ غـزالِ الإِنـس طَـرفٌ ومِـحـجَـرُ
فـيـا مَـن رأى ظـبـيـاً يـصـيـدُ ومَـن رأى أخـا قَـنَـصٍ يُـصـطـادُ قـهـراً ويُـقـسَـرُ
[الطويل]

(١) أدعج: أسود العينين واسعهما.
(٢) أحْوَر: شديد بياض بياض العين، وسواد سوادها.

قال: فغنَّيته فيها، فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

قال أَبو القاسم جعفر بن قُدامة: لحنُ علُّويه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل ابتداؤه نشيد.

غنَّى في مجلس الرَّشيد بما أغضبه عليه:

أخبرني محمد بن مزيَدٍ قال حدثني حمَّاد عن أبيه قال: غنَّيتُ الرشيد يوماً:

هما فتاتان لَمَّا يعرفَا خُلُقي وبالشَّبابِ على شَيبي يُدِلّانِ

فطرب وأمر لي بألفِ دينار. فقال له ابنُ جامع ـ وكان أحسد الناس ـ: اسمع غناء العقلاء ودَع غناء المجانين ـ وكنت أَخذتُ هذا الصوت من مجنون بالمدينة كان يُجيده ـ ثم غنَّى قوله:

ولقد قالت لأترابٍ لها كالمَها يَلعَبنَ في حُجرتِهَا
خُذْنَ عنّي الظِّلَّ لا يتبعني وغدتْ تسعى إلى قُبَّتِهَا

[الرمل]

فطرب وأمر له بألف وخمسمائة دينار. ثم تغنّى وَجهُ القَرعة:

يمشون فيها بكلّ سابغةٍ أُحكم فيها القتيرُ[1] والحِلَقُ[2]

[المنسرح]

فاستحسنه وشرب عليه وأمر له بخمسمائة دينار. ثم تغنَّى علُّويه:

وأرى الغواني لا يُواصِلنَ امرأً فقدَ الشباب وقد يَصِلن الأمردا

[الكامل]

فدعاه الرشيد وقال له: يا عاضَّ بَظر أُمّه! تُغنّي في مدح المُردِ وذمّ الشِّيب وستارتي منصوبةٌ وقد شِبتُ! كأنَّك إنَّما عرَّضتَ بي! ثم دعا بمسرورٍ فأمره أَن يأخذ بيده فيُخرجه فيضربه ثلاثين درّةً ولا يردّه إلى مجلسه، ففعل ذلك، ولم ينتفع الرشيد يومئذٍ بنفسه ولا انتفعنا به بقيَّة يومنا، وجفا علُّويه شهراً فلم يأذَن له حتى سألناه فأذِن له.

---

(١) القتير: المسامير التي تجعل في الدرع.
(٢) الحِلَق: ما يتّقي به الفارس ضربات الآخرين.

نسبة هذه الأصوات التي تقدّمت

صـوت

هـمـا فـتـاتـان لـمَّـا يـعـرفـا خُـلُـقـي وبـالـشـبـاب عـلـى شَـيـبـي يُـدلّانِ
كـلُّ الـفـعـال الـذي يـفـعـلـنَـه حـسـنٌ يُـضـنـي فـؤادي ويُـبـدي سـر أشـجـانـي
بـلِ احـذرَا صـولـةً مـن صـول شـيـخـكـمـا مـهـلاً عـن الـشـيـخ مـهـلاً يـا فـتـاتـانِ

[البسيط]

لم يقع إليَّ شاعره. فيه لابن سُريج ثاني ثقيل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن سُريج رملٌ بالبنصر عن عمرو. وفيه لسليمان المُصاب رملٌ كان يغنِّيه، فدسّ الرشيد إليه إسحاق حتى أخذه منه، وقيل: بل دسّ عليه ابن جامع.

أَخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دعاني الرشيدُ لما حجّ، فقال: صِر إلى موضع كذا وكذا من المدينة؛ فإنّ هناك غلاماً مجنوناً يغني صوتاً حسناً، وهو:

هُـمـا فـتـاتـان لـمَّـا يـعـرفـا خُـلـقـي وبـالـشـبـاب عـلـى شـيـبـي يُـدلَّانِ

[البسيط]

وله أُمٌّ، فصِر إليها وأقم عندها واحتل حتى تأخذه. فجئتُ أستدل حتى وقفت على بيتها، فخرجتْ إليّ فوهبتُ لها مائتي درهم، وقلتُ لها: أريد أن تحتالي على ابنِك حتى آخذ منه الصوت الفلانيّ. فقالت: نعم، وأدخلتني دارها، وأمرتني فصعدتُ إلى عِلِّية لها، فما لبثتُ أن جاء ابنها فدخل. فقالت له: يا سليمانُ فدتك نفسي! أُمك قد أصبحت اليومَ خاثرةً[1] مُغرمةً[2]، فأحبّ أن تُغني ذلك الصوتَ:

هـمـا فـتـاتـان لـمَّـا يـعـرفـا خُـلـقـي

فقال لها: ومتى حدث لك هذا الطرب؟ قالت: ما طربتُ ولكنني أحببتُ أن أتفرّج من همٍّ قد لحقني. فاندفع فغناه، فما سمعتُ أحسن من غنائه. فقالت له أُمه: أحسنتَ! فديتُك! فقد واللَّه كشفت عني قطعةً من همِّي، فأسألك أن تُعيده. قال:

(١) خاثرة: ثقيلة النفس، غير نشيطة.
(٢) مُغرمة: التي تلازمها الآلام والأوجاع لا تبرمها.

واللَّه ما لي نشاطٌ، ولا أشتري غَمي بفرحك. فقالت: أعده مرتين ولك درهمٌ صحيحٌ تشتري به ناطفاً[١]. قال: ومن أَين لك درهم؟ ومتى حدث لك هذا السخاء؟ فقالت: هذا فضولٌ لا تحتاج إليه، وأَخرجت إليه درهماً فأعطته إياه، فأخذه وغنَّاه مرتين، فدار لي وكاد يستوي. فأومأتُ إليها من فوق أن تستزيده. فقالت: يا بُني بحقِّي عليك إلا أعدته. فقال: أظنّ أنك تُريدين أن تأخذيه فتصيري مغنِّية. فقالت: نعم! كذا هو. قال: لا! وحقِّ القبر لا أعدتُه إلا بدرهم آخر. فأخرجتْ له درهماً آخر، فأخذه وقال: أظنك واللَّه قد تزَندقتِ[٢] وعبدت الكبشَ فهو ينقُد لك هذه الدراهم، أو قد وجدتِ كنزاً. فغنَّاه مرتين، وأخذتُه واستوى لي. ثم قام فخرج يعدو على وجهه. فجئتُ إلى الرشيد فغنَّيته به وأخبرتُه بالقصة، فطرب وضحك وأمر لي بألف دينار، وقال لي: هذه بدلُ مائتي الدِّرهم.

صــوت

ولــقــد قــالــتْ لأتــرابٍ لــهــا ... كــالــمَــهَــا يــلــعــبــن فــي حُــجــرتِــهَــا
خُــذنَ عــنــي الــظِّــلّ لا يــتــبــعــنــي ... وعــدتْ ســعــيــاً إلــى قُــبَّــتِــهَــا
لــم يُــصِــبــهــا نــكــدٌ فــيــمــا مــضــى ... ظــبــيــةٌ تــخــتــال فــي مــشــيــتِــهَــا

[الرمل]

في هذه الأبيات رملٌ بالبنصر ذكر الهشاميُّ أنه لابن جامع المكي، وذكر ابن المكيّ أنه لابن سُريج. وهو في أَخبار ابن سريج وأغانيه غير مُجنَّس.

صــوت

يــمــشــون فــيــهــا بــكــل ســابــغــةٍ ... أُحــكِــمَ فــيــهــا الــقــتــيــرُ والــحِــلــقُ
تــعــرف إنــصــافــهــم إذا شــهــدوا ... وصــبــرَهــم حــيــن تــشــخــصُ الــحــدَقُ

[المنسرح]

الغناء لابن مُحرز، خفيفُ ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش.

---

(١) الناطف: نوع من الحلوى.
(٢) الزندقة: هي إبطان الكفر وإظهار الإيمان.

صـوت

يَجحَدنني دَيني النهارَ وأقتضي ... دَيني إذا وقذ[١] النُّعاسُ الرُّقَّدَا
وأرى الغواني لا يُواصلْنَ امرأً ... فَقَد الشبابَ وقد يَصِلنَ الأمردا[٢]

[الكامل]

الشعر للأعشى. والغناء لمعبَدٍ، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

* * *

صـوت

أيَّةُ حالٍ يا ابن رامِين ... حالُ المُحبِّين المساكينِ
تركتَهم مَوتى وما مُوِّتوا ... قد جُرِّعُوا منكَ الأمَرِّين
وسِرْتَ في ركبٍ على طيَّةٍ[٣] ... ركبٍ تَهامٍ ويَمَانين
يا راعي الذّودِ لقد رُعتَهُمْ ... ويَلك من روعِ المُحبِّين

[السريع]

الشعر لإسماعيل بن عَمَّارٍ الأسديّ، والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الزُّهريّ الكوفيّ، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى، عن الهشاميّ وأَحمد بن المكيّ.

(١) وَقَذَ: صرع، وغَلَب.
(٢) الأمرد: الشاب الذي طرَّ شاربه ولم تنبت لحيته.
(٣) الطيَّة: ما ينطوي عليه المرء، النيَّة.

نسب إسماعيل بن عمار وأخباره

هو إسماعيل بن عمَّار بن عُيَينة بن الطُّفَيل بن جَذيمة بن عمرو بن خلف بن زبَّان بن كعب بن مالك بن ثعلبةَ بن دودان بن أسَدِ بن خُزَيمة. أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن السكَّريّ عن ابن حبيب.

وإسماعيل بن عمَّارٍ شاعرٌ، مُقِلٌّ، مُخضرَمٌ من شعراء الدولتين الأمويّة والهاشمية. وكان ينزل الكوفة.

قال ابن حبيب: كان في الكوفة صاحبُ قِيانٍ يقال له ابن رامين، قَدِمها من الحجاز؛ فكان مَن يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويُقيمون عنده مثل يحيى بن زيادٍ الحارثيّ، وشُراعة بن الزَّندَبوذ، ومُطيع بن إياس، وعبد اللَّه بن العبَّاس المفتون، وعَونٍ العِباديّ الحِيريّ، ومحمد بن الأشعث الزُّهريّ المغنّي. وكان نازلاً في بني أَسَدٍ في جيران إسماعيل بن عمَّار، فكان إسماعيل يغشاه ويشرَب عنده. ثم انتقل من جواره إلى بني عائذ اللَّه، فكان إسماعيل يزوره هناك على مشقَّة لبُعد ما بينهما. وكان لابن رامين جَوارٍ يقال لهن سلَّامةُ الزرقاء، وسَعدَة، ورُبَيحة، وكنّ من أحسن الناس غناء، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلَّامة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث:

أمسى لسلَّامة الزرقاءِ في كبدي ... صَدعٌ مُقيمٌ طوالَ الدَّهر والأبدِ
لا يستطيعُ صَناعُ القوم يَشعبُه ... وكيف يُشعَب صَدعُ الحُبّ في كبِدِ
[البسيط]

قصيدة له في جواري ابن رامين:

وفي جواريه يقول إسماعيل بن عمَّار:

هل من شفاءٍ لقلبٍ لجَّ محزون ... صبا وصبّ إلى رئم ابن رامينِ
إلى رُبيحة إن اللَّه فضَّلها ... بحسنِها وسماعٍ ذي أفانينِ[1]

(١) الأفانين: جمع الجمع، واحدتها الفنن وهو الغصن.

وهـاجَ قـلـبـي مـنـهـا مَـضـحَـكٌ حـسـنٌ ... ولـثـغـة بـعـدُ فـي زايٍ وفـي سـيـنِ
نـفـسـي تـأبَّـى لـكـم إلا طـواعـيـةً ... وأنـتِ تـأبـيـن لـؤمـاً أن تـطـيـعـيـنـي
وتلك قسمةُ ضِيزى[١] قد سمعتِ بها ... وأَنـت تـتـلـيـنَـهـا[٢] مـا ذاك فـي الـديـنِ
إن تُـسـعـفـيـنـي بـذاك الـشـيء أَرضَ بـه ... وإن ضـنَـنـتِ بـه عـنـي فـزَنَّـيِّـنـي
أَنـتِ الـطـبـيـبُ لـداءٍ قـد تـلـبَّـس بـي ... مـن الـجـوى[٣] فـانـفُـثـي فـي فـيّ وارقـيـنـي
نـعـم شـفـاؤكَ مـنـهـا أن تـقـولَ لـهـا ... أضـنـيـتـنـي يـوم دَيـر الـلُّـجْ فـاشـفـيـنـي
يـا ربِّ إن ابـن رامـيـنٍ لـه بـقـرٌ ... عِـيـنٌ ولـيـس لـنـا غـيـرُ الـبـراذيـنِ
لـو شـئـتَ أعـطـيـتَـه مـالاً عـلـى قَـدرٍ ... يرضى به منك غير الرَّبرب[٤] العِينِ
لا أَنـسَ سـعـدةَ والـزرقـاءَ يـوم هُـمـا ... بـالـلُّـجّ شَـرقـيَّـهُ فـوق الـدّكـاكـيـنِ[٥]
يُـغـنِّـيـانِ ابـنَ رامـيـنٍ عـلـى طـربٍ ... بالـمِسجـجـيّ[٦] وتشبيبِ[٧] الـمحبِّـيـنِ
أذاك أنـعـمُ أم يـومٌ ظـلِـلـتُ بـه ... فِـراشِـيَ الـوَردُ فـي بُـسـتـان شُـوريـنِ
يَـشـوي لـنـا الـشـيـخُ شُـوريـنٌ دواجـنَـه ... بـالـجـردَنـاج[٨] وسـحَّـاج الـشـقـابـيـنِ[٩]
نُـسـقـى طِـلاءً لـعـمـرانٍ يُـعَـتِّـقـه ... يَـمـشِـي الأصـحَّـاءُ مـنـه كـالـمـجـانـيـنِ
يُـزِلّ أقـدامـنـا مـن بـعـد صـحَّـتـهـا ... كـأنـهـا ثِـقـلاً يُـقـلَـعـنَ مـن طـيـنِ
نـمـشـي وأرجـلُـنـا مـطـويَّـةٌ شَـلَـلاً ... مَـشـيَ الإوَزّ الـتـي تـأتـي مـن الـصـيـنِ
أَو مَـشـيَ عُـمـيـانِ دَيـرٍ لا دلـيـل لـهـم ... سِـوى الـعِـصِـيِّ إلـى يـوم الـسَّـعـانـيـنِ
فـي فِـتـيـةٍ مـن بـنـي تَـيـم لـهـوتُ بـهـم ... تَـيـم بـن مُـرّة لا تَـيـم الـعـديّـيـنِ
حُـمـرُ الـوُجـوه كـأنَّـا مـن تـحـشُّـمـنـا ... حـسـنـاءُ شـمـطـاء وافـت مـن فِـلَـسـطـيـنِ
مـا عـائـذُ الـلَّـه لـولا أنـتِ مـن شـجـنـي ... ولا ابـنُ رامـيـن لـولا مـا يُـمَـنِّـيـنـي

---

(١) ضيزى: قسمة جائرة.
(٢) تتلينها: تقتفين أثرها، وتحذي حذوها.
(٣) الجوى: الهوى الباطن والحزن.
(٤) الرَّبرَب: الجماعة من الأبقار الوحشية.
(٥) الدَّكاكين: مفردها دكان، وهو المصطبة.
(٦) المسججي: المنسوب لابن مسجح.
(٧) تشبيب المحبين: التشبيبْ هو النسيب بالنِّساء أي الغزل بهنّ.
(٨) الجردناج: فارسية معناها الشواء الذي كُتَّ على الجمر.
(٩) الشقابين: مفردها شقبان وهو نوع من الطيور.

فـي عـائـذ الـلَّـه بـيـتٌ مـا مـررتُ بـه ... إلَّا وُجِـئـتُ عـلـى قـلـبـي بـسـكـيـنِ
يـا سَـعـدةُ الـقَـيـنـةُ الـخـضـراءُ أنتِ لـنـا ... أُنـسٌ لأنـك فـي دار ابـن رامـيـنِ
مـا كـنـتُ أحـسَـبُ أَنّ الأُسـدَ تـؤنـسـنـي ... حـتـى رأيـتُ إلـيـكِ الـقـلـبَ يـدعـونـي
لـولا رُبَـيـحـةُ مـا اسـتـأنـسـتُ مـا عـمـدت ... نـفـسـي إلـيـك ولـو مُـثِّـلـتِ مـن طـيـنِ
[البسيط]

قال: وحجّ ابن رامين وحجّ بجواريه معه، وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحجاز، فاشترى منه سلَّامة الزَّرقاء بمائة ألف درهم. فقال إسماعيل بن عمَّار:

أيَّـةُ حـالٍ يـا ابـنَ رامـيـنِ ... حـالُ الـمـحـبِّـيـن الـمـسـاكـيـنِ
تـركـتـهـم مَـوتـى ومـا مُـوِّتـوا ... قـد جُـرّعـوا مـنـك الأمـرِّيـنِ
وسِـرْتَ فـي ركـبٍ عـلـى طِـيَّـةٍ ... رَكـب تَـهـام ويَـمـانـيـنِ
حَـجـجـتَ بـيـتَ الـلَّـه تـبـغـي بـه الـ ... ـبـرَّ ولـم تَـرْث لـلـمـحـزونِ
يـا راعـيَ الـذَّود لـقـد رُعـتَـهـم ... وَيـلـك مـن رَوع الـمـحـبِّـيـنِ
فـرّقـتَ قـومـاً لا يُـرَى مـثـلـهـم ... مـا بـيـن كـوفـانٍ إلـى الـصـيـنِ
[السريع]

مات له ابن فرثاه:

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا السكَّريّ عن محمد قال:

كان لإسماعيل بن عمَّار ابنٌ يقال له مَعنٌ فمات، فقال يرثيه:

يـا مَـوتُ مـالـك مُـولـعـاً بـضِـراري ... إنِّـي عـلـيـك وإن صـبـرتُ لـزاري
تـعـدو عـلـيّ كـأنـنـي لـك واتـرٌ ... وأؤول مـنـك كـمـا يـؤول فِـراري
نـفـسُ الـبـعـيـد إذا أردتَ قـريـبـةٌ ... لـيـسـت بـنـاجـيـةٍ مـع الأقـدارِ
والـمـرء سـوف وإن تـطـاول عُـمـره ... يـومـاً يـصـيـر لـحـفـرة الـحـفَّـارِ
لـمَّـا غَـلَا عـظـمٌ بـه فـكـأنـه ... مـن حـسـن بـنـيـتـه قَـضـيـب نُـضـارِ
فـجَّـعـتـنـي بـأعـزّ أهـلـي كـلِّـهـم ... تـعـدو عـلـيـه عَـدوة الـجـبَّـارِ
هَـلَّا بـنـفـسـي أو بـبـعـض قـرابـتـي ... أوقـعـتَ أَو مـا كـنـت لـلـمـخـتـارِ
وتـركـتَ رَبَّـتِـيَ الـتـي مِـن أَجـلـهـا ... عـفـتُ الـجـهـاد وصـرتُ فـي الأمـصـارِ
[الكامل]

أَخبرني علي بن سليمان قال حدثني السكريّ عن محمد بن حبيب قال:

قال رجلٌ من بني أَسدٍ كان وجهاً[١]، لإِسماعيل بنِ عمَّار: هلمَّ أركَبْ معك إلى يوسف بن عمر، فإِنه صديقٌ، حتى أكلِّمه فيك يستعملك على عملٍ تنتفع به. فقال له إسماعيلُ: دَعني حتى يحول الحول. فنظر إسماعيل إلى عمَّال يوسف يُعَذَّبون، فقال في ذلك:

رأيتُ صبيحةَ النَّيروز[٢] أمراً ... فظيعاً عن إمارتهم نَهاني
فرَرتُ من العمالةِ بعد يحيى ... وبعد النَّهشليّ أَبي أبان
وبعد الزور وابن أَبي كثيرٍ ... وفيقدِ أشجعٍ وأبي بطان
فحابِ بها أبا عُثمانَ غيري ... فما شأنُ الإمارة لي بشان
أحاذِرُ أن أقصِّر في خَراجي ... إلى النَّيروزِ أو في المِهرجان
أُعَجَّلُ إن أتى أجلي بوقتٍ ... وحَسبي بالمجرّحة المِتان
فما عُذري إذا عرّضتُ ظهري ... لألفٍ من سِياطِ الشَّاهِجان[٣]
تُعَدُّ ليوسفٍ عدّاً صحيحاً ... ويحفظها عليه الجالدان
وأُسحَبُ في سَراويلي بقَيد ... إلى حسَّانَ مُعتقلَ اللسان
فمنهم قائلٌ بُعداً وسُحقاً ... ومنهم آخران يُفدِّيان
كفاني من إمارتهم عَطائي ... وما أُحذيتُ[٤] من سبق الرّهانِ
كفاني ذاك منهم ما بَقينا ... كما فيما مضى لي قد كفاني

[الوافر]

وقال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه: إنه كانت لعبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وصيفةٌ مغنِّيةٌ يؤدّبها ويصنعها[٥] ليهديها إلى هشام بن عبد الملك يقال لها بُوبة. فقال فيها إسماعيل بن عمَّار:

بُوبَ حُيِّيتِ عن جليسك بُوبا ... مُخطئاً في تحيَّتي أَو مصيبا

(١) وجهاً: وجيهاً، سيداً للقوم.
(٢) النيروز: أول يوم من السنة، يحتفل به الفرس، الكلمة فارسية.
(٣) الشاهجان: أشهر مدينة في خراسان وهي قصبتها.
(٤) أحذيت: أعطيت.
(٥) يصنعها: صنع الجارية أي أدّبها وربَّاها وأحسن تغذيتها.

ما رأينا قتيلَ حيٍّ حبا القا ... تلَ بالوترِ أن يكون حبيبا
غيرَ ما قد رُزِقتِ يا بُوبَ منّي ... فهنيئاً وإن أتيتِ عجيبا
غيرَ منٍّ به عليك وإن كنـ ... ـت بقدرِ القيان طبّاً طبيبا
بنتُ عَشرٍ أديبةٌ في قُرَيشٍ ... بَخْ فأَكرِم بهم أباً ونسيبا
أدِّبتْ في بني أميَّة حتى ... كملتْ في حُجورهم تأديبا

[الخفيف]

قال: ثم أَهداها ابنُ عنبسة إلى هشام. فقال إسماعيل بن عمَّار:

أَلَا حُيِّيتِ عنَّا ثـ ... ـمَّ سَقياً لكِ يا بوبَه
وأَكرِمْ بكِ مُهداةً ... وأَحبِب بك مَطلوبه
وواهاً لكِ من بكرٍ ... وواهاً لكِ مشقوبَهْ
وواهاً لك مُلقاةً ... وواهاً لك مكبوبَهْ
لقد عاين مَن يَلقا ... كِ من حسنِك أُعجوبَهْ
ويا وَيلي ويا عَولي ... فنفسي الدهر مكروبَهْ
على هَيفاءَ[1] حَوراء ... على جَيداءَ رُعبوبَهْ[2]
إذا ضاجعها المَولى ... فقد أدرك محبوبَهْ

[الهزج]

هجاؤه لجارية له كان يبغضها:

قال ابن حبيب في هذه الرواية: كان لإسماعيل بنِ عمَّار جاريةٌ قد ولدتْ منه، وكانت سيئة الخُلق قبيحة المنظر، وكان يُبغضها وتُبغضه، فقال فيها:

بُليتُ بزمَّردةٍ[3] كالعصا ... ألَصَّ وأخبثَ من كُندُشِ[4]
تُحبّ النساء وتأبى الرجال ... وتمشي مع الأسفه الأطيشِ
لها وجهُ قِردٍ إذا ازَّيَّنت ... ولونٌ كبَيض القطا الأبرَشِ[5]

(١) هيفاء: المرأة الدقيقة الخصر.
(٢) رعبوبة: الناعمة، الليّنة، البيضاء.
(٣) زمّردة: فارسية معرّبة وهي المرأة التي تشبه الرجال، المترجلة من النساء.
(٤) كندش: العَقعَق.
(٥) الأبرش: المصاب بالبرش وهو ترقط لون الجلد بين الجمرة والبياض.

ومِـن فـوقـه لِـمَّـةٌ جَـثـلـةٌ كـمـثـل الـخـوافـي مـنَ الـمَـرعَـشِ[١]
وبـطـنٌ خـواصـره كـالـوِطـا ب[٢] زاد عـلـى كـرشِ الأكـرشِ
وإن نَـكَـهـتْ[٣] كـدتُ مـن نَـتـنـهـا أَخِـرُّ عـلـى جـانـبِ الـمَـفـرَشِ
وثَـديٌ تـدلَّـى عـلـى بـطـنـهـا كـقـربـةِ ذي الـثَّـلَّـةِ الـمُـعـطـشِ
وفـخـذان بـيـنـهـمـا بَـسـطـةٌ إذا مـا مـشـتْ مِـشـيـةَ الـمُـنـتـشـي
وسـاقٌ يـخـلـخـلـهـا خـاتـمٌ[٤] كـسـاق الـدجـاجـة أو أحـمـشِ[٥]
وفـي كـلّ ضِـرسٍ لـهـا أَكـلـةٌ[٦] أصَـلُّ[٧] مـن الـقـبـر ذي الـمـنـبـش
ولـمَّـا رأيـتُ خَـوا[٨] أنـفـهـا وفـيـهـا وإِصـلال[٩] مـا تـحـتـشـي
إلـى ضـامـرٍ مـثـل ظِـلـفِ الـغـزال أَشـدّ اصـفـراراً مـن الـمِـشـمـش
فـرَرتُ مـن الـبـيـتِ مـن أجـلـهـا فِـرار الـهَـجـيـن[١٠] مـن الأعـمـش[١١]
وأبـردُ مـن ثَـلـج سـاتِـيـدَمـا إذا راح كـالـعُـطُـبِ الـمُـنـفَـش
وأرسَـح مـن ضِـفـدَعٍ عَـثَّـةٍ تَـنِـقُّ عـلـى الـشَّـطّ مـن مَـرعَـش
وأوسَـعُ مـن بـاب جـسـر الأمـيـر تُـمـرُّ الـمـحـامـلَ لـم تَـخـدِشِ
فـهـذي صِـفـاتـي فـلا تَـأتِـهـا فـقـد قـلـتُ طَـرداً لـهـا كـشْـكـشـي[١٢]

[المتقارب]

هجا جاراً له بنى مسجداً قرب داره:

وقال ابن حبيب: كان في جوار إسماعيل بن عمَّار رجلٌ من قومه ينهاه عن

(١) المرعش: الحمام الأبيض.
(٢) الوطاب: سقاء اللبن جمعها وطب.
(٣) نكهت: تنفسَّت ليشمّ الآخرين ريح فمها.
(٤) يخلخلها خاتم: كناية عن الهزال، أي أنها تتخذ الخاتم خلخالاً من شدة هزالها.
(٥) أحمش: دقيق الرجلين.
(٦) أَكلة: داء يتبادر إلى الأعضاء فتتآكل.
(٧) أَصَلّ: منتن.
(٨) خوا: الهواء بين الشيئين.
(٩) إصلال: أصل اللحم إذا أنتن، فالإصلال هو الإنتان.
(١٠) الهجين: اللئيم.
(١١) الأعمش: ضعيف البصر مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات.
(١٢) كشكشي: تواري عن الأنظار.

السُّكر وهجاء الناس ويعذُله، وكان إسماعيل له مُغضباً. فبنى ذلك الرجلُ مسجداً يُلاصق دار إسماعيل وحسَّنه وشيَّده، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستُّر والصلاح منهم عامةَ نهارهم، فلا يقدر إسماعيل أن يشرب في داره ولا يدخل إليه أحدٌ ممن كان يألفه من مغنٍّ أو مغنِّية أو غيرهما من أَهل الرِّيبة. فقال إسماعيل يهجوه ـ وكان الرجل يتولَّى شيئاً من الوقوف للقاضي بالكوفة ـ:

بنى مسجداً بُنيانُه من خيانةٍ ... لَعَمري لَقِدماً كنتَ غيرَ مُوفَّقِ
كصاحبة الرُّمَّان لمَّا تصدّقتْ ... جَرت مثلاً للخائن المتصدِّق
يقولُ لها أَهلُ الصلاح نصيحةً ... لكِ الويلُ لا تزني ولا تتصدّقي

[الطويل]

وقال ابن حبيب: وُلّي العَسَسَ[1] رجلٌ غاضريٌّ[2]، فأخذ بني مالكٍ وهم رهطُ إسماعيل بن عمَّار بأن كانوا معه، فطافوا إلى الغداة. فلما أَصبح غدا على الوالي مُستعدياً على الغاضريّ. فقال له الوالي ـ وكان رجلاً من هَمدان ـ: ماذا صنع بك؟ فأنشأ يقول:

عَسَّ بنا لَيلتَه كلَّها ... ما نحن في دُنيا ولا آخرَهْ
يأمر أَشياخَ بني مالكٍ ... أَن يحرُسوا دور بني غاضرَهْ
واللَّه لا يرضى بذا كائناً ... من حُكم هَمدان إلى الساهرَهْ

[السريع]

قال: فقال له الوالي: قد لعَمري صدَقتَ، ووظّف على سائر البطون أن يطوفوا مع صاحب العَسَس في عشائرهم ولا يتجاوزوا قبيلةً إلى قبيلةٍ، ويكون ذلك بنوائبَ بينهم.

كان منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد فلما مات رثاه:

قال ابن حبيب: كان إسماعيل بن عمَّار منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد بن عُقبة بن أَبي مُعَيطٍ، وكان إليه مُحسناً، وكان ينادمه. فولي خالدُ بن خالدٍ عملاً للوليد بن يزيد بن عبد الملك فخرج إليه، وكان إسماعيل عليلاً

(١) العسَسَ: مفردها العاسّ، والعسس هم طوافو الليل لحراسة الناس والكشف عن أهل الريبة.
(٢) غاضري: نسبة إلى غاضرة وهي قبيلة من أسد، أو حيٌّ من صعصعة.

فتأخّر، ثم لم يلبث خالد أن مات في عمله، فورد نعيُه الكوفة في يوم فطرٍ. فقال إسماعيل بن عمَّار يرثيه:

ما لعيني تفيضُ غير جَمودِ ... ليس ترقا[١] ولا لها من هُجودِ[٢]
فإذا قرّت العيونُ استهلَّتْ ... فإذا نِمْنَ أُولِعتْ بالسُّهودِ
أِلِنَعي ابن خالدٍ خالدِ الخيـ ... ـرات في يوم زينةٍ مشهودِ
سَنَحتْ لي يومَ الخميس غداةَ الـ ... ـفِطر طيرٌ بالنَّحس لا بالسُّعودِ
فتعيَّفت[٣] أنَّهنّ لأمرٍ ... مُفظعٍ ما جرينَ في يوم عيدِ
فنعتْ خالد بنَ أروى وجلّ الـ ... ـخطبُ فِقدانُ خالدِ بن الوليدِ

[الخفيف]

وقال ابن حبيب: كان لإسماعيل بن عمَّار جارٌ يقال له عثمان بن دِرباس، فكان يُؤذيه ويسعى به إلى السلطان في كل حال، ثم سعى به أنه يذهب مذهبَ الشُّراة، فأُخذ وحُبس. فقال يهجوه:

من كان يحسُدني جاري ويغبِطني ... من الأنام بعثمان بن دِرباسِ
فقرَّب اللَّه منه مثلَه أَبداً ... جاراً وأبعد منه صالحَ الناسِ
جارٌ له بابُ ساجٍ[٤] مغلَقٌ أبداً ... عليه من داخلٍ حُرّاسُ أحراسِ
عبدٌ وعبدٌ وبنتاهُ وخادمُه ... يدعون مثلهمُ ما ليس من ناسِ
صُفرُ الوجوهِ كأنَّ السُّلّ خامَرَهم ... وما بهم غيرَ جهدِ الجوع من باسِ
له بَنون كأَطْباءٍ[٥] معلَّقةٍ ... في بطنِ خنزيرةٍ في دار كنَّاسِ
إن يُفْتَحِ البابُ عنهم بعد عاشرةٍ ... تظنُّهم خرجوا من قعر أرماسِ[٦]
فليتَ دار ابن دِرباسٍ مُعلَّقةٌ ... بالنَّجم بين سلاليم وأمراسِ[٧]

---

(١) ترقأ: تجف وتسكن.
(٢) هجود: نِيام.
(٣) تَعيَّفْتُ: زجرت الطير.
(٤) ساج: ضرب من الشجر، خشبه أسود.
(٥) أطباء: حلمات الضرع لذي الحافر والسبع.
(٦) أرماس: قبور.
(٧) أمراس: مفردها مَرَس، وهو الحبل.

فكان آخرَ عهدي منهمُ أبداً وابتعتُ داراً بغِلماني وأفراسي
[البسيط]

قال: وقال فيه أيضاً:

ليتَ بِرذَوني وبغلي وجوادي وحماري
كُنّ في الناس وأُبدِلـ ـتُ غداً جاراً بجارِ
جارَ صدقٍ بابن دِربا س وإلا بعتُ داري
فتبدّلتُ به مِن يَمَنٍ أو من نِزارِ
بدلاً يعرف ما اللَّـ ـهُ وما حقُّ الجِوارِ
لو تبدّلتُ سواه طاب ليلي ونهاري
واسترحنا من بلايا هُ صغارٍ أو كبارِ
لو جزيناه بها كُنّـ ـا جميعاً في فَجارِ[1]
أو سكتنا كان ذُلّاً داخلاً تحت الشِّعارِ[2]
[مجزوء الرمل]

كتب إلى ابن أخيه شعراً من الحبس فأجابه:

قال: فلمَّا قال فيه الشعرَ استعدى عليه السلطان، وذكر أنه من الشُّراة، وأنهم مجتمعون عنده، وأنه من دُعاة عبد اللَّه بن يحيى وأَبي حمزة المُختار. فكتب من السجن إلى ابن أخٍ له يقال له مُعانٌ:

أَبلغْ مُعاناً عني وإِخوته قولاً وما عالمٌ كمن جَهِلا
بأنني والمُصبِّحات مِنًى يعدون طوراً وتارةً رملا
لخائفٌ أن يكونَ وُدُّكُمُ إيَّايَ بعد الصفاء قد أفلا
أئنْ عَراني دهري بنائبةٍ أصبح منها الفؤاد مشتعلا
حاولتمُ الصُّرمَ[3] أو لعلَّكُمُ ظننتمُ ما أصابَني جَللا
لا تُغفِلونا بني أخي فلقد أصبحتُ لا أبتغي بكم بَدَلا

(١) فجار: اسم للفجور.
(٢) الشِّعار: ما يلي البشرة، الثياب الدَّاخلية.
(٣) الصُّرم: القطيعة والهجران.

تـمـسَّـكـوا بـالـذي امـتـسـكـتُ بـه فـإنّ خـيـر الإِخـوان مَـن وَصـلا
[المنسرح]

قال: فكتب إليه ابنُ أخيه:

يـا عـمِّ عُـوفِـيـتَ مـن عـذابـهـمُ الـنُّـكـرِ وفـارقـتَ سِـجـنـهـم عَـجِـلَا
كـتـبـتَ تـشـكـو بـنـي أخـيـك وقـد أرسـل مَـن كـان قـبـلَـنـا مـثـلا
«ابـدَأهُـمُ بـالـصُّـراخ يَـنـهـزمـوا» فـأنـت يـا عـمِّ تـبـتـغـي الـعِـلَـلا
زعـمـتَ أنَّـا نـرى بـلاءك فـي دارِ بـلاءٍ مُـكَـبَّـلاً جَـلَـلا
يـا عـمّ بـئـس الـفِـتـيـانُ نـحـن إذاً أمَّـا وفـي رِجـلـك الـكُـبـولُ[1] فـلا
عـلـيَّ إن كـنـت صـادقـاً حِـجَـجٌ لـلـبـيـت عـامَـيـنِ حـافـيـاً رَجُـلا
بُـعِّـدَ عـنـك الـهـمـومُ فـارجُ مـن الـلَّـهِ خـلاصـاً وأحـسـنِ الأمـلا
[البسيط]

أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل:

قال: ثم وَلي الحَكَمُ بن الصَّلت فأطلقه وأحسن إليه، فلم يَزَلْ يشكره ويمدحه. ثم عُزِل الحكم بعد ذلك، فقال إسماعيل فيه:

تـبـارك الـلَّـه كـيـف أَوحـشـتِ الـ ـكـوفـة أن لـم يَـكُـن بـهـا الـحَـكَـمُ
ألـحـكَـمُ الـعـدلُ فـي رعـيَّـتـه الـ ـكـامـلُ فـيـه الـعـفـاف والـفَـهَـمُ
فـأصـبـح الـقـصـرُ والـسَّـريـران والـ ـمـنـبـرُ كـالـكـل مـن أبٍ يَـتَـمُ
يُـذري عـلـيـه الـسـريـر عَـبـرتَـه والـمِـبـتـر الـمَـشـرَفـيُّ يَـلـتـدِمُ[2]
والـنـاس مـن حُـسـن سـيـرةِ الـحـكَـم بـ ـن الـصَّـلـت يـبـكـون كـلَّـمـا ظُـلِـمـوا
مـثـلُ الـسـكـارى فـي فَـرط وَجـدِهِـمُ إلَّا عـدُوّاً عـلـيـه يُـتَّـهَـمُ
يَـومَ جـرى طـائـرُ الـنُّـحـوس[3] لـهـم يُـنـزَعُ مـنـه الـقِـرطـاسُ والـقَـلـمُ
فـأرغـمَ الـلَّـه حـاسـديـه كـمـا أرغـم هُـودَ الـقـرودِ إذ رغِـمـوا
فـي سَـبـتـهـم يـوم نـابَ خَـطـبـهـمُ والـلَّـه مـمـن عـصـاه يـنـتـقـمُ
إنَّـا إلـى الـلَّـه راجـعـون أمَـا لـلـنَّـاس عـهـدٌ يُـوفـى ولا ذِمَـمُ

(١) الكُبول: القيود.
(٢) يلتدِم: يضرب صدره ووجهه من الحزن.
(٣) النّحوس: مفردها النحس، وهو ضدّ السعد.

حَـولٌ عـلـيـنـا، ولـيـلـتـانِ لـنـا ... مـن لَـذّة الـعـيـش، بـئـسـمـا حَـكَـمـوا
لا حُـكـمَ إلّا لـلّـه يُـظـهـرُه ... يَـقـضـي لـضـيـزائـهـا الـتـي قـسـمـوا
مـاذا تُـرجّـي مـن عَـيـشـهـا مُـضَـرٌ ... إن كـان مـن شـأنـهـا الـذي زعـمـوا
[المنسرح]

ذم ولاية خالد القسريّ:

وقال ابن حبيب: سمع إسماعيل بن عمَّار رجلاً يُنشد أبياتاً للفرزدق يهجو بها عمر بن هُبَيرة الفزاريّ لمَّا وَليَ العراق ويعجب من ولايته إيَّاها، وكان خالدٌ القسريّ قد وَليَ في تلك الأيام العراق، فقال إسماعيل: أعجبُ واللَّه مما عجب منه الفرزدق من ولاية ابن هُبَيرة، وهو ما لستُ أراه يُعجبُ منه، ولاية خالدٍ القسريّ وهو مخنَّثٌ دَعِيٌّ ابن دعيٍّ، ثم قال:

عَـجِـب الـفـرزدق مـن فـزارة أن رأى ... عـنـهـا أمـيَّـةَ بـالـمـشـارق تَـنـزعُ
فـلـقـد رأى عـجـبـاً وأُحـدِثَ بـعـده ... أمـرٌ تـطـيـرُ لـه الـقـلـوب وتـفـزع
بَـكـتِ الـمـنـابـر مـن فـزارة شـجـوَهـا ... فـالآن مـن قَـسـرٍ تَـضـجّ وتـجـزَع
فـملـوك خِـنـدفَ[1] أضـرَعـونـا[2] لـلـعِـدا ... لـلّـه دَرُّ مُـلـوكـنـا مـا تـصـنـع
كـانـوا كـقـاذفـةٍ بَـنـيـهـا ضَـلَّـةً ... سَـفَـهـاً وغـيـرهُـمُ تَـرُبُّ وتُـرضِـع
[الكامل]

أَخبرني حبيب بن نَصر المهلَّبيُّ قال: حدثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال حدثنا عبد اللَّه بن سعيد بن أسيد العامريّ قال حدثني محمد بن أَنَسٍ الأسديّ قال:

شعر له في عينه وقلبه:

جلستُ إلى إسماعيل بن عمَّار، وإذا هو يفتل أَصابعه متأسّفاً، فقلتُ: علام هذا التأسُّف والتلهُّف؟ فقال:

عـيـنـايَ مـشـئـومـتـان ويَـحـهـمـا ... والـقـلـبُ حـرَّان مُـبـتَـلّ بـهِـمَـا
عـرَّفـتـاه الـهـوَى لـظـلـمـهـمـا ... يـا لـيـتـنـي قـبـلَ ذا عَـدِمـتُـهُـمَـا
هُـمـا إلـى الـحَـيـن دلَّـتـا وهـمـا ... ذلّ عـلـى مـن أُحِـبُّ دمَـعُـهُـمَـا

(١) خِندِف: لقب لليلى بنت حلوان بنت عمران. وخندِف تعني مُسْرِعة.
(٢) أضرعونا: أخضعونا.

سـأَعـذِر الـقـلـبَ فـي هـواه ومـا سـبَّـب كـلَّ الـبـلاءِ غـيـرُهُـمَـا
[المنسرح]

شعر للأعشى وشرحه:

صـوت

فـكـعـبـة نَـجـران حَـتـمٌ عـلـيـ ـكِ حـتـى تُـنـاخـي بـأبـوابِـهـا
تـزورُ يـزيـدَ وعـبـدَ الـمـسـيـح وقَـيـسـاً هـمُ خـيـرُ أربـابِـهـا
وشـاهِـدُنـا الـجُـلُّ[1] والـيـاسـمـيـ ـنُ والـمُـسـمِـعـاتُ بـقُـصَّـابِـهـا
وبَـربَـطُـنـا[2] دائـمٌ مُـعـمَـلٌ فـأيُّ الـثـلاثـة أزرى بِـهـا
إذا الـحـبـراتُ[3] تـلـوّتْ بـهـم وجَـرُّوا أسـافـل هُـدَّابِـهـا
فـلـمَّـا الـتَـقَـيـنـا عـلـى آيـةٍ ومَـدّت إلـيّ بـأسـبـابِـهـا
[المتقارب]

عَروضه من المتقارب. الشعرُ للأعشى يمدَح بني عبد المدان الحارثيِّين من بني الحارث بن كعب. والغناءُ لحَنين، خفيفُ ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وذكر يونس أَنَّ فيه لحناً لمالك، وزعم عمرو بن بانة أنه خفيفُ ثقيلٍ. وزعم أَبو عبد اللَّه الهشاميّ أَنَّ فيه لابن المكيّ خفيفَ رملٍ بالوسطى أوَّله:

تُـنـازعـنـي إذ خـلـتْ بُـردهـا

ومعه باقي الأبيات مخلَّطةً مقدَّمةً ومؤخّرةً. والكعبة التي عناها الأعشى هاهنا يقال إنها بيعةٌ بناها ابن عبد المدان على بناء الكعبة، وعظّموها مُضاهاةً للكعبة، وسموها كعبة نجران، وكان فيها أساقفةٌ يُقيمون، وهم الذين جاؤوا إلى النبيّ ﷺ ودعاهم إلى المُباهلة، وقيل: بل هي قُبَّة من أَدَم سموها الكعبة، وكان إذا نزل بها مستجيرٌ أُجير، أَو خائفٌ أَمِن، أَو طالبُ حاجةٍ قُضيتْ، أَو مسترفدٌ أُعطي ما يريده. والمُسمعاتُ: القيان. والقُصَّاب: أوتار العيدان. وقال الأصمعيّ: قلت لبعض الأعراب: أنشدني شيئاً من شعرك. قال: كنت أقول

(١) الجُلّ: مفردها جلَّة، الورد أبيضه وأحمره وأصفره.
(٢) البَربط: فارسية معرَّبة، معناها العود.
(٣) الحُبرات: ضرب من برود اليمن.

الشعر وتركته. فقلت: ولم ذاك؟ قال: لأنني قلت شعراً وغنَّى فيه حَكَمٌ الواديّ وسمعته فكاد يذهل عقلي، فآليت ألَّا أقول شعراً، وما حرّك حكَمٌ قُصَّابه إلَّا توهّمتُ أَنّ اللَّه عزّ وجلّ مُخلدي بها في النار.

* * *

فهرس المحتويات

أخبار النابغة ونسبه ٥
فضله أبو عمرو على زهير: ٨
هروبه من النعمان إلى ملوك غسان: ١١
كان المنخل اليشكري يهوى هنداً بنت عمرو بن هند فتغزل فيها فقتله: ١٢
مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغساني وأخاه النعمان: ١٤
حديث حسان عنه حين وفد على النعمان: ٢٠
رجوعه إلى النعمان حين بلغه أنه عليل: ٢٢
أخذ معنى لزرقاء اليمامة: ٢٦
أخبار الحارث بن حلزة ونسبه ٣١
السبب في قول قصيدته المعلقة: ٣١
قصيدة له دالية: ٣٦
نسب عمرو بن كلثوم وخبره ٣٨
قصة قتله لعمرو بن هند: ٣٩
تعظيم تغلب لقصيدته المعلقة: ٤٠
فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند: ٤٠
إخوته وعقبه: ٤٠
أغار على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأسره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه: ٤١
حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مرّ ببني تغلب فلم يكرموه: ٤٢
هجاؤه للنعمان بن المنذر: ٤٢
قال وقال في النعمان: ٤٣
وفاته ونصيحته لبنيه: ٤٣
ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل ٤٥
سبب التهاجي بين جرير والأخطل: ٤٥
قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها: ٤٦

مدح الرشيد بيتاً للأخطل: ٤٩
ذكر أوس بن حجر وشيء من أخباره ٥١
نسبه ومنزلته في الشعر: ٥١
تمثلت فتاة أعرابية بشعر له في السحاب: ٥١
كان يسير ليلاً فصرعته ناقته: ٥٢
رثى فضالة بن كلدة حين مات: ٥٣
خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا ٥٦
رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس: ٥٨
مقتل زهير بن جذيمة العبسي ٦١
قتله خالد بن جعفر: ٦١
حلف خالد بن جعفر أن يقتله: ٦١
وصف مقتله: ٦٢
شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده: ٦٥
شعر لورقاء بن زهير: ٦٦
رواية الأصمعيّ لمقتل زهير وابنه شأس: ٦٧
ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب ٦٩
شعر للحارث في قتله ابن النعمان: ٧٥
شعر للحارث يخاطب به النعمان: ٧٦
لحوقه بطيء: ٧٨
أخذ الأسود أموال جارات له فردها هو إليهن: ٧٨
رواية أخرى في قتله ابن الملك: ٧٩
مروره برجل من بني أسد: ٨٥
لحوقه بمكة وانتماؤه إلى قريش: ٨٥
لحوقه بالشام عند ملك من غسَّان ومقتله: ٨٥
خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة ٨٨
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني ٩٠
الغناء في شعر عمرو والحارث: ٩٠
خبر رحرحان الثاني ٩٢
ونذكر هاهنا خبر رحرحان ويوم قتله إذ كان مقتل الحارث وخبرُه خبرَهما ٩٢
أسر معبد بن زرارة ومقتله: ٩٤

شعر لعوف بن عطية يعيِّر لقيطاً: ٩٥
مما قاله الشعراء في وقعة رحرحان: ٩٥
يوم شعب جبلة ٩٧
ثم دخولهم شعب جبلة: ١٠٠
ما فعله كرب بن صفوان لتميم وأسد: ١٠١
صد بني تميم لبني عامر: ١٠٤
سقوط لقيط في الموقعة: ١٠٥
شعر لدختنوس في أبيها: ١٠٦
تاريخ يوم جبلة: ١١٥
مقتل عمليق وسببه ١١٨
عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله: ١١٨
تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه: ١١٩
ائتمار جديس للغدر به وبقومه: ١١٩
حديث عمر بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري: ١٢١
الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه ومسعى عمر في زواجه ممن
عشقها: ١٢٣
أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها ١٢٧
كانت لا تستر وجهها وعتاب مصعب لها في ذلك: ١٢٧
غضبت على مصعب فبعث إليها ابن قيس الرقيات: ١٢٧
غضبت على مصعب فاسترضاها أشعب فرضيت: ١٢٨
مصارمتها لزوجها وإِيلاؤه منها: ١٣٠
زواجها من مصعب بن الزبير: ١٣١
أخبار لها مع مصعب ١٣٢
خطبها بشر بن مروان فتزوجت عمر بن عبيد اللَّه: ١٣٣
ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبيد اللَّه: ١٣٣
حديث امرأة عنها وقد اختلى بها عمر: ١٣٤
أخبار لها مع عمر بن عبيد اللَّه ١٣٥
طلبت من الوليد بن عبد الملك أعواناً حين حجت: ١٣٦
إعجاب أبي هريرة بجمالها: ١٣٧

مر بها النميري الشاعر فاستنشدته وخبره معها: ١٣٧
أخّر الحارث بن خالد الصلاة لتتم طوافها: ١٣٨
خطبها أبان بن سعيد على يد أخيه فأبت: ١٣٩
من شعر عمرو بن شأس: ١٤١
نسب عمرو بن شأس وأخباره ١٤٣
ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحمير معها وخبر مقتله ١٤٩
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ١٥٢
مقتل توبة وسببه: ١٥٣
عبد اللّه بن الحُمير يعتذر إلى قومه بعد قتل أخيه: ١٥٨
رثت ليلى توبة بعدة قصائد: ١٦١
خرج توبة إلى الشام فلقيه زنجي وخبره معه: ١٦٧
حديث معاوية مع ليلى في توبة: ١٦٨
ما كان بين توبة وجميل أمام بثينة: ١٦٩
سأل عبد الملك بن مروان ليلى عما رآه توبة فيها فأجابته: ١٧٠
وفود ليلى على الحجاج وحديثه معها: ١٧٠
كان توبة شريراً كثير الغارات: ١٧٣
رواية أخرى في وفودها على الحجاج: ١٧٤
ذكر الأقيشر وأخباره ١٧٧
نسب الأقيشر واسمه ولقبه وكنيته: ١٧٧
قال في مسجد سماك بالكوفة شعراً ذم فيه بني دودان ثم ترضاهم ببيت: ... ١٧٧
كان خليعاً ماجناً مدمناً لشرب الخمر: ١٧٨
كان سكران فحكَّموه في الصحابة فقال شعراً: ١٨٧
لقيه هشام الشرطي وهو سكران فحاوره في سكره: ١٨٩
إستنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة: ١٨٩
مدح خمارة بشعر داعر فسرّت به: ١٩١
خرج لغزو الشام فباع حماره وأنفق ثمنه في الفجور: ١٩٤
أخبار ابن الغريزة ونسبه ١٩٦
أخبار أعشى بني تغلب ونسبه ١٩٨
كان نصرانيًّا: ١٩٨

قصته مع الحر بن يوسف: ١٩٨
مدح مدركاً الكناني فأساء ثوابه فهجاه: ١٩٩
أخبار أبي النضير ونسبه ٢٠١
قال إسحاق الموصلي إنه أظرف الناس: ٢٠١
شعر له في عنان: ٢٠٢
أنشد الفضل بن الربيع شعراً في امرأة تزوجها وطلقها: ٢٠٦
أخبار العبليّ ونسبه ٢٠٧
قصيدة له يندب فيها فرقة بني أمية: ٢١٦
أخبار أبي جلدة ونسبه ٢١٩
فرّق مِسمع مالاً في عشيرته وجفا سائر بكر فقال هو شعراً فأكرمه وأرضاه: ٢٢٢
كان جاره سيف يشرب ويعربد عليه فهجاه: ٢٢٣
ضرط بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضرطوا: ٢٢٦
سأل الحضين بن المنذر شيئاً فلم يعطه إياه فهجاه: ٢٢٨
تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعراً: ٢٢٨
شعره في دهقانة كان يختلف إليها: ٢٢٩
شعر له يناقض به قتادة بن معرب: ٢٣١
مر به مسمع بن مالك فوثب إليه وقال فيه شعراً: ٢٣٢
أخبار علويه ونسبه ٢٣٥
مهارته في الغناء والضرب وبعض أخلاقه: ٢٣٥
رأي إسحاق الموصلي فيه وفي مخارق: ٢٣٥
أتاه بعض أصحابه فأطعمهم وغناهم ألحاناً له: ٢٣٧
كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار: ٢٣٩
مدحه عبد اللَّه بن طاهر: ٢٤١
فضّله عمرو بن بانة على نفسه: ٢٤٢
غنى المأمون في دمشق بما أساءه فغضب عليه وشتمه: ٢٥١
نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر ٢٥٣
إعترض على خضابه فأجاب: ٢٥٣
مدح إسحاق لحناً له: ٢٥٤
قال المأمون أبياتاً فغناه فيها فوصله: ٢٥٤

غنَّى في مجلس الرَّشيد بما أغضبه عليه: ٢٥٥
نسبة هذه الأصوات التي تقدّمت ٢٥٦
نسب إسماعيل بن عمار وأخباره ٢٥٩
قصيدة له في جواري ابن رامين: ٢٥٩
مات له ابن فرثاه: ٢٦١
هجاؤه لجارية له كان يبغضها: ٢٦٣
هجا جاراً له بنى مسجداً قرب داره: ٢٦٤
كان منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد فلما مات رثاه: ٢٦٥
كتب إلى ابن أخيه شعراً من الحبس فأجابه: ٢٦٧
أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل: ٢٦٨
ذم ولاية خالد القسريّ: ٢٦٩
شعر له في عينه وقلبه: ٢٦٩
شعر للأعشى وشرحه: ٢٧٠